

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الدراسات العليا العربية
فروع الأدب

١٧٦٩ ٣٠١٠٢

الشواهد الشعرية في كتاب

دلائل الإعجاز

للشيخ عبد القاهر الجرجاني

توثيق وتحليل ونقد

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه في البلاغة العربية

اعداد الطالبة
نجاح أحمد عبد الكريم الظاهر
٢٠٠٦٩٤٢

اشراف
سعادة الاستاذ الدكتور علي محمد حسن العماري

١٤٠٨ هـ - ١٤٠٩ هـ

١٩٨٨ م - ١٤٠٩ م



الفصل العاشر

شواهد القصر والاختصاص

- ١- إنما ومواقعها .
- ٢- ما و إلا
- ٣- عود إلى مباحث إنما

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول الفرزدق :

(١) أَنَا الذَائِدُ الْحَامِي الدَّمَارُ وَإِنَّمَا . : (٢) يَدِافِعُ عَنِ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ يَبْطِي (٣) (٤)

والشاهد من قصيدة قالها الفرزدق حين استجدت به نساء قبيلته (بنسي مجاشع) لما بلغهن هجاء جرير لهن ، وكان الفرزدق قد قيد نفسه ، وحلف أن لا يطلق قيده حتى يحفظ القرآن أتينه ، وقلن له : قبح الله قيدك فقد هتك جرير عورات نساءك فلحيت شاعر قوم فأحفظنه ، ففض قيده ، وقال قصيدته :

ومطلعها :

أَلَا اسْتَهْرَأَتْ يَتِي هُنَيْدَةٌ أَنْ رَأَتْ . : أَسِيرًا يَدَانِي خَطْوَهُ حَلَقُ الْجِجَلِ

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٦ ، شاکر : ٣٢٨ .

(١) رواية المحتسب : " أنا الدافع " .

(٢) رواية الديوان والنقائض لهذا الشطر " أنا الضامن الراعي عليهم وإنما " .

(٣) رواية شرح المفصل : " عن أعراضهم " .

(٤) ديوان الفرزدق : ١٥٢ / ٢ / النقائض : ١٢٨ / ١ ، المحتسب :

١٩٥ / ٢ ، الاقتصاب في شرح أدب الكتاب : ١٨ ، المفتاح : ١٢٦ ،

شرح المفضل : ٩٥ / ٢ / ١ ، شرح جبل الزجاجي : ١٧ / ٢ ، الإيضاح :

١ / ٢١٦ ، مغني اللبيب : ١ / ٣٠٩ رقم (٥١٠) ، شرح

شواهد شروح الألفية للعيني : ١ / ٧٥ ، شرح أبيات الإيضاح :

١ / ١٣٦ شاهد رقم (١١٩) ، شرح التصريح على التوضيح :

١ / ١٠٦ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٧١٨ ، همع الهوامع :

١ / ٦٢ ، الدرر اللوامع : ١ / ٣٩ ، معاهد التنصيص : ١ / ٨٩ ،

شروح التلخيص : " عروس الأفراح " : ٢ / ١٩٤ ، مختصر السعد :

٢ / ٢٠٠ ، مواهب الفتاح : ٢ / ٢٠٠ ، حاشية الدسوقي :

٢ / ٢٠٠ .

وقبل الشاهد :

فَإِنْ يَكُ قَيْدِي كَانَ نَذْرًا نَذَرْتُهُ . : . فَمَا بِي عَنْ أَحْسَابِ قَوْمِي مِنْ سُفْلٍ

وبعد الشاهد وبعده :

وَلَوْ ضَاعَ مَا قَالُوا ارْعَيْنَا وَجَدْتَهُمْ . : . شِحَا حَا عَلَى الْغَالِي مِنَ الْحَسْبِ الْجَزَلِ (١)

استدل به الشيخ على أن " إِنْما " هنا جاءت بمعنى " ما وإلا " في إفادة

القصر، وذلك لصحة انفصال الضمير معها .

والمعنى ما يدافع عن أحسابهم إلا أنا أو مطي . قال الشيخ قال أبو علي

الفارسي :

" فليس يخلو هذا الكلام من أن يكون موجبا أو منفيًا فلو كان المراد به

الإيجاب لم يستقم ، ألا ترى أنك لا تقول : " يدافع أنا ولا يقاتل أنسا "

وإنما تقول أدافع وأقاتل ، إلا أن المعنى لَمَّا كَانَ : ما يدافع إلا أنا ، فصلت

الضمير كما تفصله مع النفي إذا ألحقت معه (إلا) حملًا على المعنى (٢)

وكذلك استدل به الشيخ على أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما وإلا) يصلح

فيه (إِنْما) قال :

" أعلم أنهم وإن كانوا قد قالوا هذا الذي كتبت لك ، فإنهم لم يعنوا

بذلك أن المعنى في هذا هو المعنى في ذلك بعينه ، وأن سبيلهما سبيل

اللفظين يوضعان لمعنى واحد . وفرق بين أن يكون في الشيء معسني

الشيء ، وبين أن يكون الشيء على الإطلاق ، يبين لك أنهما لا يكونان

سواءً أنه ليس كل كلام يصلح فيه (ما) و (إلا) يصلح فيه (إِنْما) (٣)

(١) الديوان : ٢ / ١٥٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٦ ، شاکر : ٣٢٨ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٣ ، خفاجي : ٣٢٧ ، شاکر : ٣٢٩ .

واستشهد به أيضا في موضع آخر من نفس الباب على أن المقصور عليه فسي
إنما هو المتأخر دائما قال :

" وإن قد عرفت أن الاختصاص مع " إلا " يقع في الذي تؤخره من الفاعل
والمفعول ، فكذلك يقع مع " إنما " في المؤخر منهما دون المقدم . . . وكما
لا يجوز أن يستوي الحال بين التقديم والتأخير مع (إلا) كذلك لا يجوز
مع (إنما) " (١)

فلو أنه قال : " وَإِنَّمَا أَدَّافِعَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ " صار المعنى أنه يخص المدافع عنه ،
فيزعم بذلك أن المدافعة منه تكون عن أحسابهم دون غيرها ؛ لأن قوله : " عن
أحسابهم " يكون متأخراً عن الفاعل المستكن في (أدافع) ، وهذا المعنى لم
يرده الفرزدق ؛ لأن المقام هنا مقام مفاخرة ، وتعداد ماثر ، فيحتاج إلى المبالغة .
قال الشيخ :

" وجملة الأمر أن الواجب أن يكون اللفظ على وجه يجعل الاختصاص فيه
للفرزدق ، وذلك لا يكون إلا بأن يقدم " الأحساب " على ضميره ، وهو
لو قال : " وَإِنَّمَا أَدَّافِعَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ " ، استكن ضميره في الفعل ، فلم يتصور
تقديم " الأحساب " عليه ، ولم يقع " الأحساب " إلا مؤخراً عن ضمير الفرزدق ،
وإن تأخرت أنصرف الاختصاص إليها لامحالة " . . . " (٢)

وأشار إلى أن فصل الضمير هنا ليس للضرورة . كما يزعم البعض ، (٣) لأن " أدافع "

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٢-٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاکر : ٣٤٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاکر : ٣٤٣ .

(٣) ذهب سيبويه إلى أن الفصل هنا ضرورة ، ولم يلتفت إلى المعنى ، وكذلك

ذهب ابن عصفور إلى مذهب به بحجة أنه لو كان هذا الموضع موضع فصل

للضمير ، لوجب أن لا يؤتى به متصلاً ، كما لا يجوز ذلك مع إلا فقول العرب :

" إِنَّمَا أَدَّافِعَ عَنْ أَحْسَابِهِمْ " ، وأمثاله دليل على أنه من مواضع الاتصال ،

وأن الانفصال فيه ضرورة .

و " يدافع " واحد في الوزن . (١)

وفي الشاهد قصر آخر عن طريق تعريف الجزأين ، وهو قوله " أَنَا الذَّائِدُ " والغرض منه البالغة أي أنا هو الذَّائِدُ الحقيقي لا غيري إلا من كان على وصفي (٢)

الشاهد الخامس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إِنَّمَا أَنْتَ وَالِدٌ وَالْأَبُّ الْقَا . . . طِعَ أَحْنَى مِنْ وَاصِلِ الْأَوْلَادِ (٣)

والشاهد ذكره الشيخ من غير نسبة

وهو لأبي الطيب المتنبي من قصيدة يمدح بها كافور الإخشيدي ، ويذكر فيها الصلح بينه وبين ابن الإخشيدي مولى كافور بعدما جرت بينهما وحشة وقطيعة بأن اتصل قوم من الغلمان بابن الإخشيدي ، وأوغروا صدره عليه ، وكان ابن الإخشيدي صغيراً وكافور وليه والقائم على ملكه ، فطالب كافوراً بتسليم الغلمان فسلموا إليه واصطاحا فأنشد المتنبي قصيدته التي مطلعها :

====
 وَذَهَبَ الزَّجَاجِيُّ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ ضَرُورَةٍ ؛ لِأَنَّ الْمَعْنَى : " مَا يُدْفَعُ عَنِ أَحْسَابِهِمْ إِلَّا أَنَا أَوْ يَتَلِي " .

وجزم ابن مالك أنه يتعين فيه فصل الضمير / انظر :

شرح جمل الزجاجي : ١٧ / ٢ ، همع الهوامع : ١ / ٦٢ .

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) شروح التلخيص : (مواهب الفتاح) : ٢ / ٢٠٠ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٤ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣٠ .

(٣) ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ٣١ ، التثليل والمحاضرة :

٤٦٠ ، الإيضاح : ١ / ٢٢٠ ، شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الزهرية - :

رقم الشاهد (١٢١) .

حَسَمَ الصُّلْحَ مَا شَتَّهَتِ الْأَعَارِي . : وَأَذَاعَتْهُ أَلْسُنُ الْحُسَّارِ

وقبل الشاهد :

وَأَطَاعَ الذُّيَّيَّ أَطَاعَكَ وَالطُّبَا . : عَةٌ لَيْسَتْ خَلَائِقَ الْأَسَارِ

وبعد الشاهد وبعده :

(١)
لَا عَدَا الشَّرِّ مَنْ بَغَى لَكَمَا الشَّرُّ (م) . : وَخَصَّ الْفَسَادُ أَهْلَ الْفَسَادِ

أَنْتُمْ - مَا تَقْتَمُوا - الْجِسْمُ وَالسُّرُ . : حُ فَلَا أَحْتَجُّنَا إِلَى الْعَوَارِ

الشاهد فيه : أن من مواضع إنما أن تجيء لخبر لا يجمله المخاطب، ولا يدفع

صحته، وإنتا يراد تنبيهه لهذا الخبر. قال الشيخ :

* اعلم أن موضوع (إنما) على أن تجيء لخبر لا يجمله المخاطب، ولا يدفع

صحته أو ليما ينزل هذه المنزلة، تفسير ذلك أنك تقول للرجل : إنما هو

أخوك، وإنتا هو صاحبك القديم، لا تقوله لمن يجمل ذلك ويدفع صحته،

ولكن لمن يعلمه ويقربه إلا أنك تريد أن تنبيهه للذي يجب عليه من حقيق

الأخ، وحرمة الصاحب * (٢)

فالمتبني لم يرد أن يعلم كافوراً، بأنه والد، وكذلك كافور لا يحتاج إلى هذا

الإعلام، ولكن أراد تنبيهه إلى ما يجب عليه من حق الأبوة قال الشيخ :

* لم يرد أن يعلم كافوراً أنه والد، ولا ذاك ما يحتاج كافور فيه إلى الإعلام،

ولكنه أراد أن يذكره منه بالأمر المعلوم ليبيني عليه ما يوجب كونه بمنزلة

الوالد * (٣)

(١) لا عدا : أي لا يجاوز .

(٢) الدلائل، رضا : ٢٥٤، خفاجي : ٣٢٨، شاكر : ٣٣٠ .

(٣) الدلائل نفس الصفحات السابقة .

وأشار الشيخ إلى أنه لا يصح في هذا المقام استعمال " ما وإلا " بدلاً من " إنما " فلا يصح أن يقول : " ما أنت إلا " والد " لأن " ما وإلا " إنما تأتي لأمر يجهله المخاطب .

والمقام هنا يخالف ما ترمي إليه " ما وإلا " (١)

الشاهد السادس والثلاثون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

إِنَّمَا مُصْعَبٌ شَهَابٌ مِّنَ اللَّهِ (م) . . . تَجَلَّتْ عَنِّ وَجْهَهُ الظُّلْمَاءُ (٣) (٤)

أورد الشيخ البيت (٥) من غير عزو ، وهو لعبيد الله بن قيس

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاكر : ٣٣١ .

(٢) رواية البداية والنهاية : " إن مصعباً شهابٌ من الله " وعليه فلا شاهد في البيت .

(٣) رواية الموشح : " ٢٠٠ " تجلت عن نوره الظلماء " .

(٤) انظر البيت في :

الديوان : ٩١ ، الشعر والشعراء : ٥٣٦ / ١ ، طبقات فحول الشعراء :

٦٤٩ / ٢ ، عيون الأخبار : ١٠٣ / ١ ، الكامل : ١٩٤ / ٢ ، الفاضل : ١١٧ ،

مجالس ثعلب : ١٧ / ١ ، المعقد الفريد - دار الكتب العلمية - : ١٥٥ / ٥ ،

نقد الشعر : ١٨٩ ، الأغاني : ٧٩ / ٥ ، المختار من شعريشار : ٩٥ ، الموشح :

١٦٩ - ٢٠٠ ، الصناعتين : ١١٤ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٦٤ ، العمدة :

٧٠ / ١ ، المحاسن والمساوي : ٥٠٦ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ ، سبط اللاكسي :

٢٩٤ / ١ ، مختارات ابن الشجري : ١٨٠ / ١ ، محاضرات الأدباء : ٢٣٥ / ١ ،

المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ٢٢١ / ١ ، البداية والنهاية : ٣٢٠ / ٨ ، شرح

أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ، شرح شواهد المغني : ٦٢٣ / ٢ .

(٥) وللبيت قصة طريفة شاعت في كتب الأدب تتلخص في أن مصعب بن الزبير

أمر بضرب عنق أحد الأسرى فاستعطفه الرجل واستلطفه ، فعفا مصعب عنه

وأمر له بمائة ألف فقال الرجل :

الرقيات (١) يمدح مصعب بن الزبير. (٢)

ومطلع القصيدة :

==== بأبي أنت وأمي أشهد الله أن لابن قيس الرقيات منها خمسين ألفا

فقال له مصعب : ولم ؟ قال : لقوله فيك :

إِنَّمَا مُصَعَّبٌ شِهَابٌ مِنَ اللَّهِ (م) . تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلْمَاءُ

فضحك مصعب وقال : أرى فيك موضعاً للصنعة ، فأمره بلزومه ،

وأحسن إليه ، فلم يزل معه حتى قتل . / انظر :

عيون الأخبار : ١ / ١٠٣ ، المحاسن والساويء : ٥٠٦ ، محاضرات

الأدباء : ١ / ٢٣٥ .

(١) هو عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أهيب بن ضباب

ابن جحير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب (. . .) - نحو

٨٥هـ) وأمه قتيلة بنت وهب بن عبد الله بن ربيعة ، ويكنى عبيد الله

ابن الرقيات بأبي هاشم ، وأبي هشام ، وإنما لقب الرقيات ؛ لأنسه

شَبَّبَ بثلاث نسوة اسم كل واحدة منهن رقية ، وقيل لأن جدات له

توالين يسمين رقية ، جعله ابن سلام في الطبقة السادسة من فحول

الإسلام ، وكان مصاحباً لمصعب بن الزبير، وله فيه أشعار كثيرة . /

انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٤٩ ، ٦٥٥ ، الشعر والشعراء :

١ / ٥٤٦ - ٥٤٧ ، الأغاني : ٥ / ٧٣ - ١٠٠ ، ١٧٠ / ٢٧١ ، ٢٧٥ ،

سطح اللاكي : ١ / ٢٩٤ ، خزانة البغدادي - دار صادر - :

٣ / ٢٦٥ - ٢٦٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ١٢٧ ، الأعلام :

٤ / ١٩٦ ، ١ / ٢٦٤ ، ٢٩٦ .

(٢) سبقت ترجمته عند الشاهد (السادس والأربعون بعد

المائة) : ٥٧٢ .

أَقْفَرَتْ بَعْدَ عَبْدِ شَمْسٍ كِدَاءً (١) . فَكَدِّي فَالْزُكْنُ (٢) فَالْبَطْحَاءُ (٤)

وقبل الشاهد :

إِنْ تَعِشْ لَا تَنْزَلْ بِخَيْرٍ وَإِنْ تَهَبْ . لِكَ تَنْزَلْ مِثْلَ مَا يَزُولُ الْعَمَاءُ

وبعد الشاهد وبعده :

مُلْكُهُ مَلِكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ . جَبْرُوتٌ وَلَا يَمُوتُ إِلَّا بِمِ كِبْرِيَاءُ
يَتَّبِعِي اللَّهَ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَفْلَحَ (م) . مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْاِتِّقَاءُ

استشهد به الشيخ على أن من مواضع " إنما " تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهد الخبر، ولا يدفع صحته بإثبات أن الخبر معلوم ظاهر، فالشاعر هنا قصر مصعباً على صفة الشهاب قصر موصوف على صفة، فادعى أن اتصاف بمدوحه بهذه الصفة أمر معلوم، وذلك لينبه، ويبالغ في إثبات هذه الصفة له . قال الشيخ :

" ادعى في كون المدوح بهذه الصفة أنه أمر ظاهر معلوم للجُميع

على عادة الشعراء، إذا مدحوا أن يدعوا في الأوصاف التي يذكرون بها

(١) كداء : الممدودة بأعلى مكة عند المحصب دار النبي صلى الله

عليه وسلم / معجم البلدان : ٤ / ٤٣٩ .

(٢) كدي : مصغر، طريق لمن خرج من مكة إلى اليمن / معجم البلدان

٤ / ٤٣٩ - ٤٤١ .

(٣) الزكن : المقصود به الزكن اليمني . ركن البيت الحرام / معجم

البلدان : ٣ / ٦٤ .

(٤) البطحاء : جمعها بطاح وهي بطحاء مكة يقال لقريش الداخلة

" وهم بنوكعب بن لؤي " البطاح وهم الذين ينزلون الشعب بسين أخشبي مكة .

والبطحاء في اللغة : مسيل فيه دقات الحصى / معجم البلدان :

١ / ٤٤٤ .

المدوحين أنها ثابتة لهم ، وأنهم قد شهروا بها ، وأنهم لم يُصَفوا
 إِلَّا بالمعلوم الظاهر الذي لا يدفعه أحد * (١)
 * وفي قوله من الله تعظيم للشهاب ، وفيه زيادة تخيم لشأن مصعب شبيهه
 في الشدة ، واهتداء الناس به ، وارتفاع محله بكوكب ثاقب تجلى عن وجهه الظلام ،
 فهو في غاية الإضاءة والإضاءة (٢)
 ثم ذكر أنه يصح في هذا الموضع - وهو تنزيل المخاطب منزلة من لا يجهل -
 أن تجي بـ (ما وإلا) فتقول : * ماصعب الأشهب من الله * ؛ لأن الصفة
 ليست معلومة على الحقيقة ، وإنما ادعى الشاعر له ذلك ، إلا أن المعنى على ذلك
 يخرج عن حد المبالغة ، قال الشيخ :

... وإذا كان الأمر ظاهراً كالذي مضى لم تقله كذلك ، فلا تقول للرجل
 ترققه على أخيه وتنبهه للذي يجب عليه من صلة الرحم ومن حسن التحاب :
 ما هو إلا أخوك ، وكذلك لا يصلح في " إِنَّا أَنْتَ وَالِدٌ " مَا أَنْتَ إِلَّا وَالِدٌ :
 فأما نحو : " إِنَّا مَصْعَبٌ شِهَابٌ " ، فيصلح فيه أن تقول : ماصعب الأشهب ؛
 لأنه ليس من المعلوم على الصحة ، وإنما ادعى الشاعر فيه أنه كذلك ، وإذا كان
 هذا هكذا جاز أن تقوله بالنفي والإثبات إلا أنك تخرج المدح حينئذ عن
 أن يكون على حد المبالغة من حيث لا يكون قد ادعت فيه أنه معلوم ،
 وأنه بحيث لا ينكره منكر ، ولا يخالف فيه مخالف * (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٨ ، شاعر : ٣٣١ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح * شرح أبيات يضمنها القول في القصر :
 شاهد رقم ١٢٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٥٦ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاعر : ٣٣٢ .



ولقد أعجب بهذا البيت عبد الملك بن مروان ، وفضله على قول عبید الله بن

قيس الرقيات في مديحه :

يَأْتِقُ التَّاجُ فَوْقَ مِفْرَقِيهِ . . . عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهَبُ^(١)

وقال لعبيد الله :

أعطيته المدح بكشف الغم ، وجلاء الظلم وأعطيتني من المدح ما لا فخر

فيه، وهو اعتدال التاج فوق جبيني الذي هو كالذهب في النضارة . (٢)

ورأى قدامة بن جعفر، وأبو هلال العسكري أن بيت الشاعر من أبيات المدح الجياد ، لأن المدح فيه كان بالفضائل النفسية الخاصة التي هي العقل، والعفة والعدل، والشجاعة، وما جانس ذلك ويعد بذلك عن عيوب المديح، وهي عدول المادح عن الفضائل التي تختص بالنفس إلى ما يليق بأوصاف الجسم من الحسن، والبهاء، والزينة، (٣) واستشهد على ذلك بقول عبد الملك في تفضيله البيت ، واعترض الأمدى ، وتبعه ابن سنان الحفاجي، على طمة تفضيل البيت ، وهي كون المدح فيه بالفضائل النفسية .

ورأى الأمدى أن قدامة قد خالف بمنذبه هذا مذاهب الأمم كلها عربيهـا وأعجميهـا ، لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ، ويتمن به ، ويبدل على الخصال المحمودة . (٤)

(١) رواية الفاضل : * يعتقد * .

(٢) انظر القصة مفصلة في :

الكامل : ١٩٤-١٩٥ ، الفاضل : ١١٧ ، مجالس ثعلب : القسم الأول : ١٧ ،

الموشح : ١٩٦-٢٠٠ ، سر الفصاحة : ٢٥٧ .

(٣) نقد الشعر : ١٨٩ / الصناعتين : ١١٤ .

(٤) سر الفصاحة : ٢٥٧ .

وأيدته في قوله هذا ابن سنان ، فقال :
 " وهذا الذي ذكره أبو القاسم صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما قد جُبلت
 النفوس عليه من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى وأغنى ، فإن كان قدامه
 يعتقد أن ذلك ليس بفضيلة لما كان الإنسان قد خلق عليه ، فهذا حكم
 جميع الفضائل النفسانية ، فإن الكريم قد خُلق كريماً ، والشجاع شجاعاً ،
 والعاقل عاقلاً ، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته ،
 كذلك لا يقدر الجاهل على أن يستبدل عقلاً فوق عقده ، ويلزم قدامه ألا يجيز
 المدح بشرف النفس ، والنسب ، وكرم الأصل ؛ لأن ذلك أيضاً يجري
 مجرى الصور ، ولا صنيع للمدح في شيء منهما ، والأمر في هذا ظاهراً (١)
 وعلل ابن سنان إنكار عبد الملك على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج ،
 أنه إننا أنكره ؛ لأن التيجان كانت من زي ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب
 يعرفونها .

ورأى أن القوة في البيت أنه مدح مصعب بأنه شهاب من الله تعالى ، وهذا
 أبلغ من مدح الخليفة باعتدال التاج فوق مفرقه . (٢)
 ويبدو أن قوة البيت ليست في استعماله الفضائل النفسية ، وإنما ترجع إلى قوة
 الأسلوب الذي استخدمه الشاعر ، فمكن المعاني في النفس وأكدها .

(١) سر الفصاحة : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

(٢) المصدر السابق : ٢٥٧ .

الشاهد السابع والثلاثون بعد المائتين (*) (الطويل)

(١) وَتَعْدَلُنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ عَلَيْهِمْ . : وَمَا قُلْتُ إِلَّا بِالذِّي عَلِمْتُ سَعْدُ (٢) (٤)

أورده الشيخ عبد القاهر من غير عزو.

وهو للحطيئة من قصيدة يمدح بها بني سعد^(٥) مطلعها:

أَلَا طَرَقْتَنَا بَعْدَمَا هَجَدُوا هِنْدُ . : وَقَدْ سِرْنَا خُمْسًا وَاتَّلَابُ^(٦) يَنَا نَجْدُ^(٧)

والشاهد آخر بيت في القصيدة^(٨) ، وقبله:

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣١ .

(١) رواية مختارات ابن الشجري : " وقد لا مني "

ورواية ديوان المعاني : " وَيَعْدَلُنِي " بالياء .

ومعنى " أفناء سعد " أي بطون سعد .

(٢) ورواية الديوان وديوان المعاني وزهر الآداب :

" وَتَعْدَلُنِي أَفْنَاءَ سَعْدٍ "

(٣) رواية المفتاح والإيضاح : " إِلَّا بِالَّتِي "

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - رواية ابن حبيب - : ٤٢ ، ديوان المعاني : ٣٨ ، زهر الآداب :

٩٧٨ / ٤ ، مختارات ابن الشجري : ١٤ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ٢٢١ ،

شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٥) بنو سعد : وهم من بني أشرس بن كندة ، فولد أشرس : السكون والسكاسك ،

فمن بطون السكون : بنو عدي ، وبنو سعد ، ابني أشرس ابن شبيب ،

أمهما تجيب بنت ثوبان بن سليم بن رها ، من مذجج / جمهيرة

أنساب العرب : ٤٢٩ .

(٦) الطروق : الإتيان والزيارة ليلاً / التاج " طرق " : ٦ / ٤١٨ .

(٧) اتَّلَابٌ : انطلق وتتابع ، والمتئشب : الطريق الممتد المنبسط /

التاج " تلب " : ١ / ١٦١ .

(٨) هذا على رواية الديوان .

فَنَنْ مَبْلِغِ أُنْبَاءِ سَعْدٍ فَقَدْ سَعَى . : إِلَى السُّورَةِ الْعُلْيَا لَهُمْ حَازِمٌ جَدُّ^(١)
 جَرَى حِينَ جَارَى لَا يُسَاوِي عِنَانَهُ . : عِنَانٌ وَلَا يَشْنِي أَجَارِيَهُ الْجَهْدُ^(٢)
 رَأَى مَجْدَ أَقْوَامٍ أُضِيعَ فَحَثُّهُمْ . : عَلَى مَجْدِهِمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ الْجَهْدُ

وبعد هذا الشاهد .

وفي رواية ديوان المعاني ذكر قبل^(٣) الشاهد :

وَإِنْ كَانَتْ النَّعْمَاءُ^(٤) فِيهِمْ جَزَوْا بِهَا . : وَإِنْ أَنْعَمُوا لَأَكْدُرُوهَا وَلَا كَدُّوا

وبعد هذا الشاهد وبعده :

يَسُوسُونَ أَحْلَامًا بَعِيدًا أَنَاتَهَا . : وَإِنْ غَضِبُوا جَاءَ الْحَفِظَةُ وَالْجِدُّ^(٥)

استشهد به الشيخ للتعطير على أن من معاني " إننا " ادعاء كون الأمر معلوماً ظاهراً ، وهذا من عادة الشعراء إذا مدحوا ، فإنهم يدعون الشهرة ، فيما يصفون به المدحوحين ، ويدعون أن أوصافهم جليلة واضحة ، فالشاعر هنا متعجب من أمر هؤلاء الذين يلومونه في وصفه لمدحويه ، فأكد أن كل ما أثبتته لهم من الصفات أمر معلوم ، ومشهور لديهم .

ومعنى البيت :

" تلومني جماعات قبيلة سعد على هؤلاء القوم وعلى مدحهم ، وإنني ما قلت

(١) السُّورَةُ : الفضل والمنزلة الرفيعة ، والسُّورَةُ من المجد أثره ، وعلامته ، وارتفاعه /

أساس البلاغة " سور " : ٢٢٤ ، التاج : " سور " : ٢٨٣ / ٣ .

(٢) الأجارى : جمع اجريا وهو ضرب من الجري . / اللسان " جرا " : ١٤٠ / ١٤

(٣) وفي رواية زهر الآداب ذكر قبل الشاهد :

مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَكَاشِيفٍ لِلدُّجَى . : بَنَى لَهُمْ آبَاؤُهُمْ وَبَنَى الْجَدُّ

وبعد هذا الشاهد .

(٤) رواية الديوان :

" وَإِنْ كَانَتْ النَّعْمَى عَلَيْهِمْ " .

(٥) رواية الديوان : " وَالْجِدُّ " .

فيهم إلا ما علمته هذه القبيلة ، وما مدحتهم إلا بالأوصاف التي سلمتها إليهم ،
وأقرت بها لهم ، فلا وجه لعذلتهم إياي في مدحتهم . إذ لم أقل فيهم إلا ما هو
مسلم عندهم * (١)

وذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني عن ابن شبرمة أنه قال :
* أمدح ما قالت العرب قول الحطيئة . (٢) ثم ذكر أبياتاً منها بيت الشاهد ،
وعلق عليها بقوله :

* ولعمري أن معاني هذه الأبيات أبقار ليس للعرب مثلها ، وكل من تناولها ،

فإننا استعارها من الحطيئة ، وهي جامعة لخصال المدح كلها * (٣)

وذكر الحصري في زهر الآداب أن أبيات الحطيئة هذه من حر المدح

وجيد الشعر . (٤)

الشاهد الثامن والثلاثون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول الباحثري :

لَا أَدْعِي لِأَبِي الْعَلَاءِ فَضِيلَةً . : حَتَّى يَسْلَمَهَا إِلَيَّ عِدَاهُ (٥)

والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد ، ويمدح أبا عيسى ابنه ، ومطلعها :
(٦)

(١) شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٢) ديوان المعاني : ٣٨ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٤) زهر الآداب : ٤ / ٩٧٧ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٥٥ ، خفاجي : ٣٢٩ ، شاكر : ٣٣١

(٥) انظر البيت في :

ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٣٣٥ ، المفتاح : ١٢٨ ، الإيضاح : ١ / ٢٢١ ،

شرح أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٣٧ ب .

(٦) مضت ترجمته ، انظر ص : ٢٦٦ .

(٧) مضت ترجمته ، انظر : ٢٦٦ .

أَرْجُ لِرِيًّا طَلَّةَ رِيَّاهُ ^(١) .: لَا يَتَّعِدُ الطَّيْفَ الَّذِي أَهْدَاهُ (٢)

وقبل الشاهد :

خَفَضُ أَسَى عَمَّا شَاكَ طَلَابِيَهُ .: مَا كَلُّ شَائِمٍ بَارِقٍ يُسْقَاهُ ^(٤) (٥)

وبعد البيت وبعده :

مَا الْمَرْءُ تَخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرْوِهِ .: كَالْمَرْءِ تَخْبِرُ سَرْوَهُ وَتَرَاهُ
طَمَحَتْ عُيُونُ الْحَاسِدِينَ فَفَضَّهَا .: شَرَفَ بِنَاءَ اللَّهِ حَيْثُ بَنَاهُ ^(٦)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشاعر هنا ينفي أن يكون قد أثبت لأبي العلاء فضيلة ليست فيه، ففضائله

مشهورة معلومة . وبالغ في وصفها بالشهرة حيث ذكر أنه لم يمدحه بصفة إلا

وقد سلم الأعداء له بها .

(١) رِيًّا : اسم امرأة .

طلَّة رِيَّاهُ : طيبة ولذيذة رائحته . / اللسان " روى " :

٠ ٣٥٠ / ١٤

(٢) الديوان : ٣٣٥ .

(٣) خَفَضُ : هون / مختار الصحاح " خفض " : ١٨٢ .

(٤) شَائِمٍ بَارِقٍ : شام السحاب والبرق شيما : نُظِرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَقْدُ ،

وَأَيْنَ يَمْطُرُ ، وَقِيلَ هُوَ النَّظَرُ إِلَيْهَا مِنْ بَعِيدٍ / اللسان " شسيم "

٠ ٣٣٠ / ١٢

(٥) الديوان : ٣٣٥ .

(٦) الديوان : ٣٣٦ .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد المائتين : (*) (السريع)

قَدَّ عَلِمَتْ سَلْمَى وَجَارَاتِهَا (١) . مَا قَطَرَ الْفَارِسَ إِلَّا أَنَا (٢) (٣)

البيت مذکور في الدلائل من غير نسبة ، وهو لعمر بن معدى كرب (٤) من

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٠ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شياكر : ٣٣٧ .
(١) قطر الفارس : طعنه فقطره أي ألقاه على قطره أي جانبه فتقطر أي سقط ،
وأیضا إذا صرع الرجل صرعة شديدة قيل قَطَرَهُ . / اللسان " قطر " :
٠١٠٦ / ٥

(٢) وجاء في الديوان أن البيت يروى :
قَدَّ عَلِمَ الْأَحْيَاءُ مِنْ مَذْحِجٍ . مَا قَتَلَ الْأَسْوَدَ إِلَّا أَنَا
وهذه رواية التنبيه والإشراف ، وينسب البيت على هذا الوجه لقيس بن
مكشوح . / انظر :

التنبيه والإشراف : ٢٥٧ .

(٣) انظر البيت في :

الديوان : ١٧٥ ، الكتاب : ٣٥٣ / ٢ ، شرح أبيات سيويه للنحاس : ٢٠٢ ،
- من غير عزو - ، مقاييس اللغة : ١٠٥ / ٥ ، شرح جبل الزجاجي : ١٦ / ٢ - من
غير عزو - ، التنبيه والإشراف للمسعودي : ٢٥٧ ، الأغاني : ١٥ / ٢١٦ ،
شرح أبيات سيويه للسيرافي : ١٩٩ / ٢ ، الصناعتين : ٧٤ ، شرح ديوان
الحماسة للمرزوقي : ٤١١ / ١ ، فرحة الأديب : ١٣٥ - ١٣٦ ، البديع
لأسمه بن منقذ : ١٦٠ ، شرح المفصل : ١٠١ / ٣ - ١٠٣ ، المغنسي :
٣٠٩ / ١ ، شرح شواهد المغني : ٧١٩ / ٢ ، المقاصد النحوية - بهامش
خزانة الأدب - دار صادر - : ٥١٨ / ١ ، الإيضاح : ٢١٧ / ١ ، شرح أبيات
الإيضاح : - فيض الله - : ٣٦ أ ، اللسان : " قطر " : ١٠٦ / ٥ * من غير
عزو ، مختار الأغاني : ٣٧٢ / ٧ .

(٤) ذكر صاحب شرح أبيات الإيضاح أن هناك من ينسب البيت للفرزدق

وصح ذلك بقوله " والظاهر أنه لعمر بن معدى كرب " ، وقد بحثت

بدوري عن البيت في ديوان الفرزدق ، فلم أجده .

كما ينسب البيت برواية أخرى - ذكرتها سابقاً - لقيس بن مكشوح .

قصيدة قالها في حرب القادسية . (١)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة أولها :

(١) وقد ذكر الغندجاني في تعقبه السيرافي أن البيت لا يمكن أن يفهم

إلا إذا عرفت قصته ، قال ابن السيرافي :

* قَطَّرَ الْفَارِسُ الْقَاهِ عَلَى أَحَدِ قَطْرِيهِ * / شرح أبيات سيويه : ٢٠٠ / ٢

وعلق الغندجاني على ذلك بقوله :

* قَلَّ غِنَاءٌ عَلَى الْمُسْتَفِيدِ هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي ذَكَرَهُ ابْنُ السِّيرَافِيِّ مِنْ

تفسير هذا الشعر ، وذلك أنه لا يكاد يعرف حقيقة معناه إلا بمعرفة

القصة المتعلقة هوبها ، وذلك أن عمرو بن معد يكرب حمل يوم

القادسية على مَرْزَبَانَ - وهو يرى أنه رستم - فقتله ، فقال في ذلك :

... الأبيات * / فرحة الأديب : ١٣٥ - ١٣٦ .

وجاء في الأغاني :

* حضر عمرو الناس وهم يقاتلون ، فرماه رجل من العجم بنشابة ،

فوقعت في كنفه ، وكانت عليه درع حصينة ، فلم تنفذ ، وحسب

على العِلْجِ فعانقه فسقطا إلى الأرض ، فقتله عمرو ، وسلبه ورجع

بسلبه ، وهو يقول :

أَنَا أَبُو شَوْرٍ وَسَيْفِي نَوُّ النَّوْنِ

أَضْرِبُهُمْ ضَرْبَ غَلَامٍ مَجْنُونٍ

يَا لِرُبَيْدٍ إِنَّهُمْ يَمُوتُونَ

قال أبو عبيدة : وقال في ذلك عمرو بن معد يكرب . . . الأبيات التي

منها الشاهد / انظر الخبر في :

الأغاني : ١٥ / ٢١٦ - ٢١٧ .

وحرب القادسية كانت في أيام عمر بن الخطاب بين المسلمين والفرس

سنة (١٦ هـ) وكان قائد المسلمين سعد بن أبي وقاص ، وقائد الفرس

* رستم * وكانت الغلبة والنصر فيها للمسلمين . / فتوح البلدان

للبلاذري : ٢٥١ - ٢٥٨ .

أَلَيْمٌ بِسَلْمَى قَبْلَ أَنْ تَطَّعَنَا . . . إِنَّ لَنَا مِنْ حُبِّهَا دَيْدَنَا^(١)

وبعد الشاهد وبعده :

شَكَّكَتُ بِالرُّمْحِ حَيَازِيمَهُ^(٢) . . . وَالْخَيْلُ تَعَدُّ وَزِيماً^(٣) بَيْنَنَا^(٤) ^(٥)

استشهد به الشيخ على أن تقطير الفارس خاص به ، وليس المراد أن هناك شركة بينه وبين غيره ، فأفرد نفسه بالتقطير ، وأدعى أن سلمى تعلم أن هذا فعله خاصة . قال الشيخ :

* المعنى أنا الذي قَطَّرَ الفارس ، وليس المعنى على أنه يريد أن يزعم أنه

انفرد بأن قَطَّرَهُ ، وأنه لم يَشْرِكْهُ فيه غيره * (٦)

فأفاد كلام الشيخ أن معنى البيت على قصر الإفراد .

ولقد استشهد به أبو هلال العسكري في باب تمييز الكلام جيدة من رديئة ،

وناديه من بارده ، وذكر أنه من الشعر البار ، قال :

* وإذا كان المعنى صواباً ، واللفظ بارداً وفاتراً ، والفاطر شر من البار ،

كان مستهجنًا ملفوظاً ، ومنموماً مردوداً ، والبارد من الشعر ، قول عمرو

ابن معدى كرب . . . الأبيات * (٧)

(١) رواية الفندجاني :

* إِنَّ لِسَلْمَى عِنْدَنَا دَيْدَنَا *

(٢) الحيازيم جمع حيزوم ، وهو ما حول الصدر / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، واللسان :

(حزم) : ١٢ / ١٣٢ ، ورواية الصناعتين * سرايله * .

(٣) رواية السيرافي : * تجري * .

(٤) الزيم : المنفرقة . / السيرافي : ٢ / ٢٠٠ ، اللسان * زيم) : ٢٧٩ ، والمعنى

* طعنت بالرمح في صدره والخيل تجري بفرساتها تحمل بعضهم على

بعض . و (زيم) منصوبة على الحال / شرح أبيات سيويه للسيرافي :

٢ / ٢٠٠ .

(٥) رواية الصناعتين : * حولنا * .

(٦) الدلائل ، رضا : ٢٦١ ، خفاجي : ٣٣٤ ، شاعر : ٣٣٨ .

(٧) الصناعتين : ٧٤ .

والبيت يستشهد به النحاة على وجوب انفصال الضمير إذا كان محصوراً
بـ "إِلَّا" قال السيرافي :

"الشاهد فيه أنه أتى بالضمير المنفصل وهو (أنا) حين لم يمكنه أن يأتي
به متصلاً ، ولِئِنَّمَا لم يمكنه أن يصله بالفعل فيقول : "مَا قَطَّرَتِ الْفَارِسَ" ؛
لأن المعنى كان يبطل ؛ لأنه يكون نافية عن نفسه أنه قَطَّرَ الْفَارِسَ ، والأمر
الذي يقع بعد (إِلَّا) هو مثبت مستثنى ما نفي ، فلما احتاج أن يأتي
بالضمير بعد "إِلَّا" أتى به منفصلاً ؛ لأنه موضع انفصال ، ولِئِنَّمَا هو موضع اتصال ،
الاتصال أن يتصل بالفعل ويليه ، والانفصال أن يبعد عن الفعل ولا يليه . (١)
واستشهد به البلاغيون المتأخرون في سياق الحديث عن إفادة (إِنَّمَا)
القصر ، فمن أدلة إفادتها القصر صحة انفصال الضمير عنها كقولك "إِنَّمَا يضرب أنا"
كما تقول : "مَا يضرب إِلَّا أَنَا" ، ومثاله أيضاً قول عمرو بن معدي كرب . (٢)

الشاهد الرابعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

" وَلِئِنَّمَا يَدْفِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا أَوْ مِثْلِي " (٣)

(١) شرح أبيات سيبويه للسيرافي : ٢ / ١٩٩ - ٢٠٠ ، وانظر :

شرح ابن عقيل : ١ / ١٠٠ .

(٢) انظر :-

المفتاح : ١٢٧ ، الإيضاح : ١ / ٢١٧ .

(٣) انظر :-

الشاهد الرابع والثلاثون بعد المائتين : ٨٠٠ من البحث

الشاهد الواحد والأربعون بعد المائتين : (*) (الهزج)

كَأَنَّ يَوْمَ قُرَى ^(١) إِنَّمَا (م) . نَقَّسِلُ ^(٢) إِيَّانَا (٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لذى الأصبع العدواني . (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(١) قُرَى : بضم أوله ، وتشديد ثانيه ، ويعدده ياء على وزن فُعَلَى : موضع

ببلاد بني الحارث ، وقال أبو حنيفة : قُرَى : مائة قرية من تبالّة . /

معجم ما استعجم : ٣ / ١٠٦٢ .

وتبالّة بفتح المثناة الفوقية على وزن فَعَالَه : بلدٌ وهي التي يضرب بها

المثل ، فيقال : " أهونٌ من تبالّة على الحجاج " ، وهي بلدة صغيرة من

اليمين ، وهي أول عمل وليه الحجاج ، ووقعت في هذا الموضع واقعة

عرفت بيوم قُرَى . / معجم البلدان : ٢ / ٩٠ .

(٢) انظر البيت في : ديوانه : ٧٨ ، الكتاب : ٢ / ١١١ ، ٣٦٢ ، إعراب

ثلاثين سورة من القرآن : ٢٥ ، الخصائص : ٢ / ١٩٤ ، شرح جمل

الزجاجي : ٢ / ١٨ ، الأمالي الشجرية : - دار المعرفة - : ١ / ٣٩ ،

شرح المفصل : ٣ / ١٠١ ، ١٠٢ ، الإنصاف : ٢ / ٦٩٩ ، خزانة الأدب :

- مكتبة الخانجي - : ٥ / ٢٨٠ - ٢٨٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٤) هذه نسبة أمالي ابن الشجري ، وخزانة البغدادي .

ونسب البيت في الكتاب لبعض اللصوص ، وفي الخصائص لأبي بجيلة ،

وذو الأصبع العدواني هو :

حرثان بن الحارث بن مُحَرِّث بن ثَعْلَبَة بن سَيَّار بن ربيعة بن هبيرة

ابن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن يشكر بن عدوان ، وهو شاعر فارس من

قدماء الشعراء في الجاهلية ، وله غارات كثيرة في العرب ، ووقائع

شبهورة ، عاش ذو الأصبع مائة وسبعين سنة ، وقيل ثلثمائة سنة ، وهو

أحد حكام العرب في الجاهلية ، ويقال أنه سمي بذو الأصبع ، لأنه

كانت له إصبع زائدة ، وقيل لأن حية نهشت إصبعه ، فقطعتها ، وقال المرتضى

في أماليه : أنه سمي " عدوان " لأنه عدّ على أخيه " فهُم " فقتله ، وقيل ===

والبيت أحد أبيات خسة هي :

لَقِينَا مِنْهُمْ جَمْعًا .: فَأَوْفَى الْجَمْعُ مَا أَنَا
كَأَنَا يَوْمَ قُرَى إِنَّا (م) .: نَقْتُلُ إِيَّانَا
قَتَلْنَا مِنْهُمْ كُلَّ (م) .: فَتَى أَبْيَضَ حُسَانَا
يَرَى يَرْفُلُ فِي بَرَدٍ (م) .: مِنْ أَبْرَارٍ تَجْرَانَا
إِذَا يُسْرِحُ ضَانًا مِائَةً (م) .: أَتَبَعَهَا ضَانًا (١)

استشهد به الشيخ على أنه لا يجوز أن يجعل قول الفرزدق : " إِنَّا يَدَافِعُ عَنْ
أَحْسَابِهِمْ " نظيراً لهذا البيت ، لأن فصل الضمير هنا للضرورة ^(٢) ، أما قول الفرزدق
فهو وغيره إن لا ضرورة فيه . قال الشيخ :

" هذا ولا يجوز أن ينسب فيه ^(٣) إلى الضرورة ، فيجعل مثلاً نظير قول الآخر :

=== بل فقاً عينه / انظر ترجمته في :

الأغاني : ١٠٩-٨٩/٣ ، الشعر والشعراء : ٧١٢/٢ ، الاشتقاق : ٢٦٨ ،
المؤتلف والمختلف : ١١٨ ، سمط اللآلي : ٢٨٩-٢٩٠ ، الخزانة : ٢٨٤/٥ ،
المعمرين لأبي حاتم : ٥٨-١١٣ .

(١) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٧٨-٧٩ ، أمالي ابن الشجري : ٣٩/١ - ماعدا البيت الأخير - ،
خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٢٨٢ .

(٢) والضرورة هنا : " لأنه لا يمكنه أن يأتي بالمتصل فيقول نقتلنا ، لأنه

يتعدى فعله إلى ضميره المتصل ، فكان حقه أن يقول : نقتل أنفسنا ،

لأن المنفصل والنفس يشتركان في الانفصال ، ويقعان بمعنى نحو قولك :

ما أكرمت إلا نفسك ، وما أكرمت إلا إياك ، فلما كان المتصل لا يمكن وقوعه

ههنا لما ذكرناه ، وكان النفس والمنفصل مترادفين استعمل أحدهما .

شرح المفصل : ٣ / ١٠٣ .

(٣) الضمير هنا يعود على بيت الفرزدق " إِنَّا يَدَافِعُ عَنْ أَحْسَابِهِمْ أَنَا

أومثلي " .

كَأَنَّا يَوْمَ قُورَىٰ إِنَّمَا (م) .: نَقْتُلُ إِيَّانَا

لأنه ليس به ضرورة إلى ذلك ، من حيث أن " أذافع " و " يدافع " واحد

في الوزن ، فأعرف هذا أيضا " (١)

ومعنى الشاهد : " قال ابن الشجري : ومعنى قوله كأنا نقتل إيانا تشبيهه

المقتولين بنفسه ، وقومه في الحسن والسيادة ، فلذلك وصفه بما بعده أي هم

سادة يلبسون أبراد اليمن ، فكأننا بقتلنا إياهم قتلنا أنفسنا . انتهى .

وقال ابن الأعرابي : أي لا ينبغي أن نقتل منهم لنفاستهم ، ولكن أجتونا إلى

ذلك .

وقال الأعمى : وصف قوما أوقعوا بيني عنهم فكأنهم بقطهم قاتلون أنفسهم " (٢)

ب- شواهد " ما وإلا " :

الشاهد الثاني والأربعون بعد المائتين : (*) (السرير)

(٣)
السيد الحميري :

(١) الدلائل ، رضا : ٢٦٣ ، خفاجي : ٣٣٦-٣٣٧ ، شاكر : ٣٤٢ .

(٢) خزنة الأدب :- مكتبة الخانجي :- ٢٨٢/٥ .
الدلائل ، رضا : ٢٦٥ ، خفاجي : ٣٣٨ ، شاكر : ٤٤٤ .
(٣) السيد لقيه . واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري ،

وقيل هو يزيد بن مفرغ ، ومن قال : إنه يزيد بن معاوية فقد أخطأ ، ومفرغ لقب ربيعة ، لأنه راهن أن يشرب عساً من لبن فشربه حتى قرغه ، فلُقّب مفرغاً ، وأم السيد الحميري امرأة من الأزد من بني الحُدّان ، وجدّه يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً ، وبنيه ونفاهم عن آل حرب ، وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ثم أطلقه معاوية .

وكان السيد شاعراً متقدماً مطبوعاً يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية والسيد ، فإنه لا يعلم أن أحداً قد در على تحصيل شعر أحد منهم أجمع ، وإنما مات ذكره وهجر الناس شعره لما كان يُفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه فسي شعره ويستعمله في قذفهم والطعن عليهم . توفي سنة ١٧٣ / انظر ترجمته : الأغاني : ٢٢٩/٧ - ٢٧٨ .

لَوْ خَيْرَ الْمُنْبَرِ فُرْسَانَهُ . . . مَا اخْتَارَ إِلَّا مِنْكُمْ فَارِسًا (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح بني العباس، وضم بني أمية . (٢)

أولها :

دَوْنَكُمْوَهَا يَا بَنِي هَاشِمٍ . . . فَجَدَّدُوا مِنْ عَهْدِهَا الدَّارِسَا

وبعد أبيات قبل الشاهد :

دَوْنَكُمْوَهَا لَأَعْلَا كَعَبْ مَسْنٍ . . . كَانَ عَلَيْكُمْ مَلِكَمَهَا نَافِسَا

دَوْنَكُمْوَهَا فَالْبَسُوا تَاجَهَا . . . لَا تَعْدَمُوا مِنْكُمْ لَهُ لَا بَسَا

وبعد هاتين بيت الشاهد وبعد هـ :

قَدْ سَاسَهَا قَبْلَكُمْ سَاسَةً . . . لَمْ يَتْرُكُوا رَطْبًا وَلَا يَابِسَا

وَلَسْتُ مِنْ أَنْ تَمْلِكُوهَا وَالسَّى . . . مَهَيْطُ عَيْسَى فِيمَكُمُ آيسَا (٣)

الشاهد فيه : أن المقصور عليه في النفي والاستثناء هو ما بعد "إلا" مباشرة ،

فالاختصاص هنا في الجار والمجرور "منكم" دون فارساً . قال الشيخ :

" وَأَعْلَمُ أَنَّكَ إِذَا عَدَّتْ إِلَى الْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ فَأَخْرَجْتَهُمَا جَمِيعًا إِلَى مَا بَعْدَ

"إِلَّا" ، فَإِنَّ الْاِخْتِصَاصَ يَقَعُ حِينَئِذٍ فِي الَّذِي يَلِي "إِلَّا" مِنْهُمَا . . . وَحُكْمُ

(١) الأغانبي : ٧ / ٢٤٠ . . . المفتاح : ١٣٠ ، الإيضاح :

١ / ٢٢٥ ، شرح أبيات الإيضاح : ١ / ١٤٠ ، شاهد رقم " ١٢٨ " .

(٢) جاء في الأغانبي - ٧ / ٢٤٠ - :

" لما استقام الأمر لبني العباس قام السيد إلى أبي العباس السفاح

حين نزل عن المنبر فقال . . . الأبيات فسر أبو العباس بذلك وقال

له : أحسنت يا إسماعيل سلني حاجتك ، قال : تولي سليمان بسن

حبيب الأهواز ففعل " .

(٣) الأغانبي : ٧ / ٢٤٠ .

المفعولين مُحكم الفاعل والمفعول فيما ذكرت لك . تقول : " لم يَكْسُ إِلَّا زَيْدًا جَبَةً " ، فيكون المعنى أَنَّهُ خَصَّ " زَيْدًا " من بين الناس بكسوة الجبة ، فإِن قلت : " لم يَكْسُ إِلَّا جَبَةً زَيْدًا " ، كان المعنى : أَنَّهُ خَصَّ الجبة من أصناف الكسوة .

وكذلك الحُكم حيث يكون يَدُلُّ أحد المفعولين جارًّا ومجرور .
كقول السيد الحميري : . . .

الاختصاص في " منكم " و " نون " فارسا " ولو قلت : " ما آختر إِيَّا فَارِسًا منكم " ، صار الاختصاص في " فارساً " (١)

والمعنى : أنه لو خير أحد المنبر في فرسانه أي في اختيار فصحاء وخطباءه ، فإنه لن يختار إلا خطباء بني العباس لفصاحتهم وبلاغتهم ، وأكد هذا المعنى بأن قصر الاختيار عليهم دون غيرهم .

ويُبنى الفعل للمجهول (خَيْرٌ) ليبدل على سرعة اختياره لهم . وعلى أن التخيير لو وقع من أي إنسان لكان هذا هو الجواب ، فليس المهم من يقع منهم التخيير ، ولكن المهم وقوع التخيير نفسه فيكون الاختيار منكم لا من غيركم .
د - عود إلى مباحث "إننا " :

الشاهد الثالث والأربعون بعد المائتين : (*) (الرمل)

(٢)

قول لبيد :

(٣) (٤) (٥)
* إِنَّا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ * (٦)

- (١) الدرر المنجلى ، رضا : ٢٦٤ - ٢٦٥ ، خفاجي : ٣٣٧ - ٣٣٨ ، شاکر : ٢٤٤ - ٣٤٥ .
(*) اللام لا على ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاکر : ٣٥٣ .
(٢) سنن أبي جرهم : ٩ : ٤٣ .
(٣) الفتى : أي اللبيب / خزانة البغدادي - مكتبة الخانجي - : ٣٠٠ / ٩ .
(٤) رواية الكتاب وشرح أبيات سيويه للنحاس " غير الجملة "

استشهد به على جواز وصف " الفتى " المحلى بأل الجنسية بـ " غير " وهي نكرة مضافة إلى معرفة ، والذي سوغ هذا أن التعريف بالألف واللام يكون للجنس ، فلا يخص واحداً بعينه ، فهو مقارب للنكرة ، وأن " غيرا " مضافة

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر، وصدره :

﴿ فَإِذَا جُوزِيَتْ قَرْضًا فَاجْزِهِ ﴾^(١) ^(٢)

والشاهد من قصيدة قالها في رثاء أخيه ، ومطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلًا . . . وَإِذْ نِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَّلْهُ

وقبل الشاهد :

==== إلى معرفة فقاريت المعارف لذلك ، وإن كانت نكرة .

(٥) الجمل : الجاهل البليد / خزانة البغدادي : - مكتبة الخانجي :-

٣٠٠ / ٩

وقيل المراد به " الحيوان " المعروف . / شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٤٠ / ٢

(٦) انظر البيت في :

الديوان : ١٤٢ ، شرح ديوان لبليد : ١٧٩ ، الكتاب : ٢ / ٣٣٣ ،

شرح أبيات سيويه للنحاس : ١٩٨ - من غير نسبة - فصل المقال فسي

شرح كتاب الأمثال : ١٧٣ ، حماسة اليحترى : ١٦١ ، المقتضب :

٤ / ٤١٠ - من غير نسبة - ، مجالس ثعلب : ٢ / ٤٤٧ - من غير نسبة ،

شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٤٠ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ١ / ٣٧٠ ، التمثيل والمحاضرة : ٣٣٤ - ذكر العجز فقط

ومن غير نسبة - ، شرح جمل الزجاجي : ١ / ٢٢٥ - من غير نسبة - ،

أوضح المسالك : ٣ / ٣٨ - ذكر العجز فقط ، ومن غير نسبة - اللسان

" قرض " : ٧ / ٢١٧ ، خزانة البغدادي " ت : عيد السلام هارون " :

٢٩٦ / ٩ - ٢٩٧ - ٣٠٠ ، التصريح بضمون التوضيح : ١ / ١٩١ ، وذكر

عجز البيت وبدون نسبه - .

(١) رواية الكتاب ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي والمقتضب ، وشرح جمل الزجاجي ،

وخزانة البغدادي : " وَإِذَا " .

(٢) رواية الكتاب ، وفصل المقال ، وخزانة البغدادي " أقرضت " ،

ورواية المقتضب وشرح جمل الزجاجي : " وَإِذَا وَلِيَّت " .

وَوَلَّامٍ أَرْسَلْتَهُ أُمَمَهُ .: يَا لُوكِ (١) فَبَدَّلْنَا مَا سَأَلَ
 وَأَوْنَهْتَهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ .: فَاشْتَوَى لَيْلَةً رِيحٍ وَاجْتَمَلَ (٢)
 مِنْ شَيْوَاءٍ لَيْسَ مِنْ عَارِضَةٍ (٣) .: يَدِي كُلِّ هَضُومٍ نَزَلَتْ (٤)

وبعد ما شاهد وعده :

أَعْمَلَ الْعَيْسَ عَلَى عِلَاتِهَا .: إِنَّا يُنَجِّحُ أَصْحَابَ الْعَمَلِ (٥)

استشهد به الشيخ على أنه لا يحسن العطف بـ "لا" بعد "إنما" إذا كان الوصف
 مختصاً بالموصوف، وقد جاء النفي هنا متأخراً عن "إنما" .
 فقد اعتبر الشيخ أن "ليس" هنا بمعنى "لا" (٦) العاطفة أي "إنما يجزي
 الفتى لا الجملة" .

-
- (١) الألوک : الرسالة / لسان العرب (لوک) : ٤٨٥ / ١٠ .
 (٢) آجتمل : أذاب شحم الجمل لينتفع به ، جملت الشحم أجمله جملاً
 واجتملته إذا أذبتة . / اللسان " جمل " : ١٢٧ / ١١ .
 (٣) العارضة : هي الناقة التي تنحر إذا ما أصيبت بكسر أو داء / اللسان
 " عرض " : ١٧٨ / ٧ .
 (٤) النزل : كثير الفضل والعطاء والبركة / اللسان " نزل " : ٦٥٩ / ١١ .
 (٥) الديوان : ١٤٤ - ١٤٥ .
 (٦) وقد اختلف النحاة في اعتبار ليس بمعنى "لا" العاطفة ، فهي عند
 البغداديين بمعنى "لا" العاطفة في أنها تقتضي التشريك في اللفظ
 دون المعنى بإثبات لما بعده ما أنتفى عما قبله أي أن تنفي عما بعدها
 ما ثبت لما قبلها ، وقد منع ذلك آخرون ، لا احتمال أن تكون ليس حرفاً
 ناسخاً ، والجملة اسمها ، وخبره محذوف ، وقدرة البعض " ليس الجمل مجزياً"
 على قراءة " يجزيء بالبناء للمجهول وقدرة بعضهم " ليسه الفتى"
 والأصح أن يقدر ليس الجمل جازياً / انظر:
 المقتضب : ٤ / ٤١٠ ، مجالس ثعلب : ٤٤٦ - ٤٤٧ ، شرح جمل الزجاجي :
 ١ / ٢٢٥ ، أوضح المسالك : ٣ / ٣٩ ، خزنة البغدادي - مكتبة
 الخانجي : ٢٩٩ / ٩ - ٣٠٠ .

والمعنى : " إِنَّمَا يَعْرِفُ النَّعْمَ وما يجب لها من شُكْرِ المنعم أربابُ العقول ،
وذو التَّمييز ، لا البهائم ، فمتى أزلت إليك نعمة فكن من المجازاة عليها بمرصد
فإن معرفة ذلك والأخذ به من تمام العقل ، ويوجبه المميزون ، وأولو الجبسي
لا غيرهم مما لا تمييز له ، ولا معرفة بذلك عنده ، وذكر الجمل مكثفياً ، وإن كان
القصد جنسه أو أجناس مثله (١) .

وهو مثل يُضرب في الحث على مجازاة الخير والشر . (٢)

قال الشيخ :

" وما يجب أن يعلم أنه إذا كان الفعل بعدها فعلاً لا يصح إلا من
المذكور ، ولا يكون من غيره ، كالتذكر الذي يعلم أنه لا يكون إلا من أولسي
الألباب لم يحسن العطف بلا فيه كما يحسن فيما لا يختص بالمذكور ، ويصح
من غيره ، تفسير هذا أنه لا يحسن أن تقول : " إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٣)
لا الجهال . كما يحسن أن تقول إِنَّمَا يَجِيءُ زَيْدٌ لَاعَمْرُو ، ثم إن النفي فيما
يجيء فيه النفي يتقدم تارة ويتأخر أخرى ، فمثال التأخير ما تراه في قولك :
" إِنَّمَا يَجِيءُ زَيْدٌ لَاعَمْرُو ، وكقوله تعالى : * إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ لَعَسَّ عَظِيمٌ بِمَسِيئَتِهِمْ * (٤)
وكقول لبيد : * إِنَّمَا يَجْزِي الْفَتَى لَيْسَ الْجَمَلُ * (٥)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣٧٠-٣٧١ .

(٢) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ١٧٣ ، خزانة البغدادي - مكتبة

الخانجي - : ٣٠٠/٩ .

(٣) الرعد : ١٩ .

(٤) الفاشية : ٢١ ، ٢٢٠ .

(٥) الدلائل ، رضا : ٢٧١ ، خفاجي : ٣٤٤ ، شاكر : ٣٥٣ .

وقد اشترط السكاكي في مجامعة إنا بـ لا " العاطفة أن لا يكون الوصف مختصاً بالموصوف ، ورأى الخطيب أن ما ذهب إليه الشيخ عبد القاهر هو الصواب ، فالشيخ جعله شرطاً في حسن العطف لاشترطاً في جوازه ، لأنه لا دليل على امتناع أن يقال : إنا يفهم العاقل لا غيره عند قصد التأكيد . (١)

الشاهد الرابع الأربعمون بعد المائتين : (*) (المديد)

أَنَا لَمْ أُرْزَقْ مَحَبَّتَهَا ^(٢) . : إنا لِلْعَبِيدِ مَا رَزَقْنَا ^(٣)

ذكره الشيخ من غير عزو ، وهو للعباس بن الأحنف ، وهو من قصيدة مطلعها : " وهي خمسة أبيات فقط " :

تَامَ مَنْ أَهْدَى لِي الْأَرْقَا . : مَسْتَرِيحًا سَاقِنِي قَلَقَا ^(٤)

وقبل الشاهد :

لَوْ تَبَيَّتِ النَّاسُ كُلَّهُمْ . : بِسَهَارِي بَيَّضَ الْحَدَقَا

وبعد الشاهد وبعده :

غَالَهُمْ وَدِي فَمَا عَقَلُوا . : حِينَ سُدُّوا دُونَهُ الطَّرَقَا

كَانَ لِي قَلْبٌ أَعِيشُ بِهِ . : فَأَصْطَلَى بِالْحَبِّ فَأَخْتَرَقَا

(١) المفتاح : ١٢٧ ، الإيضاح : ٢١٨ / ١ ، شرح التلخيص : مختصر السعد :

٢١٢ / ٢ ، مواهب الفتح " : ٢١٣ / ٢ ، " عروس الأفراح " :

٢١١ / ٢ ، " حاشية الدسوقي : ٢١٣ / ٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي ج ٣ ، ٣٤٥ ، شياكر : ٣٥٥ .

(٢) رواية الديوان والأغاني : " أنا لم أرزق تموتكم " .

(٣) ديوانه : دار صادر : ٢١٧ ، الأغاني : ٣٦٧ / ٨ ، الإيضاح : ٢٢٢ / ١ ،

شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - : ، شاهد رقم " ١٢٥ " .

(٤) رواية الأغاني : " زادني " .

استشهد به الشيخ على أن أحسن مواقع **إِنَّمَا** ، وأعطىها بالقلب إذا كان الغرض منها التعريض بأمر هو مقتضى معنى الكلام بعد ها . قال الشيخ :

" ثم أعلم أنك إذا استقرت وجدتها أقوى ما تكون ، وأعلق ماترى بالقلب ، إذا كان لا يزال بالكلام بعد ها نفس معناه ، ولكن التعريض بأمر هو مقتضاه (١) .

ففي البيت تعريض بأنه قد يئس من وصلها ، ولا رجاء له فيه قال الشيخ :

" الغرض أن يفهمك من طريق التعريض أنه قد صار ينصح نفسه ، ويعلم أنه ينبغي له أن يقطع الطمع من وصلها ، ويأس من أن يكون فيها إسعاف (٢) ، ويظهر سر جمال **إِنَّمَا** إذا حذفنا من الجملة ، وقلنا : للعبد ما رزقنا ، فإنه يكون مجرد إخبار ووصف بأن للعبد ما رزقه الله ، فلا يكون وراءه كبير معنى . قال الشيخ :

" ثم إنَّ العجب في أنَّ هذا التعريض الذي ذكرت لك لا يحصل من دون **إِنَّمَا** " فلو قلت : " يتذكر أولو الألباب " لم يدلَّ ما دلَّ عليه في الآية ، وإن كان الكلام لم يتغير في نفسه ، وليس إلا أنه ليس فيه **إِنَّمَا** (٣) ثم قال :

" وهذا موضع فيه دقة وعموض ، وهو مما لا يكاد يقع في نفس أحد أنه ينبغي أن يتعرف سببه ويبحث عن حقيقة الأمر فيه " (٤)

-
- (١) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٥ ، شاکر : ٣٥٤ .
 (٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاکر : ٣٥٥ .
 (٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاکر : ٣٥٦ .
 (٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٣-٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاکر : ٣٥٧ .

الشاهد الخامس والأربعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَإِنَّمَا يَعْذِرُ الْعُشَّاقُ مَنْ عَشِيقًا * (١)

ذكره الشيخ من غير نسبة . وهو للباخرزي ، ^(٢) وصادر

البيت :

* يَلُومُ فِي الْحَبِّ مَنْ لَمْ يَدْرِ طَعْمَ الْهَوَى * (٣)

الشاهد فيه كسابقه ، وهو أن الغرض من إنما هنا التعريض . قال الشيخ :

" يقول : إنه ليس ينبغي للعاشق أن يلوم من يَلُومُهُ في عشقه ، وأنه ينبغي

أن لا ينكر ذلك منه ، فإنه لا يعلم كنه البلوى في العشق ، ولو كان أثبتني

به لعرف ما هو فيه فعذره " (٤)

الشاهد السادس والأربعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا . نَجَّحَ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ

(١ *) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(١) لم أعثر عليه فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في :

الإيضاح : ١ / ٢٢٢ .

(٢) نسبه الأستان خفاجي في تحقيق كتاب الدلائل للباخرزي ، وأضاف أنه

ينسب أيضا لأحمد بن أبي رواد ، وذكر في تحقيقه لكتاب الإيضاح

أنه ينسب للعباس بن الأحنف ، وكذلك ذكر الأستان عبدالسلام هارون

في معجم شواهد العربية .

ولقد بحثت عن مصدر هذه النَّسَبِ ، فيما لدي من مصادر ، فلم أعثر

عليه .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق : خفاجي : ٣٤٦ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٢٧٢ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .

فَالْيَوْمَ حَاجَتَنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا . . . يُدْعَى الطَّبِيبُ لِسَاعَةِ الْأَوْصَابِ (١)
 أورد هـما^(٢) الشيخ من غير نسبة^(٣) ، وهما للباخرزي^(٤) ، أو لمحمد بن أحمد بن
 سلمان . (٥)

- (١) لم أقف عليه فيما لدي من مصادر إلا في :
 معجم الشعراء للمرزباني : ٤٤٧ ، أمالي ابن الشجري : ٢٣٠ ، الإيضاح :
 ٢٢٢ / ١ ، شرح أبيات الإيضاح : - فيض الله - : ٣٧ .
- (٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦ ، شاكر : ٣٥٥ .
- (٣) ذكر الشيخ رضا في تحقيق الدلائل أن البيت ورد في نسخة المدينة
 منسوباً للباخرزي .
- (٤) هو أبو الحسن الباخري الرئيس الأديب علي بن الحسن بن أبي الطيب
 مؤلف كتاب دمية القصر كان رأساً في الكتابة والإنشاء والشعر ، كان في
 شبابه مشتغلاً بالفقه على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه ، وكتابه
 دمية القصر ، وعصرة أهل العصر ، هو نيل يتيمة الدهر للثعالبي ، وقد
 وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتاباً سماه وشاح الدمية ،
 وهو كالذيل لها ، وقتل الباخري في الأندلس ، وذبح دمه هدراً ، وذلك
 سنة (٤٦٧ هـ) .
- وسمّي الباخري نسبة لباخرز ، وهي ناحية من نواحي نيسابور ، تشتمل
 على قرى ، ومزارع خرج منها جماعة من الفضلاء . / انظر ترجمته :
 تتمة يتيمة الدهر ، ٢٢٠ ، شذرات الذهب : ٣٢٧ / ٣ - ٣٢٨ .
- (٥) ذكر المرزباني أن هذين البيتين لمحمد بن أحمد بن سلمان يقلبهما
 لعبيد الله بن يحيى بن خاقان ، وذكر رواية محمد بن داود بن الجراح ،
 وذكر أن غيره يرويها للزبير بن بكار وجاء في معجم الشعراء - ٤٤٧ - :
 " أبو عمرو العمرواني الروية ، وأسمه " محمد " بن أحمد بن سلمان ،
 هو القائل لعبيد الله بن يحيى بن خاقان . في رواية محمد بن داود
 ابن الجراح ، وغيره يرويها للزبير بن بكار .
 وذكر الأستاذ خفاجي في تحقيق الدلائل أن ابن النديم في " الفهرست "
 ينسبهما لابن الرومي وقد رجعت " للفهرست " لابن النديم في ترجمة
 ابن الرومي فلم أجد الأبيات .

والشاهد فيه كسابقه ، وهو التعريض ، حيث أراد بالبيت الأول أنه يجب
علّي أن أنجح في أموري ، لأنني جعلتك السبب ، وأراد بالبيت الثاني : أننا
سننجح في الوصول إلى حاجتنا ، لأننا استعنا بك كما يستعان بالطبيب في حالة
المرض .

قال الشيخ :

" يقول في البيت الأول : إنه ينبغي أن أنجح في أمري حين جعلتك السبب
إليه . ويقول في الثاني : إنا قد وضعنا الشيء في موضعه ، وطلبنا الأمر
من جهته ، حين استعنا بك فيما عرّض من الحاجة ، وعولنا على فضلك ، كما
أنّ من عول على الطبيب فيما يعرض له من السقم ، كان قد أصاب بالتعويل
موضعه ، وطلب الشيء من معدنه " (١)

الشاهد السابع والأربعون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

* إِنَّمَا مَضَعْتُ شِهَابًا مِنَ اللَّهِ *

سبق تخريجه و الاستشهاد به على نفس الموضع (٢)

الشاهد الثامن والأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

(٢)

قول قس بن حصن . (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٣ ، خفاجي : ٣٤٦-٣٤٧ ، شاعر : ٣٥٥-٣٥٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٧ ، شاعر : ٣٥٧ .

(٢) أنظر : : ٨٠٥ من البحث

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٨ ، شاعر : ٣٥٧ .

(٣) هذه نسبة الدلائل تحقيق رضا ، ونسبة الدلائل تحقيق خفاجي " قيس بن حصن "

وفي تحقيق شاعر : " قتب بن حصن . "

(٤) وينسب البيت في الوحشيات لأبي حرجة الفزاري ، ونسبه أبو الفرج في مقاتل

الطالبيين لعوف القوافي ، وهو عوف بن معاوية بن عقبة بن حصن ، شاعر

مقل من معراء الدولة الأموية من ساكني الكوفة ، وبيته أحد البيوت المقدمة =

أَلَا أَيُّهَا النَّاهِي فَزَارَةَ بَعْدَمَا .: أَجَدْتُ لِعِزْوِ (١) إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ (٢)

وبعد الشاهد :

أَبَى كُلَّ حُرٍّ أَنْ يَبِيَّتَ بِوَتْرِهِ (٣) .: وَيَمْنَعُ مِنْهُ النَّوْمُ إِذْ أَنْتَ نَائِمٌ
أَقُولُ لِفَتَيَانِ الْعَشِيِّ تَرَوَّحُوا .: عَلَى الْجُرْدِ فِي أَفْوَاهِهِنَّ الشَّكَايُمُ (٥)

=== الفاخرة في العرب . وكذلك ذكره أبو الفرج في ترجمته في الأغاني .
ونسب المرزباني البيت في معجم الشعراء لقتب بن حصن ، من بني
شمخ بن فزارة ، ونسب البيت في السمع لبعض بني فزارة ،
وذكر البيت في أمالي القالي ، وحاسة ابن الشجري ، من غير
نسبة .

(١) رواية الأغاني : * أَجَدْتُ بِسَيْرٍ * .

(٢) انظر البيت في :

الوحشيات * الحاسة الصفري * : ٩٩ رقم (١٥٦) ، مقاتل
الطالبيين : ٣٧٦ ، الأغاني : ١٩ / ١٩٢ ، الأمالي للقالي :
١ / ٢٥٨ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٤٠ ، سمط اللآلي :
١ / ٥٧٥ ، حاسة ابن الشجري : ٤٨ .

(٣) رواية الوحشيات والأمالي : * أرى * .

(٤) رواية الوحشيات : * أرى كلَّ ذي قَبْلِ كَرِيمٍ يَهْمُهُ * .

(٥) لم يذكر هذا البيت في الوحشيات وأمالي القالي .

ورواية المرزباني : * وقد قلت للقوم الذين تروحووا * .

ورواية حاسة ابن الشجري :

* أقول لفتيان كرام تروحووا * .

ورواية الوحشيات :

وَقُلْتُ لِفَتَيَانِ مَصَالِيَتٍ إِنَّكُمْ .: قَدَامِي وَإِنَّ الْعَيْشَ لَأَهْوَدَا عِيْمُ

(١) قَفُّوا وَقْفَةً مِّنْ يَّحْيَىٰ لَا يَخْزِبَعْدَهَا . : (٢) وَمَنْ يَخْتَرِمُ لَا تَتَّبِعُهُ اللَّوَائِمُ (٤)
 وَهَلْ أَنْتَ إِنْ بَاعَدْتَ نَفْسَكَ مِنْهُمْ . : (٥) لَتَسْلَمَ فِيهَا بَعْدَ ذَلِكَ سَالِمٌ (٧)

وموضع الشاهد قوله : * إِنَّمَا أَنْتَ حَالِمٌ * .
 والشاهد فيه : أن من أغراض * إِنَّمَا * أن تأتي لأمر لا يجهله المخاطب ،
 أو ما ينزل هذه المنزلة .

ولم يعلق الشيخ على بيت الشاهد إلا بقوله :

أنه من اللطيف في هذا الباب . (٨)

- (١) رواية الوحشيات والأماي للقالبي ، وحماسة ابن الشجري :
 * قَفُّوا وَقْفَةً * .
 والبيت بكامله غير مذكور في سمط اللآلي .
- (٢) رواية حماسة ابن الشجري : * . . . من يحي لا تجر بعدها * .
- (٣) رواية الوحشيات : * وَمَنْ يَخْتَرِمُ * .
 ورواية أَمَاي القالبي : * وَلِئِنْ يَخْتَرِمَ لَمْ تَتَّبِعْهُ * .
- (٤) رواية الوحشيات وأماي القالبي ومعجم الشعراء للمرزباني : * الملاوم * .
- (٥) رواية المرزباني : * . . . إِنْ أَخْرَجْتَ نَفْسَكَ بَعْدَهُمْ * .
- (٦) رواية المرزباني : * مما بعد * .
- (٧) ذكر البيت الأول والثاني والرابع مع بيت آخر في الوحشيات ،
 وذكر في أَمَاي القالبي البيت الأول والثاني والثالث .
 وذكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع والخامس في الأغاني .
 وكذلك ذكروا في حماسة ابن الشجري ، مع اختلاف في ترتيب الأبيات ،
 فذكر فيها البيت الثالث والرابع ، ثم البيت الأول ، ثم البيت الثاني ،
 ثم الخامس .
- وذكر البيت الأول والثاني والثالث والرابع في معجم المرزباني .
 وذكر البيت الأول والثاني في سمط اللآلي .
- (٨) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٣٤٨ ، شاكر : ٣٥٧ .

أراد الشاعر أن يفتخر بشجاعة قبيلة فزارة ، فهي إن جَدَّت في الغزو، فلن يمنعها مانع ، فبدأ البيت بـ "ألا" الاستفتاحية ، وجاء بأداة النداء "أيها" ، ليوقظ الأذنان ، ويلفت الأنظار إلى أهمية حديثه ، ثم نزل كل من تراوده نفسه في نهى فزارة عن الغزو منزلة من لا يجهل شجاعتها ، فأدعى أن أمر شجاعتهم معلوم مشهور ، لينبه المخاطب إلى الخطأ الذي وقع فيه ، وذلك بقصره على الحلم ، وهو عدم اليقظة ، وفي هذا استهانة وتهكم ، ومبالغة كبيرة في وصف قبيلته بالشجاعة والثبات .

الفصل الحادي عشر

٢ - شواهد - فصل منه باب اللفظ والنظم

ب - شواهد تحريم القول في :

الإعجاز والفصاحة والبلاغة

شواهد فصل من باب اللفظ والتنظم

الشاهد التاسع والأربعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ . . . وَأَرْدَفَ أَعْجَازًا وَتَاءً يَكْكُكِلِ (١)

استشهد به الشيخ علي أن هناك فرقاً بين حكاية الكلام وبين نظمه ، فحكاية الكلام لا تتعدى الألفاظ ، أما نظمه فهو عبارة عن تجربة إنسانية ، ومعاناة ذاتية يعيشها المؤلف فتتعدى الألفاظ إلى المعاني ، فالنظم والترتيب عمل يعمله مؤلف الكلام ، ومحال أن يقال أن منشد الشعر قد مر بنفس تجربة الشاعر ، وأنه قد عمل في المعاني وترتيبها واستخراج النتائج والفوائد مثل عمل الشاعر نفسه .

قال : " اعلم أنه لا يصلح تقدير الحكاية في " النظم والترتيب " بل لن تعدو الحكاية الألفاظ وأجراس الحروف ، وذلك أن الحاكي هو من يأتي بمثل ما أتى به المحكي عنه ، ولا بُدَّ من أن تكون حكايته فعلاً له ، وأن يكون بها عاملاً عملاً مثل عمل المحكي عنه . . . " والنظم والترتيب " في الكلام كما بينا ، عمل يعمله مؤلف الكلام في معاني الكلم لا في ألفاظها ، وهو بما يصنع في سبيل من يأخذ الأصباغ المختلفة ، فيتوخى فيها ترتيباً يحدث عنه ضروب من النقش والوشى .

وإذا كان الأمر كذلك ، فإننا إن تعدينا بالحكاية الألفاظ إلى النظم والترتيب أدنى ذلك إلى المحال ، وهو أن يكون المنشد شعر امرئ القيس قد عمل في المعاني وترتيبها ، واستخراج النتائج والفوائد ، مثل عمل امرئ القيس ، وأن يكون حاله إذا أنشد قوله :

فَقَلَّتْ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصَلْبِهِ . . .

حال الصائغ ينظر إلى صورة قد عملها صائغ من ذهب له أوفضة ، فيجسي ،

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٥ ، خفاجي : ٣٤٩ ، شاكر : ٣٥٩ .

(١) سبق تخريجه : ١٧٦ .

بمثها من ذهبه وَفِيَّته ؛ وذلك يخرج بمرتكب إن ارتكبه إلى أن يكون السراوي مستحقاً ؛ لأن يوصف بأنه : " استعار " و " شبه " وأن يُجْعَلَ كالشاعر في كل ما يكون به ناظماً . (١)

وقال أيضاً :

" وجملة الحديث أنا نعلم ضرورة أنه لا يتأتى لنا أن ننظم كلاماً من غير روية وفكر ، فإن كان راوي الشعر ، ومنشده يحكي نظم الشاعر على حقيقته ، فينبغي أن لا يتأتى له رواية شعره إلا بروية ، وإلا بأن ينظر في جميع ما نظره الشاعر من أمر " النظم " وهذا ما لا يبقى معه موضع عند للشاك " (٢)

الشاهد الخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أمري ، القيس :

(٣)
* قفا نبيك من نركري حبيب ومنزل * (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٥ ، خفاجي : ٣٤٩ - ٣٥٠ ، شاكر : ٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٦ ، خفاجي : ٣٥٠ ، شاكر : ٣٦٠ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٣ .
(٣) رواية الكتاب : " ومنزلي " قال :

" أما إذا ترنموا فإنهم يلحقون الألف والياء والواو ما ينون وما لا ينون ؛ لأنهم أرادوا مد الصوت " / الكتاب : ٤ / ٢٠٥ ، ورواية شرح المفصل : " ومنزلين " وذكر أنه إتشاد كثير من بني تميم . قال :

" وهذا التتوين يستعمل في الشعر والقوافي للتطريب معاقباً بما فيه من الغنة لحروف المد واللين ، وقد كانوا يستظنون الغنة في كلامهم " ، وذكر أنه عسى ضربين ، وبيت أمري ، القيس من الضرب الأول ، وهو أن يلحق متمماً للبناء مكمللاً للوزن / شرح المفصل : ٢ / ٩ / ٣٣ .

(٤) انظر : الديوان " تحقيق السندوبي " : ١٤٣ ، نقد الشعر : ٥١ ، الموشح

٢٢٦ ، المنصف في نقد الشعر : ٦٥ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٥٩ ، العمدة :

١ / ١٧٤ ، سر الفصاحة : ٢٧٨ ، مجالس العلماء : ١٥٧ ، المقتصد في شرح =====

ذكر الشيخ صدر البيت دون العجز، وعجزه :
 * يَسْقَطُ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ * (١) (٢) (٣)
 وهو مطلع معلقته المشهورة (٤) ، ويعدده :

=== الإيضاح : ١٠٢٠ / ٢ ، الإيضا في مسائل الخلاف : ٦٥٦ / ٢ ،
 المنازل والديار : ٦٠ / ١ ، المثل السائر : ٣٣٩ / ١ ، الفلك الدائر ،
 ١٨١ / ٤ ، شرح المفصل : ٣٣ / ٩ / ٢ ، تحرير التحبير : ١٦٩ / ١ ،
 الإيضاح : ٥٩١ / ٢ ، أوضح المسالك : ٤٠ / ٣ ، شرح شافية ابن
 الحاجب : ٢٤٢ / ٤ ، المستطرف : ٦ / ٢ ، الإرشاد الشافي : ١٢١ ،
 المغني : ١٦١ / ١ ، شرح شواهد المغني : ٤٦٣ / ١ ، معاهد التنصيص : ١٥٢ / ٤ ،
 ٢٢٤ شاهد رقم : ٢١٢ .

(١) اللوى : بالكسر ، وفتح الواو ، والقصر ، وهو في الأصل منقطع الرمل ، يقال :
 قد ألويتم فانزلوا إذا بلغوا منقطع الرمل ، وهو أيضاً موضع بعينه ، قد
 أكثر الشعراء من ذكره ، وخلطت بين ذلك اللوى ، والرمل فعز الفصل
 بينهما ، وهو واد من أودية بني سليم ، ويوم اللوى وقعة كانت فيه
 لبني ثعلبة على بني يربوع . / انظر :

معجم البلدان : ٢٣ / ٥ ، مرصد الاطلاع : ١٢٠٩ / ٣ .
 (٢) الدخول : على وزن فَعُولٍ : موضع اِخْتَلَفَ في تحديده ، فقال : محمد
 ابن حبيب : الدخول وحومل : بلاد أبي بكر بن كلاب ، وقال أبو الحسن
 الدخول وحومل : بلدان بالشام ، وأنشد لامريء القيس : قفانيك . . . /
 معجم ما استعجم : ٥٤٨ / ٢ .

(٤) ذكر السندوبي في تحقيق الديوان أن بعض الرواة زعم أن هذه القصيدة
 ليست لدمريء القيس ، وإنما ألحقت بشعره ، وإنما هي من شعر
 بعض النمريين .

وطق السندوبي على هذا الزعم بقوله :

وهذا بلا شك زعم باطل وانعاء قائل ، وإلا لما سكت عنها الرواة من قبيلة =====

(١) (٢) فَتَوَضَّحَ قَالِ الْمِقْرَاءَ لَمْ يَعْفَ رَسْمَهَا . . . لِيَا تَسَجَّتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وَشَأَلِ

استشهد به على أن الشعر يختص بقائله من جهة توخيه معاني الكلم التي ألف منها شعره ، ولا يختص به من جهة أنفس الكلم ، وأوضاع اللغة ، فهناك فرق بين قائل الشعر ، وبين راوي الشعر وحاكميه ، فقائل الشعر هو الذي ابتداء نسقه وترتيبه عن قصد منه إلى صورة وصفة ، فامروء القيس حين قال :

* قَفَا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ *

كان قاصداً إلى نظم صورة معينة ، فجاء بالبيت على هذا الترتيب من كون " نيك " جواباً للأمر ، وكون " من " معدية له إلى " ذكرى " مضافة إلى حبيب " ، وكون " منزل " معطوفة على " حبيب " .

=== النمر بن قاسط، ولحاجوا في شأنها ، وليست هذه القبيلة بالخالطة ، ولا بالضعيفة ، وقد كان فيها شعراء ، ورواة ، فليس من المعقول أن يسلموا حقوقهم ، ويتركوا حبل الرواة على عواتقهم ، فتنتزع منهم قصيدة لها قيمتها ، وشهرتها بين العرب .

(٢٠١) توضح : بضم أوله وبالضاد المعجمة المكسورة ، والحاء المهملة : موضع ما بين رمل السبخة وأود . والسبخة بفتح أوله وثانيه وبالحاء المعجمة موضع بالمدينة بين موضع الخندق ، وبين سطلع الجبل المتصل بالمدينة ، وقيل أود والمقراة جذاء اليمامة / معجم ما استعجم : ١ / ٢٠٩ - ٣٢٤ ، ٢ / ٣ / ٧١٢ .

وقال أبو عبيدة : ان المقراة ليس موضعاً ، وإنما يريد أمرؤ القيس الحوض الذي يجمع فيه الماء / معجم ما استعجم : ١ / ٥٤٨ . وقال أبو الفرج : إن الخول وحومل وتوضح والمقراة كلها مواضع ما بين أمرة إلى أسود العين ، وأمرة وأسود العين في ضرية ، وضرية في أوسط الحصى ، والحصى أرض منبت كثير العشب بالقرب من المدينة / معجم ما استعجم : ١ / ١٥٠ ، ٢ / ٣ / ٨٦٠ .

قال :

"اعلم أنا إذا أضفنا الشعر أو غير الشعر من ضروب الكلام إلى قائله ، لم تكن إضافتنا له من حيث هو كليم وأوضاع لَعْنَةٍ ، ولكن من حيث تَوَخَّى فيها "النَّظْمُ" الذي بيَّنَّا أنه عبارة عن تَوَخَّى معاني النحو في معاني الكلم .

وذاك أن من شأن الإضافة الاختصاص ، فهي تتناول الشيء من الجهة التي تختص منها بالمضاف إليه ، فإذا قلت : "غلام زيد" تناولت الإضافة "الغلام" من الجهة التي تختص منها بزيد ، وهي كونه مملوكاً" (١)

وقال أيضا :

" وإذا كان الأمر كذلك فينبغي لنا أن ننظر في الجهة التي يختصُّ منها الشعر بقائله ، وإذا نظرنا وجدناه يختصُّ به من جهة توخَّيه في معاني الكلم التي ألفه منها ، ما توخَّاه من معاني النحو ، ورأينا أنفس الكلم بمعزلٍ عن الاختصاص . . . " (٢)

وقال أيضا :

"وجملة الأمر أنه لا يكون ترتيب في شيء حتى يكون هناك قصدٌ إلى صورة وصيفة إن لم يقدِّم فيه ما قدَّمه ، وتَمَّ بِؤُخْرِهِ مَا أُخِّرَ ، وبِأَيْدِيهِ بِالَّذِي تُنَبِّئُ بِهِ ، أَوْ تُنَبِّئُ بِالَّذِي تُثَبِّتُ بِهِ ، لم تحصل لك تلك الصورة وتلك الصفة وإذا كان كذلك ، فينبغي أن تنظر إلى الذي يقصد واضع الكلام أن يحصل له من الصورة والصفة : أفني الألفاظ يحصل له ذلك ، أم في معاني الألفاظ ؟ وليس في الإمكان أن يشك عاقلٌ إذا نظر ، أن ليس ذلك في الألفاظ ، وإنما الذي يتصور أن يكون مقصوداً في الألفاظ هو "الوزن" وليس هو من كلامنا في شيء ، لأننا نحن فيما لا يكون الكلام كلاماً إلا به ، وليس للوزن مدخلٌ في ذلك" (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٧٦-٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٧٧ ، خفاجي : ٣٥١ ، شاكر : ٣٦٢ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٢٧٨ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٣٦٤ .

الشاهد الواحد والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

قول أبي تمام :

(١) لَعَابُ الْأَفَاعِي الْقَاتِلَاتِ لَعَابُهُ . : وَأَرِي الْجَنَى اشْتَارَتْهُ أَيْدِي عَوَاسِلِ (٦)
(٢) (٣) (٤) (٥)

والبيت من قصيدته التي قالها في مدح محمد بن عبد الملك الزيات ، والتي

مطلعها :

(*) الدلائي ، رضا : ٢٨٣ ، خفاجي : ٣٥٨ ، شاکر : ٣٧١ .

(١) لعاب الأفاعي : اللعاب مايسيل من الفم ، والمراد هنا سسمها /

اللسان " لعاب " : ١ / ٧٤١ .

(٢) الأري : يفتح الهمزة وسكون الراء مالزق من العسل في جوف

الخلية ، وقيل عسلها حين ترمي به من أفواهها . / اللسان " أري " :

٢٨ / ١٤ .

(٣) الجنى : اسم عام يقع على كل ما اجتني ، فجاز أن يسمي " الأري " جنى ؛

لأنه يجني من مواضع النحل ، ولعموم الجنى في اللفظ حسنت

إضافة الأري إليه ، لأن بعض الشيء يضاف إلى كله / ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب التبريزي : ١٢٣ / ٣ .

(٤) اشتارته : جنته واستخرجته / اللسان " شور " : ٤ / ٤٣٤ .

(٥) العواسل جمع عاسل وعاسلة ، وهي التي تستخرج العسل . /

لسان العرب " عسل " : ١١ / ٤٤٦ ، القاموس المحيط " عسل " :

١٦ / ٤ .

(٦) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام - الخطيب التبريزي - : ٣ / ١٢٣ ، ديوان أبي تمام

" دارصعب " : ٢٢٨ ، الحيوان : ١ / ٦٧ ، أمالي المرتضى :

١ / ٥٣٧ ، أدب الكتاب : ٧٦ ، المفتاح : ٩٢ ، الإيضاح : ١ / ١٦٥

شرح أبيات الإيضاح : النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) ، خزنة

الأدب للبغدادي - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٥ .

مَتَى أَنْتَ عَن ذَهْلِيَّةِ الْحَيِّ ذَاهِلٌ . . . وَقَلْبِكَ مِنْهَا مَدَّةُ الدَّهْرِ أَهْلٌ (٢)

والشاهد من أبيات قالها في وصف القلم ، وقبله :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي يَشَبَّاتِهِ . . . نصاب من الأمر الكلي والمفاصل

وبعده البيت وبعده :

لَهُ رِيْقَةٌ طَلٌّ وَلَكِنَّ وَقَعَهَا . . . بِأَثَارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ وَأَبْلُ

فَصِيحٌ إِذَا اسْتَنْطَقْتَهُ وَهُوَ رَاكِبٌ . . . وَأَعْجَمٌ إِنْ خَاطَبْتَهُ وَهُوَ رَاغِبٌ (٣)

استدل به الشيخ على أن النظم ليس معناه رصف الكلمات بعضها بجوار بعض

كيفما اتفق ، وإهمال توخي معاني النحو .

فلو أن عامداً عد إلى بيت أبي تمام ، وجعل " لعاب الأفاعي " مبتدأ ، و " لعابه "

خبراً كما يوهم الظاهر ، لأفسد الصورة التي وضعها الناظم ، بأن جعل المراد تشبيه

" لعاب الأفاعي " بالمداد ، وهذا المعنى لم يقصده أبو تمام ، وإنما قصد تشبيه

مداد قلمه بلعاب الأفاعي إذا كتب في إقامة السياسات ، وبأرى الجنى إذا كتب

في العطايا والصلوات . قال الشيخ :

(١) " ذهلية الحي " : يجوز أن يكون نكرة ، فيكون المعنى : متى أنت

من امرأة ذهلي حبيها ، كما تقول متى أنت عن حسنة الوجه ذاهل ،

أي عن امرأة حسن وجهها ، ويجوز أن تكون " ذهلية " معرفة

بالإضافة ، فلا يكون الغرض كالأول ، وتكون " الذهلية " في هذا

الوجه ليست في النسب من الحي ، وهو في المتقدم من حي كلهم

ذهلي . / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١١٢ .

(٢) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١١٢ ، الديوان - دار صادر - :

٠ ٢٢٦

(٣) الديوان بشرح الخطيب : ٣ / ١٢٣ .

الديوان - دار مصعب - : ٠ ٢٢٨ .

... فإن ههنا استدلالاً لطيفاً تكثر بسببه الفائدة ، وهو أنه يتصور
 أن يعيد عائد إلى نظم كلام بعينه ، فيزيله عن الصورة التي أرادها الناظم
 له ، ويُعيد لها عليه ، من غير أن يحول منه لفظاً عن موضعه ، أو يُبدله بغيره ،
 أو يُغيّر شيئاً من ظاهر أمره على حالٍ ، مثال ذلك : أنك إن قدرت فسي
 بيت أبي تمام :

أن "لعاب الأفاعي" مبتدأ و "لعابه" خبر ، كما يوهمه الظاهر ، أفسدت
 عليه كلامه ، وأبطلت الصورة التي أرادها فيه ، وذلك أن الغرض أن يشبّه
 مِداد قَلْبِهِ بِلُعَابِ الأفاعي ، على معنى أنه إذا كتب في إقامة السياسات
 أطفأ به النفوس ، وكذلك الغرض أن يشبّه مِدادَهُ بِأَرَى الجَنَى على معنى أنه
 إذا كتب في العطايا والصلوات أوصل به إلى النفوس ما تحلو مَذَاقَتَهُ عِنْدَهَا ،
 وأدخل السُرورَ ، واللذة عليها ، وهذا المعنى إنما يكون إذا كان "لعابه"
 مبتدأ ، و "لعاب الأفاعي" خبراً فأما تقديرك أن يكون "لعاب"
 الأفاعي "مبتدأ ، و "لعابه" خبراً ، فيبطل ذلك ، ويمتنع منه البتة ، ويخرج
 بالكلام إلى ما لا يجوز أن يكون مراداً في مثل غرض أبي تمام ، وهو
 أن يكون أراد أن يشبّه "لعاب الأفاعي" بالمداد ، ويشبّه
 كذلك "الأرى" به . (١)

وأستدل بهذا على أن الألفاظ تتبع للمعاني ، وليست المعاني تبعاً للألفاظ .

قال :

"واعلم أنه إن نظرنا ظرفي شأن المعاني والألفاظ إلى حال السامع ، فإذا
 رأى المعاني تقع في نفسه من بعد وقوع الألفاظ في سمعه ظن لذلك ، أن المعاني
 تتبع للألفاظ في ترتيبها ، فإن هذا الذي بيناه يريه فساد هذا الظن ، وذلك

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، خفاجي : ٣٥٧-٣٥٨ ، شاکر : (٣٧١-٣٧٢) .

أنه لو كانت المعاني تكون تبعاً للألفاظ في ترتيبها ، لكان محالاً أن تتفسير المعاني ، والألفاظ بحالها لم تزل عن ترتيبها ، فلما رأينا المعاني قد جاز فيها التفسير من غير أن تتغير الألفاظ ، وتزول عن أماكنها علمنا أن الألفاظ هي التابعة ، والمعاني هي المتبوعة " (١)

وفي البيت لطائف بلاغية منها :

إضافة الأرى إلى الجنى ، وذلك للدلالة على طيب العسل ولطافته ، (٢) وإفادة معنى الكمال فيه .

وقصد من وصف اليد بعد إسنادها إلى فعل من معنى الصفة أن يكسبها معنى

الخبرة ، والبراعة في العمل . (٣)

واستشهد به السكاكي على خروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر ، وهو

من القلب أي أنه عكس التشبيه للمبالغة (٤)

ذكر المرتضى في أماليه أنه قد أجمع العلماء على أن هذه الأبيات أحسن

وأفخم من جميع ما قيل في القلم (٥) .

وهذا أيضاً ما رآه البيهقي في خزائنه . (٦) .

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٢-٣٧٣ .

(٢) شرح أبيات الإيضاح : - النسخة الأزهرية - شاهد رقم (٨٤) .

(٣) هامش الإيضاح : ١ / ١٦٥ .

(٤) المفتاح : ٩٢-٩٣ ، وانظر : الإيضاح : ١ / ١٦٥ .

(٥) أمالي المرتضى : ١ / ٥٣٦ .

(٦) خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٦ .

الشاهد الثاني والخسون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

* نَمَّ وَإِنْ لَمْ أَنْمَ كَرَايَ كَرَاكَ * (١)

أورد الشيخ الصدر دون العجز ، ومن غير نسبة ، وإنما ذكر أن الشيخ
(٢)
أبا علي أنشده في التذكرة . (٣)

وصدر البيت لأبي تمام وعجزه :

* شَاهِدٌ مِنْكَ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ * (٥)

وهو أول خمسة أبيات وبعده :

طَالَ صَبْرِي تَعْدِيكَ نَفْسِي وَقَلَّتْ . . . نَفْسٌ مِثْلِي عَنْ أَنْ تَكُونَ فِدَاكَ
فِي سَبِيلِ الْهَوَى فُؤَادِي وَمَا أَسَى (م) . . . عَلَيْهِ لَكِنْ عَلَيَّ ذِكْرَاكَ
ذَهَبَتْ مَقْلَتَايَ بِالدَّمِ وَالذَّمِّ (م) . . . فِي النَّارِ إِنْ نَجَتْ مُقْلَتَاكَ
لَسْتُ أَبْكِي ذَهَابَ عَيْنِي لِعَيْنِي . . . غَيْرَ أَنِّي أَبْكِي لِأَنَّ لَأَرَاكَ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاكر : ٣٧٣ .
(١) لم أجده في ديوانه بشرح الخطيب التبريزي ، وكذلك لم أعثر
عليه ، فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - دارصعب - : ٤٠٦ ، المفتاح : ٩٢ - من غير نسبه - شرح
أبيات الإيضاح - فيض الله - : ٢٩ ب .

(٢) هو أبو علي الفارسي .

(٣) التذكرة في علوم القرآن .

(٤) رواية شرح أبيات الإيضاح - : فيض الله - : ٢٩ ب

* شَاهِدِي السَّقْمَ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ *

(٥) ذكر الأستاذ شاكر أنه جاء في هامش إحدى المخطوطات ما نصه :
" أوله :

* شَاهِدِي الدَّمْعَ أَنَّ ذَاكَ كَذَاكَ *

لأبي تمام الطائي "

(٦) الديوان " دارصعب " : ٤٠٦ .

ساقه الشيخ لتوضيح قوله : إن الألفاظ تتبع للمعاني وليس المعاني تتبعاً
للألفاظ ، فإنه إن أشكل الأمر في معرفتين هما مبتدأ وخبر كان فاصل الإشكال
هو المعنى وليس اللفظ . قال الشيخ :

” وأعلم أنه ليس من كلام يعتمد واضعه فيه إلى معرفتين فيجعلهما مبتدأ
وخبراً ، ثم يقدم الذي هو الخبر إلا أشكل الأمر عليك فيه ، فلم تعلم أن المقدم
خبر ، حتى ترجع إلى المعنى وتحسن التدبير ” (١) .

ثم ذكر أن أبا علي الفارسي قد أنشد في ” التذكرة ” بيت الشاهد وأنه قال :
” ينبغي أن يكون ” كراي ” خبراً مقدماً ، ويكون الأصل : ” كراك كراي ” أي نم ،
وإن لم أنم فنومك نومي ، كما تقول : ” قم ، وإن جَلَسْتُ ، فقيامك قيامي ، هذا
هو عرف الاستعمال في نحوه ” ثم قال :

” وإذا كان كذلك ، فقد قَدِّم الخبر وهو معرفة وهو ينوي به التأخير من حيث
كان خبراً ” (٢)

ومعنى الشاهد : أن الشاعر هنا يخاطب محبوبته فيقول :

” ثم واسترح طول الليل ، وإن أنا لا أنام فيه . فإن نومك ، واستراحتك نومي
واستراحتي ، ثم قال شاهدي بأن ذلك القول كذلك حق ، وليس بكذب سقمي
في هোক ، لأن من ابتلى بالهوى يعدُّ راحة حبيته راحته ” (٣)

الشاهد الثالث والخسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

بِنُونَا بِنُو أَبْنَائِنَا وَبِنَاتِنَا . . . بِنُوهُنْ أَبْنَاءُ الرَّجَالِ الْآبَاعِيْرِ (٦) (٥) (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٢٨٥ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاکر : ٣٧٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٢٨٥-٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاکر : ٣٧٣-٣٧٤ .

(٣) شرح أبيات الايضاح - النسخة الأزهرية - الشاهد رقم (٩٠) .

(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٦ ، خفاجي : ٣٥٩ ، شاکر : ٣٧٤ .

(٤) رواية حساسة أبي تمام - عسيلان - : ” آباينا ” .

(٥) ذكر ابن الأنباري في الإنصاف أنه يروي ” الأكارم ” .

(٦) لم أجده في ديوانه - طبعة دار الباز - ، الحماسة لأبي تمام - ت : عسيلان - : =====

- ذكره الشيخ من غير نسبة ، وإنما أشار أنه من أبيات الحماسة ، وهو للفرزدق (١)
استشهد به الشيخ للتنظير على أن الشاهد السابق نظير هذا البيت فسي
أنه قدم الخبر وهو معرفة ، وهو ينوي به التأخير لوجود قرينة معنوية . وعلى هذا
استشهد به النحاة (٢)
- فلا يحسن أن يكون بنونا هو المبتدأ ؛ لأنه يلزم منه تشبيهه بالبنين بأبناء الأبناء ،
وليس هذا هو المعنى الذي قصده الشاعر وإنما قصد تشبيهه بني الأبناء بالأبناء (٣)
ذكر العيني أنه قيل لا تقديم في البيت ولا تأخير ؛ لأن البيت على التشبيه
المعكوس لقصد المبالغة ، فلا شاهد في البيت (٤)

=== ١ / ٢٧٤ رقم (١٧٥) ، الإنصاف : ٦٦ ، شرح المفصل : ١ / ١ / ٩٩ ،
محاضرات الأدباء : ١ / ٣٦٦ ، المغني : ٢ / ٤٥٢ ، شاهد : ٦٩٢ ،
أوضح المسالك : ١ / ١٤٥ - ذكر بعض الشعر الأول فقط - ، شرح
شواهد المغني : ٢ / ٨٤٨ ، شاهد رقم (٦٨٢) ، التصريح بمضمون
التوضيح : ١ / ١٧٣ ، خزانة الأدب : - مكتبة الخانجي - : ١ / ٤٤٤ ،
همع الهوامع : ١ / ١٠٢ ، شرح الأشموني : ١ / ١٦٣ ، شرح الشواهد
للعيني : ١ / ١٦٣ .

(١) هذا البيت على الرغم من شهرته ، ودورانه في كتب النحاة لم ينسب
فيها إلى قائل ، ونسبه في الخزانة للفرزدق ، نقلاً عن الكرمانى في شرح
شواهد الكافية للخبزي قال :

" ورأيت في شرح الكرمانى في شواهد شرح الكافية للخبزي أنه قال :
هذا البيت قائله أبو فراس همام الفرزدق بن غالب ثم ترجمه ، والله
أعلم بحقيقة الحال " / الخزانة للبغدادي - مكتبة الخانجي - :
١ / ٤٤٤ .

(٢) شرح المفصل : ٢ / ٤٥٢ ، خزانة الأدب : ١ / ٤٤٤ ، شرح الشواهد
للعيني : ١ / ١٦٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

(٤) المصدر السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

وذكر ابن هشام أن حمل البيت على التشبيه المعكوس للمبالغة رأى ضعيف ؛
لأن ذلك نادر الوقوع ومخالف للأصول إلا أن يقتضى المقام المبالغة (١)
وذكر العيني أن البيت يستشهد به الغرضيون على دخول أبناء الأبناء فسي
الميراث ، وأن الأنساب إلى الآباء .
واستشهد به الفقهاء في الوصية ، وأهل المعاني والبيان في التشبيه (٢) .

الشاهد الرابع والخمسون بعد المائتين : (*) (المستقارب)

(٢) وَالْفَيْتَهُ غَيْرُ مَسْتَعْتَبٍ . . . وَلَا ذَاكِرٍ اللَّهُ إِلَّا قَلِيلًا (٥)

ذكره الشيخ من غير عزو، وهو لأبي الأسود الدؤلي .

- (١) المغني : ٢ / ٤٥٢ (٢) شرح الشواهد للعيني : ١ / ١٦٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٢٨٧ ، خفاجي : ٣٦١ ، شاكر : ٣٧٦ .
(٣) وفي إحدى روايات شرح شواهد المغني : " وألفيته " .
(٤) رواية الديوان ، ومجاز القرآن ، وعمت الوليد ، والمقتضب ، والإفصاح ،
وشرح جمل الزجاجي ، ولا ذاكِرٌ بالنصب .
(٥) ديوانه : ١٢٣ ، الكتاب : ٢ / ١٦٩ ، معاني القرآن للفراء : ٢ / ٢٠٢ ،
مجاز القرآن : ١ / ٣٠٧ - من غير نسبه - ، شرح أبيات سيويه للنحاس :
١٠٣ - من غير نسبه - ، عمث الوليد : ٣٨٥ - من غير نسبه - ، المقتضب :
١ / ١٥٧ ، من غير نسبه - ، وذكر في : ٢ / ٣١٢ منسوباً لأبي الأسود ،
مجالس ثعلب : ١ / ١٢٣ - من غير نسبه - ، الخصائص : ١ / ٣١١ ، العجز
فقط ويدون نسبه ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠ ، تنزيل الآيات على الشواهد من
الآيات - الكشاف - : ٤ / ٤٧٩ ، وذلك عند تفسير قوله تعالى :
" كل نفس ذائقة الموت " ، الإنصاف : ٢ / ٦٥٩ - من غير نسبه - ،
اللسان : " عتب " ، شرح المفصل : ٢ / ٩ / ٣٤ ، شرح شافية ابن الحاجب
٤ / ٣١٤ ، شرح جمل الزجاجي : ٢ / ٤٤٧ - من غير نسبه - ، المغني :
٢ / ٥٥٥ رقم (٧٩٣) ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٣ ، شاهد رقم (٨٢٦)
الخرانة : - دار صادر - : ٤ / ٥٥٤ .

والبيت من قصيدة قالها أبو الأسود في هجاء امرأة أغرتة بجمالها ، وزعمت أنها صناع الكف حسنة التدبير ، وعرضت عليه أن يتزوجها ، ففعل ، فألقاها قد أسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتها . (١)

وأول هذه الأبيات :

أَرَيْتُ امْرَأً كُنْتُ لَمْ أَبْلُهُ^(٢) .: أَتَانِي فَقَالَ : اتَّخِذْنِي خَلِيلاً
فَخَالَلْتَهُ ثُمَّ أَكْرَمْتُهُ .: قَلِمَ اسْتَعْفِدُ مِنْ لَدُنْهِ فَتِيلاً
وَأَلْفَيْتَهُ حِينَ جَرَيْتُهُ .: كَذُوبَ الْحَدِيثِ سَرُوقًا بَخِيلاً
فَذَكَرْتَهُ ثُمَّ عَاتَبْتُهُ .: عِتَابًا رَفِيقًا وَقَوْلًا جَمِيلاً
فَأَلْفَيْتَهُ غَيْرَ مُسْتَعْتَبٍ .: وَلَا ذَاكَرَ اللَّهِ إِلَّا قَلِيلاً
أَلَسْتُ حَقِيقًا بِتَوَدِّيهِ .: وَاتَّبَاعِ ذَلِكَ صَرْمًا طَوِيلًا (٣)

(١) ورد في الديوان والأغاني :

* كان أبو الأسود يجلس إلى فناء امرأة بالبصرة ، فيتحدث إليها ، وكانت برزة جميلة ، فقالت له : يا أبا الأسود ، هل لك في أن أتزوجك ؟ فإني صناع الكف ، حسنة التدبير ، قانعة بالميسور ، قال : نعم ، فجمعت أهلها ، فتزوجته ، فوجد عندها خلاف ما قدره ، وأسرعت في ماله ، ومدت يدها إلى خيانتها ، وأفشت سره ، ففدا على من كان حُضِر تزويجه إياها ، فسألهم أن يجتمعوا عنده ، ففعلوا فقال لهم . . . الأبيات .

ويعد أن انتهى من أبياته قالوا له :

بلى والله يا أبا الأسود ! قال : تلك صاحبكم ، وقد طلقها لكم ، وأنا أحب أن أستر ما أنكرته من أمرها ، فانصرفت معهم . / انظر القصة فسي : الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠-٣١١ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

(٢) بَلُّهُ : بضم اللام والهاء ، من بلاه يبلوه بلواً إذا جربه . / اللسان : " بلا " : ١٤ / ٨٣ .

(٣) الديوان : ١٢٢-١٢٣ ، الأغاني : ١٢ / ٣١٠ ، شرح شواهد شافية ابن الحاجب : ٤ / ٣١٥ ، شرح شواهد المغني : ٢ / ٩٣٤ .

استشهد به الشيخ عند حديثه عن توسيع مجال التفسير، والتأويل، وتعدد
 أوجه تفسير الكلام، وأن سببه هو توخي معاني النحو. قال الشيخ :
 " واعلم أن الغائبة تعظم في هذا الضرب من الكلام إذا أنت أحسنت النظر،
 فيما ذكرت لك، من أنك تستطيع أن تنقل الكلام في معناه عن صورة إلى صورة،
 من غير أن تغير من لفظه شيئاً، أو تحوّل كلمةً عن مكانها إلى مكان آخر،
 وهو الذي وسع مجال التأويل والتفسير، حتى صاروا يتأولون في الكلام الواحد
 تأويلين، أو أكثر، ويفسرون البيت الواحد عدة تفاسير، وهو على ذلك الطريق
 المزلّة الذي ورط كثيراً من الناس في الهلكة، وهو مما يعلم به العاقل شدة
 الحاجة إلى هذا العلم، وينكشف معه عوار الجاهل به، ويفتضح عنده المظهر
 الغني عنه، ذاك لأنه قد يدفع إلى الشيء لا يصح إلا بتقدير غير ما يريه
 الظاهر، ثم لا يكون له سبيل إلى معرفة ذلك التقدير إذا كان جاهلاً بهذا
 العلم، فيتسكع عند ذلك في العمى، ويقع في الضلال " (١)

فاستشهد الشيخ بالبيت على أن حذف التنوين في قوله تعالى : " وَقَالَتِ

الْيَهُودُ عَزِيزُ ابْنِ اللَّهِ " (٢)

وقوله : " وَلَا اللَّيْلِ سَابِقُ النَّهَارِ " (٣)، لالتقاء الساكنين لا للإضافة، ونظيرهما (٤)

(١) الدلائل، رضا : ٢٧٦-٢٨٧، خفاجي : ٣٦٠، شاكر : ٣٧٤-٣٧٥.

(٢) التوبة، ٣٠.

(٣) يس : ٤٠.

(٤) وعلى هذا يكون : عزيز : مبتدأ، وابن خبر، وذكر الشيخ عبد القاهر وجهاً آخر،

وهو أن عزيز خبر لمبتدأ محذوف تقديره " هو "، وابن صفة، أو أن يكون عزيز

مبتدأ، والخبر محذوف تقديره " معبودنا " ويكون التنوين قد سقط على حد

سقوطه في قولنا : " جاءني زيد بن عمرو " ويكون في الكلام محذوف . / انظر:

الدلائل، رضا : ٢٨٧-٢٨٨، خفاجي : ٣٦١-٣٦٢، شاكر : ٣٧٥-٣٧٩.

في ذلك بيت الشاهد ، (١) وقيل إن الحذف هنا للضرورة ، وذكر ابن جني أن الحذف هنا للمبالغة ، قال في باب " غلبة الفروع على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة " (٢)

الشاهد الخامس والخمسون بعد المائتين : (*) (الرجز)

(٣) (٤)
* ظَرْفٌ عَجَّوزٌ فِيهِ ثِنْتَا حَنْظَلٍ * (٥)

(١) انظر: شرح المفصل: ٣٤/٩/٢ ، شرح شافية ابن الحاجب: ٣١٥/٤ ،

شرح جبل الزجاجي: ٢ / ٤٤٧ .

(٢) الخصائص: ١ / ٣٠٠ .

(*) الدلائل، رضا: ٢٩١ ، خفاجي: ٣٦٤ ، شاكر: ٣٨٠ .

(٣) رواية الحماسة " ت : عسيلان " : وشرح ديوان الحماسة للتبريزي :

" سَحَقَ جَرَابٍ " .

(٤) رواية فصيح ثعلب ، ومعاني أبيات الحماسة :

" ظَرْفٌ جَرَابٍ " .

(٥) انظر البيت في :

الكتاب: ٣ / ٥٦٩ ، ٦٢٤ ، " بدون نسبة " ، الحماسة " ت : عسيلان " :

٢ / ٤٣٢ ، إصلاح المنطق: ١٦٨ ، " من غير نسبة " ، المقتضب :

٢ / ١٥٣ " من غير نسبة " ، فصيح ثعلب: ٨٥ ، معاني أبيات الحماسة

٢٤٩ " الحماسية رقم " ٨٤٣ " بدون نسبة " ، المخصص: ٣ / ١٢ / ١١٠ ،

٤ / ١٣ / ١٩٩ ، ٥ / ١٦ / ٩٨ ، ٥ / ١٧ / ٨٩ " بدون نسبة " .

شرح ديوان الحماسة للتبريزي: ٤ / ١٦٦ " بدون نسبة " ، المقرب :

١ / ٣٠٥ ، ٢ / ٤٥ ، شرح المفصل: ٦ / ١٦ ، ١٨ ، شرح شذورالذهب:

٥٤٤ ، ٤٤٥ ، شرح شواهد شروح الألفية للعيني على " هامش خزانة

الأدب " : ٤ / ٤٨٥ ، التصريح بضمون التوضيح: ٢ / ٢٧٠ ، همع

الهوامع: ١ / ٢٥٣ ، خزانة الأدب للبغدادي: - دار صادر: - ٣ / ٣١٤-٣٦٧ .

أورد الشيخ عجز البيت دون الصدر، ومن غير عزو، وهو لخطام المجاشعي،
ولغيره. (٢)

وصدره :

* كَأَنَّ خَصَّيْنِهِ مِنَ التَّدَلُّدِ (٣) *

وقبل الشاهد :

رِخْوُ الْيَدِ الْيُمْنَى مِنَ التَّرَسُّلِ . : مِنَ الرِّضَى جَنَّعَدَلُ التَّكْتَلِ (٤) (٥) (٦)

استشهد به الشيخ في سياق تقريره أن الألفاظ تتبع للمعاني لا العكس،
وأن النظم هو توخي معاني النحو، وأنه السبب في تعدد أوجه الكلام، فجاء
بقوله تعالى : * وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ (٧) ليقرر أن حذف الموصوف

(١) هو خطام بن نصر بن رباح بن عياض بن يربوع من بني الأبيض بن مجاشع
ابن دارم / المؤتلف والمختلف : ١٦٠ ، وهذه نسبة الخزائنة
للبيгдаدي .

(٢) وذكر منسوباً لجندل بن المثنى في شرح شواهد الألفية للعينى ، وفي
التصريح بضمون التوضيح ، وجاء في فصيح ثعلب أنه لجندل أو دكين ،
ونقل العينى عن شرح الفصيح للمسيرافى أنه لسلمى الهذلية ، وذكر
الأستاذ عيد السلام هارون في معجم شواهد العربية أنه ينسب أيضاً
لشأء الهذلية .

(٣) ذكر في شرح المفصل أنه يروى : * من التهديل * .

(٤) جنعدل : شديد ، الجنعدل من الجمال الشديد القوي / اللسان
* جعدل * : ١١ / ١١٣ .

(٥) التكتل : ضرب من المشى ، فلان يتكتل في مشيه إذا قارب في خطوه

كأنه يتدحرج . / اللسان * كتل * : ١١ / ٥٨٢ - ٥٨٣ .

(٦) فصيح ثعلب : ٨٥ .

(٧) النساء : ١٧١ .

بالعدد شائع إذا عليم المراد، فثلاثة هنا صفة لمبتدأ محذوف تقديره "آلهة" ثلاثية^(١) وحذف "آلهة" للعلم به، فالعدد إلى عشرة يحتاج إلى تمييز مجموع مخفوض، وإذا حذف المقصود بالعدد هنا فلا فرق بين أن تجعل المقصود بالعدد مميزاً، وبين أن تجعله موصوفاً بالعدد .

أما بيت الشاهد فقد جاء شاذاً مخالفاً للاستعمال العربي حيث ذكر "ثنتا" مع المعدود، وليس ذلك مستعملاً في العربية إنما المستعمل أن يقول: "حنظلتان" فالعدد "واحد - واثنان - وواحدة واثنان - وثنتان" لا يحتاج إلى تمييز أصلاً ولا يجوز فيهما الإضافة؛ لأن ذكر المعدود يُغني عن ذكر العدد، وإذا حذف المقصود بالعدد فإنه لا يقدر إلا موصوفاً، ولا يكون مميزاً ألبتة. (٢)

جاء في شرح المفصل :

"فأما قول الراجز... فشاهد على حذف التاء في التثنية، وذلك قول من لا يفرق، وفيه شذوذان : أحدهما حذف التاء من خصييه في التثنية، وهذا الشذوذ من جهة القياس دون الاستعمال . والآخر قوله ثنتا حنظل، والقياس أن يقول حنظلتان." (٣)

- (١) وحذف الخبر "لنا - أو في الوجود" لا طراد حذف هذه الأخبار في كل مامعناه التوحيد، ونفي أن يكون مع الله - تعالى عن ذلك - إله . / الدلائل، رضا : ٢٩٠-٢٩١، خفاجي : ٣٦٣، شاكر : ٣٧٩ .
- (٢) التصريح بضمون التوضيح : ٢ / ٢٧٠، شرح شذور الذهب : ٥٤٥، خزانة الأرب : ٣ / ٣١٤-٣١٥ .
- (٣) شرح المفصل : ١ / ٤ / ١٤٤ .

ب - شواهد تحرير القول في :

الاعجاز والفصاحة والبلاغة

- ١- الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم
- ب- عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو .
- ج- فصل آخر في أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .
- د- فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة دلالات .
- هـ- دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني .
- و- فصاحة الكناية .
- ز- فصاحة الاستعارة

١ - الإعجاز بنظم الكلام لا بالكلم :

الشاهد السادس والخمسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ * (١)

استشهد به الشيخ على أن المزية التي توجب الإعجاز، والتي تحتاج إلى حدة ذهن وقوة خاطر، هو العلم بالوصف الموجب للإعراب لا العلم بالإعراب نفسه ، وذلك كالعلم بما يوجب الفاعلية للشيء ، إذا كان إيجابها من طريق المجاز ما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق ، ومسلك يلفظ . قال الشيخ :

" ثم إنا نعلم أننا المزية المطلوبة في هذا الباب مزية فيما طريقه الفكر والنظر من غير شبهة ، ومحال أن يكون اللفظ له صفة تستنبط بالفكر، ويستعان عليها بالروية ، اللهم إلا أن تريد تأليف النغم ، وليس ذلك ما نحن فيه بسبيل ، ومن ههنا لم يجز إذا عدَّ الوجوه التي تظهر بها المزية أن يعسد فيها الإعراب ، وذلك أن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم ، وليس هو ما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية، فليس أحدهم بأن إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النصب ، والمضاف إليه الجربا علم من غيره ، ولأنك المفعول به ما يحتاجون فيه إلى حدة ذهن ، وقوة خاطر، إنما الذي تقع الحاجة فيه إلى ذلك العلم بما يوجب الفاعلية للشيء ، إذا كان إيجابها من طريق المجاز، كقوله تعالى : " فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ " (٢) وكقول الفرزدق :

* سَقَّتْهَا خُرُوقٌ فِي الْمَسَامِعِ * .

وأشبه ذلك ما يجعل الشيء فيه فاعلاً على تأويل يدق ، ومن طريق تطف ،

وليس يكون هذا علماً بالإعراب ، ولكن بالوصف الموجب للإعراب " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٥ ، شاكر : ٣٩٦ .

(١) سبق تخريجه : ٦٩٧ .

(٢) البقرة : ١٦ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٠٢ ، خفاجي : ٣٧٤ ، شاكر : ٣٩٥ - ٣٩٦ .

الشاهد السابع والخمسون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول أبي تمام :

عَدَلًا شَبِيهًا بِالْجُنُونِ كَأَنَّمَا . : قَرَأَتْ بِهِ الْوَرَهَاءُ شَطْرَ (٥) كِتَابِ (٢)

والبيت من قصيدة قالها في مدح مالك بن طوق التغلبي ، ومطلعها :

لَوْ أَنَّ نَهْرًا رَدَّ رَجْعَ جَوَابِي . : أَوْ كَفَّ مِنْ شَأْوِيهِ طُولَ عِتَابِي

لَعَدَلْتُهُ فِي يَمْنَتَيْنِ تَقَادِمًا . : مَمْحُوتَيْنِ لِزَيْنَبٍ وَرَبِّ سَابِ

وقبل الشاهد :

أَذَكَّتْ طَيْبَكَ شِهَابَ نَارٍ فِي الْحَشَا . : بِالْعَدْلِ وَهَنَا أُخْتُ آلِ شِهَابِ

وبعد الشاهد :

أَوْ مَا رَأَتْ بُرْدِيَّ مِنْ نَسِجِ الصَّبَا . : وَرَأَتْ خِضَابَ اللَّهِ وَهُوَ خِضَابِي

استشهد به الشيخ للتنظير على قوله إن الألفاظ لا يتعلق بعضها ببعض

من حيث هي ألفاظ دون النظر إلى معانيها ، ولو كانت يتعلق بعضها ببعض

بمعزل عن المعنى لكانت شبيهة بالجنون ، وشبيهة بقراءة الحمقاء لأنصاف الكتب ؛

لأن قراءة أنصاف الكتب لا يمكن أن تدل على معنى الكتاب . قال الشيخ :

* ومعلوم علم الضرورة أن لن يتصور أن يكون للفظه تعلق بلفظة أخرى من غير

أن يُعتبر حال معنى هذه مع معنى تلك ، ويراعى هناك أمرٌ يصل إحداهما

بالأخرى . . . ولو كانت الألفاظ يتعلق بعضها ببعض من حيث هي ألفاظ ،

(*) الدلائل ، رضا : ٣١١ ، خفاجي : ٣٨٢ ، شاكر : ٤٠٦ .

(١) رواية الديوان : " صدر " ، ورواية أدب الكتاب : " سطر " .

(٢) لم أعر عليه فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان " دار صعب " : ٢٣ ، أدب الكتاب : ١٤٩ ، سر الفصاحة : ١٣٢ .

(٣) (. . .) ٢٥٩ هـ - ٢٦٠ هـ) سبقت ترجمته ، انظر الشاهد " الستون " : ص ٣٠٩ .

ومع أطراح النظر في معانيها، لأدنى ذلك إلى أن يكون الناس حين ضحكوا
 ما يصنعهم المجان من قراءة أنصاف الكتب، ضحكوا عن جهالة، وأن يكون
 أبو تمام قد أخطأ حين قال :

عَدَلًا شَبِيهًا بِالْجُنُونِ كَأَنَّهَا . . . قَرَأَتْ بِهِ الْوَرَهَاءُ شَطْرَ كِتَابِ
 لأنهم لم يضحكوا إلا من عدم التعلق، ولم يجعله، أبو تمام جنوناً إلا لذلك،
 فأنظر إلى ما يلزم هؤلاء القوم من طرائف الأمور* (١)

(١) الدلائل : رضا : ٣١١ ، خفاجي : ٣٨١ - ٣٨٢ ، شاکر : ٤٠٦ .

ب - " عدم تعلق الفكر بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو "

الشاهد الثامن والخسون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ (١) *

استشهد به الشيخ ليقرر ويبرهن أن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم مجردة من معاني النحو، فلو أننا عمدنا إلى بيت الشاهد ووضعنا الألفاظ وضماً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو، فقلنا : " مِنْ نَبِّكَ قَفَا حَبِيبٍ ذِكْرِي مَنْزِلٍ " .

لم يتعلق معناه بالفكر . قال الشيخ :

" وما ينبغي أن يَعْلَمَهُ الإنسان ويجعله على ذكر، أنه لا يُتَصَوَّرُ أن يتعلَّقَ الْفِكْرُ بِمَعَانِي الْكَلِمِ أَفْرَاداً وَجُرْدَةً من معاني النحو، فلا يَقُومُ فِي وَهْمٍ، وَلَا يَصِحُّ فِي عَقْلِ، أن يتفكر متفكراً في معنى " فِعْلٍ " من غير أن يريد إعماله في " اسم " ولا أن يتفكر في معنى " اسم " من غير أن يريد إعمال " فِعْلٍ " فيه، وجعله فاعلاً له، أو مفعولاً، أو يريد فيه حكماً يوصي ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ، أو خبراً، أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك .

وإن أردت أن ترى ذلك عياناً فاعمد إلى أي كلام شئت، وأزل أجزاءه عمن مواضعها، وضعها وضماً يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها فقل في :

* قَفَا نَبِّكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ *

" مِنْ نَبِّكَ قَفَا حَبِيبٍ ذِكْرِي مَنْزِلٍ " ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة

منها ؟ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣١٤ ، خفاجي : ٣٨٦ ، شاكر : ٤١٠ .

(١) سبق تخريجه : ٨٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٤ ، خفاجي : ٣٥٢ ، شاكر : ٤١٠ .

(الطويل)

الشاهد التاسع والخمسون بعد المائتين : (*)

كَأَنَّ مَنَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا . : وَأَسْيَافَنَا لَيْلٍ تَهَاوَى كَوَاكِبَهُ (١)

الشاهد فيه كسابقه .

فالشيخ هنا قد استحسن التشبيه في بيت بشار؛ لأن صورة التشبيه فيه مرتبط بعضها ببعض بما يقتضيه النظم ومعاني النحو، فهو حين جاء بأداة التشبيه " كأن " كان قاصداً إلى إيقاع التشبيه، وحين قال " منار النقع " إنما فكر في إضافة الأول إلى الثاني . . وهكذا فكل كلمة في البيت كان قاصداً لتعليقها بمعنى الكلمة التي تليها، فبيته كالحلقة المفرغة لا تقبل التقسيم، فهو من أوله إلى آخره كلام واحد، حيث اتحدت معاني البيت، فصارت الألفاظ من أجل ذلك لفظة واحدة، قال الشيخ :

" وانظر هل يتصور أن يكون بشار قد أخطر معاني هذه الكلم بباله أفراداً عاريةً من معاني النحو التي تراها فيها، وأن يكون قد وقع " كأن " في نفسه من غير أن يكون قصد إيقاع التشبيه منه على شيء، وأن يكون فكر في " منار النقع " من غير أن يكون أراد إضافة الأول إلى الثاني، وفكر في " فوق رؤوسنا " من غير أن يكون قد أراد أن يضيف " فوق " إلى " الرؤوس " وفي " الأسياف " من دون أن يكون أراد عطفها بالواو على " منار " وفي " الواو " من دون أن يكون أراد العطف بها، وأن يكون كذلك فكر في " الليل " من دون أن يكون أراد أن يجعله خبيراً " لكان " وفي " تهاوى كواكبه " من دون أن يكون أراد أن يجعل " تهاوى " فعلاً للكواكب، ثم يجعل صفة لليل، لئتم الذي أراد من التشبيه أم لم يُخَيطِر هذه الأشياء بباله إلا مراداً فيها هذه الأحكام والمعاني التي تراها فيها ؟ " (٢)

(*) الدلائل، رضا : ٣١٥، خفاجي : ٣٨٧، شاكر : ٤١١ .

(١) سبق تخريجه : ٢٨٤ .

(٢) الدلائل، رضا : ٣١٥، خفاجي : ٣٨٧، شاكر : ٤١٢ .

وقال في موضع آخر من نفس الفصل :

* وليت شعري ، كيف يتصور وقوع قصد منك إلى معنى كلمة من دون أن تريد
تعليقها بمعنى كلمة أخرى ؟ ومعنى " القصد إلى معاني الكلم " أن تعلم
السامع بها شيئاً لا يعلمه ، ومعلوم أنك ، أيها المتكلم لست تقصد أن
تعلم السامع معاني الكلم المفردة التي تكلمه بها * (١)
وأشار إلى أن النظم وتوخي معاني النحو يسبب الكلام سبباً واحداً ، ويجعله
في اتصاله ، وترابطه كالجملة الواحدة . قال الشيخ :

* فبيت بشار إذا تأملته وجدته كالحلقة المفرغة التي لا تقبل التقسيم ،
ورأيت قد صنع في الكلم التي فيه ما يصنع المانع حين يأخذ كسراً من
الذهب ، فيذيبها ، ثم يصبها في قالب ، ويخرجها لك سواراً أو خلخالاً ،
وإن أنت حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض ، كنت كمن يكسر الحلقة
ويفصم السوار ، وذلك أنه لم يرد أن يشبهه " النقع " بالليل على حدة ،
و " الأسياف " بالكواكب على حدة ، ولكنه أراد أن يشبه النقع والأسياف
تجول فيه بالليل في حال ما تنكدر الكواكب ، وتتهاوى فيه . فالمفهوم من
الجميع مفهوم واحد ، والبيت من أوله إلى آخره كلام واحد * (٢)

وقال أيضا :

* فانظر الآن ما تقول في اتحاد هذه الكلم التي هي أجزاء البيت أتقول
إن ألفاظها اتحدت فصارت واحدة أم تقول إن معانيها اتحدت فصارت
الألفاظ من أجل ذلك كأنها لفظة واحدة * (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣١٥ ، خفاجي : ٣٨٧ ، شاكر : ٤١٢ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣١٧ ، خفاجي : ٣٨٩ ، شاكر : ٤١٤ .

(٣) المصدر السابق نفس الصفحات .

هـ - فصل آخري أن الفصاحة والبلاغة للمعاني :

الشاهد السـتون بعد المائتين : (*) (الوافر)

وَذَاكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ ^(١) . مَرْبِئَةً وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيِّ (٢)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو لأبي تمام من قصيدة يمدح بها الحسن ابن وهب ، ^(٣) ومطلعها :

أَيَا وَيْلَ الشَّجِيِّ مِنَ الْخَلِيِّ . وَيَالِي الرَّبْعِ مِنْ إِحْدَى بَلِيِّ

وقبل الشاهد :

وَمَحْدُودِ الذَّرِيعَةِ سَاءَهُ مَا . تَرَشَّحَ لِي مِنَ السَّبَبِ الْحَظِيِّ
يَدِبُ إِلَى فِي شَخْصِ ضَائِلٍ . وَيَنْظُرُ مِنْ شَقَا طَرْفِ خَفِيِّ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٢ ، خفاجي : ٣٩٤ ، شاکر : ٤٢٠ .

(١) العنقاء : طائر ضخم غريب سميت بذلك ؛ لأنه كان في عنقها بياض كالطوق ،

وقيل هو طائر يكون عند مغرب الشمس ، وقد شك الجاحظ في وجوده ،

وقيل هو العقاب . / الحيوان : ٧ / ١٠٥ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ،

٣ / ٤٣٨ ، حياة الحيوان الكبرى : ٢ / ٨٦ - ٩٠ .

(٢) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٩ ، ديوان أبي تمام

" دار صعب " ٣٠٨ ، الطرائف الأدبية " المختار من شعر أبي تمام " : ٣٠٤ .

(٣) هو الحسن بن وهب بن سعيد بن عمرو بن حصين الحارثي ، أبو علي

(. . . ٢٥٥ هـ) ، كاتب من الشعراء كان معاصراً لأبي تمام ، وله معه أخبار ،

وكان وجيهاً استكتبه الخلفاء ، ومدحه أبو تمام ، وهو أخو سليمان " وزير

المعتز والمهتدي " ، ولما مات رثاه البحتري / انظر ترجمته :

فوات الوفيات : ١ / ٣٦٧ - ٣٧٠ ، سبط اللائي : ١ / ٥٠٦ ، الأعلام :

٢ / ٢٢٦ .

(٤) محدود الذريعة : أراد به دعياً للشاعر ، وكان يحسد الطائي ، و" المحدود "

المحروم / اللسان " حدد " : ٣ / ١٤٣ .

وَيَتَّبِعُ نِعْمَتِي بِكَ عَيْنَ ضَمْنٍ . : كَمَا نَظَرَ الْيَتِيمَ إِلَى الْوَصِيِّ
رَجَاءً أَنَّهُ يُورِي بَزْنِي دِي . : إِلَيْكَ وَأَنْتَ يَفْرِي فَرِي (٢)

وبعد الشاهد :

أَرَى الْإِخْوَانَ مَا غَيَّبَتْ عَنْهُمْ . : يَسْقُطُ ذَلِكَ الشَّعْبَ الْقِصِيَّ
وَمَرْدُودًا صَفَاؤُهُمْ عَلَيْهِمْ . : كَمَا رَدَّ النِّكَاحُ بِلَا وَلِيٍّ (٣)

استشهد به الشيخ مثلاً على استحالة اتصال الكلم بعضها ببعض من غير توخي معاني النحو، فإن من ادعى أنه أوتي علماً قد حجب عن الناس، وأنه قد علم لا اتصال الكلم بعضها ببعض وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض معاني النحو، فإنه يسلم له بذلك إذا أصبحت العنقاء تربى بين الناس كما يربى الحمام، وإذا صح أن يكون للمخصي ولد .

قال الشيخ :

« ولولا أَنَا نُجِبُّ أَنْ لَا يَتَّبِعُ أَحَدٌ فِي مَعْنَى السُّؤَالِ وَالْإِعْتِرَاضِ بِحُجْرَتِي
إِلَّا أَرِينَاهُ الَّذِي اسْتَهْوَاهُ ، لَكَانَ تَرَكَ التَّشَاغُلَ بِإِيرَادِ هَذَا وَشِبْهِهِ أَوْلَى .
ذَلِكَ لِأَنَّا قَدْ عَلِمْنَا عِلْمَ ضَرُورَةٍ أَنَّا لَوْ بَقِينَا الدَّهْرَ الْأَطْوَلَ نَصَعْدُ وَنُصَوِّبُ ،

(١) يفري فري : أي يعمل عملي ، وأصل الفري : قطع الأديم والجلد ،

ثم استعير لفير ذلك / مختار الصحاح " فرا " : ٥٠٢ .

(٢) لم أجد البيت إلا في :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٨ .

الديوان " دار صعب " : ٣٠٧ - ٣٠٨ .

الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

(٣) انظر الأبيات في :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٥٩ .

الديوان " دار صعب " : ٣٠٨ ، الطرائف الأدبية : ٣٠٤ .

ونبحث وننقب ، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبةٍ لها ، ولفظةٍ قد انتظمت
مع أُخْتِهَا من غير أن تُوْحِي فيما بينهما معنىً من معاني النحو طلبنا مستنعماً ،
وثنينا مطايا الفكر ظُلماً ، فإن كان ههنا من يشكُّ في ذلك ، ويزعم أنه قد
علم لاتصال الكلم بعضها ببعض ، وانتظام الألفاظ بعضها مع بعض ، معانيسَ
غير معاني النحو ، فإننا نقول له : هات ، فبيِّن لنا تلك المعاني ، وأرِنَا
مكانها ، وأهدِنَا لها ، فلعلمك قد أوتيت علماً قد حُجِبَ عَنَّا ، وفتح لك باباً
قد أُغْلِقَ دوننا :

وَذَاكَ لَهُ إِذَا الْعَنْقَاءُ صَارَتْ . . مُرَبَّيَّةٌ وَشَبَّ ابْنُ الْخَصِيٍّ * (١)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٢ ، خفاجي : ٣٩٣-٣٩٤ ، شاكر : ٤٢٠ .

د - " فصل آخر في كشف شبهة أخرى للقائلين بأن الفصاحة للألفاظ "

(المتقارب)

الشاهد الواحد والستون بعد المائتين : (*)

المتنبي :

يَرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانَكُمْ . . وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي ٣٩٦-٣٩٧-٤٠٠ ، شاكر : ٤٢٣-٤٢٤-٤٢٨ .

(١) الطباع والطبيعة والطبع بمعنى واحد وهي الخليفة والسجية ، ورواية

الديوان : " يأبى " ، جاء في شرح الديوان للعكبري : " قال ابن القطاع : قد أفسد هذا البيت سائر الرواة فرووه ، وتأبى بالتاء ، وهو غلط لا يجوز قال : قال لي شيخي :

أخبرني أبو علي بن رُشدِّين ، قال : لما قرأت هذا البيت قرأته بالتاء ، فقال : لم أقل هكذا ، إلا أن الطبع والطباع والطبيعة واحد ، والطبع مصدر لا يشئ ولا يجمع والطبيعة مؤنثة ، وجمعها طبائع ، والطباع واحد مذكر ، وجمعه طبع ، ككتاب وكتب ، وليس الطباع جمعاً لطبع ، وهذا البيت من كلام الحكيم ، قال الحكيم :

نقل الطباع من رديء الأطماع شديد الامتاع * / الديوان بشرح العكبري : ٢٢ / ٣ ، والذي جاء في اللسان يبطل كلام ابن القطاع حيث جاء فيه أن الطباع جمع طبع ، وأن الطباع كالطبيعة مؤنثة ، وليس فيه ما يؤيده إلا كلام الزجاج . جاء في اللسان :

" الطبع والطبيعة : الخليفة والسجية التي جبل عليها الإنسان والطباع كالطبيعة مؤنثة ، وقال أبو القاسم الزجاجي الطباع واحد مذكر كالنحاس والنجار .

قال الأزهري : ويجمع طبع الإنسان طباعاً .

وهو ما طبع عليه من طباع الانسان في مأكله ، ومشربه وسهولة أخلاقه ، وحزونتها وعسرها ويسرها وشدته ورخاوته ويخله وسخائه والطباع واحد

طباع الإنسان . / اللسان " طبع " : ٢٣٢ / ٨ .

(٢) لم أجد فيها اطلعت عليه من مصادر إلا في : ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢٢ / ٣ ، الوساطة : ٣٢٢ ، يتيمة الدهر : ١٩٨ / ١ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٤٠ .

وهو من قصيدة قالها في سيف الدولة يمدحه ويذكر استنقازه أبا وائل تغلب
ابن داود من الأسر، ومطلعها :

إِلَّامَ طَمَاعِيَةِ الْعَانِلِ .: وَلَا رَأَى فِي الْحَسْبِ لِلْعَاقِلِ (١)
وَلِرَبِّي لَأَعْشَقَ مِنْ عَشِيْقِكُمْ .: نُحُولِي وَكُلَّ أَشْرِيءٍ تَاجِرِ
وَلَوْ زِلْمٌ ثُمَّ لَمْ أَبْكِكُمْ .: بَكَيْتُ عَلَى حُبِّي الزَّائِلِ (٢)

استشهد به الشيخ في الرد على من قال إن الفصاحة وصف للفظ من جهة
أنه يجوز أن يعبر عن المعنى الواحد بلفظين مختلفين ، ويوصف أحدهما بأنه
فصيح ، والآخر بأنه غير فصيح ، فذكر الشيخ أن الجواب عن هذا يحتل أمرين :
أن يكون المراد باللفظين كلمتين معناهما واحد في اللغة ، وهذا الأمر
خارج عن المسألة ؛ لأن الشيخ يتحدث عن فصاحة تحدث في اللفظ بعد التأليف .

الأمر الثاني : أن يراد باللفظين كلامان ، وهذا هو المراد .

ثم ذكر أن ههنا أصلاً من عرفه عرف سقوط هذا الاعتراض وهو أن المعانسي
منها ما يكون غفلاً ساذجاً عاماً موجوداً في كلام الناس ، فيأخذه الحانق العالم
بفنون التعبير ، فيصوغه في صورة بديعة ، فقول الناس : " الطبع لا يتغير " و " ولست
تستطيع أن تخرج الإنسان عما جبل عليه " معنى غفل ساذج أخذه المتنبّي فأحسن
صياغته ، وأحكم تأليفه ، فأخرجه في أبهى صورة .

قال الشيخ :

" فإن العقلاء إلى هذا قصدوا حين قالوا : " إنه يصح أن يُعبّر عن المعنى
الواحد بلفظين ، ثم يكون أحدهما فصيحاً والآخر غير فصيح " كأنهم قالوا :
إنه يصح أن تكون ههنا عبارتان أصل المعنى فيهما واحدٌ ، ثم يكون لإحدهما

(١) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢١٠ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٢٢٠ .

في تحسين ذلك المعنى وتزيينه ، وإحداث خصوصية فيه تأثير لا يكون

للأخرى * (١)

وقال أيضا :

« . . . ان سبيل المعاني سبيل أشكال الحلي ، كالخاتم والشنف والسوار ،
فكما أن من شأن هذه الأشكال أن يكون الواحد منها غفلاً سانجاً ، لم يعمل
صانعه فيه شيئاً أكثر من أن أتى بما يقع عليه اسم الخاتم إن كان خاتماً ،
والشنف إن كان شنفاً ، وأن يكون مصنوعاً بديعاً قد أغرب صانعه فيه ،
كذلك سبيل المعاني ، أن ترى الواحد منها غفلاً سانجاً عامياً موجوداً
في كلام الناس كلهم ، ثم تراه نفسه وقد عمد إليه البصير بشأن البلاغة
وإحداث الصور في المعاني ، فيصنع فيه ما يصنع الصانع الحاذق حتى
يقرب في الصنعة ، ويدق في العمل ، ويدع في الصياغة ، وشواهد ذلك
حاضرة لك كيف شئت ، وأمثله نُصّب عينيك من أين نظرت .
تنظر إلى قول الناس : « الطبع لا يتغير » و « لست تستطيع أن تخرج الإنسان
عما جبل عليه » ، فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جبل وأمة ، ثم تنظر إليه
في قول المتنبي :

يَرَانُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانَكُمْ . . . وَتَأْتِي الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فتجده قد خرج في أحسن صورة وتراه قد تحول جوهرة بعد أن كان خرزة ،

وصار أعجب شيء بعد أن لم يكن شيئاً * (٢)

الشاهد الثاني والستون بعد المائتين : (*) (السريخ)

قول أبي نواس :

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمَسْتَكْرٍ . . . أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٤-٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٦-٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٢-٤٢٣ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٢ ، ٤٢٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٥-٣٢٨ ، خفاجي : ٣٩٧-٤٠٠ ، شاكر : ٤٢٤-٤٢٨ .

(٣) سبق تخريجه : ٥٣٢

الشاهد فيه كسابقه .

فقول أبي نواس قد حصل له الحسن وفاق على قولنا : " غيرُ بديع في قدرة
الله تعالى أن يجمع فضائل الخلق كلهم في رجلٍ واحد " لمزية حصلت في معناه .
قال الشيخ :

" إن اللفظ يكون فصيحا من أجل مزية تقع في معناه لامن أجل جرسه

وَصَدَاهُ " (١)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٥ ، خفاجي : ٣٩٧ ، شاكر : ٤٢٤ .

هـ - " دلالة مراتب التشبيه على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني "

الشاهد الثالث والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

أَنَّ أَرَعَشْتَ كَمَا أَبِيكَ وَأَصْبَحْتَ . . . يَدَاكَ يَدَي لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهُ (٢)

والبيت أوردته الشيخ من غير عزو، وهو للفردق من أبيات قالها في ابنه لبطة،

وكان من عق أباه (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكرو : ٤٢٥ .

(١) رواية الحماسة لأبي تمام - ت : عسيلان - : " أَرَعَشْتَ " بالبناء للمجهول .

(٢) رواية حماسة أبي تمام : " فَإِنَّكَ ضَارِبُهُ "

ورواية الديوان والأغاني " فَإِنَّكَ جَانِبُهُ "

ورواية " العققة والبررة " : " فَإِنَّكَ حَارِبُهُ "

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان : ١٠٥ ، الحماسة - لأبي تمام - " عسيلان " : ١٦٦ / ٢ رقم

الشاهد (٦٠٩) ، العققة والبررة - ضمن نوادر المخطوطات - : ٣٥٦ / ٢ ،

الأغاني : ٢١ / ٣٢٧ .

(٤) نسب البيت في حماسة أبي تمام لفرعان بن الأعراف في ابنه منازل ، وكذلك

ذكر أبو عبيدة في كتابه العققة والبررة بعض أبيات القصيدة دون ذكر

بيت الشاهد ونسبها - أيضا - لفرعان .

جاء في كتاب العققة والبررة (ص ٣٦٠) أن فرعان قد تزوج على أم منازل

- وهو ابنه - امرأة شابة ، فغضب منازل لأمه فاستاق ماله من أبيه واعتزل

مع أمه ، وقال فرعان هذه الأبيات /

وذكر أبو عبيدة في موضع آخر من كتابه أنها للفردق قال :

" ومن عق أباه لبطة بن الفردق ، وكان يطيع امرأته ، وكانت تحرشه عليه ،

فقال الفردق . . . الأبيات " / ٣٥٦ / ٢ .

وذكر الأستاذ عبد السلام هارون أنها تنسب لفرعان أو للفردق أو للبطنة

ابن الفردق ، ويبدو لي أن البيت أصلاً لفرعان أخذته الفردق ، وكان كثيراً

ما يغير على أشعار الشعراء ، وكان يقول : ضوأل الشعر أحب إلي من ضوأل الإبل

وفرعان هو ابن الأعراف أحد بني مرة بن عبيدة بن الحارث بن عمرو =====

وهو أول الأبيات وبعده :

إِذَا غَلَبَ ابْنُ الشَّابِّ أَبَالَهٗ ^(٢) . . . كَيْبَرًا فَإِنَّ اللَّهَ لَا بُدَّ غَالِبُهُ
رَأَيْتُ تَبَاشِيرَ الْعُقُوقِ هِيَ الَّتِي ^(٣) . . . مِنْ ابْنِ امْرِئٍ مَا إِنْ يَزَالُ يُعَاثِبُهُ
وَلَمَّا رَأَيْتُ قَدْ كَبِرْتُ وَأَنْنِي ^(٤) . . . أَخُو الْحَيِّ وَاسْتَفَنِي عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
أَصَاحَ لِغُرَبَانِ النَّعِيِّ وَإِنِّي ^(٤) . . . لِأَزُورُ عَنْ بَعْضِ الْمَقَالَةِ جَانِبُهُ

====
ابن مقاعس بن كعب بن سعد شاعر مخضرم ، وله ابن اسمه منازل كان قد
عقّه في الجاهلية ، ولوى يده ، فدعا عليه فلوى يده ، ويعد منازل في الصحابة
التقى به عمر بن الخطاب وسأله عن التواء يده فذكر له ما حدث ، فقال عمر :
الله أكبر هذا دعاء آبائكم في الجاهلية ، فكيف في الإسلام ؟ / انظر ترجمته :
العققة والبررة : ٣٦٠-٣٦٢ ، المؤتلف : ٥١ ، معجم الشعراء : ٣١٦ ،
الإصابة : ٤٧٧/٣ ، " ضمن ترجمة ابنه منازل " .

هذا على رواية الديوان أما رواية الحماسة " وهي منسوبة لفرعان " فإن
أول الأبيات :

جَزَتْ رَجْمٌ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنَازِلٍ . . . جَزَاءً كَمَا يَسْتَنْزِلُ الدِّينَ طَائِبُهُ
وقبل الشاهد :

وَكَانَ لَهُ عِنْدِي إِذَا جَاعَ أَوْ بَكَى . . . عَلَى الزَّادِ أَحْلَى زَارِنَا وَأَطْيَبُهُ
وَرَبِيَّتُهُ حَتَّى إِذَا مَا تَرَكْتُسُهُ . . . أَخَا الْقَوْمِ وَاسْتَفَنِي عَنِ الْمَسْحِ شَارِبُهُ
وبعدهما الشاهد وبعده :

وَجَمَعْتُهُمَا دُهْمًا جِلَادًا كَأَنَّهِنَّ . . . أَشَاءَ نَخِيلٍ لَمْ تَقَطَّعْ جَوَانِبُهُ
فَأَخْرَجَنِي مِنْهَا سَلِيبيًا كَأَنَّي . . . حُسَامٌ يَمَانٍ فَارَقْتَهُ مُضَارِبُهُ /
الحماسة : ١٦٦/٢ ،

رواية الأغاني : " إِذَا غَالَبَ " . (٢)

رواية " العققة والبررة " : " يغالبه " . (٣)

رواية " العققة والبررة " " لعريان النجى " يقال فلان عريان النجى :

إذا كان يناجي امرأته ويشاورها ويصدر عن رأيها ، وهذه الرواية أشبه بالقصة .

ورواية الأغاني : " لغربان النجى " .

وغربان النجى : قرناء السوء .

استشهد به على أن التشبيه أبين وأوضح شيء في الكشف عن شبهة
من قال أن المزية للفظ لا للمعنى .

فقول الفرزدق حصلت له المزية ووجب له الحسن ؛ لأنه أراد أن يثبت لابنه
قوة الليث فبالغ في وصفه بأن حذف الأداة ووجه الشبه ، وجعل يديه هي يدي
الليث بعينه . قال الشيخ :

” واعلم أنه ليس شيء أبين وأوضح وأحرى أن يكشف الشبهة عن متأمله
في صحة ما قلناه من ” التشبيه ” ، فإنك تقول : ” زيد كالأسد ” أو ” مثل
الأسد ” أو ” شبيه بالأسد ” فتجد ذلك كله تشبيهاً غفلاً ساذجاً ثم
تقول : ” كأن زيدا الأسد ” ، فيكون تشبيهاً أيضاً ، إلا أنك ترى بينه وبين
الأول بوناً بعيداً ؛ لأنك ترى له صورة خاصة ، وتجدك قد فحمت المعنى ،
وزدت فيه ، بأن أفدت أنه من الشجاعة ، وشدة البطش ، وأن قلبه قلب
لا يخامر الذعر ، ولا يدخل الروع ، بحيث يتوهم أنه الأسد بعينه ، ثم تقول :
” لئن لقيته ليلقيناك منه الأسد ” فتجده قد أعاد هذه المبالغة ، ولكن
في صورة أحسن ، وصفة أخص ، وذلك أنك تجعله في ” كأن ” يتوهم
أنه الأسد ، وتجعله ههنا يرى منه الأسد على القطع ، فيخرج الأمر عن حد
التوهم إلى حد اليقين ثم إن نظرت إلى قوله :

أَنَّ أَرَعِشْتَ كَمَا أَيْبِكَ وَأَصْبَحْتَ . . . يَدَاكَ يَدِي لَيْثٍ فَإِنَّكَ غَالِبُهُ

وجدته قد بدا لك في صورة آتق وأحسن (١)

(البسيط)

الشاهد الرابع الستون بعد المائتين : (*)

قول أوطاة بن سمية :

إِنَّ تَلْقَنِي لَا تَرَى غَيْرِي بِنَاطِرَةٍ . . . تَنْسُ السَّلَاحَ وَتَعْرِفُ جِبْهَةَ الْأَسَدِ (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاکر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٤٢٥ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاکر : ٣٢٦ .

(٢) سبق تخريجه : ٥٧٩ .

استشهد به الشيخ على أنه كلما ارتقينا في درجات التشبيه كلما ازدادت الصورة حسناً ورونقاً ، وفي هذا دليل على أن الفصاحة والبلاغة للمعاني ، وما ذاك إلا أنه قد فُحِّم المعنى ، وبُولِغ فيه ، فبيت الشاهد ازداد حسناً عن الشاهد السابق ؛ لأنه بولغ فيه في التشبيه ، فحذف المشبه وبقي المشبه به ، فَجَعَلَ نفسه الأسس بعينه على القطع لا على التوهم . قال الشيخ :

” ثم إن نظرت إلى قول أرطاة بن سهية : - - - - -

وجدته قد فَضَّل الجميع ، ورأيته قد أُخْرِج في صورة غير تلك الصُّور كُلِّها * (١)
ويظهر من كلام الشيخ أنه ربط بين التشبيه والاستعارة ربطاً محكماً ، وجعل التشبيه كالأصل في الاستعارة ، وأن حسنهما يتوقف على قدر إخفاء التشبيه .
فالأستعارة عنده تشبيه بولغ فيه .

و . - فصاحة الكناية :

الشاهد الخامس والستون بعد المائتين : (*) (المنسرح)

بيت ابن هرسة :

” وَلَا أَبْتَعُ إِلَّا قَرِيْبَةَ الْأَجَلِ * (٢)

استشهد به في الرد على من قال :

” إن التفسير يجب أن يكون كالمفسر ” أي أنه لا يجوز أن يكون للفظ المُفسَّر فضل من حيث المعنى على لفظ التفسير فرد عليهم الشيخ ببيت الشاهد وأنسه محال أن يكون المعنى في قول الشاعر :

” وَلَا أَبْتَعُ إِلَّا قَرِيْبَةَ الْأَجَلِ *

كحال من قال : (أنا مضياف ” ، فإن من شأن المعاني أن تختلف بهما

الصور . قال الشيخ :

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٦ ، خفاجي : ٣٩٨ ، شاكر : ٤٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٢٧-٣٣١ ، خفاجي : ٣٩٩-٤٠٢ ، شاكر : ٤٢٧-٤٣١ .

(٢) مضي : ص ٦٥٨

" اعلم أن قولهم : " إن التفسير يجب أن يكون كالمفسر " دعوى لا تصح لهم إلا من بعد أن ينكروا الذي بيناه من أن من شأن المعاني أن تختلف بها الصور، ويدفعوه أصلاً، وحتى يدعوا أنه لا فرق بين " الكناية " و " التصريح " وأن حال المعنى مع " الاستعارة " كحاله مع ترك الاستعارة ، وحتى يبطلوا ما أطبق عليه العقلاء من أن " المجاز " يكون أبداً أبلغ من الحقيقة ، فيزعموا أن قولنا : " طويل النجاد " و " طويل القامة " واحد ، وأن حال المعنى في بيت ابن هرمة :

✧ وَلَا أَبْتَسَّاعَ إِلَّا قَرِيْبَةَ الْأَجَلِ ✧

كحاله في قولك : أنا مضيافٌ (١)

واستشهد به بعد ذلك على أن حقيقة الكناية أنها إثباتٌ لمعنى من طريق

المعقول دون طريق اللفظ . (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٢٧ ، خفاجي : ٣٩٩ ، شاکر : ٤٢٦-٤٢٧ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣١ ، خفاجي : ٤٠٢ ، شاکر : ٤٣١ .

ز - فصاحة الاستعارة :

الشاهد السادس والستون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

قول المتنبي :

نَحْنُ رُكْبٌ يُلَجِّنُ فِي زِيِّ نَاسٍ . : فَوْقَ طَيْرِ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الرحمن بن المبارك الأنطاكي (٤) ومطلعها :

صَلَةُ الْهَجْرِي وَهَجْرُ الْوَصَالِ . : تَكْسَانِي فِي السَّقْمِ (٥) تَكْسُ الْهَيْلَالِ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكر : ٤٣٤ .

(١) رواية سر الفصاحة والمفتاح والإيضاح وشرح أبيات الإيضاح :

” نَحْنُ قَوْمٌ ” .

ورواية ” مواهب الفتح ” : ” نَحْنُ جِنَّ بَرُّونَ فِي زِيِّ نَاسٍ ”

(٢) يريد ” مِنَ الْجِنَّ ” فحذف النون .

(٣) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ١٩٤ ، العسرف

الطيب : ٤ / ٣٣٨ ، الخصائص : ٣٠٢ ، الوساطة : ٢٨٤ ، الإبانة

عن سرقات المتنبي : ١١٤ ، سر الفصاحة : ١٠٦ ، المفتاح : ١٥٨ ،

الإيضاح : ٢ / ٤١٦ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة الأزهرية - : رقم

الشاهد (٣٥٢) ، شروح الطخيم ” مواهب الفتح ” : ٤ / ٦٦ ، عروس

الأفراح ” : ٤ / ٦٢ .

(٤) لم أفق له على ترجمة بعد .

(٥) السَّقْمُ وَالسَّقَمُ : المرض وهما لغتان فصيحتان / الصحاح ” سقم ” : ٥ / ١٩٤٩

(٦) تَكَسَّتْ الشَّيْءَ أَنْكَسَهُ تَكْسًا : قلبته على رأسه فانتكس ، وَتَكَسَّتْهُ تَتَكَيْسًا ،

والتكس ” بالضم ” : عَوَدَ الْمَرِيضُ بَعْدَ النَّقْمِ ، وَالتَّكْسُ بِضَمِّ النُّونِ ” ،

الاسم ” وفتحها ” : المصدر والمعنى : كنت صحيح الجسم كامل

الخلق ، فنكسني وصل الهجر ، وبعد الوصال إلى أن أعادني إلى السقم ،

كما يعاد الهلال إلى المحاق بعد تمامه . / الصحاح ” تكس ” : ٣ / ٩٨٦ ،

لسان العرب ” تكس ” : ٦ / ٢٤٣ ، شرح العكبري للديوان : ٣ / ١٩١ .

وقبل الشاهد :

وَلِحَتْفٍ فِي الْعِزِّ يَدْنُو مَحْسَبٍ . . . وَلِعَمْرٍ يَطُولُ فِي الذَّلِّ قَالِي (١)

وبعد الشاهد وبعده :

مِنْ بَنَاتِ الْجَدِيلِ تَشِي بِنَافِي الْبَيْدِ (م) . . . مَشَى الْأَيَّامِ فِي الْأَجَالِ (٢)

استشهد به الشيخ على أن الاستعارة ليست نقل اسم عن شيء إلى شيء ، ولكنها ادعاء معنى الاسم لشيء ، فالاستعارة إما أن تنفي عن المشبه اسم جنسه ، فتقول : ليس هو آدمياً وإنما هو ملك .

أو هو عدم إرادة إخراج الشيء عن جنسه جملة فتقول هو ملك في صورة آدمي ، وعلى القول الأخير خرج قول المتنبي ، فبالغ وأدعى أن ركه ركب من الجن في صدور الأمور العجيبة منهم قد تزويوا بزوي الناس ، وأدعى أن جمالهم تخيل للناظر فسي سرعتها أنها طير على الحقيقة ، لكنها في شكل الجمال ، قال الشيخ :

" واعلم أن العقلاء بنوا كلامهم ، إذ أقاسوا وشبهوا ، على أن الأشياء تستحق

الأسامي لخواص معانٍ هي فيها دون ما عداها ، فإذا أثبتوا خاصة شيء لشيء ،

أثبتوا له اسمه ، فإذا جعلوا " الرجل " بحيث لا تنقص شجاعته عن شجاعة الأسد ،

ولا يعدم منها شيئاً قالوا : " هو أسد " ، وإذا وصفوه بالتناهي في الخير

والخصال الشريفة ، أو بالحسن الذي يتهم قالوا : " هو ملك " وإذا وصفوا

الشيء بغاية الطيب قالوا : " هو مسك " وكذلك الحكم أبداً . ثم إنهم

إذا استقصوا في ذلك نفوا عن المشبه اسم جنسه فقالوا : " ليس هو بإنسان ،

وإنما هو أسد " و " ليس هو آدمياً وإنما هو ملك " كما قال الله تعالى :

" مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ " (٣) ثم إن لم يريدوا أن يخرجوه عن

جنسه جملة قالوا : " هو أسد في صورة إنسان " و " هو ملك في صورة آدمي "

(١) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ١٩٣ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ١٩٤ .

(٣) يوسف : ٣١ .

وقد خرج هذا للمتنبى في أحسن عبارة وذلك في قوله :

البيت * (١)

ولينا لجأ المتنبى لهذه الطريقة من أجل المبالغة في المعنى . قال ابن جنبي في " باب من غلبة الفروع على الأصول " :

" هذا فصل من فصول العربية طريف تجده في معاني العرب ، كما تجده في معاني الإعراب ، ولا تكاد تجد شيئاً من ذلك إلا والغرض فيه المبالغة . . . وآخر من جاء به شاعرنا فقال :

نَحْنُ رَكْبٌ مَلْجِنٌ فِي زِيِّ نَاسٍ . . . فَوْقَ طَيْرٍ لَهَا شُخُوصُ الْجَمَالِ
فجعل كونهم جنأ أصلاً ، وجعل كونهم ناساً فرعاً ، وجعل كون مطاياها طيراً أصلاً ، وكونها جمالاً فرعاً فشبّه الحقيقة بالمجاز في المعنى الذي منه أفاد المجاز من الحقيقة ما أفاد * (٢)

وذكر ابن سنان الخفاجي أن ابن جنبي قد حمل البيت على الكلام المقطوب ، وهذا يُفسد المعنى وذكر أنه جعل تقديره نحن ركبٌ من الإنس في زي الجن فوق جمال لها شخوص طير وطلق على ذلك بقوله :

" وهذا عندي تعسف من أبي الفتح لا تقود إليه ضرورة ، ومراد أبي الطيب المبالغة على حسب ما جرت به عادة الشعراء ، فيقول : نَحْنُ قَوْمٌ مِنَ الْجِنِّ لَجُوبِنَا الْفَلَاةَ وَالْمَهَامَةَ وَالْقَفَارَ الَّتِي لَا تَسْلُكُ وَقَلَّةَ قَرَقْنَا فِيهَا ، إِلَّا أَنْسَا فِي زِيِّ الْإِنْسِ ، وَهَمَّ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَذَلِكَ ، وَنَحْنُ فَوْقَ طَيْرٍ مِنْ سُرْعَةِ إِبْلَانَا ، إِلَّا أَنْ شَخُوصَهَا شَخُوصُ الْجَمَالِ ، وَلَا شَكَّ أَيْضاً فِي ذَلِكَ (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٢-٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٤ ، شاكر : ٤٣٣-٤٣٤ .

(٢) الخصائص : ٣٠١-٣٠٢-٣٠٣ .

(٣) القرق : الجماعة / اللسان " قرق " : ١٠ / ٣٢٢ .

(٤) سر الفصاحة : ١٠٦ .

ولقد ذكرت آنفا رأي ابن جني في البيت ، وأنه بناء على المبالغة ، وجعل كونهم جنّاً أصلاً ، فهو على خلاف ما أورده ابن سنان عن ابن جني .
وفي البيت لطيفة بلاغية أحببت الإشارة إليها وهي الحذف في قوله
" ملجن " ، فيبدو لي أن سر الحذف هنا يرجع إلى أن الشاعر يتحدث عن موقف غريب ، وهو كونهم جنّاً ، فالحذف هنا يزيد من غرابة الموقف ، ويضفي عليه نوعاً من الغموض ، أو لأن الشاعر تحدث عن وجه كونهم جنّاً ، وهو سرعة صدور الأفعال منهم ، فَحَذَفَ النون يرمز إلى تلك السرعة .

الشاهد السابع الستون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد :
(١)

وَعَدَاةِ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِصْرَةَ . . . إِذْ أَصْبَحَتْ يَدِ الشَّمَالِ زِمَامَهَا (٤)
(٢) (٣)

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاکر : ٤٣٧ .
(١) وقد أعاد الشيخ الاستشهاد بالبيت على نفس الموضع ، انظر الدلائل :
رضا : ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاکر : ٤٦٠ ، ٤٦١ .
(٢) رواية الديوان والعمدة : " قد وزعت " .
ورواية البديع لابن المعتز ، والدلائل تحقيق خفاجي ، شاکر ، ورواية الإيضاح وشرح أبيات الإيضاح : " قد كشفت " .
(٣) جعل الشيخ عبد القاهر ، الضمير هنا ، والضمير في أصبحت عائداً إلى " الغداة " ، وجعله الزمخشري عائداً للقرة .
ورأى الخطيب القزويني أن ما ذهب إليه الزمخشري أظهر .
ويبدو أن قول الزمخشري هو الأفضل كما قال الخطيب لأن المراد أن القرة ، وهي البرد الشديد ، قد عم جميع النواحي والجهات حتى كأنها بعسير زمامه في يد ريح الشمال ، فهي تذهب بها في نواحيها المختطفة .
(٤) انظر البيت في : شعر لبيد بن ربيعة : ٤٣ ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري : ٢٢٨ ، البديع لابن المعتز : ١١ ، رسائل ابن المعتز : ١٠ ، الوساطة ٣٤ ، بديع القرآن : ١٨ ، الموازنة - ت : محي الدين عبد الحميد - : ١٨ ، العمدة : =====

وهو من قصيدة . مطلعها :

عَقَّتِ الدِّيَارَ مَحَلَّهَا فَمَقَامَهَا .: (١) يَعْنِي تَأَبَّدَ غَوْلَهَا فَرَجَامَهَا (٢)

وقبل الشاهد :

بَاكَرْتُ حَاجَتَهَا الدَّجَاجَ بِسُحْرَةٍ .: لِأَعْلَى مِنْهَا حِينَ هَبَّ نِيَامُهُ

وبعد الشاهد وبعده :

يَصْبُوحُ صَافِيَةً وَجَذِبَ كَرِينَةَ (٣) .: بِمَوْتَرٍ تَأْتَلُهُ (٤) إِبْتِهَامُهُ (٥)

=== ٢٦٩، الصناعتين ، ٣١٤، الإيضاح : ٤٤٤/٢ ، شرح أبيات الإيضاح - النسخة

الأزهرية - الشاهد رقم (٣٩٢) ، شرح الطخيس : "عروس الأفراح" : ١٥٤/٤

عقود الدرر : ٥١ ب .

(١) منى : هو جبل أحمر عظيم ، ليس بالحصى جبل أطول منه ، وهو يشرف

على ما حوله من الجبال ، وفي أصله ماء لبني زبآن في أرض غنبي ، ومنى عن

يسار طريق أهل البصرة إلى مكة للمصعد . / معجم ما استعجم : ٨٧٧/٢/٢

غول : جبل داخل الحمى في غربي جبل حليت ، وله هضبات خمس يدعى

هضبات غول . / معجم ما استعجم : ٨٧٦ / ٢ / ٢ .

(٢) الرّجّام : جبل آخر مستطيل في الأرض بناحية طخفة ليس بينه وبينها

إلا طريق يدعى العرّج وهو طريق أهل أضاح إلى ضرية ، وبين الرّجّام

وضرية ثلاثة عشر ميلاً ونحوها ، وفي أصل الرّجّام ماء عذب لبني جعفر /

معجم ما استعجم : ٨٧٧ / ٢ / ٢ .

(٣) الكرينة : المغنية الضاربة بالعود أو الصنج . / التاج " كرن "

٠٣٢٠ / ٩

(٤) يموتّر : أي بعود ذي أوتار / معجم مقاييس اللغة " وتر " :

٠٨٣ / ٦

(٥) تأتله : تصلحه . / اللسان " أتل " : ٩ / ١١ .

استشهد به الشيخ على أن القول بأن الاستعارة هي : " تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل " فتكون بذلك صفة للفظ - تعريف غير جامع ، لأن هناك نوعاً من الاستعارة لا ينطبق عليه هذا التعريف لأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة . وعلى ذلك يسقط القول بأن الاستعارة صفة للفظ قال الشيخ :

" واعلم أنه قد كثر في كلام الناس استعمال لفظ " النقل " في " الاستعارة " ، فمن ذلك قولهم : " إنَّ الاستعارة تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل "

وقال القاضي أبو الحسن : " الاستعارة ما اكتفي منه بالاسم المستعار عن الأصلي ، وتُقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها " (١) (٢)

فرد الشيخ على ذلك ببيت الشاهد ، وأنه لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة - فلانستطيع أن نزع أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء ، إلى شيء ، وذلك لأنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، فنزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإنما المعنى المراد هو إثبات أن الشمال في تصريفها " الغداة " على طبيعتها شبه الإنسان قد أخذ يقرب الأمور ، ويصرفها بيديه كيف شاء ، فلما أثبت لها فعل الإنسان باليد استعار لها " اليد " .

قال الشيخ :

" واعلم أن في " الاستعارة " ما لا يتصور تقدير النقل فيه ألبتة وذلك مثل قول لبيد :

وَعَدَاةٍ رِيحٍ ...

لا خلاف في أن " اليد " استعارة ، ثم إنك لا تستطيع أن تزعم أن لفظ " اليد " قد نقل عن شيء ، إلى شيء . وذلك أنه ليس المعنى على أنه شبه شيئاً باليد ، فيمكنك أن تزعم أنه نقل لفظ " اليد " إليه ، وإنما المعنى على أنه أراد أن يثبت

(١) الوساطة : ٤١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٣ ، خفاجي : ٤٠٥ ، شاكر : ٤٣٤ .

للشمال في تصريفها " الغداة " على طبيعتها ، شبه الإنسان قد أخذ الشيء ، بيده يقلبه ويصرفه كيف يريد ، فلما أثبت لها مثل فعل الإنسان باليد ، استعمار لها " اليد " وكما لا يمكنك تقدير " النقل " في لفظ " اليد " كذلك لا يمكنك أن تجعل الاستعارة فيه من صفة اللفظ . ألا ترى أنه محال أن تقول : إنه استعمار لفظ " اليد " للشمال ؟ وكذلك سبيل نظائره ، ما تجد هم قد أثبتوا فيه للشيء عضوًا من أعضاء الإنسان . من أجل إثباتهم له المعنى الذي يكون في ذلك العضو من الإنسان . . . (١)

وهكذا يثبت الشيخ أن الاستعارة ليست نقل الاسم عن الشيء ، إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء ، وأن ما قالوه من أنها نقل للعبارة عما وضعت له كلام قد تسامحوا فيه ، قال الشيخ :

" . . . فقد تبين من غير وجه أن " الاستعارة " إنما هي ادعاء معنى الاسم للشيء . لا نقل الاسم عن الشيء . ولذا ثبت أنها ادعاء معنى الاسم للشيء ، علمت أن الذي قالوه من " أنها تعليق للعبارة على غير ما وضعت له في اللغة ، ونقل لها عما وضعت له " كلام قد تسامحوا فيه ، لأنه إذا كانت " الاستعارة " ادعاء معنى الاسم ، لم يكن الاسم مزالًا عما وضعت له . بل مقرأً عليه " (٢)

واستشهد الشيخ بالببيت في أسرار البلاغة على الاستعارة المفيدة مبيّنًا صورة هذه الاستعارة ، وأنها قائمة على التخيل والوهم والتقدير في النفس ، فعنده أن الاستعارة المفيدة إما أن تكون اسمًا أو فعلًا ، فإذا كانت اسمًا فإنه يقع مستعارًا على قسمين :-

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٤ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاکر : ٤٣٥ - ٤٣٦ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاکر : ٤٣٧ .

الأول : أن تنقله عن مسماه الأصلي إلى شيء آخر ثابت معلوم فتجربيه عليه ،
وتجعله متناولاً له تناول الصفة مثلاً للموصوف ، وذلك قولك " رأيت أسداً "
وأنت تعني رجلاً شجاعاً .

الثاني : أن يؤخذ الاسم عن حقيقته ، ويوضع موضعاً لا يبين فيه شيء ، يشار إليه ،
فيقال هذا هو المراد بالاسم ، والذي استعير له ، وجعل خليفة لاسمه
الأصلي ونائباً منابه .

وجاء بالبيت شاهداً على هذا القسم ، فقد جعل للشمال يداً ومن العلوم أن
ليس هناك مشار إليه يمكن أن تجرى اليد عليه (١) ، ثم قال :

" بل ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على
حكم طبيعتها كالمُدبّر المصرف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه ، وذلك كله
لا يتعدى التخيل والوهم والتقدير في النفس من غير أن يكون هناك شيء ،
يُحَسُّ ، وذات تتحصل ، ولا سبيل لك إلى أن تقول : كُنْ باليد عن كذا ، وأراد
باليد هذا الشيء ، أو جعل الشيء الغلاني يداً كما تقول : كُنْ بالأسد عن زيد
وعنى به زيداً ، وجعل زيداً أسداً ، وإنما غايتك التي لا تُطَّلَع وراءها أن تقول :
أراد أن يثبت للشمال في الغداة تصرفاً كتصرف الإنسان في الشيء ، يقلبُه
فاستعار لها اليد حتى يبلغ في تحقيق الشبه ، وحكم الزمام في استعارته
للغداة حكم اليد في استعارتها للشمال إذ ليس هناك مشار إليه يكون
الزمام كناية عنه ، ولكنه وفي المبالغة شرطها من الطرفين فجعل على الغداة
زماماً ، ليكون أتم في إثباتها مصرفة كما جعل للشمال يداً ليكون أبلغ فسي
تصيرها مصرفة " . (٢)

(١) أسرار البلاغة - هـ - ريتير - : ٤٢ - ٤٣ .

(٢) أسرار البلاغة - هـ . ريتير - : ٤٣ - ٤٤ .

فالشَّيْخُ عَبْدِ الْقَاهِرِ يَرَى أَنَّ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ اسْتِعَارَةَ وَاحِدَةً حَصَلَتْ لِامْنِ التَّشْبِيهِ ذَاتَهُ ، لِأَنَّهُ لَمْ يَمْنَعْ لَأَنَّ تَقُولَ : " إِنَّهُ أَصْبَحَ شَيْءٌ مِثْلَ الْيَدِ لِلشَّمَالِ " .
 إِنَّمَا حَصَلَتْ الِاسْتِعَارَةُ مِنْ إِضَافَةِ الْيَدِ لِلشَّمَالِ .
 فَالشَّاعِرُ جَعَلَ الشَّمَالَ كَذِي الْيَدِ مِنَ الْأَحْيَاءِ ، وَلَمْ يَرِدْ أَنْ يَجْعَلَ شَيْئاً كَالْيَدِ ،
 أَمَا دَوْرُ التَّشْبِيهِ هُنَا فَإِنَّهُ وَقَعَ كَالْمُنَاسِبَةِ الَّتِي يَعْتَمِدُ عَلَيْهَا الْخِيَالُ فِي إِثْبَاتِ
 الِاسْتِعَارَةِ . قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ مُلْخَصاً رَأْيَ الشَّيْخِ :-

" وَأَمَّا الثَّانِي " فَعِنْدَمَا تَكُونُ جِهَةٌ الِاشْتِرَاكِ وَصَفًا إِنَّمَا يَثْبُتُ كَمَا لَهُ فِى السِّي
 الْمُسْتَعَارِ مِنْهُ بِوَسْطَةِ شَيْءٍ آخَرَ فَيَثْبُتُ ذَلِكَ الشَّيْءُ لِلْمُسْتَعَارِ مِبَالِغَةً فِى
 إِثْبَاتِ ذَلِكَ الْمَشْتَرِكِ (١) .

أَمَا رَأْيُ الشَّيْخِ بِالتَّفْصِيلِ فَهُوَ :

" وَيُفْصَلُ بَيْنَ الْقَسْمَيْنِ أَنْكَ إِذَا رَجَعْتَ فِي الْقِسْمِ الْأَوَّلِ إِلَى التَّشْبِيهِ الَّذِي
 هُوَ الْمَغْزَى مِنْ كُلِّ اسْتِعَارَةٍ تَفِيدُ وَجَدْتَهُ يَأْتِيكَ عَفْوَاً ، كَقَوْلِكَ فِي " رَأَيْتُ
 أَسْداً " رَأَيْتُ رَجُلًا كَالْأَسَدِ " أَوْ " رَأَيْتُ مِثْلَ الْأَسَدِ " أَوْ " شَبِيهًا بِالْأَسَدِ " ،
 وَإِنْ رَمْتَهُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي ، وَجَدْتَهُ لَا يَأْتِيكَ تِلْكَ الْمَوَاقِفُ إِذْ لَا وَجْهَ لَأَنَّ تَقُولَ :
 " إِنَّهُ أَصْبَحَ شَيْءٌ مِثْلَ الْيَدِ لِلشَّمَالِ " ، أَوْ " حَصَلَ شَبِيهٌ بِالْيَدِ لِلشَّمَالِ " ،
 وَإِنَّمَا يَتَرَاءَى لَكَ التَّشْبِيهِ بَعْدَ أَنْ تَخْرُقَ إِلَيْهِ سِتْرًا ، وَتَعْمَلُ تَأْمَلًا وَفِكْرًا ، وَبَعْدَ
 أَنْ تَغَيِّرَ الطَّرِيقَةَ ، وَتَخْرُجَ عَنِ الْحَدِّ الْأَوَّلِ كَقَوْلِكَ : " إِنَّهُ أَصْبَحَتْ الشَّمَالُ ،
 وَلِهَا فِي قُوَّةِ تَأْثِيرِهَا فِي الْغَدَاةِ شَبَهُ الْمَالِكِ تَصْرِيفِ الشَّيْءِ بِيَدِهِ ، وَإِجْرَاءَهُ
 عَلَى مَوَافِقَتِهِ ، وَجَدْبَتِهِ نَحْوَ الْجِهَةِ الَّتِي تَقْتَضِيهَا طَبِيعَتُهُ ، وَتَنْحُوها إِذَا رَادَتْهُ " .
 فَأَنْتَ كَمَا تَرَى تَجِدُ الشَّبَهَ الْمُنْتَرِعَ هَهُنَا - إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الْحَقِيقَةِ وَوَضَعْتَ
 الْأَسْمَ الْمُسْتَعَارِ فِي مَوْضِعِهِ الْأَصْلِيِّ - لَا يَلِيقُكَ مِنَ الْمُسْتَعَارِ نَفْسَهُ بَلْ مَا يُضَافُ
 إِلَيْهِ ، أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ أَنْ تَجْعَلَ الشَّمَالَ كَالْيَدِ وَمَشْبَهَةً بِالْيَدِ كَمَا جَعَلْتَ

الرجل كالأسد ، ومشبهاً بالأسد ، ولكنك أردت أن تجعل الشمال كذي اليد من الأحياء ، فأنت تجعل في هذا الضرب المستعار له - وهو نحو الشمال ذا شيء ، وغرضك أن تثبت له الحكم من يكون له ذلك الشيء في فعل أو غيره لانفس ذلك الشيء فاعرفه * (١)

والملاحظ أن الشيخ لم يصرح بمطرح الاستعارة التخيلية ، وإنما يفهم من قوله : * ليس أكثر من أن تخيل إلى نفسك أن الشمال في تصريف الغداة على حكم طبيعتها كالتدبير المصروف لما زمامه بيده ، ومقادته في كفه ، وذلك كله لا يتعدى التخيل والوهم * (٢)

وكذلك لم يصرح الشيخ بالاستعارة المكنية ، وإن كان الذين جاءوا بعده استضاءوا بكلامه عند تقسيم الاستعارة إلى تصريحية ومكنية ، وقد مهد لذلك الفخر الرازي ، وإن لم يذكر الاصطلاحين . قال :

* اعلم أن الاستعارة تارة تعتمد نفس التشبيه وتارة لوازمه * فالأول * : ما إذا اشترك شيئان في وصف وأحدهما أنقص من الآخر ، فيعطى الناقص اسم الزائد مبالغة في تحقيق ذلك الوصف له كقولك رأيت أسداً ، وأنت تعني رجلاً شجاعاً وعت لنا ظبية ، وأنت تريد امرأة * وأما الثاني * فعندما تكون جهة الاشتراك وصفاً وإنما يثبت كماله في المستعار منه بواسطة شيء ، آخر ، فيثبت ذلك الشيء ، للمستعار له مبالغة في إثبات ذلك المشترك كقوله :
وَعْدَاةٍ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقِرَّةً . . . قَدْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمَامُهَا * (٣)

ولقد استشهد الخطيب القزويني بالببيت في الإيضاح . وكان موافقاً للشيخ في أن إثبات اليد للشمال تخيلية والظاهر أنه ناقل * عنه قال الخطيب :

(١) الأسرار هـ . ريت : ٤٤ - ٤٥ .

(٢) المصدر السابق : ٤٤ .

(٣) نهاية الإيجاز : ٩٤ - ٩٥ .

" قد يُضمر التشبيه في النفس ، فلا يصح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه ، ويُدلُّ عليه بأن يثبت للمشبه أمرٌ مختص بالمشبه به ، من غير أن يكون هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً أُجرى عليه اسم ذلك الأمر فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها ، وإثبات ذلك الأمر للمشبه استعارة تخيلية والعلم في ذلك قول لبيد :

وَقَدَاوِ رِيحٍ . . .

فإنه جعل للشمال يداً ، ومعلوم أنه ليس هناك أمرٌ ثابت حساً أو عقلاً تجري اليد عليه ، كإجراء الأسد على الرجل الشجاع ، . . . ولكن لما شبه الشمال - لتصرفها القرة على حكم طبيعتها في التصريف - بالإنسان المصروف لما زامه بيده ، أثبت لها يداً على سبيل التخييل ، مبالغة في تشبيهها به ، وحكم الزمام في استعارته للقرة - حكم اليد في استعارتها للشمال ، فجعل للقرة زماماً ؛ ليكون أتم في إثباتها مشرفةً ، كما جعل للشمال يداً ؛ ليكون أبلغ في تصيرها مصرفةً ، قوفى المبالغة حقها من الطرفين" (١)

وقد ذهب السكاكي إلى خلاف ما ذهب إليه الشيخ ، فالاستعارة التخيلية عنده هي اللفظ المستعمل في صورة وهمية اخترعها الخيال لتلائم لازم المشبه به ، فاليد في قول لبيد مستعارة من معناها الحقيقي إلى شيء متوهم ومتخيل فسي الشمال يشبه اليد في الإنسان ، وكأن لبيداً اجتهد في أن يشكل الشمال فسي شكل إنسان ويجري عليها أحواله وصفاته . قال السكاكي :

" هي - أي الاستعارة التخيلية - أن تسمى باسم صورة متحققة صورة عندك وهمية محضه تقدرها مشابهة لها مفرداً في الذكر في ضمن قرينة مانعة عن حمل الاسم على ما يسبق منه إلى الفهم من كون مساه شيئاً متحققاً وذلك مثل

أن تشبه المنية بالسمع في اغتيال النفوس وانتزاع أرواحها بالقهر والغلبة من غير تفرقة بين نفاع وضرار، ولا رقة لمرحوم، ومساس بقيا على ذي فضيلة تشبيهاً بليفاً حتى كأنها سبع من السباع فيأخذ الوهم في تصويرها في صورة السبع واختراع ما يلائم صورته ويتم بها شكله من ضروب هينات وفنون جوارح، وأعضاء وعلى الخصوص ما يكون قوام اغتيال السبع للنفوس بها وتام افتراسه للفرائس بها من الأنياب والمخالب ثم تطلق على مخترعات الوهم عندك أسامي المتحققة* (١)

ذكر ابن المعتز في رسائله أن أحسن استعارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر قول لبيد :

وَعَدَاةٌ رِيحٌ . . . البيت (٢)

ومعنى الشاهد : أراد الشاعر أن يصف نفسه بالكرم البالغ والجود النادر لذا وصف نفسه بالكرم في الوقت الذي يشتد فيه القحط، وقد وصفه بأنه أشد الأوقات وأصعبها على الناس، فكم من غداة تهب فيها الشمال وهي أبرد الرياح قد كفت بجوده عادية البرد عن الناس، وذلك بنحر الجزر، وتوفير المؤونة لهم. وبالغ في وصف الشمال بالشدة بأن أثبت لها يداً ليدل على شدة تحكمها وتسلط بردها، وانتشاره في جميع النواحي وكذلك أثبت الزمام لها، أو للقرة.

(١) مفتاح العلوم : ١٥٩ - ١٦٠ .

(٢) رسائل ابن المعتز : ١٠ .

الشاهد الثامن والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

إِذَا هَزَّهُ فِي عَظْمِ قَرْنٍ تَهَسَّلَتْ . نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَايَا الصَّوَاجِكِ (٣)

ذكره الشيخ من غير عزو، وأشار إلى أنه من أبيات الحماسة، وهو لتأبط شرًا،^(٤)
في ابن عم له يصفه بركوب الأهوال، وبذل الأموال .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٦ .

(١) الضمير يعود إلى سيفه .

(٢) قَرْنٍ : أي المثل والكفوء ، هو قَرْنُه في السنن ، وقَرْنُه في الحرب ، القَرْن

بالفتح مثلك في السنن ، وبالكسر : مثلك في الشجاعة . / أساس البلاغة

" قَرْن " : ٣٦٤ .

(٣) انظر البيت في :

الحماسة - ت : عسيلان - : ١ / ٧٦ رقم (١٣) ، الحيوان : ٢٥٦ / ٦ ،

العقد الفريد : ٢ / ٣٣٧ ، أمالي القاضي : ٢ / ١٣٨ ، نقد الشعر : ٨٩ ،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٢ / ٦٩١ ، زهر الآداب : ٢ / ٣٥٨ ،

سبط اللائي : ٢ / ٧٦٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٤٩ .

(٤) هو ثابت بن جابر بن سفيان ، أبو زهير الفهمي ، من مضر (٨٠٠ - ق هـ)

وأمه امرأة يقال لها أميمة ، يقال إنها من بني القين بطن من فهم ،

وهو شاعر عداء من فتاك العرب في الجاهلية ، كان من أهل تهامة ،

شعره فحل ، وسمي تأبط شرًا لأنه أخذ سيفًا تحت إبطه قَسَّطَتْ

أمه عنه فقالت : تأبط شرًا وخرج ، وقيل إنه لُقِّبَ به حين تأبط جرابًا

ملاه أفاعي / انظر ترجمته :

الأغاني : ٢١ / ١٢٧ - ١٧٣ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ١ / ٣٧ - ٤١ ،

شرح شواهد المغني : ١ / ٥٢ ، ٥١ ، خزانة الأدب (دار صادر) : ١ / ٦٦ ، ٣٥٨ / ٣

٤٦٧ ، المحبر : ١٩٦ - ١٩٧ ، الأعلام : ٢ / ٩٧ .

وتكرر في الحماسة - ت : عسيلان - أن الأبيات تنسب لتأبط شرًا

وغیره .

وأول الأبيات :

إِنِّي لَمُهْدٍ مِنْ ثَنَائِي فَقَاصِدٌ . : بِه لَابِنِ عَمِّ الصَّدَقِ شَمْسِ بْنِ مَالِكِ

وقبل الشاهد :

إِنَّا حَاصٌ عَيْنِيهِ كَرَى النَّوْمِ لَمْ يَزَلْ . : لَهُ كَالِيٍّ مِنْ قَلْبِ شَيْحَانَ فَاتِسِكِ (١) (٢) (٣)

إِذَا طَلَعَتْ أَوْلَى الْعَدِيَّيْ فَنَفَّرَهُ . : إِلَى سَلَّةٍ مِنْ صَارِمِ الْغَرَبِ بَاتِكِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

يَرَى الْوَحْشَةَ الْأَنْسَ الْأَنْسِ وَيَهْتَدِي . : بِحَيْثُ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ (٤) (٥)

وجاء في نقد الشعر أن بعد بيت الشاهد قوله :

قَلِيلُ التَّشْكِيِّ لِلْمُهْمِّمْ يَصْرِسِيهِ . : رَحِيبٌ مَنَاخِ الْعَيْسِ سَهْلُ الْمَبَارِكِ (٦)

الشاهد فيه كسابقه .

ففي البيت استعارة تخيلية ، فإنه لما جعل المنايا تضحك جعل لها الأفواه

والنواجذ التي يكون الضحك فيها ، فلا يمكن أن يقال أنه استعار لفظ " النواجذ "

(١) رواية نقد الشعر : إِذَا خَاطَ ، وَحَاصٌ بِمَعْنَى خَاطَ ، حَاصُ الثَّوْبِ يُحَوِّصُهُ

حَوِّصًا وَحِيَاصَةً : خَاطَهُ / اللِّسَانُ " حَوْصٌ " : ١٨ / ٢ .

(٢) الكرى : النَّوْمُ ، وَالكَرَى النَّعَاسُ / اللِّسَانُ " كَرَى " : ١٥ / ٢٢١ .

(٣) شَيْحَانُ : الشَّيْحَانُ وَالشَّائِحُ وَالشَّيْحُ : الْحَازِمُ الْحَذَرُ / اللِّسَانُ " شَيْحٌ " :

٥٠١ / ٢ .

(٤) أُمُّ النُّجُومِ : الْمَجْرَّةُ / الصَّحَاحُ " أُمُّ " : ٥ / ١٨٦٣ .

(٥) الشَّوَابِكُ : الْمَشْتَبِكَةُ شَبَكَتِ النُّجُومُ وَاشْتَبَكَتْ وَتَشَابَكَتْ : دَخَلَ بَعْضُهَا

فِي بَعْضٍ ، وَاخْتَلَطَتْ ، وَكَذَلِكَ الظَّلَامُ / اللِّسَانُ " شَبِكٌ " : ١٠ / ٤٤٧ .

(٦) انظر الأبيات في :-

الحماسة " ت - عسيلان " : ١ / ٧٥ - ٧٦ ، نقد الشعر :

ولفظ " الأفواه " ؛ لأن ذلك يوجب أن يكون في المنايا شيء يشبه الأفواه والنواجذ وهذا محال .

قال الشيخ :

" . . . فأنت الآن لا تستطيع أن تزعم في بيت الحماسة أنه استعار لفظ " النواجذ " ولفظ " الأفواه " لأن ذلك يوجب المحال وهو أن يكون في المنايا شيء ، قد شبهه بالنواجذ ، وشيء قد شبهه بالأفواه ، فليس إلا أن تقول : إنه لما ادعى أن المنايا تُسَرُّ وتُسْتَبَشِّرُ إذا هو هزَّ السيف ، وجعلها لسرورها بذلك تضحك أراد أن يُبالغ في الأمر ، فجعلها في صورة من يضحك حتى تبد ونواجذُه من شدة السرور " (١)

ومعنى الشاهد :

أراد الشاعر أن يصف مدوَّحه بالشجاعة المتناهية ، والبطولة التي لا تُدَانِسُ ، فذكر أن مدوَّحه إذا سقط سيفه على عظم شجاع مثله كان ذلك إيذاناً بالقضاء عليه ، ولزم من ذلك أن تفرح المنايا وتتهلل سروراً لهذا النصر العظيم ، وبالف في تصوير انتصاره هذا حيث شبه المنايا بالإنسان الضاحك المستبشر ، ولما كان من مستلزمات الضحك ظهور النواجذ استعارها للمنايا ، للمبالغة في تصوير شدة فرحها .

قال التبريزي في شرح البيت :

" قوله في عظم قرن إيذان بأنه لا يتعرض له إلا من يقاربه بأساً وشدة ، ونسبة التهلل إلى النواجذ مجاز وسعة ، وهذا كما يقال سُرَّ فلان بكذا حتى صار كل سن له ضحك ، وقد سمي ما يبدو من الأسنان عند الضحك الضواحك وقوله : إِنْ اهزَّه في عظم قرن أي إِنْ اهزَّه وضرَّه به ضحك الموت ، وهو مثل

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاعر : ٤٣٧ .

فكأنه قال إذا هزه لعظم قرن ، وقد تقام حروف الصفات بعضها مقام
بعض إذا لم يشكل ويحتمل أن يكون المراد أنه إذا ضربه به نشب فسي
عظمه ، فهزه فيه أي حركه ليتخلص منه والتهلل الضحك ، شبه بتهلل
البرق ولمعانه وهو خلاف قوله والموت خزيان ينظر* (١)

الشاهد التاسع والستون بعد المائتين : (*) (الطويل)

المتنبي :

خَيْسٌ بِشَرْقِ الْأَرْضِ وَالْغَرْبِ زَحْفُهُ . : . وَفِي أُنْجُوسِ الْجَوَازِ مِنْهُ زَمَانٌ (٢) (٣)

والبيت من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة الحمداني ، ومطلعها :

عَلَى قَدَرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ . : . وَتَأْتِي عَلَى قَدَرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ (٤)

وقبل الشاهد :

أَتَوْكَ يَجْرُونَ الْحَدِيدَ كَأَنَّهُمْ . : . سَرَوْا بِجِيَادِ مَالِئِنَّ قَوَائِمُ

إِذَا بَرَقُوا لَمْ تُعْرِفِ الْبَيْضُ مِنْهُمْ . : . شَيَابُهُمْ مِنْ مِثْلِهَا وَالْعَمَائِمُ (٥)

وبعدهما البيت وبعده :

تَجَمَّعَ فِيهِ كُلُّ لِسَانٍ وَأُمَّةٍ . : . فَمَا تُفْهِمُ الْحُدَاثَ إِلَّا التَّرَاجِمُ (٦)

- (١) شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤٨ / ١ - ٣٩ .
(٢) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٦ ، شاكر : ٤٣٦ .
(٣) الزمزمة : صوت خفي لا يكاد يفهم ، والزمزمة صوت الرعد المتتابع ،
والزمزمة أيضاً الصوت البعيد تسمع له دوي / اللسان (زم) :

٠٢٧٤ / ١٢

(٣) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٤ .

(٤) الديوان : ٣ / ٣٧٨ .

(٥) الديوان : ٣ / ٣٨٤ .

(٦) الديوان : ٣ / ٣٨٥ .

الشاهد فيه كسابقه .

فإنه لا يمكن الزعم ، بأن المتبني قد استعار لفظ "الأذن" لأن ذلك
يوجب أن يكون في الجوزاء شيء أريد تشبيهه بالأذن . وهذا محال .
فالقصد أنه لما جعل الجوزاء تسمع أثبت لها "الأذن" التي يكون بها السمع
من الإنسان . قال الشيخ :

"لما جعل " الجوزاء " تسمع - على عادتهم في جعل النجوم تعقل ، ووصفهم
لها بما يوصف به الأناسي - أثبت لها " الأذن " التي بها يكون السمع
من الأناسي " (١)

وقال :

"... لا تستطيع أن تزعم أن المتبني قد استعار لفظ "الأذن" ، لأنه
يوجب أن يكون في " الجوزاء " شيء قد أراد تشبيهه بالأذن ، وذلك
من شنيع المحال " (٢)

ومعنى الشاهد :

أن هذا الجيش لكثرتة وعظمه قد ملأ الآفاق ، فسمع له ضجيج ودوي عظيم
بلغ أذن الجوزاء ، وهذه الأصوات لشدتها زامز لا تبين ولا تفسر .
جاء في التبيان للعكبري :

" المعنى : يقول : هذا الجيش لكثرتة قد عمَّ الشرق والغرب ، وبلغ صوتهم
الجوزاء ، وخصها بالذكر من سائر البروج ، لأنها على صورة الإنسان ، وهذا
قول الواحدي .

وقال أبو الفتح : لو كان لها أذن سمعت بها ، والمعنى : أن هذا الجيش
لعظم أمره ، وكثرة أهله قد ملأ ما بين الشرق والغرب ، وفي أذن الجوزاء من أصوات
أهله زامز لا تفسر ، وأخلط لا تبين ، وأشار بهذا أن الأصوات تبلغ السماء بكثرتها ،

(١) الدلائل ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٦ .

(٢) المصدر السابق ، رضا : ٣٣٥ ، خفاجي : ٤٠٧ ، شاكر : ٤٣٧ .

وتقطع أبعد المسافات بشدتها، ولم نسمع في وصف جيش مثل هذا * (١) .

الشاهد السبعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

قوله :

(٢) قَأَسَبَلْتُ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ وَسَقَتْ (٣) . وَرَدَّ أَوْعَصَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرَدِ (٤)

وذكره الشيخ من غير عزو . وهو للوأواء دمشقي . (٥)

والبيت ثاني أبيات أربعة وقبله :

قَالَتْ وَقَدْ فَتَكَّتْ فِينَا لَوَاحِظَهَا . كَمْ نَدَا أَمَا لِقَتِيلِ الْحَبِّ مِنْ قَوَدِ (٦)

(١) التبيان في شرح الديوان : ٣٨٤/٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٤٩ .

(٢) رواية الديوان وخاص الخاص ، والمثل السائر * وأمطرت * ، ورواية ديوان

الصبابة : * فأمطرت * ، ورواية أمالي المرتضى ، والدلائل تحقيق خفاجي

وشاكر : * وأسبلت * ، ورواية تزيين الأسواق : * واستمطرت * .

(٣) ورد في الدلائل تحقيق شاكر :

* وسقت * بزيادة ميم واعتقد أنه خطأ مطبعي .

(٤) الديوان : ٨٤ . ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ - نسب للمحدثين -

يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٥ ، خاص الخاص : ١٥٠ ، أمالي المرتضى : ١٣٠ / ٢ ،

سر الفطحة : ١٠٩ ، من غير عزو - ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠ ، المشمل

السائر : ٢ / ٧٥ ، تحرير التحبير : ١ / ١٦٤ ، تزيين الأسواق : ٢٢٨ ،

ديوان الصبابة : ٦٩ ، الكشكول : ٢ / ٣ / ٤ .

(٥) الوأواء دمشقي : هو محمد بن أحمد الغنساني الدمشقي أبو الفرج

المعروف بالوأواء (. . . - نحو ٣٨٥ هـ) شاعر مطبوع ، حلو الألفاظ ،

في معانيه رقة ، كان يبدأ أمره منادياً بدار البطيخ في دمشق له

ديوان شعر مطبوع . انظر ترجمته :

يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٢ - ٢٨٢ ، فوات الوفيات : ٣ / ٢٤٠ - ٢٤٥ ،

الأعلام : ٥ / ٣١٢ .

(٦) ديوانه : ٨٣ .

وبعده الشاهد وبعده :

إِنْسِيَّةٌ لَوْرَاتِهَا الشَّمْسُ مَا طَلَعَتْ . : مِنْ بَعْدِ رُؤْيَيْهَا يَوْمًا عَلَى أَحَدٍ
كَأَنَّهَا بَيْنَ غَابَاتِ الجُفُونِ لَهَا . : أَسَدُ الجِمَامِ مُقِيمَاتٍ عَلَى الرِّصْدِ (١)
استشهد به الشيخ على أن المزية في الاستعارة هي في إثبات شدة الشبه ،
أي أَنَّهَا لَيْسَتْ فِي نَفْسِ المَعْنَى الَّذِي يَقْصِدُ إِلَيْهِ المَتَكَلِّمُ ، وَالَّذِي يَجِبُ نَقْلُ
مَعْنَى لَفْظٍ إِلَى مَعْنَى لَفْظٍ آخَرَ ، وَلَكِنْ فِي طَرِيقِ إِثْبَاتِهِ لِمَعْنَى وَتَقْرِيرِهِ إِيَّاهُ ، فَبِلَاغَةِ
الاستعارة لا تكون في المثلث وإنما في الإثبات .

قال الشيخ :

* واعلم أنه قد يهجس في نفس الإنسان شيء يظنُّ من أجله أنه ينبغي
أن يكون الحكم في المزية التي تحدث بالاستعارة ، أنها تحدث في المثلث
دون الإثبات ، وذلك أن تقول : إِنَّا إِذَا نَظَرْنَا إِلَى * الاستعارة * وجدناها
إنما كانت أبلغ من أجل أنها تدل على قوَّة الشبه ، وأنه قد تنأى إلى أن
صار المثلث لا يتميَّز عن المشبه به في المعنى الذي من أجله شُبِّهَ بِهِ . وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
كَمَا نَتَّهِجُ الحَادِثَةَ بِهَا حَادِثَةً فِي الشَّبْهِ ، وَإِذَا كَانَتْ حَادِثَةً فِي الشَّبْهِ كَانَتْ فِي
المُثَبَّتِ دُونَ الإثْبَاتِ .
والجواب عن ذلك أن يقال : إن الاستعارة ، لَعَمْرِي ، تقتضي قوَّة الشَّبْهِ ،
وكونه بحيث لا يتميَّز عن المثلث به ، ولكن ليس ذلك سبب المزية ، وذلك
لأنه لو كان ذلك سبب المزية ، لكان ينبغي إذا جئت به صريحاً ، فقلت
* رأيت رجلاً مساوياً للأسد في الشجاعة ، وبحيث لولا صورته لظننت أنك
رأيت أسداً ، وما شاكل ذلك من ضروب المبالغة ، أن تجد لكلامك المزية التي
تجدها لقولك : * رأيت أسداً * وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَى عَاقِلٍ أَنَّ ذَلِكَ لَا يَكُونُ * (٢)

(١) ديوانه : ٨٥ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٤ ، خفاجي : ٤١٥ ، شاكر : ٤٤٨ - ٤٤٩ .

ثم قال :

... فأنت الآن إذا نظرت إلى قوله :

فَأَسْبَلَتْ لَوْلَا مِنْ نَرَجِسٍ ...

فرايته قد أفادك أنّ " الدَّمْع " كان لا يحرم من شَبَه اللؤلؤ، و " العيسن " من شبه النرجس - شيئاً ، فلا تَحَسَّبَنَّ أَنَّ سَبَبَ الحُسْنِ الذي تراه فيه ، والأريحية التي تجدها عنده ، أنه أفادك ذلك فحسب ، وذلك أنك تستطيع أن تجيء به صريحاً فتقول : " فأسبلت دمعاً كأنه اللؤلؤ بعينه ، من عيسن كأنها النرجس حقيقة " ، ثم لا ترى من ذلك الحسن شيئاً . ولكن اعلم أنّ سبب أن راقك ، وأدخل الأريحية عليك ، أنه أفادك في إثبات شدة الشبه مزياً ، وأوجدك فيه خاصّة قد غرّز في طبع الإنسان أن يرتاح لها ، ويجسد في نفسه هزة عندها " (٢)

وهذا البيت عنده المرتضى في أماليه من التشبيه قال :

" وأما تشبيه خمسة بخمسة فقول الواو والدشقي ... " (٣)

وكذلك عنده ابن سنان الخفاجي من التشبيه وليس هو عنده باستعارة . قال :

" وليس يقع الفرق عندي بين التشبيه والاستعارة بأداة التشبيه فقط ، لأن التشبيه قد يرد بغير الألفاظ الموضوعة له ، ويكون حسناً مختاراً ، ولا يعده

أحد في جملة الاستعارة لخلوه من آلة التشبيه ، ومن هذا قول الشاعر : (٤)

سَفَرَنَ بَدُورًا وَانْتَقَيْنَ أَهْلَهُ . . . وَمِسْنُ عَصُونًا وَالتَّفْتَنُ جَانِرًا

وقول الآخر :

وَأَسْبَلَتْ لَوْلَا مِنْ نَرَجِسٍ فَسَقَتْ . . . وَوَرْدًا وَعَضَّتْ عَلَى العُنَابِ بِالْبَرْدِ

(١) وفي تحقيق شاكر : " لا يخرم " .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٥-٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .

(٣) أمالي المرتضى : ٢ / ١٣٠ .

(٤) هو أبو القاسم الزاهي .

وكلاهما تشبيه محض ، وليس باستعارة . ولن لم يكن فيهما لفظ من ألفاظ التشبيه ، وإنما الفرق بين الاستعارة والتشبيه ما حكيناه أولاً* (٢) والظاهر أن ابن سنان قد خلط في مقاله هذه بين التشبيه والاستعارة وخرج عن الحد الذي وضعه في الفرق بينهما فقول الواواء :

وَأَسْبَلَتْ لَوْلُؤًا . .

جعله تشبيهاً ، وهو في الحقيقة استعارة ؛ لأن لفظ "أَسْبَلَتْ" خرج مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة ، فالمراد باللؤلؤ هنا "الدمع" فجاء بالمشبه به وحذف المشبه وهكذا النرجس والورد والعناب ، فأدخل صور الاستعارة في التشبيه .

وكذلك عدّه الثعالبي من التشبيه قال :

* هذا البيت مما أحسن فيه ، وضمنه خمس تشبيهات بغير أداة التشبيه* (٣) وقال في خاص الخاص* أبو الفرج الواواء من عجائبه أنه خَسَّ مَارَبَعٌ أَبُو نَسَاسٍ من التشبيهات في بيت واحد فقال : . . . البيت* (٤)

وكذلك عدّه ابن أبي الإصبع من التشبيه ، ووازن بينه وبين بيت أبي نواس :

تَبْكِي فَتُدْرِي الدَّرْمِ مِنْ نَرَجِسٍ . . وَتَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعَنْبَابِ

فذكر أن بيت الواواء هو عين بيت أبي نواس إلا أن بيت أبي نواس ثبت له

الفضل بالسبق إلى نفس المعنى ، ونفس التشبيه . قال :

(١) يقصد بقوله ما حكيناه أولاً ما ذكره من رأي الرماني في الفصل بين الاستعارة والتشبيه حيث ذكر أن الفرق هو* أن التشبيه على أصله لم يغير عنه في الاستعمال ، وليس كذلك الاستعارة ؛ لأن مخرج الاستعارة مخرج ما ليست العبارة له في أصل اللغة* / سر الفصاحة : ١٠٩ .

(٢) سر الفصاحة : ١٠٩ - ١١٠ .

(٣) يتيمة الدهر : ١ / ٢٧٥ .

(٤) خاص الخاص : ١٥٠ .

"وعندي أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس، وإنما حصلت فيــــه
زيادة التشبيه لاتساع وزنه، فثبت الفضل لبيت أبي نواس بالسبق إلى نفس
المعنى، ونفس التشبيه، واعلم أن زيادة التشبيه بما زاد في بيت أبي الفرج
الوأواء عن اللفظ لاتساع الوزن" (١)

وعده ابن الأثير من الاستعارة؛ لأنه إذا أظهر التشبيه صار البيت ضرباً من
الكلام الغث المستكره. قال :

"وقد عُلِمَ وتحقق أن من الواجب في حكم الفصاحة والبلاغة ألا يظهر المستعار
له، وإذا أظهر ذهب ما على الكلام من الحُسن والروْنق.

ألا ترى أننا إذا أوردنا هذا البيت الذي هو :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلُؤًا مِنْ تَرْجِسٍ وَسَقَّتْ . . . وَرَدًّا وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

وجد عليه من الحُسن والروْنق ما لا خفاء به، وهو من باب الاستعارة، فإذا
أظهرنا المستعار له صيرنا إلى كلام غث، وذلك أننا نقول: "فأمطرت دمعاً كاللؤلؤ
من عين كالترجس وسقَّتْ خدّاً كالورد، وعَضَّتْ على أنامل مخضوبة كالعُنَابِ
بأسنان كالبرد، وفَرَّقْ بين هذين الكلامين للمتأمل واسع" (٢)

وهذا البيت قد استحسنته النقاد القدماء - كما رأينا - حتى أن أبا هلال

العسكري رأى أنه أجمع بيت قيل (٣)

إلا أن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف رأى أن بيت الوأواء الدمشقي
مليء بالاستعارات الساذجة التي لا حياة ولا حركة فيها، وإنما هي ركام من الصور
التي لا تشير شعوراً ولا تطرب إحساساً، قال بعد أن ذكر بيت الوأواء الدمشقي :

(١) تحرير التحبير : ١ / ١٦٤ .

(٢) المثل السائر: ٢ / ٧٥ .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٦ .

* فإنك تراء يملأ بيته بالاستعارات إذ استعار اللؤلؤ للدمع ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب للأصابع ، والبرد للأسنان ولكن كأن هذه الاستعارات لا تثير فينا شيئاً من اللذة الفنية التي كنا نشعر بها في أثناء القرنين الثاني والثالث ، وأنظر إلى أصل هذا البيت عند أبي نواس :-

يَأْقَمُراً أَبْرَزَةً مَأْتَتُمْ . : . يَنْدُبُ شَجْوَاً بَيْنَ أَتْرَابِ

يَيْكِي فَيَذْرِي الدُّرِينَ تَرْجِسِ . : . وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنَابِ

فإنك ترى الواو يأخذ ناحية التشبيه من أبي نواس دون أن يأخذ معها ما فيها من حياة وحركة ، وبذلك غدا التشبيه كأنه جامد ، فالشاعر لا يشيع فيه شيئاً من الحركة ، إنما شيء واحد هو الذي يهتم به ، وهو هذا الركام من الصور التي لانحس فيها شعوراً ، فقد تحجرت في التاريخ ، وأصبحت تراثاً محفوظاً في الفن ، ولا بد للشاعر إذا كان يريد أن يستخدمها من أن يعيد لها حياتها وشعورها أما أن يأتي بها على هذا النظام ، فإننا نحس بثقل التعبير ، وأنه لا يكاد ينهض بما يحمله ، وكأنني بهذه الصور المحفوظة من اللؤلؤ والنرجس والعناب والبرد والورد إذا وضعناها متلاصقة على هذا النحو تعبّر تعبيراً أوسع من المعنى الذي أراد الشاعر ، وماذا يريد أن يقول ؟ إنه يقول إن صاحبه بكت وَعَضَّتْ أَنَامِلَهَا ، ولكنه أبي إلا أن يشق على نفسه في تعبيره حتى يرضي ذوق عصره من تصنعه وتكلفه فجعل البكاء أمطاراً والدموع لؤلؤاً والعين نرجساً والخد ورداً والبنان عناباً والأسنان برداً ، وما فائدة الزمن ؟ وما الرقي الذي أصابه الشعر في القرن الرابع إن لم يجنح الشاعر إلى مثل هذا التعقيد في صورة ؟ ولأنه لرقى معكوس أن يشق الشاعر على نفسه في التعبير على هذا النمط ، فإذا بالبيت لا يعبر إلا عن تعقيد

في التصوير والخيال * (١) .

الشاهد الواحد والسبعون بعد المائتين : (*) (السريع)

قول أبي نواس :
 (١) (٢) (٣) (٤) (٥) (٦)
 تَبْكِي فَتُدْرِي الدَّرَّ عَنْ نَرْجِسٍ . . . وَتَطِّمُ التَّوْرَةَ يَعْتَابِرِ

والشاهد أحد أبيات قالها أبو نواس حين رأى صاحبه جنان، وهي تططم

خديها . (٧)

(*) الدلائل، رضا : ٣٤٥، خفاجي : ٤١٦، شاکر : ٤٥٠ .

(١) رواية المنصف في نقد الشعر والعمدة : " بيكي " .

(٢) رواية الديوان والعمدة وديوان المعاني (٣٧) : " فيذري "

ورواية ديوان المعاني (٢٤٥)، وخاص الخاص، وأحسن ماسمعت :

" فيلقي الدَّرَّ من " .

ورواية رسائل الثعالبي : " فتلقي " .

(٣) رواية المنصف : " الدمع " .

ورواية تحرير التحبير : " فتذري الطلَّ مِنْ نَرْجِسٍ "

(٤) رواية المنصف : " من عينه "

ورواية أمالي المرتضى : " من طَرْفِهَا " .

وذكر ابن رشيقي في العمدة أن هناك من يرويه : " فيذري الدَّرَّ من جفنه "

(٥) رواية ديوان المعاني : (٣٧) : " الوجه " .

(٦) انظر البيت في :

الديوان : ٢٤٢، البديع لابن المعتز : ٧٤، الوساطة : ٣٨، ديوان

المعاني : ٣٧، ٢٥٤، المنصف في نقد الشعر : ١٩٨، رسائل الثعالبي :

" دار صعب " : ١٦١، خاص الخاص : ١١١، أحسن ماسمعت : ٩٧، أمالي

المرتضى : ٢٥٥ / ٢، العمدة : ٢٩٣ / ١، تحرير التحبير : ١ / ١٦٤ .

(٧) جاء في شرح الديوان :

" وحدث أن مات بعض آل عبد الوهاب الثقفي ، فذهب أبو نواس إلى دار قريبه

من منازل الثقفيين ، وأطل منها على المأتم ليرى جنان وهي تططم خديها

وفي يدها خضاب ، وقد راعه اللؤلؤ المتحدر من عينها على خدين من ورد .

وقبل الشاهد :

يَاقِصْرًا أَبْصَرَهُ ^(١) مَا تَمَّ ^(٢) . يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ

وبعد الشاهد :

لَا تَبِكِ مَيْتًا حَلَّ فِي حَفْصَةِ . . . وَابْكِ قَتِيلًا لَكَ بِالسَّابِ
أَبْصَرَهُ مَا تَمَّ لِي كَارِهًا . . . بِرَغْمِ دَايَاتٍ وَحُجَّابِ
لَا زَالَ مَوْتًا دَابُّ أَحْبَابِهِ . . . وَلَمْ تَزَلْ رُؤْيَتُهُ دَايِي

الشاهد فيه كسابقه ، فليست بلاغة الاستعارة في أنه نقل لفظ الدر إلى

الدمع ، والنرجس للعين ، والورد للخد ، والعناب للإصبع ، ولونا في طريقة

توكيد الحكيم ، فالشاعر هنا يصف محبوبته حال البكاء ،

وحتى في هذه الحالة التي يكون الإنسان فيها في حالة غير محببة ، نراه يصف

محبوبته بأرق المعاني وألطفها مبالغة في وصفها بكمال الحسن ، فتخيل الدمع

وهو ينحدر من عينيها الدر في حسنه ، والعين في صفائها وجمالها النرجس

بعينه ، وتخيل خدها عند الندب الورد في حرته ، ولون الأصابع العناب في

روعة لونه .

ذكر ابن المعتز أن من محاسن الكلام " حسن التشبيه " ، وذكر منه بيت الشاهد .

قال :

" ومن عجائب التشبيه قوله ^(٢) أيضا (من السريع) :

تَبْكِي فَتَدْرِي الدَّرِينَ نَرْجِسٍ . . . وَتَلْطِمِ الْوَرْدَ بِعَنَّابِ " (٤)

(١) رواية ديوان المعاني ورسائل الشعالي ، وخاص الخاص ، وأحسن ما سمعت :

" ياقصراً أبصرت في ،

(٢) رواية رسائل الشعالي : " تندب " .

(٣) أي أبو نواس .

(٤) كتاب البديع - ابن المعتز - : ٧٤ .

وقد أعجب بهذا البيت واستحسنه سفيان بن عيينة (١).

جاء في خاص الخاص (في عجائب الشعر والشعراء) :

" وقال عمر بن شبة قال سفيان بن عيينة لرجل من أهل البصرة قد أحسن

والله أبو نواسكم في قوله :

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَسْمٍ . . . يَنْدِبُ شَجْوًا بَيْنَ أَثْرَابِ

يَيْكِي فَيُلْقِي الدَّرَّيْنِ تَرْجِسٍ . . . وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ يَعْشَابِ

وإذا أعجب به سفيان مع زهده وورعه فما الظن بغيره * (٢)

ولقد ذكر أبو هلال في ديوان المعاني أن بيت أبي نواس مأخوذ من قول

الأسود بن يعفر : (٣)

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي

(ت : ١٩٨ هـ) بمكة ، وهو أحد الزهاد ، وكان من الحفاظ المتقنين

وأهل الورع والدين ، ثقة ، ثبت . / انظر ترجمته :

تاريخ الثقات : ١٩٤ - ١٩٥ ، رقم (٥٧٧) ، مشاهير علماء الأمصار :

١٤٩ - ١٥٠ ، كتاب الثقات : ٦ / ٤٠٣ ، ذكر أسماء التابعين :

١٦٥ / ٢ ، ١٠٣ / ١ ، الكاشف : ١ / ٣٠١ ، تهذيب التهذيب :

٤ / ١١٧ - ١٢٢ ، تقريب التهذيب : ١ / ٣١٢ رقم (٣١٨) .

(٢) خاص الخاص : ١١١ .

(٣) هو الأسود بن يعفر النهشلي الدارمي التميمي ، أبو نهشل ، وأبو الجراح

(. . . نحو ٢٢ ق هـ) شاعر جاهلي من سادات تميم من أهل العراق ،

كان فصيحاً جواداً نادماً النعمان بن المنذر ، ولما أسن كف بصره ،

ويقال له : " أعشى بني نهشل " له ديوان شعر مطبوع جمعه الدكتور :

نوري حمودي القيسي / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ١ / ٢٦١ ، ٢٦٢ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٤٧ ،

سقط اللآلئ : ١ / ٢٤٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٦٦ ، خزنة البغدادي

- دار صادر - : ١ / ١٩٥ ، الأعلام : ١ / ٣٣٠ .

يَسْعَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ مَقْرَطِقٌ . . . (١) (٢) (٣) (٤) (٥)
(٦) قَنَأَتْ أَنَامِلَهُ مِنَ الْفِرْصَانِ (٦)

قال :

" أجود ما قيل في الخضاب بأنامل المرأة من قديم الشعر قول الأسود بن

يعفر :

يَسْعَى بِهَا ذُو تَوَمَّتَيْنِ . . .

- (١) الهاء في قوله " بها " تعود على سُلَافَةٍ ذكرها في بيت قبله، وهو :
وَلَقَدْ لَهَوْتُ وَلِلشَّابِّ بَشَاشَةٌ . . . يَسْلَافَةٌ مُزْجَتُ بِمَاءِ غَوَادِي
والسلافة أول الخمر ، والغوادي جمع غادية وهي السحابة التي تأتي
غدوة / اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٤ .
- (٢) التومة : الحبة من الدر . / اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٤
رواية ديوان المعاني : " ذو تومتين " .
رواية اللسان والتاج : " ذو نومتين " .
- (٣) القرطيق : القباء وهو تعريب كثرته (أي الثوب) / اللسان (قرطيق) :
١٠ / ٣٢٣ .
ورواية الديوان : " مشمر " .
رواية جمهرة اللغة والصناعتين : " كأنما " .
رواية ديوان المعاني " مقرطيق " .
رواية أساس البلاغة واللسان والتاج : " منطق " .
- (٤) قنأت : قنأ الشيء يَقْنَأُ قَنُوءًا : اشتدت حمزته / اللسان " قنأ " :
١ / ١٣٤ .
- (٥) الفرصاد : العنب أو التوت وهو الأحمر منه ، والفرصاد الحُمرة . /
اللسان " فرصد " : ٣ / ٣٣٣ .
- (٦) انظر البيت في :
ديوانه : ٢٩ ، جمهرة اللغة : ٣ / ٢٨٧ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ ،
أساس البلاغة : ٣٧٨ ، اللسان : " قنأ " : ١ / ١٣٤ ، " فرصد " :
٣ / ٣٣٣ ، التاج " فرصد " : ٢ / ٤٥١ .

فأخذ المحدثون ذلك وتصرفوا فيه فمن أحسن ذلك قول أبي نواس :

يَا قَسْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَمٍ . . .

يَبْكِي فَيَلْقِي الدَّرَمِينَ نَرَجِسٍ . . .

وقال ديك الجن :^(١)

وَدَعْتَهَا لِفِرَاقٍ فَاشْتَكَّتْ كَيْدِي . . . وَشَبَّكَتْ يَدَهَا مِنْ لَوْعَةٍ بِيَدِي^(٢)

وَحَاذَرْتُ أَعْيُنَ الْوَاشِيَيْنِ وَابْصُرْتُ . . . تَعَضُّ مِنْ غَيْظِهَا الْعُنَابَ بِالْبَرْدِ

فَكَانَ أَوَّلَ عَهْدِ الْعَيْنِ يَوْمَ نَأَتْ . . . بِالِدَّمْعِ آخِرَ عَهْدِ الْقَلْبِ بِالْجَلْدِ^(٣)

ومن البديع في هذا المعنى قول الآخر :

قَالُوا الرَّحِيلَ فَاسْرَعَتْ أَطْرَافُهَا . . . فِي خَدِّهَا وَقَدْ اكْتَسَمَتْ خِضَابًا

فَاخْضَرَّ مَوْضِعَ كَفِّهَا فَكَانَتْهَا . . . غَرَسَتْ يَأْرُضِي بِنَفْسِجٍ عُنَابًا

(١) هو أبو محمد عبد السلام بن رعيان بن عبد السلام الكلبي الحمصي (١٦١-٢٣٥هـ)

من ساكني حمص ، وهو من شعراء الدولة العباسية ، لُقِّبَ بديك الجن لخروجه إلى البساتين كثيراً ومعاقرته الخمر ، وديك الجن : دويبة توجد في البساتين ، وقيل لُقِّبَ بذلك ، لأن عينيه كانتا خضراوين ، لم يرح ربوع الشام طوال حياته ، وهو استاذ أبي تمام ، عشق فتاة نصرانية أسماها " ورد بنت الناعمة " أو " دنيا " كما يذكر ابن خلكان ويعتبر ديك الجن في طليعة شعراء القرن الثالث الهجري ، كان يتشيع لأهل البيت فلم يجاره في مدحهم وراثتهم إلا السيد الحميري ، وكان ديك الجن ماجناً خليعاً عاكفاً على اللهو ، متلافاً لما ورثه ، وشعره في غاية الجودة . انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ١٠٢ ، الأغاني : ١٤ / ٥١-٦٨ ، وفيات الأعيان : ٢ / ١٨٤ -

١٨٨ ، حياة الحيوان الكبرى : ١ / ٤٩٧ ، الأعلام : ٤ / ٥ ، معجم المؤلفين :

٣ / ٥ / ٢٢٤ .

(٢) رواية الديوان : " إِذْ شَبَّكَتْ " .

(٣) ديوانه : ١٣٦ ، رقم (٣٣) .

وقال الناشي " وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى :

مِنْ كَفِّ جَارِيَةٍ كَأَنَّ بَنَانَهَا . : مِنْ فِضَّةٍ قَدْ طَرَفَتْ عُنَابًا
وَكَأَنَّ يَمَنَاهَا إِذَا نَطَقَتْ بِسِهِ . : مِيلِقِي عَلَى يَدِهَا الشَّمَالِ حِسَابًا " (١)

ورأى الشعالي أن أحسن ما سمع في النساء والتشبيب قول أبي نواس ، (٢)

وذكر المرتضى في أماليه أن قول أبي نواس مأخوذ من قول المجنون :

وَيَيْدِي الْحَصَى مِنْهَا إِذَا قَدَقْتُ بِهِ . : مِنْ الْبُرْدِ أَطْرَافَ الْبَنَانِ الْمُخَصَّبِ (٣)

قال بعد أن ذكر بيت المجنون :

" وهذا هو الأصل استعاره الناس من بعد ، فقال الشاعر : (٤)

النَّشْرُ مِسْكٌ وَالْوَجُوهُ دَنَسًا . : نَيْرٌ وَأَطْرَافُ الْأَكْفِ عَنَمٌ

وأغرب أبو نواس في قوله :

تَبْكِي فَتَذْرِي الدَّرْفِي طَرْفَهَا . : وَتَطْطُمُ الْوَرْدَ يَعْنَابٌ " (٥)

وذكره ابن رشيق في تشبيه أربعة بأربعة ، وعلق عليه بأنه مليح جداً . قال :

" وقد تقدم أبو نواس فقال :

يَبْكِي فَيَذْرِي الدَّرَّيْنِ تَرْجِسٍ . : وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ يَعْنَابٌ

وهذا مليح جداً ، سئل ابن مناذر : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

(١) ديوان المعاني : ١ / ٢٥٤ .

(٢) أحسن ما سمعت : ٩٦-٩٧ .

(٣) ديوان مجنون ليلى : ٦٤ .

(٤) البيت للمرقش الأكبر ، وهو جاهلي (ت : ٧٥ ق هـ) ، فهو إن أسبق للمجنون

" قيس بن الملوح " ت : ٦٨ هـ ، فكيف يكون قد أخذ منه ؟ !

بيد وأن الشعالي لم يكن يعرف قائل البيت مع أن القصيدة مشهورة ؟

انظر البيت في :

المفضليات : ٣٨ ، رقم القصيدة (٥٤) ، الصناعتين : ٢٧٤ .

(٥) أمالي المرتضى : ٢ / ٢٥٥ .

يَا قَمَرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتَسْمٍ .: يَنْدُبُ شَجْوًا بَيْنَ أَتْرَابِ
يَيْكِي فَيَذُرِي الدَّرَمِينَ تَرْجِسٍ .: وَيَلْطِمُ الْوَرْدَ بِعُنْتَابِ

هذا أشعر الجن والإنس ، وقد جاء بالشعر على سجيته - أعني أبا نواس -
وشاهد ذلك ظاهر في لفظه ، وإلا فهو قادر أن يجعل مكان الدر الطل حتى
يتناسب الكلام ، لكنه لم يكن يؤثر التصنيع ، ولا يراه فضيلة لما فيه من الكلفة ، ومن
الناس من يرويه كذلك ، ومنهم من يرويه " فيذري الدر من جفنه " (١)

وقد قلب بعضهم بيت أبي نواس فقال :

وَأَعُورٌ أَبْصَرْتُ فِي مَاتَسْمٍ .: يَنْدُبُ شَجْوًا بِتَخَالِيظِ * (٢)

ولقد وزن صاحب الوساطة بين بيت أبي نواس ، وبيت أبي تمام الذي يقسول

فيه :-

مَلْطُومَةٌ بِالْوَرْدِ أُطْلِقُ دُونَهَا .: فِي الْخَلْقِ فَهِيَ مَعَ الْمُنُونِ مُحَكَّمَةٌ (٣)

فقال :

" فسبق أبو نواس بفضل التقدم والإحسان ، وحصل هو على نقص السرق

والتقصير ، لكنه أحسن في بقية البيت فجبر بعض ذلك النقص " (٤)

ولم يستحسن ناقدنا المعاصر الدكتور شوقي ضيف بيت المتنبي - بيت الشاهد -

ف رأى أن غرض المتنبي هنا ليس هو التعبير عن صورته وإنما زخرفة وتعقيد هذه

الصور ، وهذه الصور وإن كانت تحوي شعوراً إلا أنه شعور بغير لذة . قال :

" فإنك تحس كأن الشاعر لا يريد أن يعبر عن صورته فقط ، وإنما يريد قبل

كل شيء أن يعقد في هذه الصور ، فتراه يأتي بالقمر وخوط البان والعنبر

(١) العدة : ١ / ٢٩٣ .

(٢) ديوان المعاني : ٣٧ .

(٣) رواية الديوان - دار صعب - : " مظلومة اللورد أطلق طرفها " : ٢٥١

(٤) الوساطة : ٣٨ .

والغزال ، أما حبه وأما أفكاره نحو صاحبته فكأنني بها لا تعنيه ، ولقد كان حرياً بالمتنبي أن يصف لنا اللذة والرغبة والحيرة والانفعالات السستى بسببها الحب ، ثم يتركنا نرسم الجمال نحن لأنفسنا رسماً خيالياً ، لا هذا الرسم الذي يتحكم فيه ، والذي لا يعطينا حسه إلا عن طريق هذا التركيب والتعقيد في جلب صورته ووضعها متعاقبة بهذا الشكل الذي قد يحسوى شعوراً ، ولكنه شعور بغير لذة * (١)

الشاهد الثاني والسبعون بعد المائتين : (*) (الوافر)

قول المتنبي :

بَدَّتْ قَرَأً وَمَالَتْ خُوطَ بَانَ . : وَقَاحَتْ عَنبَرًا وَرَنَتْ غَزَالًا (٢)

الشاهد فيه كسابقه ، ومعنى الشاهد :

أنها بدت في طلعتها وحسنها قرأً ، ومالت في مشيتها كأنها الغصن الذي يتمايل مع النسيم ، وقاحت رائحتها عنبراً ، ونظرت نظرة الغزال ، وفي قوله " رنت " من الحسن ما ليس في (نظرت) وبیت الشاهد يستشهد به المتأخرون على التشبيه المفروق وهو أن يؤتى بمشبه ومشبه به ثم آخر وآخر (٣)

الشاهد الثالث والسبعون بعد المائتين : (*) (المديد)

قول ابن المعتز :

أَثْمَرَتْ أَغْصَانُ رَاحَتِيهِ . : بِجَنَانِ الْحُسْنِ عَنَابًا (٥) (٤)

- (١) الفن ومذاهبه : ٢٨٦ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٣٤٥ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠ .
 (٢) سبق الاستشهاد به في فصل المجاز الحكي ، انظر الشاهد السادس بعد المائتين ص ٧٣٦ .
 (٣) أنظر : البلخيص : ٢٧٣ ، معاهد التنصيص : ٨٣ / ٢ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥١ .
 (٤) رواية الديوان والدلائل تحقيق شاكر ، وكذلك استحسانها الخفاجي في تحقيقه :
 * لجنانة الحسن * والجنانة : القاطفون ، ويبدو أن هذه الرواية أدق وألطف .
 لما فيه من زيادة المعنى .
 (٥) لم أجده فيما لدي من مصادر إلا في : ديوانه : ٤٠ .

وهو من قصيدة مطلعها :

جَارَ هَذَا الدَّهْرُ أَوْ آبَا . . . وَقَرَاكَ الِإِهْمَّ أَوْ صَابَا

وقبل الشاهد :

عَصْنٌ يَهْتَرُ فِي قَمَرٍ . . . رَاكِضًا لِلْوَشِيِّ سَحَابَا

وبعد الشاهد وبعده :

لَا مَهْ فِي الْوَشَاءِ وَكَمَّ . . . ذَا مَنِي مِنْهُمْ وَكَمْ عَابَا (١)

استشهد به الشيخ على أن حسن الاستعارة وروعيتها يظهر كلما ازداد التشبيه خفاءً ، فإن ظهر التشبيه قُبِحَتْ . فلو أننا عدنا إلى البيت وأظهرنا التشبيه وقلنا :

أشرت أصابع يده التي تشبه الغصن لطلاب الحسن ما يشبه العناب من أطرافها
المخضوبة لكان كلاماً ، ولذا كان بيت ابن المعتز أحسن من بيت الواواء الدمشقي :

وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ *

لأن بيت الواواء لم يظهر فيه التشبيه ، وإنما يمكن إظهاره بسهولة بخلاف ما جاء في بيت ابن المعتز . قال الشيخ :

* واعلم أن من شأن الاستعارة أنك كلما زدت إيرادك التشبيه إخفاءً ازدادت الاستعارة حسناً ، حتى أنك تراها أغرب ما تكون إذا كان الكلام قد أُلْفَ تَأْلِيْفًا إن أردت أن تفصح فيه بالتشبيه خرجت إلى شيء تعافه النفس ويلفظه السمع ، ومثال ذلك قول ابن المعتز :

أَشْرَتْ أَعْصَانَ رَاخَتِيهِ . . . بِجِنَانِ الْحُسْنِ عُنَابَا

ألا ترى أنك لو حملت نفسك على أن تظهر التشبيه ، وتفصح به احتجست إلى أن تقول : أشرت أصابع يده التي هي كالأغصان لطالبي الحسن شبيه العناب

(١) انظر الأبيات في :

من أطرافها المخضوية ، وهذا ما لا تخفى غثائته من أجل ذلك كان موقع العنَّاب في هذا البيت أحسن منه في قوله :

« وَعَضَّتْ عَلَى الْعُنَّابِ بِالْبَرْدِ »

وذاك لأن إظهار التشبيه فيه لا يقبح هذا القبح المفرط؛ لأنك لو قلت : وَعَضَّتْ عَلَى أطراف أصابع كالعنَّاب بثغر كالبرد كان شيئاً يتكلم بمثلته ، وإن كان مرزولاً ، وهذا موضع لا يتبين سره إلا من كان ملتهب الطبع حسناً القريحة * (١)

الشاهد الرابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

قول لبيد :

وَعَمْدَاؤِ رِيحٍ قَدْ كَشَفَتْ وَقَيْرَةَ . : . إِنَّ أَضْحَتَ بَيْدِ الشَّامِلِ زِمَامُهَا (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع عند الشاهد السابع والستين بعد المائتين .

الشاهد الخامس والسبعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* سَقَّتْهُ كَفَّ اللَّيْلِ أَكْوَسِ (٣) الْكَرَى * (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٤٦ ، خفاجي : ٤١٦ ، شاكر : ٤٥٠-٤٥١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٤ ، خفاجي : ٤٢٤ ، شاكر : ٤٦٠ .

(٢) انظر : ١٧٤ ، من البحث .

(٣) رواية الدلائل ، تحقيق شاكر : « أَكْوَسِ » وهو جمع كأس ، ويجمع أيضاً

على كؤوس وكئاس ، ويحكى كياس بغير همزة فإن صح ذلك فهو على البدل ، قلب الهمزة في كأس ألفاً في نية الواو ، فقال كأس كئاس جمع كأساً على كياس ،

والأصل كواس فقلبت الواو ياء للكسرة التي قبلها . / اللسان (كأس) : ١٩٠ / ٦ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .

(٤) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الوساطة : ٢١١ بدون عزو .

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وذكر هذا الشطر فقط ، ونسبه الأستاذ محمد
عبد المنعم خفاجي لأبي نواس ، وذكر أن هذه النسبة مذكورة في الوساطة ، والصحيح
أن البيت مذكور في الوساطة من غير عزو . (١)

الشاهد فيه : عاد الشيخ مرة أخرى يدلل ويثبت أن الاستعارة ليست هي
نقل لفظ شيء لشيء ، فهناك نوع من الاستعارة لا يصح أن يكون المستعار في نفسه
اللفظ ألبتة ، ولا يصح أن تقع الاستعارة فيه إلا على المعنى ، وهي ما أطلق عليه
الاستعارة التخيلية .

فالشاعر هنا لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، فإنه لما جعل الليل ساقياً جعل
له كفاً ، لأن الساقى إننا يناول الكأس بالكف . وكذلك " الأكواس " ، فإنه لما جعل
الكرى كالشراب استعار له الأكواس ، لأن الشراب إننا يسقى في الأكواس .
قال الشيخ :

" وليس هذا الضرب من الاستعارة بدون الضرب الأول في إيجاب وصف
" الفصاحة " للكلام ، لا بل هو أقوى منه في اقتضاءها ، والمحاسن التي تظهر
به ، والصور التي تحدث للمعاني بسببه ، آنق وأعجب ، وإن أردت أن تزداد
علماً بالذي ذكرت لك من أمره فأنظر إلى قوله :

✽ سَقَّتْهُ كَفُّ اللَّيْلِ الْكُؤْسَ الْكُرَى ✽

وذلك أنه ليس يخفى على عاقل أنه لم يرد أن يشبه شيئاً بالكف ، ولا أراد
ذلك في " الأكواس " ، ولكن لما كان يقال : " سُكِرَ الْكُرَى " ، و " سُكِرَ النَّوْمُ " ،
استعار للكرى " الأكواس " . . .

ثم إنه لما كان الكرى يكون في الليل ، جعل الليل ساقياً ، ولما جعله ساقياً
جعل له كفاً ، إذ كان الساقى يناول الكأس بالكف (٢)

(١) لم أقف على قائله ، وقد بحثت في ديوان أبي نواس فلم أجده فيه .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاعر : ٤٦١ .

وذكر القاضي الجرجاني أن معنى الشاهد سرقة آخر ، فقال :

سَقَاهُ الْكَرَى كَأْسَ النَّعَاسِ فَرَأَسَهُ . : لِدِينِ الْكَرَى فِي آخِرِ اللَّيْلِ سَاجِدُ

فالسرقه عنده قد وقعت ؛ لأن الأخذ كان في اللفظ المستعار قال :

" . . . بل جميع الشعر كذلك ؛ لأن الألفاظ منقولة متداولة ، وإنما يدعى ذلك

في اللفظ المستعار أو الموضوع . . . " (١)

الشاهد السادس والسبعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

* وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّعْسَةِ السَّهْرِ (٢) * (٣)

ذكر الشيخ عجز البيت دون الصدر ، ومن غير نسبة ، وهو لأبي دَهَبِ الجُمَحِيِّ (٤) ،

وصدره :

(١) الوساطة : ٢١١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦١ .

(٢) هذه رواية الحماسة ت : عسيلان ، وشرح الحماسة للمرزوقي ، وشرحها

للتبريزي ، والحماسة البصرية .

ورواية ديوان وأمالي المرتضى : " وَقَدْ سَقَى الْقَوْمَ كَأْسَ النَّشْوَةِ السَّهْرِ " .

ورواية الأغاني : " وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ الشَّقْوَةِ السَّفْرِ " .

ورواية الأشباه والنظائر : " وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ النَّشْوَةِ السَّهْرِ " .

ورواية إصلاح ماغلط فيه النمرى : " وَقَدْ سَقَاهُمْ بِكَأْسِ النَّوْمَةِ السَّفْرِ " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٩٢ ، الحماسة " تحقيق : عسيلان " : ١٠٢ / ٢ رقم (٥٥٣) ،

الأغاني : ١٦ / ١١٨ ، الأشباه والنظائر : ١٥٥ / ٢ ، أمالي المرتضى :

١ / ١١٨ ، إصلاح ماغلط فيه النمرى : ١٣٣ ، الحماسة البصرية : ١٢٧ / ٢ ،

شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٣٥٠ / ٣ رقم (٥٤٨) ، شرح الحماسة

للتبريزي : ١٦٦ / ٣ .

(٤) أبو دَهَبِ : بفتح " الدال والياء " هو وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيدة

ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جمح ، من أشرف بني جمح بن لؤي بن

غالب من قريش أحد الشعراء العشاق المشهورين من أهل مكة . قال المرتضى : =====

* أَقُولُ وَالرَّكْبُ قَدْ مَالَتْ عَائِسُهُمْ * (١)

وهو من قصيدة أولها :

يَا أَحْسَنَ النَّاسِ لَوْلَا أَنْ قَاتَلْتَهُمَا .: قَدَمَا لِمَنْ يَبْتَغِي مَيْسُورَهَا عَسِيرُ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

وَأِنَّمَا دَلَّهَا سِحْرُ لِيَطَالِبِي .: وَأِنَّمَا قَلْبُهَا لِمُشْتَكِي حَجَرُ

هَلْ تَذَكِّرِينَ كَمَا لَمْ أَنْسَ عَهْدَكُمْ .: وَقَدْ يَدُومُ لِعَهْدِ الْخُلَّةِ الذِّكْرُ

وبعدها الشاهد وبعده :

يَالَيْتَ أَنْيَ بِأَثْوَابِي وَرَاحِلَتِي .: عَجْدٌ لِأَهْلِكَ هَذَا الشَّهْرُ مُؤْتَجَّرُ

فَقَدْ أَطْلَمْتَ اعْتِلَالًا دُونَ حَاجَتِنَا .: بِالْحَجِّ امضِ فَهَذَا الْحِلُّ وَالنَّفَرُ (٢)

=== هو " من شعراء قريش ، ومن جمع إلى الطبع التجويد " ، وهو شاعر محسن مداح ، له مدائح في معاوية ، وعبد الله بن الزبير وأخبار كشييرة مع عمرة الجمحية ، وعاتكة بنت معاوية ، في شعره رقة وجزالة ، ولأه عبد الله ابن الزبير بعض أعمال اليمن ، توفي بعلب سنة (٦٦٣ هـ) ، وفي معجم البلدان غلب موضع بتهامة * / انظر ترجمته :

الأغاني : ٧ / ١١٤ - ١٤٥ ، المؤلف والمخطف : ١١٧ ، أمالي المرتضى : ١ / ٧٩ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦١٨ ، ٦٢١ ، الموشح : ٦٣ ، ١٧٢ ، شرح الشواهد الكبرى للعيني - على هامش خزنة الأدب - دار صادر - * : ١ / ١٤١ - ١٤٢ ، ذيل سبط اللآلي : ٣ / ٨٨ ، الأعلام : ٣ / ٨٠٥ / ١٢٤ ، ١٢٥ .

(١) رواية الأغاني ، وإصلاح ماغلط فيه النمرى ، والحماصة البصرية :

* قُولِي وَرَكْبِكَ قَدْ مَالَتْ عَائِسُهُمْ * .

(٢) ديوانه : ٩٢ - ٩٣ .

استشهد به الشيخ على أن استعارة الكأس هنا نظيرها قول الشاعر في الشاهد السابق "أكؤس الكرى" فقد شبه السهر بالساقى ، وشبه النعسة بالشراب ، ولما كان الشراب يستلزم أن يكون له كأس استعار الكأس للنعسة على سبيل الاستعارة التخيلية .

والمعنى كما شرحه المرزوقي :

" قوله : " وقد هالت عمائمهم " يريد لِقَلْبَةِ النوم عليهم ، ومجاهدة السير والسرى فيهم ، ومزاوتهم السهر ، حتى كأنهم سقا هم كؤوس النعاس فسكروا " (١)

الشاهد السابع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

(٢)
الحكم بن قنبر :

(٣)
وَلَوْلَا اَعْتَصَامِي بِالْمُنَى كَلَّمَا بَدَا . . . لِي الْيَأْسُ مِنْهَا لَمْ يَقُمْ بِالْهَوَى صَبْرِي

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١٣٥١ / ٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦٢ .

(٢) هو الحكم بن معمر بن قنبر بن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن

طريف بن محارب ، وهو شاعر إسلامي ، وكان مع تقدمه في الشعر

سجاعاً كثير السجع ، وكان هجاءً خبيث اللسان ، وكان بينه وبين الرماح

ابن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف ، وهو متأخر أدركه

الأصمعي ، توفي سنة ١٥٠ هـ / انظر ترجمته :

الأصمعيات : ٣٢ ، ٣٣ ، الأغاني : ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، الموشح : ٢٠٧ ،

٢٠٨ ، ٢١١ ، سبط اللآلي : ١ / ١٦ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر :

٤ / ٤٠٧ ، ٤٠٩ ، معجم الأدباء : ١٠ / ٢٤٠ - ٢٤٥ ، الخزانة للبغدادي

- دار صادر - : ٢٠٤ ، الأعلام : ٢ / ٢٦٧ .

وذكر الأستاذ خفاجي أنه توفي سنة (٢٠٧ هـ) وأنه كان يتهاجى ومسلم بن

الوليد ، ولم يذكر على أي شيء اعتمد في ترجمته هذه .

(٣) رواية الدلائل تحقيق رضا : " لو اعتصامي " .

وَلَوْلَا أَنْتِظَارِي كُلَّ يَوْمٍ جَعَدِي غَدِي . . . لَرَأَحَ بِنَعْشِي الدَّافِنُونَ إِلَى قَبْرِي
وَقَدْ رَأَيْتَنِي وَهْنُ الْمُنَى وَأَنْقَبَاضُهَا . . . وَبَسَطُ جَدِيدِ الْيَأْسِ كَفَيْهِ فِي صَدْرِي (١)

الشاهد فيه كسابقه وموضعه قوله :

* وَبَسَطُ جَدِيدِ الْيَأْسِ كَفَيْهِ فِي صَدْرِي *

فإنه لما شبه اليأس في غلبته على نفسه بالشخص المتمكن من الشيء ، القادر عليه ، وكانت اليد في الإنسان هي موضع الإمساك بالشيء ، استعار الكفين لليأس .
وهذه الأبيات هي نفثة شاعر يعيش بين الرجاء واليأس ولن كان اليأس يغلب عليه ، وهي أسوأ حالة يكون فيها أمثاله يعتصم بالأمني في مواجهة اليأس ، ويمسك عليه حياته رجاءه في الغد ، ولكن اليأس المتجدد يتمكن من نفسه فما أشقاء !

قال الشيخ :

* ليس المعنى على أنه استعار لفظ الكفين لشيء ، ولكن على أنه أراد أن يصف اليأس بأنه قد غلب على نفسه ، وتمكن في صدره ، ولما أراد ذلك وصفه بما يصفون به الرجل بفضل القدرة على الشيء ، وبأنه متمكن منه وأنه يفعل فيه كل ما يريد كقولهم : قد بسط يديه في المال ينفقه ويصنع فيه ما يشاء ، وقد بسط العامل يده في الناحية وفي ظلم الناس : فليس لك إلا أن تقول أنه لما أراد ذلك جعل لليأس كفين ، واستعارهما له فأما أن توقع الاستعارة فيه على اللفظ فما لا تخفى استحالتها على عاقل * (٢) .

الشاهد الثامن والسبعون بعد المائتين : (*) (الرجز)

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِّي * (٣)

(١) لم أقف على الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٥٥ ، خفاجي : ٤٢٥ ، شاكر : ٤٦٢ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر : ٤٦٣ .

(٣) الرجز لرؤبة وقد سلف ذكره : ٦٩٩ .

استشهد به الشيخ على أن المجاز كالأستعارة بل هو أدل في إثبات أن الفصاحة
والبلاغة للمعاني لا للألفاظ ، فلا يمكن الزعم أن المجاز أكسب لفظ (نام) ولفظ
" الليل " مذاقاً لم يكن لهما من قبل .

قال الشيخ :

" والقول في " المجاز " هو القول في " الاستعارة " لأنه ليس هو بشيء غيرها ،
وإنما الفرق أن " المجاز " أعم من حيث أن كلَّ استعارة مجاز ، وليس كل مجاز
استعارة .

وإذا نظرنا من " المجاز " فيما لا يُطلق عليه أنه " استعارة " ازداد خطأ القوم
قبحاً وشناعةً . . .

وكذلك يلزم أن يكون السبب في أن كان قول الشاعر :

* فَنَامَ لَيْلِي وَتَجَلَّى هَمِي *

أفصح من قولنا : فَنَمْتُ في لَيْلِي أن كسب هذا المجاز لفظ " نَامَ " ولفظ
" الليل " مذاقة لم تكن لهما . وهذا مما ينبغي للعاقل أن يستحي منه
وأن يأنف من أن يسهل النَّظْرَ إِهْمَالاً يُؤدِّيهِ إِلَى مثله ، ونسأل الله تعالى
العصمة والتوفيق * (١)

الشاهد التاسع والسبعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

* قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ * (٢)

سبق الاستشهاد به على نفس الموضع . (٣)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٥٦ ، خفاجي : ٤٢٦ ، شاكر : ٤٦٢-٤٦٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦ ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاكر : ٤٦٨ .

(٢) هذا صدر بيت لامري ، القيس ، وقد سبق تخريجه .

(٣) انظر : ٥٨٣٦ من البحث .

الفصل الثاني عشر

شواهد الأخذ والسرقه

- ١- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد .
- ٢- الموازنة بين الشعرين والإيجاده فيهما من الجانبيه .
- ٣- وصف الشعر والإدلال به .

إن مشكلة السرقات الأدبية في النقد العربي مشكلة ذات جذور ضاربة فسي القدم ، فقد شغلت حيزاً كبيراً من تفكير واهتمام النقاد القدماء ، فتفاوتت جهودهم وآراؤهم في هذه القضية ، فلا يعدو جهد بعضهم عن أن يكون مجرد تعليقات خاطفة وملحوظات عابرة كما في كتب الطبقات والتراجم (الشعر والشعراء ، طبقات فحول الشعراء) على أن هذه التعليقات لا يستهان بها ، فقد مهدت الطريق أمام اللاحقين .

وأول دراسة نقدية قامت حول السرقات نجدها في كتاب عيار الشعر لابن طباطبا العلوي .

إلا أن أبرز الدراسات الجادة ذات القيمة النقدية العالية نجدها في كتابي " الوساطة " للجرجاني ، و" الموازنة " للآمدي ، حيث وضع حجر الأساس لهذه القضية ، فرأى الآمدي أن من المعاني ما هو عام مشترك ، وهذا الاتد خله السرقة ، ومنها ما هو خاص مبتكر ، وهذا ما تكون فيه السرقة ، ويحصل فيه الأخذ .

وفصل القاضي الجرجاني القول في هذه القضية ووسع أبعادها ، فجعل للسرقة أنواعاً ، وفرق بين كثير من المصطلحات المتشابهة ، ورأى أن هناك سرقة مدوحة ، وسرقة مذمومة .

كما فصل القول في المعاني المشتركة ، والمعاني الخاصة .

ثم جاء أبو هلال العسكري ، وصرح بأن قضية الأخذ والنسج على منوال الآخرين ليس عيباً ، وإنما هو أمر لازم حتي ، وهو باب للمفاضلة بين الناس . قال :
" ليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تناول المعاني من تقدمهم ،

والصب على قوالب من سبقهم " (١)

وقال أيضاً :

" وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ ورصفها ، وتأليفها ونظمها " (٢)

ثم جاء الشيخ عبد القاهر الجرجاني ، وأدار دفة هذه القضية ووجهها ، وجهة جديدة ، وسلك بها مسلكاً طريفاً كان له أكبر الأثر في النقد العربي .
ونحن لا نتكر أن لابن قتيبة أيضاً فضل السبق في هذا الاتجاه حيث فاضل في كتابه الشعر والشعراء بين كثير من المعاني المتفقة للشعراء ، إلا أنه لم يخرج عن ذلك .

والفرق بين ابن قتيبة وأبي هلال العسكري ، والشيخ عبد القاهر يكمن في أن الشيخ رعى هذه النواة التي وضعها السابقون ، وسقاها بفكره حتى ترعرعت ، فكانت نظرية فنية ، ومقياساً ثابتاً للموازنة ، ومعياراً محكماً للمفاضلة بين الشعراء .
ولقد رسم الشيخ نظريته هذه رسماً واضحاً ، ووضع لها منهجاً ثابتاً ، فرأى أن الاتفاق بين الشاعرين إما أن يكون في الغرض على وجه الجملة والعموم كأن يتجه كل منهما إلى وصف مدوحه بالشجاعة والسخاء ، وهذا الأمر لا يكون فيه أخذ ولا سبق .

وإما أن يكون الاتفاق في وجه الدلالة على الغرض ، وهذا الاتفاق يكون على وجهين :-

- أن يكون مما يشترك الناس في معرفته ، وهو مستقر في العقول والعمادات ، كالتشبيه بالأسد في الشجاعة ، وبالبحر في السخاء ، فهذا لا أخذ فيه .
- أن يكون مما ينتهي إليه المتكلم بنظر وتدبير ، ويناله بطلب واجتهاد ، فهذا النوع الذي قد يدعى فيه التفاضل والسبق .

أما العمي الذي لحقته الصنعة ، ورُكِّب عليه معنى جديد ، ودخل إليه من باب الكناية والتعريض ، فإنه يصير من قبيل الخاص الذي قد يقع فيه الأخذ . (١)
هذا ما مهد به الشيخ لنظريته الفنية الجديدة في السرقات ، والتي كانت نتاجاً لنظرية النظم ، وذلك بعكس دراسة السابقين لهذه القضية ، فقد اعتمدوا فيها

(١) أسرار البلاغة : هـ ، ريتز - : ٣١٣-٣١٥ .

على الفصل بين اللفظ والمعنى ، وقد عاب الشيخ في كتابه الدلائل نظرتهم هذه ، فرأى أنه قد يتحد الغرض ، ولكن لا يمكن أن يتحد تركيب الصورة ؛ لأن لكل شاعر أسلوبه وشخصيته المميزة ، ومن هنا فلا سرقة ، وإنما تأثر اللاحق بالسابق في معنى صيغ في قالب جديد ، وفي هذه الصياغة الجديدة تقع المفاضلة والمايزة بين المؤثر والمتأثر .

قال الشيخ عبد القاهر شارحاً نظريته :

“ واعلم أن قولنا ” الصورة ” إنما هو تشيل وقياس لما نعلمه بعقولنا على الذي نراه بأبصارنا ، فلما رأينا البيوتونة بين آحاد الأجناس تكون من جهة الصورة فكان تبيين إنسان من إنسان وفرس من فرس بخصوصية تكون في صورة هذا لا تكون في صورة ذلك ، وكذلك كان الأمر في المصنوعات ، فكان تبيين خاتم من خاتم ، وسوار من سوار بذلك ، ثم وجدنا بين المعنى في أحد البيتين ، وبينه في الآخر بيتونة في عقولنا ، وفرقاً عبرنا عن ذلك الفرق ، وتلك البيوتونة بأن قلنا : ” للمعنى في هذا صورة غير صورته في ذلك ” . . .

واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر ، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً ولم يغير له صفة ، لكان قول العلماء في شاعر : ” إنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد ” وفي آخر ” إنه أساء وقصر ” لغواً من القول ، من حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء ، لا يصنع به شيئاً وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت ومناسباً له . خطأ منهم ، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه ، وأن يكون نظيراً لنفسه .

وأمر ثالث ، وهو أنهم يقولون في واحد : ” إنه أخذ المعنى فظهر أخذه ” وفي آخر : ” إنه أخذه فأخفى أخذه ” ، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته وكان الآخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ ، لكان الإخفاء فيه محالاً ، لأن اللفظ لا يخفي المعنى ، وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها ” (١)

ويقول في موضع آخر من الدلائل :

" وإنا لنراهم يقيسون الكلام في معنى المعارضة على الأعمال الصناعية كنسج الديباج وصوغ الشنف والسوار وأنواع ما يصاغ وكل ما هو صنعة وعمل يد بعهد أن يبلغ مبلغاً يقع التفاضل فيه ثم يعظم حتى يزيد فيه الصانع على الصانع زيادة يكون له بها صيتٌ ويدخل في حد ما يعجز عنه الآكثرون وهذا القياس وإن كان قياساً ظاهراً معلوماً وكالشيء المركوز في الطباع حتى تسرى العامة فيه كالخاصة فإن فيه أمراً يجب العلم به وهو أنه يتصور أن يبدأ هذا فيعمل ديباجاً ويبدع في نقشه وتصويره فيجيء آخر ويعمل ديباجاً آخر مثله في نقشه وهيئته وجملته صفته حتى لا يفصل الرائي بينهما ولا يقع لمن لم يعرف القصة ولم يخبر الحال إلا أنها صنعة رجل واحد وخارجان من تحت يد واحدة ، وهكذا الحكم في سائر المصنوعات كالسوار يصوغه هذا ويجسيء ذلك فيعمل سواراً مثله ويؤدي صنعته كما هي حتى لا يفاد رمنها شيئاً ألبتة ، وليس يتصور مثل ذلك في الكلام ، لأنه لا سبيل إلى أن تجيء إلى معنى بيت من الشعر أو فصل من البئر فتؤد به بعينه وعلى خاصيته وصنعته بعبارة أخرى حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لا يخالفه في صفة ولا وجه ولا أمر من الأمور ، ولا يفرتك قول الناس : قد أتى بالمعنى بعينسه وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه فإنه تسامح منهم والمراد أنه أدى الغرض فأما أن يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون عليه في كلام الأول حتى لا تعقل ههنا إلا ما عقلته هناك وحتى يكون حالهما في نفسك حال الصورتين المشبهتين في عينك كالسوارين والشنقين ففي غاية الإحالة وظن يفرضي بصاحبه إلى جهالة عظيمة . . . " (١)

(١) الدلائل : رضا : ٢٠١ - ٢٠٢ ، خفاجي : ٢٧٠ ، ٢٧١ ، شاكر :

ونخلص من هذا كله أن المقولّ عنده ليس هو اتحاد معاني الشعراء وتلاقيها بل المهم في الأمر هو تلك الصورة التي صيغت بها تلك المعاني .

فموضوع السرقة عند الشيخ عبد القاهر " لون من ألوان اشتراك الشعراء فسي المعنى وسبب يمهّد للموازنة بين المعاني ، ويرى الفرق في الصور التي يتناول بها الشعراء معنى واحداً ، بل إنه يرى الشاعر عندما يأخذ معنى غيره أهـلاً لأن يوازن بين معناه والمعنى الأصلي الذي استوحاه . " (١)

وقال الأستاذ أحمد بدوي معلقاً على دراسة الشيخ :

" لقد كانت دراسة عبد القاهر للسرقة وسيلة لدراسة ألوان المعاني الشعرية ، وأصول هذه المعاني ، وما يحدثه التخيل فيها من ألوان الجمال ، وكيف يمهّد السابق لللاحق سبيل الإجابة ، وكيف يزيد الشاعر في المعنى ، أو يأخذ المعاني من المعاني ، فيضيف إليه ما يجعله طريفاً " (٢)

ورأى الدكتور شوقي ضيف أن الشيخ بنظريته هذه قد أنكر السرقات في الشعر جملة بحجة أن لكل شاعر أسلوبه . قال :

" كان من أطرف ما وصل إليه عبد القاهر عن طريق نظريته في النظم أنه أنكر السرقات في الشعر جملة ؛ لأن لكل شاعر أسلوبه ونظمه في عرض المعنى الذي يشترك فيه مع غيره ، ومن ثم يخطيء من يظن أن شاعراً أخذ معني من شاعر آخر ، فلم يترك فيه شيئاً ، وأن مثل من يزعم هذا الزعم مثل من يرى خيال الشيء فيظنه الشيء نفسه " (٣)

ويبدو لي أن الشيخ لم ينكر السرقات جملة كما ذكر الدكتور شوقي ضيف ، فقد وافق من سبقوه في أن الشاعر قد يأخذ من شاعر آخر ، فيجيد الأخذ ، وقد يقصر ويسمي . (٤) .

(١) عبد القاهر الجرجاني ، أحمد بدوي : ٢٧٧ .

(٢) المرجع السابق : ٢٧٨ .

(٣) النقد من فنون الأدب العربي : ٦٠ . نقل عن كتاب النقد التخيلي : ٣٣٩ - .

(٤) الدلائل ، رضا : ٣٨٩ ، أسرار البلاغة : ٢١٣ .

ووافقهم في أن السرقة منها ما يكون ظاهراً، ومنها ما يكون خفياً، إلا أننا نستطيع أن نقول بأن الشيخ لم ينكر السرقات في الشعر جملة، بل إنه جعل للكلمة السرقة مدلولاً مغايراً لمدلولها عند من سبقوه، فهي عنده تعني الاختصاص والسبق والتقدم والأولية والتفاضل، وليس عنده سارق ومسروق بل مفيد ومستفيد قال:

... نعم إذا كان هذا شأنه، وههنا مكانه، وبهذا الشرط يكون إمكانه، فهو الذي يجوز أن يدعي فيه الاختصاص والسبق والتقدم والأولية، وأن يجعل فيه سلف وخلف، ومفيد ومستفيد، وأن يقضي بين القائلين فيه بالتفاضل والتباين * (١)

وهكذا نرى أن الشيخ عبد القاهر قد ترفع عن استعمال لفظ سرقة، فهي لم ترد عنده إلا على سبيل الحكاية، وذلك إيماناً منه بأن الأخذ ليس عيباً يُعَيَّرُ به الشاعر، فَيَعَدُّ عمله لأجلها سرقة، فلفظ سرقة، فلفظ سرقة فيه نوع من التجريح للأديب أما لفظ الأخذ فهو أخف وقعاً على النفس.

ويبدو لي أن تسمية القضية بقضيه التأثير والتأثر أدق علمياً - والله أعلم - ولا شك في أن عبد القاهر بهذا قد نأى بمشكلة السرقات عن دائرة الاتهام والظن، وتلفيق أخذ المعاني، وجعلها جزءاً من علم البلاغة يتوصل عن طريقها إلى أسرارها، ومواطن جمالها ودقائقه، وأصبحت بذلك مشكلة فنية خالصة تختص بالمعاني، وتطورها، وتأثر الشعراء بعضهم ببعض إلى غير ذلك من دقائق تنفي وجود سرقة إلا أن يكون نسخاً ومكابرة * (٢)

ولقد أخذ الدكتور شوقي ضيف على نظرية الشيخ في السرقات مأخذاً، فرأى أن هذا الاتجاه جعل الشعراء يقفون مكانهم لا يحاولون التقدم بحثاً عن معاني جديدة اخترعة بل اكتفوا بالالتكاء على المعاني القديمة، ومحاولة إخراجها في صورة جديدة. قال:

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩، أسرار البلاغة: ٢١٣.

(٢) النقد التحليلي عند الشيخ عبد القاهر: ٣٣٨.

" . . . كان التحوير عند هؤلاء الشعراء (١) عملاً فنياً طريفاً ، غير أننا لا نتقدم إلى القرن الرابع حتى نحس بتحول في هذا التحوير، إذ يصبح نوعاً من التفتيق ، فالشعراء لا يضيفون إلى الأفكار عناصر جديدة من زخرف أو حضارة أو ثقافة ، وبذلك أصبحت تشبه " الصور الفوتوغرافية " فهي تحافظ على الأصل بأشكاله ، وأوضاعه ، وهذا كل ما تستطيع آلة المصور أن تقدمه ، ومع ذلك فلا بد لها من صلاحية في استعمالها واستخدامها ، ولكن ليس للمصور عمل في صورته إنما هي أشياء آلية هي آلة تخرج ، وعليه أن يرصد ما تخرج " (٢) وقال أيضاً :

" ومهما يكن فإن الناقد لا يحس إزاء شعراء القرن الرابع ، وما بعده من قرون بالإعجاب الذي كان يحسه إزاء أسلافهم من شعراء القرنين الثاني والثالث ، فقد شمل الحياة الغنية غير قليل من الركود والجمود ، فالماء ساكن ، وليس عليه أمواج ولا رياح ، وكأني بالحضارة العربية قد ضلت طريقها ، فوقفت عند تقليد الأوضاع القديمة ، وكلما ظهر جديد في الشعر والفن إلا هذا التفتيق الواسع للماضي ، وأفكاره وصوره " (٣)

ولقد أيدته في هذه النظرة الدكتور الصاوي ، فقال :

" ولقد صدق الدكتور شوقي ضيف حين ذكر أن هذا الاتجاه جعل الشعراء لا يبحثون عن موضوعات جديدة إنما انصب عليهم على التحوير في المعانسي القديمة مادامت هي محك الجمال الفني عند أنصار الصورة الشعرية الذين جعلوا من الشعر صناعة يجهد الشاعر نفسه فيها حتى يصل إلى صياغة جديدة تعجب أهل البلاغة ، وتحمل الصياغة الجديدة للمعنى القديم " (٤)

(١) يقصد بهم شعراء القرنين الثاني والثالث .

(٢) الفن ومذاهبه في الشعر العربي : ٢٩٩-٣٠٠ .

(٣) المرجع السابق : ٣٠١ .

(٤) النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني : ٣٣٨ .

ومن المؤكد أن الشيخ عبدالقاهر لم يقصد من وراء عمله هذا تعقيم الخيال الأدبي ، وصرف الشعراء عن ابتكار المعاني ، ولا ترتب على عمله ما ادَّعاه الكاتبان بدليل أن الشعراء في عصره وبعد عصره ظلوا في ابتكار المعاني ، وفي استحداث الصور البديعية .

حتى العصور التي يرى بعض مؤرخي الأدب أنها عقت من المعاني كانت حافلة بالمعاني الجديدة ، وبالصيغات الرائعة .

الشاهد الثامنون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قال الفرزدق :
 (١) (٢) (٣) (٤)
 أترجُو رُبَيْعًا أَنْ تَجِيَّ وَصِغَارُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رُبَيْعًا كِبَارُهَا (٥)

وهو من أبيات يهجو بها بني ربيع بن الحرث بن عمرو بن كعب بن سعد

ابن زيد مناة بن تميم . (٦)

وهو أول أبيات ثلاثة وعده :

-
- (*) الدلائل ، رضا : ٤٣١ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاکر : ٤٦٩ .
 (١) رواية التثليل والمحاضرة : " ترجى ربيع " .
 (٢) رواية بهجة المجالس : " كلياً " .
 (٣) رواية التثليل والمحاضرة : " أن يجي " .
 رواية التثليل والمحاضرة وبهجة المجالس : " عليك " .
 (٤) ورواية الديوان : " ربيعاً " بفتح الراء .
 (٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١ / ٢٧٢ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٤ ، البيان والتبيين :

٣ / ٢٠٨ ، الشعر والشعراء : ١٣٧ ، الأغاني : ١٩ / ١٥ ،

الصناعتين : ٢٥٠ ، التثليل والمحاضرة : ٦٩ ، بهجة المجالس : ٢ / ٥٣٠ ،

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٦ ، نهاية الأرب : ٣ / ٧٢ .

(٦) نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٢٧٢ ، الاشتقاق : ٢٤٥ ، القاموس : " ربيع " :

مُعْتَلُونَ صَخَابُوا الْعَشِيِّ كَأَنَّهُمْ .: جِدَاهُ مِنَ الْمِعْزَى شَدِيدٌ يِعَارُهَا
إِذَا النَّجْمُ وَافَى مَغْرِبَ الشَّمْسِ حَارَدَتْ .: مَقَارِي عُيَيْدٍ وَاشْتَكَى الْقِدْرُ جَارُهَا (١)
وفي النقائض ذكر بيت الشاهد وبعده :

كَأَنَّ رُبَيْعاً حِينَ تُبْصِرُ يَنْقَرُ .: أَنَانٌ دَعَاهَا فَاسْتَجَابَتْ حِمَارُهَا
واحتذاء البعيت فقال : (الطويل)

أَتَرْجُو كَلْبَيْبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا .: بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلْبِيَّ قَدِ يَمُهِسَا (٢)
وهو من قصيدة مطلعها :

أَأَنْ أَمْرَعَتْ مِعْزَى عَطِيَّةً وَأَرْتَعَتْ .: تِلَاعاً مِنَ الْمَرْوَاتِ أَخْوَى جَمِيمِهَا (٣) (٤) (٥) (٦) (٧)
وقبل الشاهد :

كَلْبَيْبُ لِقَامِ النَّاسِ قَدْ تَعَلَّمُونَهُ .: وَأَنْتَ إِذَا عُدْتَ كَلْبَيْبَ لَيْمِهَا
لَقِيَّ مُقَمِّدَ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعَ بِي .: إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا حُطَّةً لَا يَرُومُهَا (٨)
وبعد الشاهد :

عَلَى عَهْدِ زِي الْقَرْنَيْنِ كَانَتْ مُجَاشِعٌ .: أَعْرَاءٌ لَا يَسْطِيعُهَا مَنْ يَضِيمُهَا

(١) ديوان الفرزدق : ١ / ٢٧٢ ، النقائض : ١ / ١٢٤ .

(٢) انظر البيت في :

الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٧ ، نقائض جريسر

والفرزدق : ١ / ١٢٥ ، ١ / ١٠٩ .

(٣) أمرعت : أخصبت . / القاموس المحيط " مرع " : ٣ / ٨٧ .

(٤) التلاع : مسايل الماء . / القاموس المحيط " تلح " : ٣ / ١٠ .

(٥) المرآت : بالفتح ثم التشديد والضم وسكون الواو وتاء مثناة ، اسم نهر ،

وقيل موضع في ديار بني تميم . / معجم البلدان : ٥ / ١١١ .

(٦) الأخوى : الشديد الخضرة . / القاموس المحيط " حوى " : ٤ / ٣٢٣ .

(٧) جميمها : الجَمِّ والجَمِّ الكثير من كل شيء ، والجميم من النبات ماكثر منه . / اللسان

" جم " : ١٢ / ١٠٤ .

(٨) لقي : رجل شقي لقي لا يزال يلقي شراً / اللسان " لقا " : ١٥ / ٢٥٤ .

استشهد الشيخ بهذين الشاهدين على جليّ الاحتذاء فمضون معنى البيتين
واحد وهو أن الخير لم يأت من كبار القوم وعظائمهم فهل يرجى من صغارهم؟
وهما من ناحية التركيب لا اختلاف بينهما إلا في أسماء الأشخاص (ربيع -
كليب) وفي آخر صدر البيت (صغارها - حديثها) ، وآخر العجز (كبارها -
قديمها) وهذه الفروق لم تغير في التركيب ولم تزد في المعنى شيئاً وهذا من
الحدو المعيب .

قال الشيخ :

* واعلم أن * الاحتذاء * عند الشعراء وأهل العلم بالشعر وتقديره وتييزه
أن بيتي الشاعر في معنى له وغرض أسلوباً - والأسلوب الضرب من النظم
والطريقة فيه - فيعمد شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره ،
فَيَشَبُّه بمن يقطع من أديمه نعلًا على مثال نعلٍ قد يقطعها صاحبها ، فيقال :
* قد آحتدى على مثاله * وذلك مثل أن الفرزدق قال . . . واحتذاءه البعيث* (١)
الاحتذاء هنا في الأسلوب ، وكأن الشيخ يحاول أن يتعد عن القول بأن
المعنى متحد في البيتين ، ولعله يعلل ذلك بأن قديمها غير كبارها ، وحديثها
غير صغارها عند التدقيق في معاني الألفاظ وماتوجي به .

ثم قال الشيخ :

* وهذا الذي كتبت من جليّ الأخذ في * الحدو * (٢)
ورأى أبو هلال العسكري أن هذا من الأخذ المعيب وإن ادعى الآخذ أنه
لم يأخذه وإنما وقع له ما وقع للأول .

قال :

(١) الدلائل ، رضا : (٣٦١) ، خفاجي : ٤٣٠ ، شاکر : ٤٦٨-٤٦٩ .

(٢) الدلائل : رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاکر : ٤٧٠ .

* وقبح الأخذ أن تعمد إلى المعنى فتتناوله بلفظه كله أو أكثره ، أو تخرجه في معرض مستهجن ، والمعنى إنما يحسن بالكسوة . . . فما أخذ بلفظه ومعناه ، وآدعى آخذه (أو آدعى له) أنه لم يأخذه ، ولكن وقع له كما وقع للأول كما سئل أبو عمرو بن العلاء عن الشاعرين يتفغان على لفظ واحد ومعنى . . . فقال : عقول رجال توافت على ألسنتها . . .

وقال البعيث :

أَتَرْجُو كَلِيبَ أَنْ يَجِيءَ حَدِيثُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا كَلِيبًا قَدِيمُهَا

وقال الفرزدق :

أَتَرْجُو رَبِيعَ أَنْ تَجِيءَ صِفَارُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا رَبِيعًا كِبَارُهَا

ومثل هذا كثير في أشعارهم جداً . . . والأخذ إذا كان كذلك كان معيباً ، وإن آدعى أن الآخر لم يسمع قول الأول بل وقع لهذا كما وقع لذلك ، فإن صحة ذلك لا يعلمها إلا الله عز وجل والعيب لازم للآخر . . . (١)

والفرزدق أخذ بيته من بيت شعيب بن عبد الله من كنانة بليقين : (٢)

أَتَرْجُو حُجَيْبَ أَنْ تَجِيءَ صِفَارُهَا . . . بِخَيْرٍ وَقَدْ أَعْيَا عَلَيْكَ كِبَارُهَا (٣)

يهجوه رجلاً من بليقين يقال له عقاب بن هاشم ، وعقاب يقول فيهم :

فَمَا كِنَانَةٌ فِي خَيْرٍ بِخَائِسِرَةٍ . . . وَلَا كِنَانَةٌ فِي شَرٍّ بِأَشْرَارٍ (٤)

(١) الصناعتين : ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٢) ذكر الأمدى في المؤلف والمختلف أن البيت لحريث بن عتاب وهو

أحد بني نبهان بن عمرو بن الفوث بن طيبي ، شاعر محسن مكثّر

عاش في عصر عربن الخطاب إلى زمن معاوية . / انظر :

المؤلف والمختلف : ١٦١ .

(٣) الصناعتين : ٢٥٠ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٢٩ ، رقم

٠ (٦٢٤)

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١٤٨٠ .

وقال ابن سلام في أخذ الفرزدق :
 " وكان الفرزدق أكثرهم مقلداً ، والمقلد البيت المستغني بنفسه المشهور الذي

يُضرب به المثل " . (١)

وللفرزدق في هذا المعنى - أيضاً - يهجو بني فقيم :

تَرَجَّى أَنْ تَزِيدَ بَنُو فَقِيمٍ . . . صِفَارَهُمْ وَقَدْ أَعْيَا كِبَارَا (٢)

قال الفرزدق :

إِذَا مَا قَلَّتْ قَافِيَةٌ شُرُوداً . . . تَنَحَّلَهَا ابْنُ حَمْرَاءِ الْعِجَانِ (٥)
 (٣) (٤)

ساقه الشيخ دليلاً على احتذاء البيعت للفرزدق ، وأن ما صنعه بالبيت كان انتحالا .

الشاهد الواحد بعد المائتين : (*) (الطويل)

قال البيعت : (٦)

كَلَيْبٌ لِنَاِمِ النَّاسِ قَدْ يَعْلَمُونَهُ . . . وَأَنْتَ إِذَا عَدَّتْ كَلَيْبٌ لَيْمِهَا (٨) (٧)

(١) طبقات فحول الشعراء : ١٣٧ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٠٩ .

(٣) رواية النقائض : " تنحلها " وجاء في شرحها : " تنحلها " أي أخذ خيارها ،
 وتحلها انتحلها .

(٤) يعني بابن حمراء العجان " البيعت " .

(٥) انظر البيت في :

شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٤ / ٢٧ ، نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٦٩ .

(٦) هو خد اش بن بشر بن خالد ، أبو زيد التميمي (. . . - ١٣٤ هـ) المعروف بالبيعت

المجاشعي ، خطيب شاعر من أهل البصرة كانت بينه وبين جرير مهاجاة دامت
 نحو أربعين سنة . / انظر ترجمته :

البيان والتبيين : ١ / ٤٥ ، ٣٧٤ ، ٣ / ١٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٥٠٤ ،

المؤتلف والمختلف : ٥٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٠٢ .

(٧) رواية النقائض : " قد تعلمونه " .

وذكر في النقائض أن الشطر الأول يروى : " أليس كليب الأم الناس كلهم " .

(٨) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في : نقائض جرير والفرزدق : ١ / ١٠٩ .

وقبل الشاهد : (١)

تَعَرَّضَتْ لِي حَتَّى هَسَرْتُكَ ضَرْبَةً (٢) . . عَلَى الرَّأْسِ يَكُونُ لِلْيَدَيْنِ أَمِيمَةً (٣)
 إِذَا قَاسَهَا الْأَسِي النَّطَّاسِي أَرْعِشَتْ (٤) (٥) . . أَنَايِلُ كَفَيْهِ وَجَاشَتْ هُزُومَهَا (٦)

وبعدهما الشاهد وبعده :

لَقِيَ مَقْعَدُ الْأَحْسَابِ مُنْقَطِعٌ بِهِ . . إِذَا الْقَوْمُ رَامُوا خُطَّةً لَا يَرُومُهَا

• • قال البيهقي : (الطريق)

بَنُو هَاشِمٍ فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ . . كِرَامٌ بَنِي الدُّنْيَا وَأَنْتَ كَرِيمٌهَا (٧)

وهو من قصيدة يمدح بها المهدي بالله ومظلمها :

سَقَى دَارَ لَيْلَى حَيْثُ حَطَّتْ رُسُومُهَا . . عِيَادٌ مِنَ الوَسْمِيِّ وَطَفٌ غِيُومُهَا (٨) (٩)

- (١) سبق ذكر مطلع القصيدة عند الشاهد : « الثمانون بغد المائتين : ص ٩١٣ .
 (٢) ذكر في النقائض أنه يروى أيضا « صَكَّكَكَ صَكَّةً » .
 (٣) الأميم : أمة : شَجَّةُ أُمَّةٍ ، وهي التي تبلغ أُمَّ الدِّمَاغِ حِينَ يَبْقَى بَيْنَهَا وبين الدِّمَاغِ جِلْدٌ رَقِيقٌ ، وَيُقَالُ رَجُلٌ أَمِيمٌ لِذِي يَهْدِي مِنْ أُمَّ رَأْسِهِ / الصَّحاح " أم " : ٥ / ١٨٦٥ .
 (٤) الآسي : جمعها الإساء أي الأظبة . / الصَّحاح " أسا " : ٦ / ٢٢٦٨ ، ٩٨٣ / ٣
 (٥) النَّطَّاسِي : المتطبب الحاذق بالطب العالم بالأمور / الصَّحاح " نطس " : ٣ / ٩٨٣ ، اللسان " نطس " : ٦ / ٢٣٢٠ .
 (٦) هزومها : صدوعها ، وكل نقرة في الجسد هزومة ، وهي من هزم الشيء ، يهزمه هزماً فانهزم : غمزه بيده فصارع فيه وَقْرَةٌ / الصَّحاح " هزم " : ٥ / ٢٠٥٨ . اللسان " هزم " : ١٢ / ٦٠٨-٦٠٩ .
 (٧) ديوان البيهقي : ١ / ١٢٥ .
 (٨) المصدر السابق : ١ / ١٢٤ .
 (٩) وطفٌ : أي مسترخية الجوانب لكثرة ما فيها / الصَّحاح " وطف " : ٧٢٨ .

وقبل الشاهد :

هَنَّتْكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَوَاهِبٌ . : . مِّنَ اللَّهِ مَشْكُورٌ لَدَيْكَ جَسِيمُهَا
وَتَأْيِيدٌ بَيْنَ اللَّهِ إِذْ رَدَّ أَمْرَهُ . : . إِلَيْكَ قَرَوَى فِي الْأُمُورِ عَلَيْهِمَا

وبعد ها الشاهد وبعده :

إِذَا مَا مَشَّتْ فِي جَانِبِكَ بِأَوْجِهِ . : . تَهَضَّتْ أَقْمَارَ الدُّجَى وَتَضِيمُهَا
رَأَيْتَ قَرِيضًا حَيْثُ أَكْمَلَ مَجْدُهَا . : . وَتَعَتَّ مَسَاعِيهَا وَتَابَتْ حُلُومُهَا (١)

الشاهد فيه كسابقه ، فالبحثري أخذ بيت البعيث ، ولم يزد عليه إلا أن عكس معناه ، فالبعيث وصف مهجوه باللؤم ، فجعل قبيلته كليا الأم الناس ، ومهجوه الأم بني كليب ، أما البحثري ، فجعل بني هاشم أكرم الناس في الشرق والغرب ، وجسعل مدوحه أكرم بني هاشم .

ويبدو لي أن قول البحثري " أنت كريمها " أبلغ في التركيب من قول البعيث " وأنت إذا عُدَّتْ كليب لثيمها " فالبحثري لم يفصل بين المبتدأ " أنت " ، والخبر " كريمها " بل جاء به تالياً له ليدل على أن صفة الكرم ثابتة له لاصقة به .
أما البعيث فقد فصل بين المبتدأ ، وهو ضمير المهجو ، والخبر الذي أراد إثباته له ، فكان الهجاء فيه أخف وطأة من أنه لو قال : " وأنت لثيمها " ، فهذا التعبير أشد هجاء ، وألهب سوطاً للمهجو .

الشاهد الثاني والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول أبي نواس :

(١) ديوان البحثري : ١ / ١٢٥ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦١-٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١ ، شاكر : ٤٧٠ .

وَلَمْ أَذِرْ مَنْ هَمَّ غَيْرَ مَا شَهِدَتْ لَهُمْ .: (٢) بِشَرْقِيَّ سَابَاطُ الدِّيَارِ النَّسَابِسُ (٥) (٦)

والشاهد من أبيات أولها :

وَدَارِ نَدَايَ عَطَلُوهَا وَأَذَلَجُوا .: يَهَا أَثَرِيْنَهُمْ جَدِيدٌ وَدَارِسُ

وبعد ه أبيات قبل الشاهد :

سَاحِبٌ مِنْ جَرِّ الزُّقَاقِ عَلَى الثَّرَى .: وَأَضْغَاثُ رِيحَانٍ جَنِيٌّ وَيَابِسٌ
حَبَسَتْ يَهَا صَحْبِي فَجَدَدَتْ عَهْدَهُمْ .: وَإِيَّتِي عَلَى أَمْثَالِ نِثْكَ لِحَابِسُ

وبعد ه الشاهد وبعده :

أَقْنَأَ يَهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا .: وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحَلِ خَامِسُ

• • قول أبي خراش الهذلي : (٧)
(الطويل)

(١) رواية زهر الآداب : " لم أر " .

(٢) رواية الوساطة وزهر الآداب : " منهم " .

ورواية أمالي الزجاجي ، والدرر اللوامع : " ما هم " .

(٣) رواية زهر الآداب وتحريير التحبير والدرر اللوامع : " ماشهدت به " .

(٤) الساباط : سقيفة بين حائطين أو بين دارين من تحتها طريق نافذ

والجمع سوابيط وساباطات ، وقيل هو ساباط كسرى بالمداخن ، وقيل

هو اسم موضع / اللسان " سبط " : ٧ / ٣١١ .

(٥) البسابس : البرُّ المُقْفَرُ الواسع / اللسان " بسبس " : ٦ / ٢٩ .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٧ ، أمالي الزجاجي : ٩٣ ، الوساطة :

٢٠٦ ، ديوان الحناسة للمرزوقي : ٢ / ٧٨٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٩٤ ،

شرح ديوان الحناسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، المثل السائر : ٢ / ٣٤٦ -

٣٤٧ ، ذكر بعض أبيات القصيدة وأغفل الشاهد - تحريير التحبير :

٥٠٨ ، الدرر اللوامع : ٢ / ١٦٨ .

(٧) هو خويلد بن مرة الهذلي أحد بني قرد ، واسم قرد عمرو بن معاوية بن

سعد بن هذيل ، وأبو خراش شاعر فحل من شعراء هذيل المذكورين

الفصحاء ، مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ومات في خلافة عشرين

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِداًءَهُ . . . (٢) سِوَى أَنَّهُ قَدْ سَلَّ مِنْ مَاجِدٍ مَخْضٍ (٥)
(٣) (٤)

==== الخُطاب - رضی اللہ عنہ - نہشتہ اُفعی فمات ، وكان من عَدائِي العسرب
المشهورين / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٦٤٦-٦٤٨ ، الأغاني : ٢٠٤ / ٢١ ، الإصابة : ٤٥٧ / ١
رقم ٢٣٤٥ .

وقد نسب ابن أبي الإصبع في تحرير التحبير الأبيات لدريد ، وفي نسبه
خطأ ، فجميع المصادر التي اطلعت عليها . تنسبه لأبي خراش الهذلي .

(١) رواية الإصاف : " ولا أدري " .

(٢) جاء في ديوان الهذليين أن الرجل الذي ألقى عليه رداءه من أد
شهوة .

(٣) رواية الكامل والوساطة ، ومعاني أبيات الحماسة ، وشرح ديوان الحماسة
للتبريزي : " على أنه " .

رواية ديوان الهذليين وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ، والإصابة ،
ورواية بهجة المجالس : " ولكنه " .
ورواية سمط اللاكبي : " خلا أنه " .

(٤) رواية الكامل وغيار الشعر والأغاني والأشباه والنظائر للخالدين ومعاني
أبيات الحماسة ، وبهجة المجالس ، وسمط اللاكبي ، والإصاف وشرح
شواهد المغني ، والإصابة : " عن " .

(٥) انظر البيت في :

ديوان الهذليين : ٢ / ١٥٨ ، الكامل : ٢ / ١٣٥ ، غيار الشعر : ١١٢ ،
الأغاني : ٢١ / ٢٠٤ ، الوساطة : ٢٠٦ ، الأشباه والنظائر للخالدين :
١ / ١٧٢ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي :
٢ / ٧٨٧ ، زهر الآداب : ٣ / ٧٩٥ ، بهجة المجالس : ٢ / ٥٠٣ ، تحرير
التحبير : ٣ / ٥٠٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ ، ١٤٥ ،
معجم البلدان " قوسي " : ٤ / ٤١٣ ، شرح المفصل : ١ / ٣ / ١١٧ ،
الإصاف في مسائل الخلاف : ١ / ٣٩٠ ، الإصابة : ١ / ٤٥٧ ، شرح شواهد
المغني : ١ / ٤٢٠ ،

وللأبيات قصة مشهورة مؤداها أن خراش بن أبي خراش وعروة بن مرة
=====

وأول هذه الأبيات - :

حَدَّثْتُ إِلَهِي بَعْدَ عُرْوَةٍ إِذْ نَجَا . (١) خِرَاشٌ وَيَعُضُّ الشَّرَّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ

وبعده أبيات قبل الشاهد :

فَوَاللَّهِ لَا أَنْسَى (٢) قَتِيلًا رَزَيْتُسُهُ (٣) . بِيَجَانِبِ قَوْسِي مَا مَشَيْتُ عَلَى الْأَرْضِ (٤)
بَلَى إِنَّهَا تَعْفُو الْكُلُومَ وَإِنَّمَا . (٥) مُتَوَكِّلٌ بِالْأَنْدَى وَإِنْ جَلَّ مَا يَمْضِي

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَلَمْ يَكْ مَثْلُوجَ الْفَوَادِ مَهَبَّجًا (٦) . أَضَاعَ الشَّبَابَ فِي الرَّبِيلَةِ (٧) وَالْخَفْضِ (٨)

أخا أبي خراش أسرتهم بنو دارم وبنو هلال ، وهما حَيَّان من شمالة ، فأخذ بنو هلال عروة ، وقتلوه ، أما بنو دارم ، فأخذوا خراشاً ، واخطفوا في أمر قتله ، وشغلوا في أمره ، وبينما هم كذلك ألقى عليه رجل منهم ثوبه وطلب منه أن يفر وينجو بنفسه ، فحين وصل الخبر إلى أبي خراش مدح هذا الشخص ، وهو لا يعرفه ، وقد اختلفت الروايات فيمن ألقى عليه الرداء ، أهو خراش أم عروة ويبدولي أن البيت واضح في أن الذي نجا هو خراش . كما أن هناك بعض الاختلافات في رواية القصة . / انظر :

الكامل : ١٣٥ / ٢ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ١ / ١٧٥ ، معاني أبيات الحماسة : ١١٢ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٤٣ .

(١) عروة : أخو أبي خراش .

(٢) رواية معجم البلدان : " ما أنسى " .

(٣) رزئته : الرزئية المصيبة / القاموس المحيط " رزأ " : ١ / ١٧ .

(٤) قوسى : بالفتح ثم السكون ، وسين ثم ألف مقصورة تكتب ياء ، يجوز أن يكون

فعلًى من القوس بالضم ، وهو معبد الراهب ، أو من القوس ، وهو الزمان

الصعب ، أو من الأقوس ، وهو الرجل المشرف ، قيل : بلد بالسراة وبه قُتل

عروة أخو أبي خراش الهذلي ونجا ولده / انظر :

معجم البلدان : " قوس " : ٤ / ٤١٣ .

(٥) المثلوج الفواد : البليد / القاموس المحيط " ثلج " : ١ / ١٨٧ .

(٦) المهبيج : الثقيل النفس / القاموس المحيط : " هبيج " : ١ / ٢١٩ .

(٧) الربيلة : النعمة والسمن / القاموس المحيط : " ربل " : ٣ / ٣٩١ .

(٨) الخفض : الدعة والعيش الحسن / القاموس المحيط : " خفض " : ٢ / ٣٤١ .

كذلك استشهد بهما الشيخ على أنهما من جلي الأخذ في " الحذو " ، وساق لذلك قصة حكاها العسكري جرت بين ابن الرومي والبحثري مؤداهما أن البحثري رأى أن بيت أبي نواس مأخوذ من بيت أبي خراش وعلق ابن الرومي على هذا ، بأن المعنى قد اختلف .

وأجابه البحثري قائلاً : أما ترى حذو الكلام حذواً واحداً .

ويبدو لي أن البيتين ليسا من الحذو والجلي كما ذكر الشيخ وإن كان الفرض واحداً ، وهو مدح مجهول بفعل حميد .

فالمعنى كما قال ابن الرومي قد اختلف ، وطريقة التركيب قد تباينت ، فأبو نواس صرح بعدم معرفته للأشخاص فقال (ولم أد من هم) أما أبو خراش فقد فاقه في التعبير ، وزاد عليه في المعنى حيث جاء بصورة شعرية أثبت فيها عدم معرفته ذات المدح وفي نفس الوقت دلت وأشادت بمكرمة ذلك المجهول فأين قول (من هم) من قول (من ألقى عليه رداءه) وأبو نواس جعل الديار البسابس هي المشاهد عليهم ، والدليل على معرفتهم ، أما أبو خراش فنصب المجد الخالص والأصل الكريم دليلاً على مدوحه ، فأكد كونه ماجداً (بأن) المؤكدة (وقد) التي تبدل على تحقق وقوع الفعل ، وأنظر إلى كلمة (سُلِّ) وكيف دلت على تغلغله في ذلك المجد وتمكنه منه .

فأين شهادة الديار القفر ، من شهادة المجد المؤكد ؟

(الطويل)

الشاهد الثالث والثمانون بعد المائتين : (*)

• قول البحثري :

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحُسَّانُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا . : تُمْكِنَ رَضْوَى وَأَطْمَأَنَّ مَتَالِيعُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣١-٤٣٢ ، شاكر : ٤٧٠-٤٧١ .

(١) رَضْوَى : بفتح أوله وسكون ثانيه جبل بالمدينة ، وقيل هو من ينبع على مسيرة

يوم ومن المدينة على سبع مراحل ميامنه طريق مكة ، ومياسره طريق البريراء

لمن كان مصعداً إلى مكة ، وهو على ليلتين من البحر ، وقيل هو جبل

وهو من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان ، ومطلعها :

أَلَمْتُ وَهَلِّ النَّامِهَا لَكَ نَافِيعٌ . : وَزَارَتْ خِيَالًا وَالْعَيْونَ هَوَاجِيعُ

وقبل الشاهد :

وَلَا يَعْلَمُ الْأَعْدَاءُ مِنْ قَرَطٍ عَزْمِهِ . : مَتَى هُوَ مَصْبُوبٌ عَلَيْهِمْ فَوَاقِيعُ
خَلَائِقُ مَا تَنَفَّكُ تُوقِفُ حَاسِدًا . : لَهُ نَفْسٌ فِي إِثْرِهَا مُتَرَاجِيعُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَكْفَرُكَ النَّعْمَاءَ عِنْدِي وَقَدْ نَمَتَ . : عَلَى نَمُو الْفَجْرِ وَالْفَجْرُ سَاطِعُ
وَأَنْتَ الَّذِي أَعَزَّزْتَنِي بَعْدَ ذَلَّتِي . : فَلَا الْقَوْلُ مَخْفُوضٌ وَلَا الطَّرْفُ خَاشِعُ

====
لجهينة ، وحدّده ووصفه صاحب معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية
بأنه جبل ضخم شامخ يضرب إلى الحمرة يقع على الضفة اليمنى لوادي ينبع ،
ثم يشرف على الساحل ليس بينه ، وبين البحر شيئا من الأعلام ، وإذا كنت في
مدينة ينبع البحر رأيت رضوى رأى العين شمالاً شرقياً ، سكانه جهينة ، وله
أودية كثيرة يصب معظمها في وادي ينبع / انظر :

معجم البلدان : ٣ / ٥١ ، معجم المعالم الجغرافية : ١٤١ .

(٢) متالع : جبل بنجد فيه عين يقال لها الخزارة ، وقيل هو جبل بناحيصة
البحرين بين السوداء والاحساء ، وفي سفح هذا الجبل عين يسبح ماؤها
يقال لها عين متالع ، وقيل هو ماء في شرقي الظهران عند الفوارة في جبل
القنّان لبني عميلة ، وحدّده صاحب معجم المعالم الجغرافية بأنه جبل
بالقصيم ، والقصيم إقليم من نجد ينتظمه وادي الرمة ، وقيل متالع أحد أباين
فكان يقال : أباين ومتالع فغلب عليهما اسم أباين ، وهما جبالا القصيم ، يمر
وادي الرمة بينهما ، ثم يربريدة القصيم . / انظر :

معجم البلدان : ٥ / ٥٢ ، معجم المعالم الجغرافية : ٢٨٠ .

(٣) ديوانه - دار بيروت - : ١ / ٨٦

ديوانه - صيرفي - : ٢ / ١٣٠٥ ، أخبار البحري : ١٥٦ ، أخبار أبي تمام :

٨٤ ، الموازنه - محمد محيي الدين - : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(الكامل)

• • قول أبي تمام :

وَلَقَدْ جَاهِدْتُمْ أَنْ تَزِيلُوا عِزَّهُ (١) . فَإِذَا أَبَانَ (٢) قَدْ رَسَا وَيَلْمَمُ (٣) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق (٥) حين عُزِلَ من الجزيرة مطلعها :

أَرْضٌ مُصْرَدَةٌ وَأَخْرَى تُتَجَسَّمُ . يَلْكُ التي رُزِقَتْ وَأُخْرَى تَحَسَّرَمُ

وقبل الشاهد

وَأَخَانُكُمْ كَيْ تُفِيدُوا أَسْيَافَكُمْ . إِنْ الدَّمُ الْمُفْتَرَّ يَحْرُسُهُ السِّدَمُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَوَطَعْتُمْ فِي مَجْدِهِ فَتَنَّتْكُمْ (٦) . زَعْفٌ يَقْلُبُ بِهَا السِّنَانَ اللَّهْدَمُ

(١) رواية أخبار البحتري وأخبار أبي تمام والموشح :

* وَلَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَجِدَهُ وَجَاهِدْتُمْ (

(٢) أبان ويللمم جيلان

وأبان : بفتح أوله : جبل ، وهما أبتانان : أبان الأبيض ، وأبان الأسود بينهما نحو فرسخ ، ووادي الرمة يقطع بينهما ، كما يقطع بين عدنة وبين الشربة ، فأبان الأبيض لبني جرید من بني فزارة خاصة ، والأسود لبني والبة من بني الحارث ابن ثعلبة بن دودان بن أسد . انظر : معجم ما استعجم : ٩٥ / ١ ،

ويللمم ، ويقال ألملم والملمم المجموع : موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن وفيه مسجد معان بن جبل ، وقال المرزوقي هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث . انظر : معجم البلدان (باب البيا واللام وما يليها) ٤٤١ / ٥ .

(٣) رواية الموشح :

* فَإِذَا أَبَانَ قَدْ رَسَا وَمَتَلِّعُ

(٤) ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) دار صعب : ٢٤٢

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢٠٠ / ٣ ، أخبار أبي تمام للصولي :

٨٤ ، أخبار البحتري للصولي : ١٥٦ ، الموازنة : ٣٢٠ ، الموشح : ٢٩٨ .

(٥) سبقترجمته : ٣١٠

(٦) زعف : وصف للسيوف بشدة الفتك وسرعته / اللسان " زعف " :

... قول الفرزدق : (الكامل)

فَأَذْفَعُ بِكَفِّكَ وَإِنْ أَرَدْتَ بِنَاءَنَا .: شَهْلَانُ (١) ذَا الْهَضْبَاتِ هَلْ يَتَحَلَّلُ (٢) (٣)

وهو من قصيدته التي مطلعها :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا .: بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعْرُ وَأَطْمُولُ

وقبل الشاهد :

أَخْلَامَنَا تَرِنُ الْجِبَالِ رَزَانِسَةً .: وَتَخَالُتُنَا جِنًّا إِذَا مَا نَجَّهَهُ لُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَأَنَا آتِنُ حَنْظَلَةَ الْأَعْرُوقِ إِنِّي .: فِي آلِ ضَبَّةٍ لِلْمَعَمِّ الْمُخُولُ

استشهد الشيخ بهذه الأبيات على أنها من خفي الأخذ وذهب الصولي

والمرزباني إلى أَنَّ الْبَحْتَرِيَّ نَقَلَ بَيْتَ أَبِي تَمَامٍ مَعْنَى وَلِغْظًا . قال الصولي :

" وقال أبو تمام :

وَلَقَدْ أَرَدْتُ سَمَّ مَجْدِهِ وَجَهْدَتُهُ .: فَإِذَا أَبَانٌ قَدْ رَسَا وَيَلْمَلُمُ

فقال البحتري ونقله لفظاً ومعنى :

وَلَنْ يَنْقُلَ الْحَسَانُ مَجْدَكَ بَعْدَمَا .: تَتَكَنَّ رُضْوَى وَأَطْمَانٌ مُتَالِعُ " (٤)

(١) - رواية شار القلوب وأمالي المرتضى " شهلان ذو الهضبات " .

(٢) - رواية أمالي المرتضى " شهلان ذو الهضبات لا يتحلل " .

رواية أراجيز العرب " شهلان ذو الهضبات ما يتحلل " .

ورواية اللسان : " شهلان ذو الهضبات ما يتحلل " .

(٣) - انظر البيت في :

ديوان الفرزدق - جمعه عبد الله الصاوي - ٧١٧ ، نقائض جرير الفرزدق :

١ / ١٨٨ ، الموازنة : ٣٢٠ ، أمالي المرتضى : ٢ / ٤٥ ، شار القلوب فسي

المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٥٦ ، أراجيز العرب : ٥٥ ، لسان العرب : " حلل " ،

١١ / ١٧٣ .

(٤) - أخبار البحتري للصولي : ١٥٦ ،

وكذلك انظر : الموشح : ٢٩٨ .

وقد قصر الاثنان في الأخذ عن الفرزدق حيث بنوا ذلك الأخذ بناءً واهناً ،
فالبحتري عبر تعبيراً مباشراً عن المعنى ، أما أبو تمام فقد زاد في المعنى قليلاً
بأن أكد نفاذ طاقة الحساد وعدم مقدرتهم على زعزعة عزهم بقوله (ولقد) وتصريحه
بأنهم جهدوا .

أما الفرزدق فصاغ معناه في صورة أدق وأنق فقال : " فآد فع بكفك " وهي صورة
فيها حث على الحركة والجهد ، وفعل الأمر (فاد فع) يدل على التعجيز ، وكذلك
تقديم الجار والمجرور (بكفك) والفصل بين الجملة الفعلية والمفعول به (بناءنا)
بجملة (إن أردت) للتهكم والسخرية وإظهار العجز التام .

وعبر عن رسوخ مجدهم بقوله (شَهْلَانٌ دَا الْهَضَبَاتِ) فزاد على من سبقه بوصف
الجبيل بأنه ذو هضبات ، وهذا تأكيد لعظمه وقوة رسوخه وتمكنه .

وكذلك جاء بالاستفهام الدال على التعجيز (هل يتحلحل) أو الدال على
النفي أي (لا يتحلحل) ليزيد صورة رسوخه تأكيداً .

جاء في الموازنة :

" أفترى البحتري ما سمع هذا من قول الفرزدق ، ولا من قول غيره فنقله كما سمعه
أبو تمام فنقله ؟ " (١)

فكأنه يشير إلى أن البحتري ، وأبا تمام قد أخذوا بيتهما عن الفرزدق ، فللفرزدق
فضل سبق والتصوير الدقيق .

الشاهد الرابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الوافر)

• قال ذو الرمة :

(١) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

وَشِعْرَ قَدْ أَرَقْتُ لَهُ غَرِيبٍ . . . أَجَنَّبَهُ الْمَسَاتِدَ وَالْمَحَالَا
فَبِتَّ أَقِيمَهُ وَأَقْدَمْتُ مِنْهُ . . . قَوَافِي لَا أُرِيدُ لَهَا مِثَالَا

والشاهد من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة (٧) ومطلعها :

أَرَا حَ فَرِيضَى جِيْرَتِكَ الْجِمَالَا . . . كَأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَحْتِيَالَا

وبعد الشاهد :

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أَفْئِقٍ . . . مِنَ الْآفَاقِ تُفْتَعَلُ أَفْتِعَالَا

استشهد به الشيخ على أن الشاعر لا يكون محتدياً إلا بما يكون به آخذاً،

أما إنشاد الشعر وقراءته فلا يسمى احتذاءً . قال :

" وجملة الأمر أنهم لا يجعلون الشاعر مُحْتَدِيَاً إلا بما يجعلونه به آخذاً

وَمُسْتَرِقَاً . . . فأما أن يجعل إنشاد الشعر وقراءته " احتذاءً " فما لا يعلمونه

كيف ؟ " (٨)

- (١) رواية الموشح : " طريف " ، ورواية كتاب القوافي : " كريم " .
- (٢) رواية تأويل مشكل القرآن ، والصحاح واللسان : " سند " : " أجنبيه المساند " .
- (٣) والمساند من السنن وهو عيب في الشعر : وهو اختلاف ما يجب مراعاته قبل الروي من الحروف والحركات ، كتاب القوافي : ١٢٩ .
- (٤) المَحَال من الكلام - بالضم - : ما عدل عن وجهه كالمستحيل وأحوال : أتى به " / القاموس المحيط : (حول) : ٣ / ٣٧٤ .
- (٥) رواية الديوان : " لا أَعْدُ " .
- (٦) انظر البيت في :
- ديوانه : ٣ / ١٥٣٢ ، الموشح : ١٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٢٠ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، الصحاح : " سند " : ٢ / ٤٩٠ ، اللسان : " سند " : ٣ / ٢٢٢ .
- (٧) سبقت ترجمته : ص ٤٧١ .
- (٨) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

الشاهد الخامس والثمانون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ الْكَأْرِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبَغْيَتَيْهَا . . . وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (١) (٢)
 ذكره الشيخ من غير نسبه ، وهو للحطيئة يدح بغيضاً^(٣) ، ويهجو الزبير قسان

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٢-٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شاكر : ٤٧١ .

(١) أي ذو طعم وذو كسوة ، وجاء في شرح شافية ابن الحاجب أنه لا ضرورة إلى

جعل طاعم بمعنى النسبة بل الأولى أن يقال هو اسم فاعل من طعم
 يطعم متلويماً منه معنى الحدوث ، إلا أن الشارح رد ذلك وجعله من النسبة
 مثله مثل * الكاسي * / انظر :

شرح شافية ابن الحاجب : ٨٨ / ٢ .
 وانظر كذلك :

شرح المفصل : ١٥ / ٦ / ١ ، شرح الأشموني : ٥٠٥ / ٢ .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ١٠٨ ، معاني القرآن للفراء : ١٦ / ٢ ، الأمثال لابن سلام : ١٦٨ ،

عيون الأخبار : ٢ / ٥ / ١٩٥ ، الشعر والشعراء : ٣٣٤ / ١ ، الكامل

للمبرد - دار الفكر - ٢٥٠ / ١ / ١ ، عيار الشعر : ١١٣ ، العقد الفريد :

- دار الفكر - ٢ / ٢٩٩ ، الأشباه والنظائر للخالد بن : ١ / ١٠٤ ،

الموشح : ٢٦ ، ديوان المعاني : ١ / ١٧٤ ، الصناعتين : ٥٠٨ ، الإعجاز

والإيجاز : ١٤٦ ، التمثيل والمحاضرة : ٦٣ ، جمع الجواهر في الملح والنوادر :

٢٧٧ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٤٤٧ ، شرح المفصل : ١٥ / ٦ / ١ ، شرح

الأشموني مع شرح الشواهد للعيني : ٥٠٥ / ٢ - ذكر الشطر الثاني فقط -

شرح المصنفون به على غير أهله : ٤٨٢ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٨٨ / ٢

نهاية الأرب للنويري : ٣ / ٢٧٥ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٧٨ ، معاهد

التنصيص : ٦ / ٤ .

(٣) هو بغيض بن عامر بن شماس بن لأي بن أنف الناقة جعفر بن قريع ، كان

من رؤساء بني تميم في الجاهلية وقد أدرك الإسلام ، ولم يرد في شيء من

الطرق أنه وفد على النبي - صلى الله عليه وسلم . / الإصابة : ١ / ١٧٧ ،

رقم (٧٨١) .

ابن بدر وقد شكاه الزبيرقان بها إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (١)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

وَاللَّهِ مَامَعَشَرَ لَأَمُوا امْرَأَةً جَنْبًا (٢) . . فِي آلِ لَأَيِّ بْنِ شَمَّاسٍ يَأْكِيَسِ

وقبل الشاهد :

جَارٍ لِقَوْمٍ أَطَالُوا هَوْنَ مَنزِلِهِ . . وَغَادَرُوهُ مُقِيمًا بَيْنَ أَرْمَاسِ
مَلُّوا قِرَاهُ وَهَرَّتْهُ كِلَابُهُمْ . . وَجَرَحُوهُ بِأَنْيَابٍ وَأَضْرَاسِ

وبعدهما الشاهد وبعده :

وَأَبَعْتُ يَسَارًا إِلَى وَفْرِ مَذْمَمَةٍ (٣) . . وَأَخْدِجُ إِلَيْهَا بِيَدِي عِرْكِينَ قِنْعَاسِ (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

- (١) وقصة أبيات هذه القصيدة التي منها بيت الشاهد مشهورة في كتب الأدب ، ومطخصها : أن الحطيئة جاور الزبيرقان بن بدر فلم يحسد جواره ، فتحول عنه إلى بغيض ، فأكرمه ، وأحسن جواره ، فقال أبياتته هذه يهجو الزبيرقان ويمدح بغيضاً ، فشكاه إلى عمر ، فقال عمر : ما هجاك ؟ أما ترضى أن تكون طاعماً كاسياً . قال : إنه لا يكون في الهجاء أشد من هذا ، فأرسل عمر إلى حسان بن ثابت يحكمه في الأمر ، فقال حسان لم يهجه ولكن سلح عليه - أي بال عليه - فحبسه عمر ، ثم أطلقه وأخذ عليه عهداً ألا يهجو أحداً من المسلمين .
- (٢) الجنب : الغريب / مختار الصحاح : " جنب " : ١١٢ .
- (٣) يسار : راعي الزبيرقان . / ديوان الحطيئة : ١٠٨ .
- (٤) وفر : وطاب وافر ، والوطاب سقاء اللبن / اللسان " وطب " : ٧٩٧ / ١ .
- (٥) مذممة : يذمها الضيفان والذم ضد الحمد / مختار الصحاح " ذم " : ٢٢٤ .
- (٦) وأخديج : أي أرحل / القاموس " حدج " : ١ / ١٨٩ .
- (٧) بذي عركين : العرك الضاغط ، والعرك حز مرفق البعير جنبه حتى يخلص منه . / اللسان " عرك " : ١ / ٤٦٥ ، تاج العروس " عرك " : ١٦٠ / ٧ .
- (٨) قنْعَاسٍ : بعير قنْعَاسٍ ضخم شديد . / القاموس المحيط : " قنْعَاسٍ " : ٢ / ٢٥٣ .

استشهد به الشيخ على أن نقل كلمة من البيت ووضع أخرى مكانها لا يسمى احتذاءً ، وإنما يسمى سلخاً^(١) ، وهو أمر مستقبح عند نقاد العرب .

قال الشيخ :

« وإن اعمد اعمد إلى بيت شعر فوضع مكان كلِّ لفظٍ لفظاً في معناه ، كمثل أن يقول في قوله :

دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرْحَلْ لِبَغْيَتَيْهَا . : وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّائِمُ الْكَاسِي

ذَرِ الْمَائِزَ لَا تَذْهَبْ لِمَطْلَبِهَا . : وَأَجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلُ اللَّابِسُ

لم يجعلوا ذلك « احتذاءً » ولم يؤهّلوا صاحبه لأن يسموه « مُحْتَذِيًا » ولكن يسمون هذا الصنيع « سَلْخًا » ، ويردّونه ويسخّفون المتعاطي له^(٢) .

ومعنى الشاهد : « اترك المكارم ولا تسافر ولا ترحل من منزلك لطلب المكارم ،

ولا تسع في حصولها ، واقعد في مكانك ، فإنك ذو طعم ، وذو كسوة يعني همستك

مصروفة إلى طعام تطعمه ولباس تلبسه لا على أن تحصل المكارم والمنازل الشريفة^(٣) »

وقد جعل بعضهم بيت الحطيئة أهجى بيت قالته العرب^(٤) وقد أخذت الحطيئة

من قول الأعشى :

أَبَا نَابِتٍ لَا تَعْلَقَنَّكَ رِمَا حُنَا . : أَبَا نَابِتٍ وَأَقْعُدْ فَإِنَّكَ طَائِمٌ

طَعَامَ الْعِرَاقِ الْمُسْتَجَاتِ الَّذِي تَرَى . : وَفِي كُلِّ عَامٍ كُسُوةٌ وَدَرَاهِمٌ (٥)

إلا أن الحطيئة زاد عليه زيادة بينة .

وما أقرب هذا المعنى من قول الآخر :

(١) السلخ : هو أن تعمد إلى بيت ، فتضع مكان كل لفظ لفظاً في معناه / التعريفات : ١٢١ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٦٢ - ٣٦٣ - خفاجي : ٤٣٢ ، شاعر : ٤٧١ .

(٣) شرح المضمون به على غير أهله : ٤٨٢ .

(٤) ديوان المعاني : ١ / ١٧٤ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٥ - ١٤٦ ، نهاية

الأرب للنويري : ٣ / ٢٧٥ .

(٥) الأشباه والنظائر للخالدين : ١ / ١٠٣ .

إِذَا مَا كُنْتَ ذَا أَكْلِ وَشَرِبٍ . : . فَلَا تَطْمَحْ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي (١)

ومثله أيضا قول الآخر :

وإِنِّي وَجَدْتُ مِنَ الْمَكَارِمِ حَسْبِكُمْ . : . أَنْ تَلْبَسُوا حُرَّ الثِّيَابِ وَتَشَبِعُوا
فَإِذَا تَدُّ وَكُرَّتِ الْمَكَارِمُ مَسْرَّةً . : . فِي مَجْلِسِ أَنْتُمْ بِهِ فَتَقَنَّعُوا (٢)

وهذا المعنى ضد قول امرئ القيس :

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَنْتَى مَعِيشَةٍ . : . كَفَارِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤَثَّلٍ . : . وَقَدْ يُدْرِكُ الْمَجْدُ الْمُوتِلَ أَمْثَالِي (٣)

ولقد ذكر ابن قتيبة بيت الشاهد في الأبيات التي لا مثل لها (٤) .

ونذكره ابن طباطبا في الشعر المحكم النسج وقال :

" فقله " الكاسي " عجيبة الوقع " (٥)

الشاهد السادس والثمانون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصَلْبِهِ . : . وَأَرَدَ فِ أَعْجَازًا وَنَاءً بِكَلْكَلِ (٦)

ساقه الشيخ شاهداً على أن مشهد الشعر لا يسمى محتدياً ، ولو كان كذلك

لقيل أنه قائل شعره . قال :

(. . .) فمن أين يجوز لنا أن نقول في صَبِّي يقرأ قصيدة امرئ القيس : إنسه

احتذاه في قوله :

فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَطَّي بِصَلْبِهِ

(١) الأسياء والنظائر للخالد بين : ١٠٤ / ١ .

(٢) الأمثال لابن سلام : ١٦٨ .

(٣) الأسياء والنظائر للخالد بين : ١٠٤ / ١ .

(٤) عيون الاخبار : ٢ / ٥ / ١٩٥ .

(٥) عيار الشعر : ١١٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٦٣ ، خفاجي : ٣٣٢ ، شفاكر : ٤٧٢ .

(٦) البيت لامرئ القيس وقد سبق تخريجه : ١٧٦ - ١٧٧ .

والعجب من أنهم لم ينظروا فيعلموا أنه لو كان منشد الشعر " محتذياً " لكان
يكون قائل شعر، كما أن الذي يحذو والتعل بالتعل يكون قاطع نعلٍ " . (١)

الشاهد السابع والثمانون بعد المائتين : (*) (الصُّرَيْل)

• بيت أبي نخيلة^(٢) في مسلمة بن عبد الملك^(٣) :

أَمْسَلَمَ إِنِّي يَا أَبْنَ كُلِّ خَلِيفَةٍ . . وَيَا جَبَلِ الدُّنْيَا وَيَا وَاحِدَ الْأَرْضِ^(٥) (٤)
شَكَرْتُكَ إِنَّ الشُّكْرَ حَيْلٌ مِنَ التَّقَى . . وَمَا كُلُّ مَنْ أَوْلَيْتَهُ صَالِحًا يَقْضِي^(٨) (٦) (٧)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٣ ، خفاجي : ٤٣٢ ، شاكر : ٤٧١ ، ٤٧٢ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٩ - ٤٤٠ ، شاكر : ٤٧٢ .
(٢) أبو نخيلة : قيل هو اسمه لأن أمه ولدت له تحت نخلة وكنيته أبو الجنيد ، وقيل :

ان اسمه الجنيد بن الجون وهو مولى لبني حمان ، وقيل : هو يعمر بن
حزن (وقيل حزم) بن زائدة بن لقيط بن أبزي بن ظالم بن مخاشن
ابن حمان وحمان هو عبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم
وقيل له حمان لأنه كان يحمم شفثيه ، وأبو نخيلة شاعر راجز محسن متقدم
في القصيد والرجز ، وهو كثير المحاسن .

انظر ترجمته : المؤتلف والمختلف : ١٩٣ ، سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ ، زهر
الآداب : ٤ / ٩٩٦ .

(٣) ذكر الأمدى في المؤتلف والمختلف أنه يقوله في مسلمة بن هشام بن عبد الملك

(٤) رواية زهر الآداب (أ مسلم يانجل خير خليفة) .

(٥) رواية أمالي القالي :

" ويا فارس الهيجاً ويا قمر الأرض "

ورواية زهر الآداب والخوئف والمختلف :

" ويا فارس الهيجاً ويا جبل الأرض "

(٦) رواية الفاضل :

" شكرتك إن الشكر ممي سجية "

(٧) رواية عيون الأخبار : " وماكل من أقرضته " .

(٨) رواية المؤتلف والمختلف وعيون الأخبار : " وماكل من أوليته نعمة " .

وَأَنْبَهتْ لِي ذِكْرِي وَمَا كَانَ خَامِلاً (٢) . . وَلَكِنَّ بَعْضَ الذِّكْرِ أَنْبَهتْ مِنْ بَعْضِ (٣)

• • قول أبي تمام : (الطويل)

لَقَدْ زِدَتْ أَوْضَاحِي آمْتِدَاداً وَلَمْ أَكُنْ . . بَهِيمًا وَلَا أَرْضِي مِنَ الْأَرْضِ مَجْهَسًا (٤) (٥) (٦) (٧)

(١) ومعنى (أنبهت) : (نبه) الرجل شرف واشتهر فهو نبهه ونابه وهو ضد الخامل ونبهه تنبيهاً رفعه من الخمول .

رواية الموازنة وأمالي القالي : " نوهت من ذكري " .

ورواية الفاضل وزهر الآداب : " ونبهت من ذكري " .

ورواية بهجة المجالس والعمدة : " وأخيت من ذكري " .

ورواية المؤتلف والمختلف : " وأخيت لي ذكري " .

(٢) رواية بهجة المجالس : " وماكنت خاملاً " .

(٣) انظر الأبيات في : المؤتلف والمختلف : ١٩٣ ، أمالي القالي : ١ / ٣٠ ،

زهر الآداب : ٤ / ٩٥-٩٦ ، وانظر الشطر الأول في : سبط الآسي :

١ / ١٣٥ ، والبيت الثاني والثالث في : عيون الأخبار : ٣ / ١٦٥ ، الفاضل

٩٩ ، بهجة المجالس : ١ / ٣١٣ .

والبيت الثالث في :

الموازنة - (محمد مجي الدين عبد الحميد) - : ٩٠ ، العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) الأوضح : جمع وضح وهو البياض يقال هذا فرس به أوضح وهذا كالمثل

المضروب لما يملكه من المال ، أو لما يبلغه من الرتب والجاه / ديوان أبي تمام

بشرح الخطيب : ٣ / ٩٩ / القاموس المحيط " وضح " : ١ / ٢٦٤ .

(٥) بهيماً : البهيم من الخيل الأسود / القاموس المحيط " بهم " : ٨٣ .

(٦) ضبطت كلمة (أرضى) في ديوان بشرح الخطيب بفتح الضاد على أنها

فعل مضارع .

وذكر محقق دلائل الإعجاز الأستاذ محمود شاكر أن من ضبط (أرضى)

بالفتح فقد أخطأ المعنى .

والصواب ضبطها بالكسر ويعنى بها أرضه ودياره .

(٧) المجهل المغازة التي لأعلام فيها يهتدى بها وضره مثلاً للخمول بمعنى

أن ديار قومه ديار مشهورة / مختار الصحاح " جهل " : ١١٥ .

وَلَكِنَّ أَيَّامَ صَادَقْتَنِي جِسَامُهَا . : . : أَعْرَفَ فَأَوْقَتْ بِي أَعْرَ مَحَجَّلًا (٣) (٤)

والبيتان من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

لَهَا نَ عَيْنًا أَنْ نَقُولَ وَتَفَعَّلًا . : . : وَتَذَكَّرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ فَتَفَضَّلًا (٦) (٥)

وقبل الشاهد :

رَدَدَتْ الْمَنَى خُضْرًا تَتَنَّى غُصُونَهَا . : . : عَلَيْنَا وَأَطْلَقَتْ الرَّجَاءَ الْمَكْبَلًا (٧)

وَمَا يَلْحَظُ الْعَافِي جَدَاكَ مُؤَسَّلًا . : . : سِوَى لَحْظَةٍ حَتَّى يَعُودَ (٨) مُؤَسَّلًا

وبعد الشاهد :

إِذَا أَحْسَنَ الْأَقْوَامُ أَنْ يَتَطَاوَلُوا . : . : بِبَلَايِنَةٍ أَحْسَنَتْ أَنْ تَتَطَوَّلُوا (٩)

(١) رواية الديوان - دار صعب - :

* فألفت * بمعنى (لقيت) ، ورواية حماسة ابن الشجري : * فخلتني * وما جاء في الدلائل موافق لرواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي .

(٢) القرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم . / مختار الصحاح ، * غرر * : ٤٧١ .

(٣) التحجيل : بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها / مختار الصحاح * حجل * : ١٢٤ .

(٤) انظر الشاهد في : ديوان أبي تمام (الديوان الكامل) - دار صعب - :

٢٢٣ . ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٩٩ - ١٠٠ ،

العمدة : ١ / ٤٢ ، سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ ، حماسة ابن الشجري :

١١٤ .

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : * عنك * .

(٦) رواية الديوان بشرح التبريزي : * وتفضلا * .

(٧) رواية الديوان بشرح التبريزي : * رجعت * .

(٨) رواية الديوان بشرح التبريزي : * يؤوب * .

(٩) رواية الديوان بشرح التبريزي : * بلا نعمة * .

استشهد بهما الشيخ على أن الشاعر المحتدي يكون أحق بالبيت من صاحبه
 إن هو أحدث فيه صورة جديدة لم تكن فيه ، فالفضيلة هنا للصورة ، لا للفظ .
 فقول العلماء "كسأه لفظاً" إنما أرادوا باللفظ هنا الصورة الحادثة في البيت .
 فالبيتان مثال على ما تفعله صنعة الشاعر في الصورة والمعنى واحد .
 قال الشيخ :-

" وما إذا تفكر فيه العاقل أطال التعجب من أمر الناس ، ومن شدة غفلتهم
 قول العلماء حيث ذكروا "الأخذ" و "السرقه" : إنَّ مَنْ أَخَذَ مَعْنَى عَارِيًّا
 فكسأه لفظاً من عنده كان أحق به ، وهو كلام مشهور متداول يقرؤه الصَّـبِيان
 في أول كتاب "عبد الرحمن" (١)

ثم لا ترى أحداً من هؤلاء الذين لهجوا بجعل الفضيلة في "اللفظ" ، يفكّر
 في ذلك فيقول : من أين يتصوّر أن يكون ههنا معنى عارٍ من لفظ يدل عليه؟
 ثم من أين يعقل أن يجيء الواحد منا لمعنى من المعاني بلفظ من عنده ،
 إن كان المراد باللفظ نطق اللسان ؟

ثم هبّ أنه يصح له أن يفعل ذلك فمن أين يجب إذا وضع لفظاً على معنًى
 أن يصير أحقّ به من صاحبه الذي أخذه منه ، إن كان هو لا يصنع بالمعنى شيئاً ،
 ولا يحدث فيه صفة ، ولا يكسبه فضيلة ؟ ولذا كان كذلك ، فهل يكون لكلامهم هذا
 وجهٌ سوى أن يكون "اللفظ" في قولهم : "كسأه لفظاً من عنده" عبارة عن صورة
 يحدثها الشاعر أو غير الشاعر للمعنى ؟ فإن قالوا : بلى يكون ، وهو أن يستعير
 للمعنى لفظاً .

قيل : الشأن في أنهم قالوا : "إذا أخذ معنى عارياً فكسأه لفظاً من عنده كان
 أحق به" و "الاستعارة" عندكم مقصورة على مجرد اللفظ ، ولا ترون المستعير

(١) هو في مقدمة "الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن بن عيسى الهمداني ،
 (ت : ٣٢٤هـ) - نقلا عن هامش الدلائل : رضا ، خفاجي ، شاكر .

يصنع بالمعنى شيئاً ، وترون أنه لا يُحَدِّث فيه مزية على وجه من الوجوه ، وإن كان كذلك ، فمن أين ، ليت شعري ، يكون أحق به فأعرفه * (١)

فالمعنى المشترك في البيتين أن للشاعر ذكراً قديماً حسناً إلا أن للممدوح فضلاً في إبرازه وإظهاره والزيادة عليه ، فأبو تمام عمد إلى بيت أبي نخيلة الأخير وكساه صورة جديدة ، فأحسن وأجاد ، وإن كان أبو نخيلة فاقه حين عبر عن غلو ذكره بقوله * (وأنبهت لي ذكري) ، فأظهر الأمر المعنوي في صورة الحسي ، فالرفع أمر حسي ، والذكر معنوي وهذه استعارة مكنية فيها روعة وجمال ، وهي مقتبسة من قوله تعالى : * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * (٢)

أما أبو تمام فقد عبر عن ذبوع ذكره الحسن بالبياض الممتد ليؤكد نقاءه وصفاءه بقوله (لَقَدْ زِدْتِ أَوْضَاحِي امْتِدَاداً)

ومن الصور التي أحسن فيها أبو تمام وأجاد ، أن أبا نخيلة نفى أن يكون مجهول الذكر خامله بقوله : * وما كان خاملاً * .

أما أبو تمام فلم يرض بهذا النفي السانج فقال " ولم أكن بهيباً ولا أرضي من الأرض مجهلاً * فجاء بصورة البهيم وصورة الأرض المجهولة ، ونفى أن تكون إحدى الصورتين متمثلة فيه .

واكتفى أبو نخيلة في بيان أثر الممدوح في إعلاء ذكره بقوله :

* ولكن بعض الذكر أنبه من بعض *

وهو تعبير مباشر لا يوفي الممدوح حقه من الشكر أما أبو تمام فقد كان أجود مدحاً ، وأكثر وفاءً في إظهار كرم الممدوح . فاستعمل لفظ * أياد * وهو مجاز مرسل علاقته الآليه أو المحليه ، وفي التجوز بالمحل عن الحال دليل على سعة كرمه ، ثم جاء بصورة الأغر المحجل فهذه الأيادي قد صادفته أغر ولكنها لم تتركه كما هو

(١) الدلائل ، رضا : ٣٦٩-٣٧٠ ، خفاجي : ٤٣٨-٤٣٩ ، شاعر : ٤٨٣-٤٨٤ .

(٢) الشرح : ٤ .

إنما زادت في إبرازه بأن جعلته أغرمحجلاً وشرح التبريزي البيت بقوله :
 " يقول : لَمَّا أَكْرَمْتَنِي زِدْتَنِي شَرْفِي ، وَقَدَّرِي ، وهذا المعنى مثل قولهم
 بَيِّضُ فُلَانٍ وَجْهِي إِذَا فَعَلَ بِهِ فِعْلاً حَسَنًا . . . وقوله : " ولم أكن بهيباً " لما ذكر
 الأوضح التي تكون في الخيل دَعَاهُ ذَلِكَ إِلَى أَنْ يَذْكَرَ " البهم " وهو السدي
 ليس به وَضَحٌ ، ولا يخالط لونه لونه لونه غيره ، يقول : رَفَعْتَنِي بَيْنَ النَّاسِ وَشَهْرَتَنِي ؛
 لأنهم يصفون الفرس إذا كان أبلق بالشهرة ، وإنما ذلك لكثرة أوضاحه ،
 إلا أنهم لا يحدون البلق كحمدهم المحجلة ، وقد بيّن معناه البيت السدي
 بعده ، فزعم أن المدوح وجدّه أغرّفزاده حَجُولاً " (١)
 ورأى البكري في السمط أن أبا تمام قد أخذ قول أبي نخيلة " ونبهت من ذكري
 وما كان خاملاً "

إلا أنه كشف معناه وحسنه بالصناعة . (٢)

وعلق ابن رشيق على قول الطائي بقوله :

" فطمح بنفسه إلى حيث ترى وجعل الفرة من كسبه - وهي في الوجه مشهورة -

والتحجيل من زيادات المدوح - وهو في القوائم . (٣)

ومثل هذا المعنى قول علي بن الجهم في مدح المتوكل :

وَمَا الشَّعْرُ مِمَّا اسْتَيْظَلُّ بِظِلِّهِ . . . وَلَا زَانِي قَدْرًا وَلَا حَطَّ مِنْ قَدْرِي

ثم قال :

وَلَكِنَّ إِحْسَانَ الْخَلِيفَةِ جَعَفَرٍ . . . دَعَانِي إِلَى مَا قَلْتُ فِيهِ مِنَ الشَّعْرِ (٤)

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) سمط اللآلي : ١ / ١٣٥ .

(٣) العمدة : ١ / ٤٣ .

(٤) ديوان علي بن الجهم : ١٤٧ .

العمدة : ١ / ٤٢ .

الشاهد الثامن الثمانون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• وَحَدِثَتْ مِنْ أَمْرِ قَمْرٍ بَجَانِبِي . : كَمْ يَنْكَنِي وَلَقِيَتْ مَالَمَ أَحْسَدٍ (٢) (١)

ذكره الشيخ من غير نسبة وهو لسهم بن حنظلة بن حلوان (٣)

وقبل الشاهد :

كَمْ مِنْ عَدُوٍّ قَدْ رَمَانِي كَأَشِيحٍ . : وَنَجَّوْتُ مِنْ أَمْرِ أَغْرَ شُشَيْرِ

• • قال لبيد : (٤)
(المنسرح)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤٠-٤٤١ ، شاکر : ٤٨٥ .

(١) نكح العَدُوَّ وفيه نكايَةٌ قَتْلٌ وَجَرَحَ / القاموس المحيط * نكح : ٤٠٠ / ٤ .

ورواية المؤتلف والمختلف وخزانة الأدب : * لم يُيَكَّنِي * ، ورواية الموازنة :

لم يلقتني .

(٢) انظر البيت في :-

الموازنة : ٢٧٧ ، - من غير نسبة - ، المؤتلف والمختلف : ١٣٦ ، خزانة

الأدب : ٤٣٥ / ٩ .

(٣) هو سهم بن حنظلة بن جأوان وقيل بن حلوان وقيل بن خاقان بن خويلد

أحد بني شيبه بن غني بن أعصر فارس مشهور شاعر محسن ، أدرك الجاهلية

والإسلام وهو شامي ذكر الميمني في تحقيق السمط أنه وجد له بيتان في

الألفاظ : ٢٤٨ ، يدلان على أنه أدرك إمارة عبد الملك بن مروان ، توفي نحو

(٥٧٠ هـ) / انظر ترجمته :

المؤتلف والمختلف : ١٣٦ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ٢٤٨ ، سمط

اللآلي : ٧٤٠ ، الإصابة : ٢ / ١١٥ رقم (٣٧٠٨) ، خزانة الأدب : ٤٣٥ / ٩

الأعلام : ٣ / ١٤٤ ، من الضائع من معجم الشعراء للمزباني : ٧٢ .

(٤) هو لبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ،

وكان يقال لأبيه ربيع المقترين لجوده وسخائه ، قتله بنو أسد في يوم ذي طلق ،

ولم يكن لبيد قد تجاوز سن الطفولة .

وعم لبيد أبو براء عامر بن مالك ملاعب الأستنة ، وكان لبيد كثيراً ما يصاحبه

في أسفاره .

ولبيد أحد شعراء الجاهلية المعدودين فيها ، والمخضرمين من أدرك الإسلام =====

أَخَشَى عَلَى أُرَيْدَ الْحَتُوفَ وَلَا . . . أَزْهَبُ نَوْءَ السَّمَكَ وَالْأَسْدِ (٥) (١) (٢) (٣) (٤)

=== وأسلم، وهو من أشرف الشعراء المجيد بين الفرسان القراء المعمرين / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء: ١/١٣٥، الشعر والشعراء: ١/٢٨٠-٢٩١، تاريخ الطبري: ٣/١٤٥، ٦/١٨٥، الأغاني: ١٥/٣٦١-٣٧٩، الإعجاز والإيجاز ١٤٤، أمالي المرتضى: ١/١٩٠، نهاية الأرب: ٣/٧٠، خزانة البغدادي - دار صادر - ١/٣٣٧ .

(١) هو عمرو بن زهير بن جذيمة بن جزء بن خالد بن جعفر وفي بعض المصادر: " هو أريد بن قيس " ، وكنيته أبو المغوار، وقيل " أبو الحزاز " ، أمه فاطمة بنت زهير بن جعونه ، وقيل أسماء بنت زهير سباهها قيس، فولدت له أريد ، ثم تزوجها ربيعة ، فولدت له لبيداً ، وحراماً / انظر ترجمته :

الأغاني: ١٧/٥٦، معجم الشعراء: ٢١٠، سمط اللالي: ١/٢٩٧، خزانة الأدب - دار صادر - ٢/٢٥٠ .

(٢) رواية معجم الشعراء: " أخاف " .

(٣) السماك: أحد نجمين نيرين أحدهما السماك الأعزل والآخر السماك الرامح ، ويقال أنهما رجلا الأسد ، والذي هو من منازل القمر الأعزل ، وبه ينزل القمر وهو شام ، وسمي أعزل ، لأنه لاشيء بين يديه من الكواكب كالأعزل الذي لا رمح معه ، ويقال سمى أعزل لأنه إذا طلع لا يكون في أيامه ريح ولا برد ، وهو أعزل منها ، والرامح وليس هو من المنازل ولا نوء له ، وهو إلى جهة الشمال ، والأعزل إلى جهة الجنوب .

وظلوع السماك الأعزل مع الفجر في تشرين الأول . / اللسان " سمك " : ١٠/٤٤٤ (٤)

الأسد : يطلق في الفلك على البرج الخامس والكوكبة التي يحتويها وهو مشتق من أسد نيمان الذي قتله هرقل كما تقول الأساطير الإغريقية وألمع نجمين في الكوكبة قلب الأسد والصرفة ، وبها أربع منازل قمرية هي الصرفة والجيهة والزبرة والطرف، ويطلق اسم الأسيديات على وابل من الشهب يتشعب من الكوكبة ، وتغرب الأرض في نوفمبر، ويشاهد في أعداد كبيرة كل ٣٣ سنة / الموسوعة العربية: ١٤٧ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ٣٩ رقم (١٣) ، شرح ديوان لبيد : ١٥٨ ، الكامل - مكتبة المعارف - : =====

والشاهد من أبيات يرثى بها لبيدا أخاه لأنه أريد ، وقد أحرقت الصاعقة (١) .

والبيت من قصيدة مطلعها :

مَا لِي تَعَرِّي الْمَنُونِ مِنْ أَحَدٍ . . . لَا وَالِدٍ مُشْفِقٍ وَلَا وَلَدٍ

وبعد البيت شاهد وبعده :

فَجَعَنِي الرَّعْدُ وَالصَّوَاعِقُ يَا . . . قَارِسِ يَوْمَ الْكَرْيَمَةِ النَّجْدِ

... قال البحرى :

لَوْ أَنِّي أُوفِي التَّجَارِبَ حَقَّهَا . . . فَيَا أَرْتِ لَرَجَوْتُ مَا أَخْشَاهُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد بن مخلد (٣) مطلعها :

أَرْجُ لِرِيَا طَلَّةً رِيَّاهُ . . . لَا يَبْعِدُ الطِّيفُ الَّذِي أَهْدَاهُ

وقبل الشاهد :

عَيْشٌ لَنَا يَا أَبَرْقِيسَ تَابَسَّدَتْ . . . أَيَّامُهُ ، وَتَجَدَّدَتْ زِكْرَاهُ

وَالْعَيْشُ مَا فَارَقْتَهُ فَذَكَرْتَهُ . . . لَهَا وَلَيْسَ الْعَيْشُ مَا تَنْسَاهُ

وبعد الشاهد وبعده :

وَالشَّيْءُ تَنْعَمُهُ تَكُونُ يَذْوَتِي . . . أَجْدَى مِنْ الشَّيْءِ الَّذِي تُعْطَاهُ

=== ٣٢٥ / ٢ ، الأغاني : ١٧ / ٥٥ - ٦٢ ، الأشباه والنظائر للخالد بين : ٣٢ / ١ ، معجم

الشعراء : ٢١٠ ، سبط اللآلي : ٢٩٨ / ١ ، الحاسة البصرية : ٢٠٩ / ١ ، السيرة

النبوية - بهامش الروض الأنف - : ٢٠٧ / ٤ .

(١) وملخص قصته : أنه وفد أريد مع عامر بن الطفيل على الرسول صلى الله عليه وسلم ،

وأراد به سوءاً فدعا عليهما الرسول صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله على أريد في

طريقه صاعقة فأحرقت ، ومات عامر بن الطفيل بالطاعون ، وهو نازل في حي من بني

سلول / انظر الخبر في :

الكامل - مكتبة المعارف - : ٣٢٥ / ٢ ، الأغاني : ٥٦ / ١٧ ، معجم الشعراء : ٢١٠ ،

سبط اللآلي : ٢٩٨ ، خزنة الأدب - مكتبة الخانجي : ٢٥٠ / ٢ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣٣٥ .

(٣) سبقت ترجمته (٢٦٦) .

(٤) ويبدولي أن الضبط بالرفع أجود * لا يبعد الطيف * على أن الطيف فاعل ، وهو

دعاء ورجاء ، ويمكن أن تكون يبعد مضارع بَعُدَ ضد قرب ، ويمكن أن تكون مضارع

بَعِدَ بمعنى * هلك * .

وأما على الضبط بالنصب فتكون الجملة مجسرد إخبار لا روعة فيه .

فالأبيات مأخوذة من معنى المثل القائل :

« حَرًّا أَخَافُ عَلَى جَانِبِي كَمَاةٍ لَأَقْرَأَ » (١)

وهو مثل يضرب " للذي يخاف من شيء فيسلم منه ، ويصيه غيره مما لم يخفه " (٢)
فالشاعر الأول ربط المعنى بصورة حسية ، فقوله " مَرَّ بِجَانِبِي " صور الأمر الذي
يحدث منه ، وكأنه شخص ، أو جسم من الأجسام قاربه ، ولم يلحقه منه ضرر ، وهو تصوير
لطيف .

أما لبيد ، فقد استعان بنوء السماء والأسد ، فهو قد خشي على أخيه الموت ،
ولم يخطر له على بال أن حتفه سيكون بسبب نوء السماء والأسد هذان الكوكبان
الذان يستبشر بهما لأنه لاريح فيهما ولا برد .

وجاء الثالث وزاد المعنى اتساعاً فقال : لو كنت أعطي التجارب والمصائب
حقها وأعرف كيف أقدرها وأعالجها لتمنيت المكروه لما فيه من الخير ، فالمصائب
كثيراً ما تكون نعمة في ثوب نقمة ، وهذا المعنى هو معنى قوله تعالى : " وَعَسَى
أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ، وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ " (٣)

وفي هذا المعنى قال أبو تمام :

قَدْ يُنْعِمُ اللَّهُ بِالْبَلْوَى وَإِنْ عَظُمَتْ . . . وَيُنْتِظِي اللَّهُ بَعْضَ الْقَوْمِ بِالنِّعَمِ (٤)

وعلق المرزباني على بيت البحتري - وهو البيت الثالث من أبيات الشاهد - ، فقال :

" وأخذ البحتري ، فأحسن وطفى اقتداراً على العبارة واتساعاً فسي

المعنى " (٥)

-
- (١) جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري : ١ / ٣٧٣ .
(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٠ ، خفاجي : ٤٤٠ ، شاكر : ٤٨٥ .
(٣) سورة البقرة ، آية : ٢١٦ .
(٤) ديوانه - دارصعب - : ٢٧٩ .
(٥) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٥ .

الشاهد التاسع والثمانون بعد المائتين : (*) (السريع)

• قال إبراهيم بن المهدي : (١)

يَا مَنْ لِقَلْبٍ صَيْغٍ مِنْ صَخْرَةٍ . . . فِي جَسَدٍ مِنْ لَوْلُورِطِيبٍ (٢)
جَرَحَتْ خَدَّيْهِ بِلِحْظِي فَمَا . . . بَرِحَتْ حَتَّى اقْتَصَّ مِنْ قَلْبِي (٣)

• قال أحمد بن أبي فنن : (٤) (الكامل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاكر : ٤٨٦ .

(١) هو إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور ، المعروف بابن شكلة ، الهاشمي ، وشكلة أمه كان أبوها من أصحاب المازيار يقال له شاه أفرند فقتل مع التمازيار وسُجبت بنته شكلة ، فحولت إلى المنصور ، فلما كبرت تزوجها محمد المهدي " وإبراهيم أخو هارون الرشيد " وكان إبراهيم بن المهدي رجلاً عاقلاً فهما دينا أدبياً شاعراً ، راوية للشعر وأيام العرب خطيباً فصيحاً حسن المعارضة إلى أن تبدل الغناء . / انظر ترجمته :

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢٦٦-٢٨٨ ، الأغاني : ١٠ / ٦٩-٧٠ ،

٩٦-١٤٩ ، من الضائع من معجم الشعراء للمرزباني : ١٣ .

(٢) رواية تهذيب تاريخ ابن عساكر :

" في جسد لؤلؤ رطب " .

ويبدو أن الرواية ناقصة للوزن .

(٣) لم أجد البيتين إلا في :

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٤) ورد ذكره في الموشح : ٣١١-٣١٢

نسب البيت في المثل السائر لأبي تمام ، وهو غير موجود في ديوانه ونسب في تهذيب تاريخ ابن عساكر لأحمد بن أبي قين .

هو أحمد بن صالح بن أبي معشر مولى المنصور ، وقيل مولى الربيع بن يونس ، وقيل مولى بني هاشم . كنيته أبو عبد الله ، وكان أسود اللون ، وهو شاعر مجيد من شعراء بغداد في أيام المتوكل ، أكثر المدح للفتح ابن خاقان . / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٣٩٦-٣٩٧ ، أخبار أبي تمام : ٧٠ ، ٧١ ، ١٩٦ ، تاريخ

بغداد : ٢٠٢-٢٠٣ ، سبط اللائي : ١ / ٢٤٥ ، فوات الوفيات : ١ / ٧٠ .

(١) أَذْمَيْتُ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتَهُ (٢) . فَاقْتَصَّ نَاطِرُهُ مِنْ الْقَلْبِ (٥) (٤)

وقبل بيت الشاهد ثلاثة أبيات :

صَبَّ بِحُبِّ مُتَمِّمٍ صَبَّبَ . حَبِيهِ فَوْقَ نَهَائَةِ الْحُسْبِ
أَشْكُو إِلَيْهِ صَنِيعَ جَفْوَتِهِ . فَيَقُولُ مَتَّ فَايَسَّرُ الْخَطَّ
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَحَاسِنِهِ . أَخْرَجْتُهُ عَطْلًا مِنَ الذَّنْبِ (٦)

الشاهد فيه كسابقه . فأبن أبي فتن أخذ بيت إبراهيم بن المهدي معنى ولفظاً

ولكنه بتقاء عبارته وحسن مأخذه صار أولى به . قال الشيخ :

« . . . ففي هذا دليل لمن عقل أنهم لا يعنون بحسن العبارة مجرد اللفظ ،

ولكن صورة ، وصفة ، وخصوصية تحدث في المعنى ، وشيئاً طريق معرفته على

الجملة العقل دون السمع ، فإنه على (٧) كل حال لم يقل في البحري أنه

« أحسن فظي اقتداراً على العبارة من أجل حروف :

« لَوْ أَنَّنِي أَوْفِي التَّجَارِبَ حَقَّهَا »

وكذلك لم يصف ابن أبي فتن بتقاء العبارة من أجل حروف :

« أَذْمَيْتُ بِاللَّحْظَاتِ وَجَنَّتَهُ » (٨)

(١) رواية الموشى : « أَذْمَيْتُ » بالفتح .

(٢) رواية ديوان المعاني : « بِاللَّحَاطِ »

(٣) رواية الموشى : « وَجَنَّتَهَا » .

(٤) رواية الموشى : « نَاطِرُهَا » .

(٥) انظر البيت في : شعر أحمد بن أبي فتن - ضمن (شعراء عباسيون) - :

١٤١ ، الموشى : ٢٢٤ ، ديوان المعاني : ١ / ٢٨٤ ، تاريخ بغداد :

٤ / ٢٠٣ ، تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ ، المثل السائر :

٣ / ٢٤٠ .

(٦) تهذيب ابن عساكر : ٢ / ٢٨٥ .

(٧) الضمير هنا عائذ على المرزباني أو على بن هارون ، انظر :
الدلائل ، رضا : ٣٧٠ - ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤٠ - ٤٤١ ، شاعر : ٤٨٥ - ٤٨٦ .

(٨) الدلائل ، رضا : ٣٧١ ، خفاجي : ٤٤١ ، شاعر : ٤٨٦ .

ولعل البيت الثاني حَسَنٌ وفاق البيت الأول ، لأنه أدق تركيباً وألطف معنسى ، فقد قدم الجار والمجرور " باللحظات " لأهميتها عند الشاعر، فهو يريد أن يسدل على قوة وعمق تأثير اللحظات ، وليس قصد ه وهمه بيان موقعها من أنها كانت على الوجنات ، كما فعل الأول ، وقدم لفظ " خديه " .

ومن أسرار الجمال في البيت الثاني مجيء " الفاء " في قوله : " فآقتص " ، والتي دلت على سرعة ذلك الاقتصاص ، فهي قد أسرعت بجرح قلبه بألحاظها كما جرح هو بلحظه خديها .

" فالفاء " هنا حلت محل العبارة الطويلة في البيت الأول " فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى " .

وابن أبي فنن كان أكثر شوقاً ، وتلهفاً لرؤية ذلك الحبيب من إبراهيم بن المهدي ، وسحبوه أكثر جمالاً ورقة ، فابن المهدي جاء بلفظ " لحظي " مفرداً ، وجعله يعقّب جرحاً ، أما ابن أبي فنن فجاء به جمعاً " اللحظات " ، وجعلها دامية ، فصّور حدة تلك النظرات وتلهفها على تأمل جمال ذلك الحبيب الذي لا تشبع النفس من النظر إليه ، فاللحظ يدافع بعضه بعضاً ليحظى بالنظر إلى ذلك الوجه الصبوح .
ولن كنت أرى أن صورة الجراح والدماء لا تناسب هذا الموقف الذي يتطلب رقّة الإحساس .

وبعد هذا التحليل أقول : إن بيت ابن المهدي لا يخلو من اللمحات الجميلة ، فأنظر مثلاً إلى كلمة " خديه " ، فهي أرق من كلمة " وجنته " بل أدق لأن الحمرة تظهر على الخدين أوضح ما تظهر على الوجنة ، ثم إن قوله " من لؤلؤ رطب " تمهيد لما آدعاه من أنه جرح خديه ، وبيت ابن أبي فنن خال من ذلك .

وأخيراً هذه المقابلة بين القلب الصخر والجسد الرطب مقابلة جميلة ، فما أقسى أن يكون صاحب الوجه الجميل والجسم الناعم قاسي القلب ، وهذا وإن لم يكن في المعنى المشترك لكنه يمهّد له .

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت ابن أبي فنن من بديع المعاني . (١)

وجعله ابن الأثير من الضرب الثالث من السلخ وهو:
 * أخذ المعنى ويسير من اللفظ ، وذلك من أقبح السرقات ، وأظهرها شناعة
 على السارق * (١)

وبذلك خالف أبا هلال العسكري والشيخ عبد القاهر .
 وقد بينت من خلال تحليل الشاهدين ما يخالف قول ابن الأثير .
 وأخذ ابن الرومي بيت الشاهد فقال :

جَرَحَتْهُ الْعَيُونَ فَاقْتَصَّ مِنْهَا . : . بِجَوَى فِي الْقُلُوبِ دَامِيَ النَّدُوبِ (٢)

الشاهد التسعون . بعد المائتين : (*) (البسيط)

• دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَرَحَّلْ لِبَغْيَتِهَا . : . وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَاسِي (٣)

• • قول القائل : (البسيط)

دَرِ الْمَفَاخِرَ لَا تَدَّ هَبَّ لِمَطْلَبِهَا . : . وَأَجْلِسْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْإِكْلِ اللَّابِسُ

استشهد به الشيخ على أن البلاغة والفصاحة للمعاني وليست للألفاظ ، فالتفاضل
 بين صورتين معناهما واحد إنما يعود إلى المعنى لا إلى اللفظ ، فلا يمكن أن يتصور
 أن تكون صورة المعنى في أحد البيتين هي نفسها في البيت الآخر . إلا أن يعتمد
 عامد إلى البيت فيغير فيه بعض الألفاظ من غير تغيير في صورة التركيب ، وما كان
 كذلك لا يعتد به ولا يسمى صاحبه صانعاً ، لأنه لم يصنع شيئاً يعد به صانع كلام
 فبيت الحطيئة لم يكن شعراً من أجل معاني الألفاظ مفردة وهي بمعزل عن معاني
 النظم والتأليف ، فهو لم يسم شعراً إلا للنظم الواقع فيه من كون * المكارم * مفعولاً
 (لِدَعٍ) وكون قوله * لَا تَرَحَّلْ لِبَغْيَتِهَا * جملة أكدت الجملة قبلها ، وكون * اقعد *

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٤٠ .

(٢) ديوان ابن الرومي : ١ / ١٧٣ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٢ ، خفاجي : ٤٤٢ ، شاكر : ٤٨٧ .

(٣) سبق تخريجه : ٩٣٣ .

معطوفاً بالواو على مجموع ماضى ، وكون جملة " أنت الطاعم الكاسي " معطوفة بالفاء على " اقعد " فالذي يجي ، فلا يُغير شيئاً من هذا التركيب لا يعد صانعاً شيئاً ألبتة . (١)

قال الشيخ :

" وجملة الأمر أنه كما لا تكون الفضة أو الذهب خاتماً أو سواراً أو غيرها مسن أصناف الحلي بأنفسهما ، ولكن بما يحدث فيهما من الصورة ، كذلك لا تكون الكلم المفردة التي هي أسماء وأفعال وحروف ، كلاماً وشعراً ، من غير أن يحدث فيها النظم الذي حقيقته توخي معاني النحو وأحكامه .
فإن ليس لمن يتصدى لما ذكرنا ، من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان كل لفظه منه لفظة في معناها ، إلا أن يسترك عقله ، ويستخف " (٢)

الشاهد الواحد والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قال حسان :

يَفْشُونَ حَتَّى مَا تَهَيَّرُ كِلَابَهُمْ ^(٣) . . لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْمُقْبِلِ (٤)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٢-٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٤٨ .

(٣) رواية كتاب سيويه ، وشرح أبيات سيويه للسيرافي :

" حتى لا تهير " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه - دار الكتاب العربي - : ٣٦٢ ، الكتاب : ٣ / ١٩ ، الشعر

والشعراء : ١ / ٣١٢ ، النوادر للقالبي : ١١٧ ، شرح أبيات سيويه :

٦٩ / ٢ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٥٠ ، المصون : ٢٣ ، ديوان المعاني :

١ / ٣٢ ، ٣٧ ، زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ ، العمدة : ٢ / ١٣٩ ، بهجة

المجالس : ١ / ٢٩٧ ، ٢ / ٥٠٤ ، المحاسن والمساوي : ٧٥ ، الأملسي

لابن الشجري : ٢ / ١٠ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٣٢ ، شرح المفصل :

=====

(الكامل)

••• وقول القائل :

يُفْشُونَ حَتَّى مَاتَهُرُّ كِلَابَهُمْ .: أَيْدَاءٌ وَلَا يَسْلُونَ مَنْ ذَا الْمُقْبِلِ

وهو من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغساني من أولاد جفنة الغسانيين ،

ومطلعها :

أَسْأَلَتْ رَسْمَ الدَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِ .: بَيْنَ الْجَوَائِبِ فَالْبُضَيْعِ (٢) فَحَوَمَسَلِ (١)

وقبل الشاهد :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ قَبْرِ أَبِيهِمْ .: قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الْكَرِيمِ الْمُفْضِلِ

وبعدده :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهِمْ (٣) .: بَرْدَى يُصَفِّقُ بِالرَّجِيقِ السَّلسَلِ (٤) (٥)

=== ١ / ٣ / ٢٦ ، ٢ / ٦ / ١٣٣ ، شرح جمل الزجاجي : ١٦٨ / ٢ ،
 مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، شرح شواهد المغني : ١ / ٣٧٨ ، ٣٨٢ ،
 ٤٧٦ ، همع الهوامع : ٢ / ٩ ، الأشموني : ٢ / ٢٩٦ ، الدرر اللوامع :
 ٢ / ٥٧ .

(١) الجابية : بكسر الباء وياء مخففة وأصله في اللغة " الحوض " الذي
 يجبي فيه الماء للإبل ، وهي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الحيدور
 من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران ، وبالقرب منها
 تل يسمى تل الجابية فيه حيايات صغار نحو الشبر عظيمة النكايسة ،
 والجولان بالفتح ثم السكون قرية ، وقيل جبل من نواحي دمشق ثم من
 عمل حوران / معجم البلدان : ٢ / ١٨٨ .

(٢) البضيع : وقيل البضيع بالصاد غير المعجمة ، وهو جبل أسود بالشام /
 معجم البلدان : ١ / ٤٤٤ .

(٣) البريص : بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، وهو في شعر حسان يسدل
 على أن البريص اسم الغوطة بأجمعها ، فإنه يقول : يسقون ماء بردى - وهمو
 نهر دمشق - مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ . / معجم البلدان : ١ / ٤٠٧ .

(٤) بردى : بثلاث فتحات أعظم نهر بدمشق ، مخرجه من قرية يقال لها =====

والشاهد يُستشهد به في كتب الأدب على أنه أمدح بيت قالتها العسرب. (١)
ويستشهد به النحاة على أنّ " حتى " هنا حرف ابتداء بدليل رفع
" ماتهر " إلا أن الكسائي رأى جواز نصب " ماتهر " ورد بعدم السماع .
ورأى ابن مالك أنّ حتى هنا جارة ويعدّها " أن " مضمرة . (٢)
والشاهد فيه كسابقه ، فالزاعم هنا حاول تغيير التركيب إلا أنه قد فشل فسي
ذلك .

قال :

" . . . فإن لم يصدى لما ذكرنا من أن يعمد إلى بيت فيضع مكان
كل لفظة منها لفظة في معناها ، إلا أن يترك عقله ، ويستخف ، ويعد معسداً
الذي حكى أنه قال : إِنِّي قَلْتُ بَيْتًا هُوَ أَشْعَرُ مِنْ بَيْتِ حَسَّانَ . . . فقيس
هو بيت حسان ، ولكنك قد أفسدته " (٣)

ومن أوجه الفساد في قول الزاعم ، أنه وصل بين الجملتين بالواو " ولا يسلون " مع أن الفصل هنا أمكن كما فعل حسان لأن غرض الشاعر أن يبالغ في امتداح القوم ، فغشيان الناس يارهم دون أن تهركلابهم دليل على كرمهم ، وعدم سؤالهم عن

===
" قنوا " من كورة الزيداني على خمسة فراسخ من دمشق من جهة بعليبك
من عيون هناك تنصب إلى الفيحة مراد الاطلاع : ١ / ١٨١ .
(٦) يصفق : يمزج / اللسان " صفق " : ١٠٠ / ٢٠٢ .

(١) زهر الآداب : ٤ / ١١٥٨ .

(٢) انظرني ذلك :

كتاب سيويه : ٣ / ١٨ ، شرح أبيات سيويه للسيرافي : ٢ / ٦٩ ، شرح

جل الزجاجي : ٢ / ١٦٨ ، مغني اللبيب : ١ / ١٢٩ ، المسددر

اللوامع : ٢ / ٧ .

(٣) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ ، خفاجي : ٤٤٣ ، شاكر : ٤٨٨ .

السواد القادم مبالغة في بيان عظيم ذلك الكرم .
 وقوله " مَنْ ذَا " ليس كقول حسان " عن السواد " فكلمة السواد صرحت بكثرة
 القاصدين ، أما قوله " من ذَا " فهو استفهام على الحقيقة ليس فيه تصريح بالكثرة .
 فمعنى الشاهد :

أن أبناء جفنة بلغوا من الكرم مبلغاً لا يدانيهم فيه أحد ، فجعل لذلك كلابهم
 لا تنبح من يفشاهم لا عتيادها على الأضياف ، وهم على كثرة من يأتيهم - بدليل
 يُغشون للمجهول فدل على الكثرة - لا يسألون عن الشخص المقبل لعلمهم بأنهم
 طلاب إحسان ومعروف ، فيستقبلونهم ويضيفونهم ولا يحلونهم مشقة الطلب والسؤال .

ذكر ابن وكيع أن أبا نواس قد أخذ هذا المعنى فقال :

إلى بيت حان لا تهر كلابه . . . على ولا يخشون طول ثوائي (٢)

وأنه لا فرق بين المعنيين . (٣)

وقال حاتم الطائي في هذا المعنى :

فإن كلابي قد أقرت وعودت . . . قليل على من يعتريني هريها (٦)

(١) رواية الديوان " ولا يئكرن "

(٢) ديوانه : ٤٠٢ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٢٥ .

(٤) رواية الديوان : " ولن "

(٥) رواية الديوان " أهرت "

(٦) ديوانه - دار صادر - : ٦٣ .

تمهيد :

بعد أن شرح الشيخ فكرته في أن الفصاحة للمعاني لا للألفاظ ، واستدل على ذلك بأنه ما من بيتين اتحد معناهما واختلفت صور إلا وكان مرد ذلك إلى التركيب ثم أهاب بالعقول أن تدقق النظر فيما كتبه العلماء من الموازنات قال :
 " واعلم أنه إنما أتت القوم من قلة نظرهم في الكتب التي وضعها العلماء في اختلاف العبارتين على المعنى الواحد ، وفي كلامهم في أخذ الشاعر من الشاعر ، وفي أن يقول الشاعران على الجعلة في معنى واحد ، وفي الأشعار التي دونوها في هذا المعنى ، ولو أنهم كانوا أخذوا أنفسهم بالنظر في تلك الكتب ، وتدبروا ما فيها حق التدبر ، لكان يكون ذلك قد أيقظهم من غفلتهم ، وكشف الغطاء عن أعينهم " (١)

ثم قسم هذا الفصل قسمين :

القسم الأول :

الموازنة بين شعريين أحدهما كان معناه غفلاً سانجاً ، والآخر فيه صنعة .

والقسم الثاني :

كلا طرفي الموازنة فيه صنعة وإجادة .

قال :

" وقد أردت أن أكتب جعلة من الشعر الذي أنت ترى الشاعرين فيه قد قالا في معنى واحد وهو ينقسم قسمين : قسم أنت ترى أحد الشاعرين فيه قد أتى بالمعنى غفلاً سانجاً ، وترى الآخر قد أخرج في صورة تروق وتعجب . وقسم أنت ترى كل واحد من الشاعرين قد صنع في المعنى وصور " (٢)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٧٣ - ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاکر : ٤٨٩ .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٧٤ ، خفاجي : ٤٤٤ ، شاکر : ٤٨٩ .

٢- الموازنة بين المعنى المتحد واللفظ المتعدد

(المنسرح)

الشاهد الثاني والتسعون بعد المائتين : (*)

قول المتنبي :
يَمْسُ اللَّيَالِي سَهْرَتٌ مِنْ طَرَبِي (١) (٢) . شَوْقًا إِلَى مَنْ يَبِيْتُ يَرَقُدُّ هَا (٣)

وهو من قصيدة قالها في صباه ما دحا محمد بن عبيد الله العلوي المشطب (٤) ومطلعها :

أَهْلًا بِدَارِ سَبَاكَ أَغِيدُ هَا . . . أَبْعَدَ مَا بَانَ عَنْكَ خَرْدُ هَا (٥)

وقيل الشاهد :

يَاعَاذِلِ الْعَاشِقِينَ دَعِ وَفِئَةً . . . أَضَلَّهَا اللَّهُ كَيْفَ تُرَشِّدُهَا

لَيْسَ يَحِيكُ التَّلَامُ فِي هِمِّ . . . أَقْرَبَهَا مِنْكَ عَنْكَ أَبْعَدُهَا

وبعد هما الشاهد وبعده :

أَخْتِيَّتَهَا وَالذَّمُوعَ تَجِدُ نَيْسِي . . . شَتُونَهَا وَالظَّلَامُ يَنْجِدُ هَا

ذكر العكبري أن المتنبي نظر إلى قول أبي نواس في هذا المعنى :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاکر : ٤٨٩ .

(١) رواية العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب ، ورواية الدلائل تحقيق شاکر : " سَهْرَتٌ " .

ويبدو لي أن هذه الرواية أبلغ لأن بعض أهل العربية فرقوا بين السهر " بالراء " ، والسهد

" بالذال " ، فجعلوا السهر لكل شيء ، أما السهد فهو خاص بالمدغ والعاشق ، / خزانة

البغدادي - الخانجي - : ١٦٣ / ٦ .

(٢) رواية العرف الطيب : " من طرب " ، والطرب خفة تصيب الإنسان لشدة سرور أو حزن /

مختار الصحاح : ٣٨٩ .

ويبدو أن رواية العرف " من طرب " أولى ؛ لأن في التثكير معنى التثكير والتعظيم ، أي

حزن عظيم كثير .

(٣) لم أجد البيت إلا في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٩٨ / ١ ، العرف الطيب : ٣٣ / ٣ ، خزانة البغدادي

- مكتبة الخانجي : ١٦١ / ٦ .

(٤) قال ابن ماكولا :

" الأشر النقيب أبو الحسين محمد بن عبد الله بن علي بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن

الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، مدحه المتنبي ، وكان يلقب : المصهرج ،

قاله لنا الشريف النسابة " .

وذكر العكبري أن المدوح كان جواداً شهماً جميل الصورة ، فقد واقع قوماً من العرب بظاهر

الكوفة ، وهو شاب دون العشرين سنة ، فقتل منهم جماعة ، وجرح في وجهه فكسته الضربة حسناً ،

فدحه المتنبي بقصيده التي منها بيت الشاهد .

وذكر الأستاذ محمود شاکر في كتابه " المتنبي " أن المشطب هذا كان من ليدات أبي الطيب

وأسنانه ، وكان يدرس معه في " كتاب فيه أولاد أشراف الكوفة " ثم رجح الأستاذ شاکر أن يكون

المتنبي أخا المشطب من الرضاع . / انظر :

التبيان للعكبري : ٣٠٧ / ١ ، الإكمال : ٨١ / ١ ، المتنبي - محمود شاکر - : ٢٧ / ١ - ٢٨ - ٤٢ - ٧٤ .

(٥) خَرْدُهَا : جمع خَرِيدَةٍ ، وخَرِيدٌ ، وخَرُودٌ ، وهي الفتاة البكر التي لم تمس قط / اللسان :

" خرد " : ١٦٢ / ٣ .

شَكُونَا إِلَى أَحْبَابِنَا طُولَ لَيْلِنَا .: فَقَالُوا لَنَا مَا أَقْصَرَ اللَّيْلَ عِنْدَنَا (١)
 وذلك أن طول الليل كناية عما يكون فيه من الهموم والآلام ، ومنها السهر ،
 وقصر الليل كناية عما يكون فيه من العسرات ، والمباهج ومنها النوم الهادي العميق .
 ومن هنا كان بيت أبي نواس أغزر معنى ، وأدق تصويراً لما يعانيه الشاعر ، ولما
 يعيش فيه أحبائه ، وأطفأءاءه لما فيه من الكنايتين ، ولعل ذلك سر قول العكبري
 " نظر " ولم يقل أخذ مثلاً .

(الكامل)

• مع قول البيهقي :

لَيْلٌ يَصَادِقُنِي وَمُرْهَفَةٌ الْحَشَا .: ضِدَّيْنِ أَسْمَرُهُ لَهَا وَتَنَامُ (٢)
 وهو من قصيدة يمدح بها أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام ، (٣) مطلعها :
 عَهْدِي بِرَبِّعِكَ مَثَلًا آرَامَهُ (٤) .: يَجْلِي بِضَوْءِ خُدُودِهِنَّ ظُلَامَهُ

- (١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١ .
 (٢) لم أجده في ديوانه طبعة - بيروت - ، وهو موجود في ديوانه - صيرفي -
 ٤ / ٢٠٣٧ .
 (٣) هو أحد القواد في عصر المأمون والواثق ، ولأه المأمون حصناً من حصون
 الروم سنة (٢١٧ هـ) . قال اليعقوبي :
 " وغزا المأمون بلاد الروم في هذه السنة ، وهي سنة (٢١٧ هـ) ، وصار
 إلى حصن من حصون الروم يقال له لؤلؤة ، فأقام عليه حيناً لم يفتحه ،
 فبنى عليه حصنين أنزل فيهما أبا إسحاق والرجال ، ثم قفل متوجهاً
 إلى قرية يقال لها : " سلفوس " وخلف على حصنه أحمد بن بسطام ."
 وفي عهد الواثق وجهه إلى نصيبين ، فضرب وجس ، وحسرت
 الدور . / انظر :
 تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٢ - ٤٨١ .
 (٤) آرامه : الآرام الأطباء الخالصة البيضاء ، الواحدة ريم . / حياة الحيوان
 الكبرى : ١ / ٥٢٨ .

وبعدہ بیتان قبل الشاهد :

(١)
إِلْمَامٌ بِالذَّارِ إِنْ مَتَيْمًا . . . يَكْفِيهِ أَكْثَرُ شَوْقِهِ إِلْمَامُهُ
أَمْسَى يُضْرَمُ فِي جَوَانِحِهِ الْجَوَى . . . بَرَقَّ يَشْبُّ مَعَ الْعِشِيِّ ضِرَامُهُ

وبعدهما البيت وبعدہ :

مَحْجُوبَةٌ فَإِذَا بَدَتْ فَكَأَنَّهَا . . . بَدْرُ السَّمَاءِ تَمَامُهُ وَمَرَامُهُ

فالمتنبي جاء بالمعنى مباشراً ، فهو * يريد ذم الليالي التي سهر فيها ، ولم يتم لما أخذه من العلق ، وخفة الشوق إلى من يحب ، وهو كان يرقد الليالي ، لأنه كان خالياً من الشوق ، لا يجد من أسباب امتناع الرقاد ما يجده العاشق ، وأين الخلي من الشجي* (٢)

على أن بيت المتنبي لا يخلو من اللطائف ، والأسرار ، فقله : * من يبيت يرقدها*
محكم البناء والتركيب ، فالاسم الموصول * مَنْ * حمل كل معاني اللوم والعتاب لتلك المحبوبة التي تنام قريرة العين .

وفي تكرار معنى * يبيت - ويرقد * تأكيد لعدم مبالاتها .

أما البحثري ، فقد تأتق في صياغة هذا المعنى ، فجاء بتركيب ضمنه كل ما تحمله نفسه من ضيق وتبرم ، وما يقاسيه من آلام الشوق وتياريح الوجد ، فحذف المسند إليه * هو * ، وجاء مباشرة بالمسند * ليل * ؛ لأنه سبب بلواه ، ومحط شسكواه ، وجاء به متكرراً استعظاماً لقسوته ، ففيه يكابد آلام الحنين . وتشتد عليه وطأة الوجد ، فما أن يجن الليل حتى تظهر صورة مرهفة الحشا في الخيال ، فالواو هنا دلت على تلازمها واقترانها .

(١) إلمامة : الزيادة القصيرة ، يقال هو يزورنا إلماماً - بالكسر - أي غياً . /

القاموس المحيط : ٤ / ١٧٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣٠١ .

وفي استحضار صورة تلك المحبوبة ، ووصفها بأدق الصفات ، وهو كونها ضامرة
الخاصرة تصوير لذلك الحب ، وذلك الشوق الذي تعج به النفس .

وقوله " ضِدِّين " تصريح بالمعنى الذي يدور في نفسه ، وفي هذا التصريح
غاية اللوعة والحسرة أن يكون هو وصاحبه " ضِدِّين " ، ولو في النوم والسهر مع
أن لهما دلالتها على كل علاقة بينهما ، وذلك ما يعنيه بيت المتنبي :

أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعْوَدُ بِمِ . . مِنْ أَنْ أَكُونَ مُحِبًّا غَيْرَ مُحَبُّوبٍ (١)

الشاهد الثالث والتسعون بعد المائتين : (*) (البسيط)

• قول البحثري :

وَلَوْ مَلَكَتُ زَمَاعًا ظَلَّ يَجْدِبُنِي (٢) . . قَوْدًا لَكَانَ نَدَى كَفَيْكَ مِنْ عَقْلِي (٥) (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن المدبر ، (٦) ومطلعها :

- (١) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٧٦ .
(*) الدلائل ، رصنا : ٢٧٤ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر : ٤٩٠ .
(٢) الزماع : المضاء في الأمر والعزم عليه / اللسان " زمع " : ٨ / ١٤٣ .
(٣) القود : تقيض السوق ، يقود الدابة من أمامها ، ويسوقها من خلفها ،
فالقود من أمام ، والسوق من خلف ، قادت الغرس وغيره أقوده قسوداً
ومقادة ، وقيدودة ، وقاد البعير واقتاده : جرّه خلفه . / اللسان
" قود " : ٣ / ٣٧٠ .
(٤) العقول : جمع عقال وهو حبل يشد به البعير في وسط ذراعه . / الصباح
المنير : ٧٣ .

(٥) لم أجد فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٨٧٣ ، ولم يرد البيت في طبعة بيروت .

(٦) هو إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر (أبو إسحاق) (٠٠ - ٢٧٩ هـ)

وزير من الكتاب المترسلين الشعراء من أهل بغداد ، تولى ولايات جليلة ،

واستوزه المعتد العباسي لما خرج من سامراء يريد مصر سنة (٢٦٩ هـ)

وتقلد ديوان الضياع للمعتد . / انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ١٠٢ ، أخبار البحثري للصولي : ٧٦ - ٨٢ - ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٨ ،

١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٣٤ ، ١٥٧ ، الكامل لابن الأثير : ٦ / ٧٥ ، الأعلام : ١ / ٦٠ .

لَكِنَّ تَنَى الدَّهْرَيْنِ سَهْمِي فَلَمْ يَصِلْ . . . وَرَدَّ مِنْ يَدَيِ الطَّوْلِ فَلَمْ تَنْسَلِ

وقبل الشاهد :

أَتَرَكَ السَّهْلَ مِنْ جَدِّ وَكَ أَتَبَعَهُ . . . وَأَطْلَبُ النَّائِلَ الْأَقْصَى إِلَى الْجَبَلِ
نَعَمْ وَجَدْتُ الْمَخْلَى لَيْسَ يَحْتَدُّ مِنْ . . . مَرَعَاهُ مَا يَحْتَدُّ الْمَحْظُورُ فِي الطَّوْلِ (١)
أَقْصِرْ بِرَأْيِي إِنْ شَرَقْتَ عَنْكَ غَدَاً . . . وَمَرَّ بَعْدَكَ لِي لَيْلٌ فَلَمْ يَطُـلْ

وبعد ها الشاهد وبعده :

مَا بَعْدَ جُودِكَ لَوْلَا مَا يَجَاوِرُهُ . . . بِسَرَّ مَنْ رَأَى مِنْ جَهْلٍ وَمِنْ بَخْلِ
فَكَيْفَ أَنْظَرُ مَخْتَاراً إِلَى بَلَدٍ . . . يَكُونُ يَا سَيِّ أَعْلَى فِيهِ مِنْ أَمْلِي

(الطويل)

• • مع قول المتنبى :

وَقَيْدَتْ نَفْسِي فِي ذَرَاكَ مَحَبَّةً (٢) . . . وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدًا (٣)

فالبحتري صرح بأنه لو كان يزمع الرحيل ، وكان في هذا الرحيل منافع تجذب به
وتغريه ، وتقوده قوداً ، لكان كرم المدوح من القيود التي تعوقه وتقيد به عن الرحيل .
أما المتنبى فلم ينتظر الرحيل ليمتحن وفاءه للمدوح بل أكد حبس نفسه
باستعمال الفعل الماضي " وقيدت " أي نفسي رهينة محبتك منذ أمد ، ولم يقل
" وأقيد " فيكون التقيد أمراً مستحدثاً .

والبحتري صرح بأن الذي قيده هو كرم المدوح ، أما المتنبى فكان أنزه حيث
جعل نفسه مترفعة غير طامعة ، فالذي قيده هو محبته للمدوح " وقيدت نفسي
في ذراك محبة " ، ثم بعد ذلك إحسان المدوح وتفضله . وفي قوله " قيداً تقيداً " تأكيد على تأكيد .

(١) الطَّوْلُ : الحبل الذي يَطْوُلُ للدابة فترعى فيه / اللسان " طول " : ٤١٣ / ١١ .

(٢) الذَّيْرُ بِالْفَتْحِ كُلُّ مَا اسْتَرْت بِهِ ، يُقَالُ : أَنَا فِي ظِلِّ فُلَانٍ ، وَفِي ذَرَاةِ أَيِّ

فِي كَنَفِهِ وَسُتْرِهِ وَدَفْعِهِ / اللسان " ذرا " : ٢٨٤ / ١٤ .

(٣) سبق تخريجه والحديث عنه ، انظر الشاهد (الحادي والستين) : ٣١٤ .

الشاهد الرابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبى : (١)

إِذَا أَعْتَلَّ سَيْفُ الدَّوْلَةِ أَعْتَلَّتِ الأَرْضُ . . . وَمَنْ فَوْقَهَا وَالْبَأْسُ وَالكَرْمُ المَحْضُ (٢)

والشاهد أحد أبيات ثلاثة قالها المتنبى لما مرض سيف الدولة ، وميت الشاهد

أولها ، وبعده :

وَكَيْفَ أَتَفَاعِي بِالرَّقَادِ وَإِنَّمَا . . . يِعْلَتُهُ يِعْتَلُّ فِي الأَعْيُنِ الفُضُضُ
شَفَاكَ الَّذِي يَشْفِي بِجُودِكَ خَلْقَهُ . . . لِأَنَّكَ بَحْرُ كُلِّ بَحْرٍ لَهُ بَعْضُهُ (٣)

ومعنى الشاهد :

" إذا اعتل سيف الدولة - المدوح - اعتلت لعلته الأرض ، ومن عليها من

الناس والقوة ، والكرم الخالص ، لأنه قوام كل شيء ، فإذا اعتل اعتل له كل

شيء " (٤)

ولقد خصص البأس والكرم المحض بالذكر بعد أن ذكرهما في الاعتلال العام ،

وهو قوله : " والأرض ومن عليها " ، لأنها أبرز ، وأعظم صفات المدوح .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٥ ، شاكر : ٤٩٠ .

(١) جاء في الوساطة ، والتبيان للعكبري أن بيت المتنبى مأخوذ من قول أبي تمام :

وَلِنْ نَجِدَ عِلَّةً نَعْمَ بِهَا . . . حَتَّى تَرَانَا نَعَادُ مِنْ مَرَضِيَّةِ

وللمتنبى بيت آخر في هذا المعنى ذكره صاحب الوساطة ، وهو قوله :

وَمَا أَخْصَكَ مِنْ بَرٍّ بِتَهْنِئَةٍ . . . إِذَا سَلِمَتْ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح العكبري : ٢ / ٢١٨ ، العسرف

الطيب : ٤ / ٢٣ ، الوساطة : ٢٤٠ ، يتيمة الدهر : ١ / ١٤٢ ،

العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٣) رواية العرف الطيب : " فإنك " .

(٤) التبيان : ٢ / ١٣٥ .

(١)

وذكر ابن رشيقي أن قوله : " والبأس والكرم " حشو ، وهو ما يسميه البعض الاتكاء
- إِلَّا أَنْ يَحْمَلَ عَلَى قَوْلِهِ تَعَالَى " فِيهِمَا فَالِكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ " (٢) ، فأعاد ذكرهما ، وهما
من الفاكهة لفضلهما ، فهو في هذه الحالة أمر سائغ . قال :

" فقوله : " والبأس " حشو ؛ لأن قوله : " ومن فوقها " دال على الإنس
والجن جميعاً ، والبأس والكرم جميعاً ، اللهم إِلَّا أَنْ يَحْمَلَ عَلَى تَأْوِيلِهِمْ فِي
قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : " فِيهِمَا فَالِكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ " ، فأعاد ذكرهما ، وهما في
الفاكهة لفضلهما ، وقوله تعالى : " مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَالَ " (٣)

فإنَّ هذا سائغ وليس بحشو حينئذٍ " (٤)

وبيت المتنبي من ذكر الخاص بعد العام ، وله في البلاغة مكان " فهو من إرضاب ، ومنه قوله تعالى :

" حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى " (٥) وهو كثير في القرآن ، وفي الفصح

من كلام العرب .

(الطويل)

•• مع قول البحريري :

(٦) ظَلَمْنَا نَعُونَ الْجَوَدَ مِنْ وَعَيْكَ الذِّي . . وَجَدَّتْ وَقَلْنَا أَعْتَلَّ عَضُومِ الْمَجْدِ (٧)

وهو من قصيدة قالها في مدح إبراهيم بن المدبر ، ويذكر علة نالته ، ومطلعها :

(١) وذلك أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى ، وإنما أدخله

الشاعر لإقامة الوزن ، فإن كان في القافية فهذا استدعاء . / انظر :

العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٢) الرحمن : ٦٨ .

(٣) البقرة : ٩٨ .

(٤) العمدة : ٢ / ٧٠ .

(٥) البقرة : ٢٣٨ .

(٦) رواية الديوان : " المجد " .

(٧) ديوان البحريري : ١ / ٢٤٤ ، الوساطة : ٢٤٠ ، العمدة : ٢ / ٧٠ .

بِأَنْفُسِنَا لَا بِالطَّوَارِفِ وَالطُّسَدِ . . . نَعِيكَ الَّذِي تُخْفِي سِنَ الْوَجْدِ أَوْتَيْدِي

وبعد ، بيت قبل الشاهد :

يَنَا مَعْشَرَ الْعَافِينَ مَا بَكَ سِنَّ أَنْزَى . . . فَإِنْ أَشْفَقُوا مِنَّا أَقُولُ فِيِّي وَحَدِيدِي

وبعد ، الشاهد وبعده :

وَلَمْ نُنْصِفِ اللَّيْثَ اقْتَسَمْنَا نَوَالَهُ . . . وَلَمْ نَقْتَسِمِ حُمَاهُ إِذْ أَقْبَلَتْ تُرْبِي

إِذَا تَأَمَّلْنَا الْبَيْتَيْنِ وَجَدْنَا أَنَّ الْغَرَضَ الْمَشْتَرَكَ بَيْنَهُمَا يَعْتَمِدُ عَلَى مَعْنِيَيْنِ ،
أحدهما أصل ، وهو اعتلال المدوح ، والآخر فرع ، وهو اعتلال الأرض ومن عليها ،
وقد عمد المتنبّي إلى الأصل ، وجاء بالمعنى صريحاً ، فقيد اعتلال الأرض باعتلال
المدوح ، وذلك عن طريق الشرط بـ " إذا " .

وقوله : " ومن فوقها " بعد ذكر " الأرض " ليدل على أن كرمه وإحسانه

قد شمل كل كائن حي يدب على الأرض ، وكل جنات قائم عليها ، فهو قوام كل شيء .

أما البحثري فذكر الفرع أولاً وجعله عاد الصورة ، ثم ذكر الأصل صريحاً " سِنَّ

وَعَيْكَ الَّذِي وَجَدْتِ " ، وعول في الفرع على الفحوى ، ودلالة الفحوى على اعتلال

الأرض هي قوله : " ظَلَّلْنَا نَعُودَ الْجُودِ " ، فعبارة الجود تدل على اعتلاله ، واعتلال

الجود دل على اعتلال الأرض ، وهذه صورة بارعة حية فيها حركة وتجسيد تفتح

لخيال السامع جنان المعاني .

وقوله : " ظَلَّلْنَا نَعُودَ " دل على كثرة زيارة الجود ، وقلق واضطراب الزائر بسن

عليه ، لحاجتهم الماسة إليه .

وقوله : " وقلنا اعتل عضو من المجد " ، وصف للمدوح بالمجد الخالد ، فهذا

الجود الذي عمّ الأرض إنّما هو عضو من أعضاء جده التليد ، فصغاته لا تنحصر فسي

هذا الجود ، فإن كان اعتلال عضو منه قد أحدث في الكون ما أحدث فكيف إذا اعتلت

كل أعضائه ؟

(١)

ولعلي بن الجهم في هذا المعنى :

وَإِذَا رَأَيْتُمْ مِنَ الدَّهْرِ رَبِّبًا . . . عَمَّ مَا خَصَّكُمْ جَمِيعَ الأَنْسَامِ (٢)

ولأبي هفان : (٣)

قَالُوا أَعْتَلَّتْ فَكَلَّتْ كَلًّا (م) . . . إِنَّا أَعْتَلَّ الْعِبَّانُ

وَالدِّينُ وَالدُّنْيَا لِعِلَّةٍ . . . هُوَ وَأَظْلَمَتِ الْبِلَادُ (٤)

(١) هو عطي بن الجهم بن بدر، أبو الحسن (. . . - ٢٤٩ هـ) من بني لؤي

ابن غالب ، شاعر رقيق الشعر أديب ، من أهل بغداد كان معاصراً
لأبي تمام ، وخص بالمتوكل العباسي ، ثم غضب عليه المتوكل ، فنفساه
إلى خراسان ، فأقام مدة ، وانتقل إلى حلب ، ثم خرج منها بجماعة يريد
الغزو ، فاعترضه فرسان من بني كلب فقتلهم ، وجرح ، ومات من جراحه ،
له ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته :

تاريخ الطبري : ١٥٢ / ٩ ، ١٦١ ، ١٧٠ ، ١٧٥ ، ١٩٦ ، ٢٦٤ ، الأغاني :

١٠ / ٢٠٣ ، ٢٣٤ ، معجم الشعراء : ٢٨٦ ، سبط اللاكبي : ٥٢٦ ، طبقات

الحنابلة : ١ / ٢٢٣ ، تاريخ بغداد : ١١ / ٣٦٧ ، الأعلام : ٤ / ٢٧٠ .

(٢) ديوان : ١٨٢ ، ورواية الديوان " فازدا " ، الوساطة : ٢٣٩ .

(٣) أبو هفان : عبدالله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدي ، شاعر

وزلوية من أهل البصرة ، سكن بغداد وأخذ عن الأصمعي وغيره ،

كان فقيراً يلبس مالا يكد يستر جسده ، له عدة مؤلفات منها :

(أخبار أبي نواس) ، (أخبار الشعراء) ، (صناعة الشعر) /

انظر ترجمته - :

سبط اللاكبي : ١ / ٣٣٥ ، نزهة الألبا : ١٥٦ ، لسان الميزان :

٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) الوساطة : ٢٣٩ ، التبيان للعكبري : ٢١٨ .

الشاهد الخامس والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• قول المتنبي :

يُعْطِيكَ مُبْتَدِئًا فَإِنْ أَعْجَلْتَهُ .: أَعْطَاكَ مَعْتَدِرًا كَمَنْ قَدْ أَجْرَمَا (٢)

والشاهد من قصيدة له قالها في صباه يمدح بها إنساناً، وأراد أن يستكشف

مذهبه ، ومطلعها :

كُنِّي أَرَانِي وَنِيكَ لَوَسَّكَ الْوَسَا .: هَمْ أَقَامَ عَلَيَّ فَوَادٍ أَنْجَمَا (٣)

وقبل الشاهد :

لَمْ تَجْمَعِ الْأَضْدَانَ فِي مُتَشَابِهِ .: إِلَّا لِتَجْعَلَنِي لِغُرْبِي مَفْسِنَا
كَصَفَاتٍ أَوْ حَدِنَا أَبِي الْفَضْلِ الَّتِي .: بَهَرَتْ فَاَنْطَقَ وَاصْفِيهِ وَأَفْحَمَا

وبعد الشاهد :

وَيَرَى التَّعَظَّمَ أَنْ يَرَى مُتَوَاضِعَا .: وَيَرَى التَّوَاضِعَ أَنْ يَرَى مُتَعَظَّمَا

ومعنى بيت المتنبي :

" أنه يعطي من قبل أن تسأله ، فإن أعجلته أعطاك معتدراً إليك ، كأنه قد

أنتى بذنب " (٤)

•• مع قول أبي تمام : (الطويل)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاکر : ٤٩٠ .

(١) رواية العرف الطيب ، والدلائل تحقيق شاکر : " مبتدراً " .

(٢) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٣٠ ، العرف الطيب :

٤ / ٤٦٨ ، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) أنجم : أطلع / التكملة والذيل والصلة " نجم " : ٦ / ١٥٢ .

(٤) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٣٠ .

(١) أَخُو عَزَمَاتٍ فِعْلُهُ فِعْلُ مُحْسِنٍ . . . إِلَيْنَا وَلَكِنْ عُدْرُهُ عُدْرُ مَنْدُ نِسْبٍ (٢)

وهو من قصيدة يدح بها خفافش بن لهيعة الحضرمي ، مطلعها : (٣)

تَبَقِي جَمَحَاتِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤْتَبِي . . . وَلَيْسَ حَنِينِي إِنْ عَدَلْتِ بِمُصْجِبِي

وقبل الشاهد :

رَأَيْتُ لِعِيَّاشٍ خَلَائِقَ لَمْ تَكُنْ . . . لِتَكُنْ إِلَّا فِي اللَّبَابِ الْمُهَذَّبِ

لَهُ كَرَمٌ لَوْ كَانَ فِي الْمَاءِ لَمْ يَفْضُ . . . وَفِي الْبَرْقِ مَا شَامَ أَمْرُ بَرْقٍ حُلْبٍ (٤)

وبعد الشاهد :

إِذَا أُمَّةٌ الْعَاقُونَ أَلْفُوا حِيَاضَهُ . . . مِيَاءً وَأَلْفُوا رَوْضَهُ غَيْرَ مُجْدِبِ

(١) رواية الديوان ، ورواية المنصف في نقد الشعر :

” أخو أزيمات ”

ويبدو لي أنها أجود ، لأن الموقف هنا موقف عطاء ، وفك أزيمات .

(٢) لم أجده إلا في :

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٧ ، المنصف في نقد الشعر : ١٢٤ .

(٣) ورد اسم ” خفافش ” في ديوانه - دار صعب - ، وفي أخبار البحري وأبي

تمام للصولي ، وفي العقد الفريد ، ورد اسم ” عيَّاش ” ، وفي النجوم

الزاهرة ، ورد اسم ” عباس ” ، وعيَّاش بن لهيعة قصده أبو تمام في مصر ،

وكان قائد شرطتها سنة (١٠٢٠ هـ) ومدحه في بادئ الأمر ، ونال منه

العطايا ، ثم حدث أن استسلمه أبو تمام مائتي مثقال ، فشاور زوجته ،

فقالت : هو شاعر يمدحك اليوم ويهجوك غداً فأعتل عليه واعتذر إليه ،

ولم يقض حاجته ، فهجاه أبو تمام ، وظل يهجوّه حتى بعد موته . / انظر :

العقد الفريد - دار الفكر - : ١ / ١٦٥ ، ١٩٦ ، ٢٣٩ ، أخبار أبي تمام :

١٢١ ، أخبار البحري : ١٤٥ ، النجوم الزاهرة : ٢ / ١٦٨ .

(٤) شام البرق : نظر إليه أين يقصد وأين يطر/اللسان ” شيم ” : ١٢ / ٣٣٠ .

وبرق ” حُلب ” : الذي لا غيث فيه كأنه خادع يومض حتى تطعم بقطره ثم يخلطك . /

اللسان ” برق ” : ١ / ٣٦٤ .

ولأبي تمام بيت آخر في هذا المعنى :

(١) يُعْطِي عَطَاءَ الْمُحْسِنِ الْخَضِلِ النَّدَى . . عَفْوًا وَيَعْتَذِرُ أَعْتَدَارَ الْمُدَّ نِسْبِ

ولقد ذكر ابن وكيع التنبسي صاحب كتاب المنصف في نقد الشعر أن المتنبي

أخذ معنى بيته من قول ابن المعتدل :

يُعْطِيكَ فَوْقَ الْمَنَى مِنْ فَضْلِ نَائِلِهِ . . وَلَيْسَ يُعْطِيكَ إِلَّا وَهُوَ مُعْتَذِرٌ

ولقد فاضل بين بيت ابن المعتدل هذا، وبين بيت المتنبي، وبيت أبي تمام .

فرأى أن بيت ابن المعتدل أجود ها لأنه شرط أن عطاء المدوح فوق المنى وأنه

لا يعطى مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر أما أبو تمام فلم يشترط هذا الشرط

إنما قال (بذل محسن) ولفظ محسن قد يطلق على من أعطى أقل العطاء .

أما بيت أبي الطيب فأقلها جودة لأنه لم يحُد العطية بقلّة ولا كثرة .

قال :

" وقول ابن المعتدل أجود ها؛ لأنه شرط أن عطاءه فوق المنى؛ ولأنه لا يعطى

مبتدئاً ولا معاوداً إلا وهو معتذر، وأبو تمام لم يشترط هذا الشرط إنما ذكر

فقال : " بذل محسن " واعتذار مذنب "، ولم يقل إن عطيته فوق المنى وقد

يستحق المعطى اسم المحسن بأقل إعطاء، ويجوز أن يعتذر لعلمه بقلّة

العطية .

وبيت ابن المعتدل أرجح لفظاً، وإن كان في بيت أبي تمام مطابقة طليحة، ولم

يحصل لأبي الطيب غير أنه يعطيك ولم يحُد العطية بقلّة ولا كثرة، فإن

أعجلته أعطاك واعتذر .

وما يقع اعتذاره بعد الإجمال إلا لأمرين :

أحد هما : أنه أخوجك إلى المسألة أو قلّة ما حصره من العطاء . كما حكى أن

شاعراً أعجل بعض الأمراء وهو عبد الله بن طاهر، فدفع إليه ما أمكنه أن يجود به

وكتب إليه :

أَعَجَلْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلٌ بِرِّنَا . . . قَلًّا وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ نَقْلِلْ
فَخَذِ الْقَلِيلَ وَكُنْ كَأَنَّكَ لَمْ تَسَلْ . . . وَنَكُونُ نَعْنُ كَأَنَّنا لَمْ نَسْأَلْ

ومن اعتذر ربيع الإكثار أولى من اعتذر بالكرم من إعجال أو تقصير فعبد الصمد

أولى بشعره من أخذ منه * (١)

الشاهد السادس والتسعون بعد المائتين : (*) (الطويل)

• قول المتنبي :

كَرِيمٌ مَتَى اسْتَوْهَبْتَ مَا أَنْتَ رَاكِبٌ . . . وَقَدْ لَقِيتَ حَرْبًا فَإِنَّكَ نَازِلٌ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة عند دخول رسول الروم في صفر سنة

ثلاث وأربعين وثلاثمائة ومطلعها :

دُرُوعٌ لِمَلِكِ الرُّومِ هُنْدِي الرَّمَايِلُ . . . يَرِدُ بِهَا عَن نَفْسِهِ وَيَشَاغِلُ

وقبل الشاهد :

إِذَا مَطَرَتْ مِنْهُمْ وَمِنْكَ سَحَابٌ . . . فَوَائِلُهُمْ طَلٌّ وَطَلُّكَ وَإِبِلٌ

وبعد الشاهد :

أَذَا الْجُودِ أَعْطَى النَّاسَ مَا أَنْتَ مَالِكٌ . . . وَلَا تُعْطِينَ النَّاسَ مَا أَنَا خَائِلٌ

ومعنى بيت المتنبي :

* يريد أنه جواد كريم ما يسئل شيئاً إلا أعطاه ، فيقول : أنت كريم لا يبخل على

من استوهبه ، ولا يمنع من سأله ، فلو سئل من أحوج ما يكون إليه شيئاً لوهبه * (٢)

(١) المنصف في نقد الشعر : ١٢٥ - ١٢٦ ، شاكراً : ٤٩١ ،
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكراً : ٤٩١ ،
(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ١١٦ .

العرف الطيب : ٤ / ٢٤٤ .

(٣) شرح العكبري (التبيان) : ٣ / ١١٧ .

(البيسيط)

• مع قول البحتري :

(١)

ماهي عَلَى عَزْمِهِ فِي الْجُودِ لَوَّ وَهَبَ الِ . . . شَبَابَ يَوْمِ لِقَاءِ الْبَيْهِي مَانِدِمَا

وهو من قصيدة يمدح بها رافع بن هرثمة (٢) مطلعها :

يَا لَللَّهِ أَلَى يَمِينًا بَرَّةً قَسَمَا . . . مَا كَانَ مَازَعَمَ الْوَأَشِي كَمَا زَعَمَا

وقبل الشاهد :

وَطَاوَلُوهُ إِلَى الْعَلَدِيَا فَفَاتَهُمْ . . . نَجْمُ السَّيِّئَاتِ تَعَلَّى فَوْقَهُ وَسَمَا

يَأْتِي مَرْجُوهُ أَفْوَاجًا لِنَائِلِهِ . . . يَسْتَرْفِدُ الْفَوْجُ بِالْفَوْجِ الَّذِي اقْتَحَمَا

وبعد الشاهد :

لَا يَبْرَحُ الْحَزْمُ يَسْتَوْفِي عَزِيمَتَهُ . . . أَقَامَ مُتَّيِّدًا أَوْ سَارَ مُعْتَرِزًا

فالمعنى المتحد في البيتين تصوير كرم المدوح وعطاءه أفضل مايلك .

فسدوح المتبني إن استوهب فرسه الذي يركبه للقاء العدو والدفاع عن العرض

والحس، ولو كان ذلك في أشد الأوقات حرجا ، وهو وقت اشتداد الحرب واحتدامها

فإنه لاشك نازل .

(١) ديوان البحتري : ٢ / ١٤٨ .

(٢) رافع بن هرثمة ، وقيل لم يكن هرثمة أباه وإنما كان زوج أمه ، وهو

رافع بن نُؤَود ، ولي خراسان من قِبَلِ محمد بن طاهر في سنة (٢٧١هـ)

عندما عزل الموفق عمرو بن الليث الصَّفَّار عن إمرة خراسان ، ثم

وردت كتب الموفق على رافع بقصد جرجان فحاصرها سنتين ، واستولى

على طبرستان ، وعزل عن خراسان في ولاية المعتضد ، فخرج على

أمير خراسان ، وقتل رافع (٢٨٣ هـ) ، وكان أميراً جواداً عالي

الهمة واسع المسالك . / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٦٢١ ، ١٠ / ٣١ ، ٤٤ ، ٥٠ ، الكامل

لابن الأثير : ٧ / ٣٦٢ - ٣٦٩ ، ٤٥٢ - ٤٥٩ ، العبر : ٢ / ٤٠٧ ،

البداية والنهاية : ١١ / ٧٣ ، شذرات الذهب : ٢ / ١٨٢ ، سير

أعلام النبلاء : ١٣ / ٤٠٦ .

والمتنبي قد أحسن حين بدأ البيت بالمسند مباشرة (كرم) وحذف المسند إليه (هو) لإبراز صفة الكرم فيه وتعظيمها ، وقوله (متى استوهبت) دل على أنه يهب في جميع الأوقات والأزمنة ، فلا يحد عطاءه زمان ولا مكان .

ومجيء الاسم الموصول (ما أنت) لتفخيم عطاءه وتعظيمه وبناء جملة الصلة على المبتدأ (أنت) والخبر (راكب) وبناء الخبر على اسم الفاعل تصوير لتأهب المدوح واستعداده وحاجته الملحة لهذا الفرس .

والفصل بين فعل الشرط (استوهبت) وجوابه (فإنك نازل) بقوله (وقد لقت حرباً) ومجيء هذه الجملة مسبوقه بقدر وتكثير المسند إليه (حرباً) تعظيم وتهويل لتلك الحرب وبيان شدة وطأتها . وهذه الصورة أشادت ببالسبح كرم المدوح فبينت أنه في هذا الوقت الحرج العصيب والذي يكون فيه أشد حاجة لذلك الفرس ، فما أن يُطلب منه ويسأله إياه أحد حتى يبادر بالنزول عنه ، وأنظر إلى قوله (فإنك نازل) ولطيف موقع الفاء هنا والتي دلت على سرعة نزوله من غير أن تكون هناك مهلة للتفكير؛ ولأن عمل المدوح هذا من البطولات النادرة العجيبة جاء بـ (إن) ليؤكد للسامعين هذه الصورة ويقرها في نفوسهم .

أما البحري فقد زاد على المتنبي بقوله :

(ماضي) ، فهو وإن كان ابتداء البيت مشابهاً لابتداء المتنبي في التركيب ، من البناء على حذف المسند إليه والإتيان مباشرة بالمسند ، إلا أن لفظة البحري هنا (ماضي) كانت أبرد وأدق ، فهو ليس كريماً فقط بل ماضي وعازم على ذلك الكرم ، لا يصد ، صاد ولا يمنعه مانع .

وفاق البحري المتنبي في تصوير جود مدوحه ، فمدوحه أجود ، لأنه يهب شبابه ، وعبر عن بذل نفسه (بالشباب) ليدل على نفاسة هذا الموهوب ، وقيل وهب شبابيه بـ (لقاء البيض) ليدل على أن مدوحه لا يهبه للهوا أو لعبث ، وإنما للحرب ، وفي هذا غاية البذل والشجاعة .

أما مدوح المتنبى فإنه أقل جوداً ، فأقصى ما يهبه هو جَوَادُهُ ، وأين بذل الشباب من بذل الجَوَادِ ؟ .

وقوله (لقاء البيض) أبرع تصويراً من قول المتنبى (لقيت الحرب) وإن كانت الصبارتان كناية عن شدة الحرب إلا أن البحري نقلنا إلى أرض المعركة ، وأرانا صورة الاحتدام حية في قوله (لقاء البيض) فلشدة الحرب والاحتدام ، فإنك لا تـسرى أجساداً ، وإنما ترى سيوفاً يصطك بعضها ببعض .

وزاد البحري أيضاً على المتنبى بقوله ((مائتاً)) حيث صرح بعدم ندمه على ما بذل وفي هذا تأكيد لسماحة نفسه في العطاء .

الشاهد السابع والتسعون بعد المائتين : (*) (الخفيف)

• قول المتنبى :

وَالَّذِي يَشْهَدُ الْوَعَى سَاكِنَ الْقَلْبِ . . . حَبْرٌ كَأَنَّ الْقِتَالَ فِيهَا ذِمَامٌ (٢)
(١)

وهو من قصيدة له في مدح أبي الحسين علي بن أحمد المرّي الخراساني ، وكان بينهما مودة وقد كان أبو الطيب نزل عليه ضيفاً فأراد أبو الحسن الانصراف عن أنطاكية فقال فيه قصيدته هذه والتي مطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٥-٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٦ ، شاكر : ٤٩١ .

(١) الذمّام : الحرمة والعهد . / مختار الصحاح : (ذم) : ٢٢٣ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٤٧ ، العرف الطيب :

٤ / ٤٦٩ .

(٣) هو والي حمى جرش ، من أعمال دمشق نزل به المتنبى بعد أن رحل

عن بدر بن عمار واحتفى بنحاه ، وذلك سنة (٣٣٣ هـ) تقريباً ،

وقد كانت بينهما مودة وهما بطبرية ، واضطر المتنبى إلى الرحيل

عنه بعد أن لاحقته مكاييد الأعمور بن كروس أو العلويين / المتنبى

- محمود شاكر - ١ / ١٥٣ - ١٥٥ - ٥٧ .

أَيْنَ أَرْمَعْتَ أَيُّ هَذَا الْهَمَامُ .: نَحْنُ نَبَتْ الرُّبَى وَأَنْتَ الْغَمَامُ

وقبل الشاهد :

كُلُّ عَيْشٍ مَالٌ تَطْبِئُهُ حِمَامٌ .: كُلُّ شَمْسٍ مَالٌ تَكْتُمُهَا ظَلَامٌ

أَزِلِ الْوَحْشَةَ الَّتِي عِنْدَنَا يَا .: مَنْ بِهِ يَأْنَسُ الْخَيْسُ اللَّهُمَامُ

وبعد الشاهد :

وَالَّذِي يَضْرِبُ الْكَتَائِبَ حَتَّسَى .: تَتَلَقَى الْفِيهَاقُ وَالْأُقْسَدَامُ

وذكر العكبري ^(١) أَنَّ قَوْلَ الْمَتْنِيِّ هَذَا مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ أَبِي تَمَامٍ : (٢)

مُسْتَرْعِمِينَ إِلَى الْحُتُوفِ كَأَنَّكَ .: بَيْنَ الْحُتُوفِ وَبَيْنَهُمْ أَرْحَامُ ^(٣)

ومن قول محمد بن نواس :

يَتَبَادَرُونَ إِلَى الْهَيْجِ كَأَنَّكَ .: بَدُّرُوا إِلَى صَلَاةٍ مِنَ الْأَرْحَامِ (٤)

ومعنى بيت أبي الطيب :

” وَالَّذِي يَشْهَدُ الْحَرْبَ غَيْرَ مُضْطَرَبِ الْجَاشِ، كَأَنَّ الْقِتَالَ عَاهِدُهُ أَنْ لَا يُقْتَلَ

فهو يسكن إلى القتل سكونه إلى الذمام، فهو يحضرها ثابت النفس غسير

حافل بشدتها ^(٥) .”

(الطويل)

• • قول البحتري :

لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُ جَاشًا سَالِمًا .: عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيٌّ مُحَارِبٌ ^(٦)

(١) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ١٥٦ .

(٣) رواية الديوان : ” مسترسلين ” .

(٤) التبيان : ٣ / ٣٤٧ .

(٥) نفس المرجع السابق والصفحة .

(٦) ديوان البحتري : ٢ / ٣٥٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١١٧ ،

التشبيهات : ١٥١ .

وهو من قصيدة قالها في رفع أهل الجزيرة لأبي سعيد ، ومطلعها : (١)

هَبِيهِ لِمُنْهَلِّ الدُّمُوعِ السُّوَائِبِ . : . وَهَبَاتِ شَوْقِي فِي حَشَاهُ لَوَاعِبِ

وقبل الشاهد :

وَعُدَّةٌ تَتَيْنِ الْمَشَارِقَ إِنْ غَدَا . : . فَبِتَّ حَرِيْقًا فِي أَقْصَى الْمَقَارِبِ

وَهَدَّةٌ يَوْمِ لَابِنِ يُوْسُفَ أَسْمَعَتْ . : . مِنْ الرُّومِ مَنْ بَيْنَ الصَّفَا فَالْأَخَاشِبِ

وبعد الشاهد :

مَغَازَةٌ صَدْرٍ لَوْ تَطَرَّقُ لَمْ يَكُنْ . : . لِيَسْلُكَهَا فَرْدًا سَلَيْكُ الْمَقَانِبِ

تَسْرَعُ حَتَّى قَالَ مَنْ شَهِدَ الْوَعْسَى . : . لِقَاءِ أَعَارٍ أَمْ لِقَاءِ حَبَائِبِ

ذكر أبو هلال العسكري أن بيت البحري من أجود ما قيل في سكون الجأش

في الحرب (٢)

فبيت المتبني لا يزيد معناه على أن سدوحه ساكن القلب في الحرب ، فالقتال

عنده لشجاعته كأنه نام وحرمة يطمئن إليها .

أما البحري فكان أسلوبه محكماً ، فقد صاغ المعنى العميق ذا الشعب والفروع

في اللفظ اليسير مع براعة في التركيب ودقة في التصوير ، فوصف سدوحه وصفاً مؤكداً

فأبرزه في صورة رابط الجأش ، وبدأ البيت بقوله (لقد) فجاء بلام التوكيد

(١) هو محمد بن يوسف الثغري طائي من أهل مرو وكان من قواد حبيد

الطوسي ، وأخبار الثغري منشورة في كتب التاريخ ، والأغاني ، وقد

كان الثغري حامياً للثغور ، ثم ولاه العباسيون الجزيرة والشام ،

وعزله المتوكل ، ثم أعاده إلى ولاية أرمينيا ، توفي عام (٢٣٦ هـ) / انظر

ترجمته :

تاريخ الطبري : ١١ / ٩ - ١٦ ، ٢٣ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ١٨٥

أخبار البحري للصولي : ٢٩ - ٦٣ ، ٦٤ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٣ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،

١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٧ ، ١٥٦ ، ١٨٧ .

(٢) ديوان المعاني : ١ / ١١٧ .

مقرونة بقدر التي تفيد تحقيق وقوع الفعل . وجاء باسم الإشارة (ذاك) الذي يشار به للبعيد ليفخم ويعظم رباطة جأشه .

وانظر إلى قوله (ذاك الجأش جأش) بسكون طائر وخفض جناح ، ودع النفس تقف وقفة قصيرة عند لفظ " ذاك الجأش " حتى يشيع فيها ذاك التشوف ، فإذا جاء لفظ (جأش) الثاني مضافاً إلى (مسالم) كان ذاك بياناً للمراد من لفظ (الجأش) الأول فيقع معناه في النفس موقعاً متكنناً .

وحتى لا تسكن نفس السامع إلى هذا القرار وتظنه نهاية المطاف جاء بقوله (على أن ذاك) فـ " على " هنا شددت الأسماع ولفقت الأنظار إلى معنى جديد ، وهي دعوة جديدة للنفس أن تعود للتأمل والاستشراق ، وجاء به مؤكداً (بأن) تعظيماً وتفخياً لذك الذي .

وفي تكرار هذا التركيب في شطري البيت .

(لَقَدْ كَانَ ذَاكَ الْجَاشُ جَاشٌ . . . عَلَى أَنَّ ذَاكَ الزِّيَّ زِيٌّ . . .)

يجعل للبيت رنيناً قوياً يهز النفس عند سماعه ، وهذا الرنين القوي يناسب قوة جأشه .

الشاهد الثامن والتسعون بعد المائتين : (*) (الكامل)

• • قول أبي تمام :

الصَّبْحُ مَشْهُورٌ بِغَيْرِ دَلِيلٍ . . مِنْ غَيْرِهِ ابْتَغَيْتُ وَلَا أَعْلَمُ (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح الواثق ، يهنئه فيها بالخلافة ، ويرثي المعتصم ،

ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاکر : ٤٩١ .

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٠٨ .

(٢) هو هارون بن أبي إسحاق محمد المعتصم بن الرشيد بن المهدي بسن

المنصور بويتع بالخلافة بسر من رأى بعد موت أبيه المعتصم (٢٢٧ هـ)

ولد الواثق (سنة ١٩٦ هـ) ، أمه أم ولد اسمها قراطيس ، كان فصيحاً

مَا لِلدُّمُوعِ تَرَوُّمٌ كُلِّ مَرَامٍ . . وَالْجَفْنُ نَاكِلٌ هَجْعَةً وَمَنَامٍ

وقبل الشاهد :

لَا قَدْحَ فِي عَوْدِ الْإِقَامَةِ بَعْدَمَا . . مَتَّثَ إِلَيْكَ بِحُرْبَةٍ وَذِمَامٍ
مَنْدَحُورَةٌ أَحْرَزَتْهَا بِحُكُومَةٍ . . لِلَّهِ تَعْلُو أَرْؤُسَ الْحُكَّامِ
لَسْنَا مُرِيدِي حُجَّةٍ تَشْفِي بِهَا . . مِنْ رِيَّةٍ سَقَمًا مِنَ الْأَسْقَامِ

وبعد الشاهد :

فَأَقِمْ مَخَالَفَنَا بِكُلِّ مَقْصُومٍ . . وَاحْسِمْ مَعَانِدَنَا بِكُلِّ حُسَامِ

(الوافر)

• مع قول المتنبي :

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَنْهَانِ شَيْءٌ . . (١) إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ (٢)

=== شاعراً لبيياً أحسن إلى بني عمه ، وبرهم ، وأصلح الاضطرابات الداخلية ،
وافتح جزيرة صقلية ، مات بسر من رأى (٢٣٢ هـ) وكانت خلافته
خمس سنين وستة أشهر وعمره ست وثلاثون سنة وأحد عشر شهراً وأربعة
أيام . / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ١٢ ، ١٢ ، ١٧ ، ١١١ - ١١٣ - ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٥٧ ، ١٦٦ ،
١٦٩ ، ٢١٦ ، ٢٢٣ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٣٠٦ ، ٤١٣ ، ٤٣٩ .

الفخري في الآداب السلطانية : ٢٣٦ ، التنبيه والإشراف : ٣٢٨ ، سراج

الذهب : ٤ / ٦٥ ، سبط النجوم العوالي : ٣ / ٣٣٠ - ٣٣٥ .

(١) رواية الديوان والتشيل والمحاضرة ودلائل الإعجاز ونهاية الأرب :

• الألفهام • .

(٢) رواية معاهد التنصيص : " متى احتاج " .

(٣) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٩٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٦٢ ،

التشيل والمحاضرة : ١١١ ، ٢٤٣ ، محاضرات الأدباء : ١ / ٧٥ ،

يتيمة الدهر : ١ / ٢٠٣ ، بديع القرآن : ٢٨٠ ، نهاية الأرب :

٣ / ١٠٦ ، معاهد التنصيص : ٤ / ١١٨ .

والشاهد من قصيدة قالها حين حضر مجلس سيف الدولة ، وبين يديه أترج (١)
 وَطَلَعُ ، (٢) وهو يمتحن الفرسان ، وعنده ابن جش شيخ المصيصة (٣) ، فقال له :
 لا تتوهم هذا للشرب ، فقال أبو الطيب :
 شَدِيدُ الْبَعْدِ مِنْ شُرْبِ الشُّمُولِ (٤) . : تَرْنَجُ الْهِنْدِ أَوْ طَلَعُ النَّخِيلِ
 وسعه أبيات آخر .

فلم يتبين معنى البيت المذكور لبعض القوم ، فقال المتنبّي :

أَتَيْتُ يَمْنَطِقِ الْعَرَبِ الْأَصِيلِ . : وَكَانَ يَقْدِرُ مَا عَايَنْتُ قَيْلِي
 فَعَارَضَهُ كَلَامٌ كَانَ مِنْهُ . : يَمْنَزِلَةُ النَّسَاءِ مِنَ الْبَعُولِ

- (١) الأترج : معروف وأحدته ترنجة وأترجة ، ويقال : ترنجة ، وترنج ،
 واللغة الفصيحة أترج وأترجة ، وهو شر رائحته طيبة ، وله فوائس
 طيبة كثيرة ذكرها النويري في نهاية الأرب . / التبيان للعكسري :
 ٩٠ / ٣ ، اللسان " ترج " : ٢ / ٢١٨ ، نهاية الأرب : ١١ / ١٧٨ -
 ١٨٤ ، معجم الألفاظ الفارسية المعربة : ٣٤ .
- (٢) الطلَعُ : هو أول ما يرى من عذق النخلة ، والعذق " القنوّ " اللسان
 " طلع " : ٨ / ٢٣٨ ، " عذق " : ١٠ / ٢٣٩ .
- (٣) المصيصة : بالفتح ثم الكسر والتشديد ، وباء ساكنة وصاد أخسري ،
 وقيل بتخفيف الصادين : مدينة على شاطيء جيحان من ثغور
 الشام بين أنطاكية ، وبلاد الروم ، كانت من الأماكن التي يرابط
 بها المسلمون قديماً ، والمصيصة أيضا قرية من قرى دمشق قرب
 بيت لهيا ، وجاء في اللسان والصحاح ، المصيصة ثغر من ثغور
 الروم معروفة بتشديد الصاد الأولى ، ومصيصة بلد بالشام ، ولا تقل
 مصيصة بالتشديد . / انظر :
- الصحاح : " مصص " : ٣ / ١٠٥٧ ، مرصد الاطلاع : ٣ / ١٢٨٠ ، اللسان
 " مصص " : ٧ / ٩٣ ، آثار البلاد وأخبار العباد : ٥٦٤ .
- (٤) الشمول : اسم من أسماء الخمر ، وقيل هي الباردة التي هبت عليها رياح
 الشمال ، وقيل هي التي تشمل القوم بريحها . / فقه اللغة : ٢٧٤ .

وَهَذَا الدُّرُّ مَأْمُونٌ التَّشْطِيَّ . . وَأَنْتَ السَّيْفُ مَأْمُونٌ الْفُلُوكِ
وَلَيْسَ يَصِيحُّ فِي الْأَفْهَامِ شَيْءٌ . . إِذَا أَحْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ

ومعنى الشاهد :

حين أنكروا المنكر كلام المتنبى ، ووصفه بالغموض ، وعدم الوضوح قام المتنبى مدافعاً
عن شعره ، فذكر أن ما أتى به إنما هو من كلام العرب الخالص ، وقد أتى به بعد
المعاينة ، فأغناه ذلك عن أن يقول :

أنت شديد البعد عن شرب الشمول ، وفي مجلسك ترنج الهند ، وذلك أنهم

قالوا له لما لم تقل :

بَعِيدٌ أَنْتَ مِنْ شُرْبِ الشَّمُولِ . . عَلَى التَّارَنَجِ أَوْ طَلَعِ النَّخِيلِ

فسفه من هذه المعارضة ، ورأى أنها كلام ساقط ، وإنكار ضعيف ، فوقع ذلك
الضعيف من قوته ، وذلك السقوط من رفعة موقع النساء من البعول ، والرعية من
الملك الجليل ؛ لأنه قد أتى بكلام لا ينكر صوابه ولا تدفع صحته ، ثم أشار إلى أن
شعره دُرٌّ لا يخاف تشققه وتغييره ، فلا يمكن الاعتراض عليه ، وهو ليس ككل دُرٍّ ؛ لأن الدُرَّ
الذي تعارف عليه الناس إذا طال عليه الأبد لا بد له من التغيير والتبدل إلا هذا
الدُرُّ فإنه يزيد حسناً على مر الأيام ، فشعره لقوته ، ومتانته لا يحتاج إلى توضيح ،
فهو كالنَّهَارِ لا يحتاج عاقل للاستدلال عليه بدليل ؛ لأن من يحتاج إلى أن يعلم
النهار بدليل يدل عليه لم يصح في فهمه شيء . (١)

فالمعنى المتحد في البيتين الاستدلال على الأمر بوضوح النهار .

فأبو تمام لم يزد على هذا المعنى شيئاً بل اقتصر على كون أمر خلافة سدوحه واضحاً

لا يحتاج إلى إعلام كالصبح مشهور ولا يحتاج إلى دليل .

أما المتنبى فقد نقل المعنى إلى شعره ، وزاد المعنى اتساعاً ، فهو لم يقتصر

على كون شعره واضحاً ووضوح النهار ، بل عرض بكل من يطلب الدليل على وضوحه

بأنه لا يعقل ولا يفهم شيئاً، وصاغ اتهامه هذا " بإذا " الشرطية ، ليجزم ويؤكد وقوع ذلك الاتهام كلما تكرر طلب الدليل .

الشاهد التاسع والتسعون بعد المائتين : (*) (الوافر)

• قول أبي تمام :

وَفِي شَرَفِ الْحَدِيثِ دَلِيلٌ صِدْقِي . . . لِمُخْتَبِرٍ عَلِيٍّ شَرَفِ الْقَدِيمِ (٢)
وهو من قصيدة قالها في مدح بني عبد الكريم الطائيين (٣) ومطلعها :

أَرَامَةٌ كُنْتُ مَأْلَفٌ كُلِّ رِيَسٍ . . . لَوْ اسْتَمْتَعْتُ بِالْأُنْسِ الْقَدِيمِ

وقبل الشاهد :

فَلَوْ شَاهَدْتُ تَهْمَ وَالزَّاعِرِينَ . . . لَمَا مِزْتُ الْبَعِيدَ مِنَ الْحَسِيمِ
أَوْلَيْكَ قَدْ هُدُّوا فِي كُلِّ مَجْدٍ . . . إِلَى نَهْجِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
أَحْلَهُمُ النَّدَى سِطَّةَ الْمَعَالِي . . . إِذَا نَزَلَ الْبَخِيلُ عَلَى التَّخُومِ
فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا . . . شَهَدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(١) رواية الديوان والدلائل ، تحقيق شاكر : (على الشرف القديم) .

(٢) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ١٦٣ / ٣ ، الموازنة محيي الدين

عبد الحميد - : ٣٢١ .

(٣) لم أقف على ترجمة لهم في كتب التاريخ المشهورة ، وكل ما عثرت عليه ما جاء

في دائرة المعارف الإسلامية من أنهم كانوا يقطنون " حمص " وهم ولاية نعمة

أبي تمام ، ومن أجل الانتصار لهم ألف قصائد الهجائية في أسرة عتبة بن

أبي عاصم - وهم طائيون - . جاء في دائرة المعارف :

" وانتقل - أبو تمام - من دمشق إلى حمص ، وبدأ فيها حياته الشعرية ،

فنظم القصائد الهجائية في أسرة عتبة بن أبي عاصم ، خدمة لولاية نعمته بنسي

عبد الكريم " .

وأضاف صاحب كتاب " أبو تمام حياته وحياته شعره " : " كما أن آل عبد الكريم

هؤلاء ليسوا من الشهرة في التاريخ بحيث نضعهم في صف من اتصل بهم

أبو تمام بعد سنة ٢١٤ هـ ، من كبار رجال الدولة الإسلامية وقوادها " / انظر :

دائرة المعارف الإسلامية : ١ / ٣٢٠ ، أبو تمام حياته وحياته شعره : ٩٩ - ١٠١ .

ويعدّها الشاهد ويعدّه :

لَهُمْ عُرْوَةٌ تَخَالَ إِذَا اسْتَنَارَتْ . : بَوَاهِرُهَا ضَرَائِرٌ لِلنَّجْمِ

وذكر الأمدى في الموازنة أنه شبيه بقول أبي تمام قول البحترى :

عَلَى أَنَا تَوَكَّلُ بِالْأَدَانِ سَبِي . : وَتَخَيْرَنَا الْغُرُوعُ عَنِ الْأُصُولِ (١)

ولشيوخ المعنى وتداوله بين الناس لا يعدّ الكلام فيه أخذاً ولا سرقة قال :

" وهذا معنى شائع في الكلام أيضاً ، مشهور كثير على الأقوال أن يقولوا : إِنَّ

العروق عليها ينبت الشجر ، ومن أشبه أباه فما ظلم ، والعصا من العَصِيَّة ،

والغصن من الشجرة ، ودلّت على الأم السَّخْلَةُ ، ومثل هذا لا يكون مأخوذاً

استعاراً " (٣)

.. مع قول المتنبي : (البسيط)

أَفْعَالُهُ نَسَبٌ لَوْ كَمْ يَقْسُلُ مَعَهَا . : جَدِّي الْخَصِيبُ عَرَفْنَا الْعِرْقَ بِالْفُصْنِ (٤)

وهو من قصيدة مدح بها أبا عبد الله محمد بن عبد الله القاضي الأنطاكي ، (٥)

ومطلعها :

أَفْضَلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِيذَا الزَّمَنِ . : يَخْلُو مِنْ السَّهْمِ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ

(١) لم أجده في ديوانه .

(٢) السَّخْلَةُ : ولد الشاة من المعز والضأن ذكرًا كان أو أنثى . / اللسان "سخل" : ١١ / ٣٣٢ .

(٣) الموازنة - محيي الدين عبد الحميد - : ٣٢١ .

(٤) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١ .

(٥) انظر البيت في :

ديوان المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ ، المنصف

في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد الخطيب الخصيبي ، القاضي

الأنطاكي ، كان ينوب عن والده في مجلس القضاء بأنطاكية ، وكان داهية

من داهية عصره ، قصده المتنبي حين خرج من عند مدوحه أحمد المري ،

ودخل أنطاكية سنة ٣٣٤ هـ / انظر :

المتنبي - محمود شاكر - : ١ / ١٥٩ - ١٦٠ .

وقبل الشاهد :

الْفَاصِلُ الْحُكْمُ عَلَى الْأَوْلَادِ بِوَسْمِهِ . وَالْمُظْهِرُ الْحَقَّ لِلسَّاهِي عَلَى الذَّهْنِ

وبعد الشاهد وبعده :

(١) (٢)

الْعَارِضُ الْمَهْتَنُ أَبْنُ الْعَارِضِ الْمَهْتَنِ أَبْنُ الْعَارِضِ الْمَهْتَنِ

ومعنى الشاهد :

" هو معروف عند الناس بأفعاله الكريمة ، وقد عرف أنه من ولد الخطيب ، فلو لم

ينتسب مع أفعاله لعرفناه ، كما يستدل بالفصن على الأصل " (٣)

ذكر ابن وكيع ^(٤) أن قوله :

" أَفْعَالُهُ نَسَبٌ " مأخوذ من قول البحترى :

وَلَسْتُ أَعْتَدُ لِلْفَتَى نَسَبًا . . . مَا لَمْ يَكُنْ فِي فِعَالِهِ نَسَبٌ (٥)

وعجز البيت مأخوذ من قول ابن الرومي :

كَدَّأَبِ عَلِيٍّ فِي الْمَوَاطِنِ جَدُّهُ . . . أَبِي حَسَنٍ وَالْغُصْنُ مِنْ حَيْثُ يَخْرُجُ (٦)

وقال غيره في هذا المعنى :

وَالْأَبْنُ يَنْشَأُ عَلَى مَا كَانَ وَالِدُهُ . . . إِنَّ الْأَصُولَ عَلَيْهَا يَنْبِتُ الشَّجَرُ (٧)

وهو أيضا كقول الآخر :

(١) العارض : السحاب الذي له رعد وظل / فقه اللغة : ٢٧٩ .

(٢) المهتن : المتتابع ، هتن المطر ، والد مع يهتن هتناً وهتوناً وتهتانناً

إذا مطر متتابعاً / الصحاح " هتن " : ٦ / ٢٢١٦ .

(٣) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ .

(٤) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

(٥) ديوانه : ١ / ٢٢٢ ورواية الديوان : (حَسَبُهُ) .

(٦) ديوانه : ٢ / ٤٩٥ .

(٧) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .

وإِذَا جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ . وَأَصُولَهُ فَانظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ (١)
ولقد امتدح ابن وكيع بيت المتنبي ورأى أنه أفضل الجميع لأنه ذكر المعنى الطويل

في الموجز القصير .

قال بعد ذكر الأبيات السابقة :

* ولكنه جمع الطويل في الموجز القليل * (٢)

وفي هذا المعنى قول أبي تمام :

فُرُوعٌ لَا تَرِفُ عَلَيْكَ إِلَّا . شَهِدَتْ لَهَا عَلَى طَيْبِ الْأُرُومِ (٣)

فبيت أبي تمام معناه مباشر، فكل ما ذكره أنه جعل شرف مدوحه دليلاً صادقاً

على شرف نسيه .

أما المتنبي ، فبدأ حديثه بجملة موجزة ، وهي قوله (أفعاله نَسَبٌ) وهذه
الجملة تحوي معنىً لطيفاً حيث قلبت المفاهيم المتعارف عليها في الأنساب ،
فجعل أفعال المدوح الحميدة هي نسبه الذي يشتهر به ، ثم أعقب هذا الإيجاز
بفصيل أفاد الكلام تأكيداً ، وزاد المعنى وضوحاً وتقريراً ، فجاء بجملة الشرط
(لَوْ لَمْ يَقُلْ مَعَهَا جَدِّي الْخَصِيبُ) .

ثم أخذ يحرك الخيال وينشطه لفهم المعنى المراد ، فجعل جواب الشرط صورة
(العِرْقُ وَالْفِصْنُ) ، فالفصن إن كان يحمل الشار الناضجة اليانعة ، عرفنا
أصالة ذلك العرق وطيب أصله .

الشاهد الثلاثائنة : (*) (الكامل)

• قول البحتري :

- (١) التبيان في شرح الديوان : ٤ / ٢١٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .
(٢) المنصف في نقد الشعر : ٥٨٣ .
(٣) ديوانه : (دار صعب) : ٢٥٦ ، الوساطة : ٣٠٧ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٧ ، شاكر : ٤٩١-٤٩٢ .

وَأَحَبُّ آفَاقِ الْبِلَادِ إِلَى فَتَى ^(٢) .: أَرْضُ يُنَالُ بِهَا كَرِيمَ الْمَطْلَبِ ^(٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح أبي صالح (٤) ، مطلعها :

إِنَّمَا أَلَمَ فَبَعْدَ فَرَطٍ تَجَنَّبِ .: أَوْ آتَهُ هَمٌّ ، فَمِنْ مَتَأَوَّبِ

وقبل الشاهد أبيات عدة ، سأذكر منها ما يوضح المعنى وهو قوله :

إِنَّ الْفِرَاقَ جَلًّا لَنَا عَنْ غَاةٍ .: بَيْضَاءَ تَجْلُو عَنْ شَتِيَّتِ ^(٥) أَشْنَبِ ^(٦)

(١) رواية التبيان : " أوطان " ، رواية الوساطة : " أقطار " .

(٢) رواية الديوان والوساطة والدلائل تحقيق شاكر والتبيان : " إلى الفتى " .

(٣) انظر البيت في :

الديوان : ١٤١ / ١ الوساطة : ٢٧٧ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٩ ،

التبيان للعكبري : ١ / ١٨٣ .

(٤) هو عبد الله بن محمد بن يزيد ، كان أخص الناس بالبحثري ، وكان عنده

أدب وفضل ، وكانت توقيعاته وأجوبته من أحسن التوقيعات والأجوبة ،

تولى الوزارة للمستعين ، وضبط الأموال ، فصعب ذلك على أمراء

الدولة ، وكان قد ضيق عليهم فتهددوه بالقتل ، فهرب ، وهو الذي قتل

أوتامش وكاتبه شجاعا " - أوتامش من رؤساء الأتراك استوزره المستعين إثر

مبايعته بالخلافة ، وأطلق يده في بيوت المال ، فاقتطع لنفسه أموالاً كثيرة ،

ما أوفر صدر الهوالي وبقية الجند عليه ، فقتلوه وقتلوا معه كاتبه شجاع

ابن القاسم ونهبوا دورهما . / انظر :

تاريخ الطبري : ٢١٧ / ٩ ، ٢٦٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٨ ، ٤٤٠ - ٤٤١ ، ٤٥٨ ، ٤٦١ ،

٤٦٧ ، والفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٢ ، أخبار البحري : ١١٣ ،

الفهرست : ١٧٩ ، معجم الشعراء : ٤٣٩ ، تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٣١٣ .

(٥) الشتيت : الشفر المَقَرَّقُ المَغْلَجُ / اللسان " شتت " : ٤٨ / ٢ .

(٦) الشنب : ماء ورقة تجري على الشفر ، وقيل رقة وبرد وعذوبة في الأسنان /

اللسان " شنب " : ١ / ٥٠٦ .

أَلَوْتُ بِمَوْعِدِهَا الْقَدِيمِ وَأَيْسَتَ . . . مِنْهُ بِلَيْيْ بِنَانَةٍ لَمْ تَخْضَبِ
وَعَذَّرْتُ سَيْفِي فِي نُبُوغِ غَرَارِهِ . . . أَنْتِي صَرِيْتُ فَلَمْ أَقْعَ بِالْمَضْرِبِ

وبعد ها البيت وبعده :

كَمْ مَشْرِقِي قَدْ نَقَلْتُ نَوَالَه . . . فَجَعَلْتَهُ لِي عُدَّةً بِالْمَغْرِبِ

(الطربيل)

مع قول المتنبي :

وَكَلَّ أَمْرِي يُولِي الْجَمِيلِ مُحَبَّبٌ . . . وَكَلَّ مَكَانَ يَنْبِتِ الْعِزَّ طَيِّبٌ (١)

وهو من قصيدة قالها في مدح كافر الإخشيدية ، وكان قد حمل إليه ستائة

دينار ، مطلعها :

أَغْلَبُ فِيكَ الشَّوْقَ وَالشَّوْقُ أَغْلَبُ . . . وَأَعْجَبُ مِنْ ذَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ

وقبل الشاهد :

أَحِنُّ إِلَى أَهْلِي وَأَهْوَى لِقَاءَهُمْ . . . وَأَيُّنَ يَنْبِتِ الْعِزَّ عِنَقَاءُ مُغْرِبِ

فَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَبُو الْمِسْكِ أَوْ هُمْ . . . فَإِنَّكَ أَهْلِي فِي فُؤَادِي وَأَعْسَدُ

ذكر الثعالبي في الإعجاز والإيجاز^(٣) أن أبا بكر الخوارزمي ، جعل أبا الطيب

المتنبي أمير الشعراء في عصره لقصيدته التي أولها :

* مَنِ الْجَائِزُ فِي زِيِّ الْأَعْرَابِ * (٤)

وقوله :

وَكَلَّ أَمْرِي يُولِي الْجَمِيلِ مُحَبَّبٌ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٨٣ ، الوساطة : ٢٧٢ ، الإعجاز

والإيجاز : ٢١٧ ، يتيمة الدهر : ١ / ٢٠١ ، التمثيل والمحاضرة : ١١١ ،

الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٩ ، نهاية الأرب : ٣ / ١٠٥ .

(٢) سبقت ترجمته ، انظر : ١١٠ ، صن البعث .

(٣) ٢٥١ .

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١٥٩ .

وذكره في التمثيل والمحاضرة على أنه من أمثال المولدين السائرة . (١)

وذكره صاحب الوساطة على أنه من سرقات المتنبي من البحري . (٢)

وذكره العميدي على أنه من سرقات المتنبي . (٣)

فالبحري صاغ فكرته في قالب جامد ، ولو أننا حاولنا تفسير البيت لما اختلف
التفسير كثيراً عن صياغة الشاعر ، ولقلنا إن مقصده : أن أحب البلاد إلى الفستي
هي التي ينال فيها المطلب الكريم .

أما المتنبي فقد تقنن في صياغة الفكرة ، فبدأها بصيغة العموم " كل " ونهى عليها
كلامه ، وصيغة العموم هذه زادت المعنى اتساعاً وامتداداً .

ولم يكتف المتنبي بذلك بل أعاد بناء فكرته بناءً خيالياً يساعد في تقريرها
وتوكيدها في النفوس ، فجعل العزّ نباتاً ينمو ، وجعل الأرض التي ينمو فيها العزّ
أرضاً طيبة خصبة ، ووصل صدر البيت بعجزه عن طريق الواو ليعين اتحاد الفكرتين ،
ويؤكد أنهما جملة واحدة ما يزيد تقريرها وتوكيدها .

الشاهد الواحد بعد الثلاثاء (*) (الطويل)

• يقول المتنبي :

يُقِرُّ لَهُ بِالْفَضْلِ مَنْ لَا يَوُدُّهُ . وَيَقْضِي لَهُ بِالسَّعْدِ مَنْ لَا يَنْجُمُ (٤)

وهو من قصيدة قالها في مدح سيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله الجعدوي ،

ويصف الجيش سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة بميًّا فارقين ، ومطلعها : (٥)

(١) : ٠١١١ (٢) ٠٢٧٧

(٣) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٠٢٩

(*) للمبدل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٨ ، شاکر : ٤٩٢ .

(٤) لم أجده إلا في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٥٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٠٨ .

(٥) أشهر مدينة بديار بكر ، وديار بكر ناحية ذات قرى ومدن كثيرة بين الشام

والعراق قضبتها الموصل وحران وبها دجلة والفرات ، وميًّا فارقين من أبنية

الروم بها بيعة من عهد المسيح عليه السلام . انظر :

آثار البلاد وأخبار العباد : ٣٦٨ ، ٥٦٥ ، معجم البلدان : ٥ / ٢٣٥ - ٢٣٨ .

إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْنَسِيبُ الْمَقْدَمُ .: أَكْلٌ فَصِيحٌ قَالَ شِعْرًا مُتَسِيمٌ

وقبل الشاهد :

بَغَّرْتَهُ فِي الْحَرْبِ وَالسَّلْمِ وَالْحِجَابِ .: وَبَذَلَ لِلَّهِمَا وَالْحَمْدِ وَالْمَجْدِ مُعْلِمٌ

وبعد الشاهد وبعده :

أَجَارَ عَلَى الْآيَامِ حَتَّى ظَنَنْتُهُ .: تَطَالِبُهُ بِالرَّدِّ عَادٌ وَجَرَّهُمْ

مع قول البحري : (الكامل)

لَا أَدْعِي لِأَيِّ الْعَلَاءِ فَضِيلَةً .: حَتَّى يُسَلِّمَهَا إِلَيَّ عِدَاهُ (١)

وهو من قصيدته التي قالها في مدح صاعد بن مخلد، ويمدح أبا عيسى ابنه (٢)

وبعد الشاهد : (٣)

مَا الْمَرْءُ تَخْبِرُ عَنْ حَقِيقَةِ سَرْوِهِ .: كَالْمَرْءِ تَخْبِرُ سَرْوَهُ وَتَسْرَاهُ

طَمَحَتْ عَيُونُ الْحَاسِدِينَ فَفَضَّهَا .: شَرَفَ بِنَاءُ اللَّهِ حَيْثُ بَنَاهُ

ذكر العكبري أن بيت الشاهد مأخوذ من قول الآخر :

* وَالْفُضْلُ مَا شَهَدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ * (٤)

فالمعنى المشترك في البيتين : الاعتراف بالفضل للمدوح من لا يحب ، فالمتبني

باشراً الأذنان بالمعنى ، فبدأ البيت بالإقرار والاعتراف

" يقول : من لا يؤدّه يقر بفضله ، ولا يدفعه لبيانه ، ومن لا ينجم يقضي له بالسعد ،

ولا ينكره لاتصاله . . .

فلظهوره ووضوحه لا ينكر فضله ، ولظهور آثار السعادة عليه يحكم له بالسعادة

من لا يعرف أحكام النجوم من السعادة والنحوسة * (٥)

(١) لم أجده إلا في :

ديوان البحري - بيروت - : ٣٣٥ / ١ ، ديوانه - صيرفي - : ٢٤٠٣ / ٤ .

(٢) سبقت ترجمته ومطلع القصيدة انظر : ص ٢٦٦ .

(٣) لم أذكر أبياتاً قبل الشاهد لأن فكرتها مستقلة عن بيت الشاهد .

(٤) التبيان للعكبري : ٣٥٥ / ٣ .

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

أما البحثري فكان بيته يعتمد على عنصر المفاجأة والإثارة ، فبدأ بيته بالنفسي
(لا أدعي) ، وأوقع هذا النفي على لفظ " فضيلة " فأشعر النفس بدم المدوح ، وأشار
فيها الغرابة ، إذ كيف يكون نفي الفضيلة مدحاً ؟

ثم جاءت " حتى " وكشفت النقاب عن المعنى المخبوء ، وفاجأت السامع بمعنى
لم يتوقعه بعد ذلك النفي ، فجعل أعداءه يسلمون له بالفضائل ، ويعترفون له بها
قبل نويه ومعارفه .

وتقديم الجار والمجرور (إليه) أكد أنه حقيق بهذا التسليم ، ويتأخير لفظ
(عداء) إلى آخر الشطر يكتمل عنصر المفاجأة والاستغراب . حين تَطَّلِعُ النفس
على أن التسليم كان من الأعداء .

الشاهد الثاني بعد الثلاثاء : (*) (المقارِب)

• قول خالد الكاتب : (١)

رَقِصْتِ وَلَمْ تَرَثِ لِلشَّاهِرِ . : وَلَيْلُ المَحِيبِ بِلَا آخِرِ (٢)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٦ ، خفاجي : ٤٤٨ ، شناكر : ٤٩٢ .
(١) هو خالد بن يزيد البغدادي ، أبو الهيثم المعروف بالكاتب ، شاعر غزل
من الكُتَّاب ، كان أحد كتَّاب الجيش في أيام المعتصم العباسي ، وكان يهاجي
أبا تمام ، أكثر شعره في الغزل ، ويتصف بالرقّة ، توفي في بغداد سنة (٢٦٢ هـ)
انظر ترجمته :

الأغاني : ٢٠ / ٢٧٤-٢٨٧ ، تاريخ بغداد : ٨ / ٣٠٨ ، سبط اللاكسي :

١ / ٣١١ ، الأعلام : ٢ / ٣٠١ .

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٤٨٤ ، الأمالي للقالبي : ١ / ١٠٠ ، التشبيهات : ٢١٠ ، المختار من

شعر بشار : ١٣ ، خاص الخاص : ١١٥ " منسوبا لخالد بن زيد " ، التمثيل

والمحاضرة : ٢١٠ - ذكره كاملاً من غير نسبة - وفي " ٢٤٢ " - ذكر العجز فقط

ويدون نسبة أيضا - ، شار القلوب : ٢ / ٦٣٤ - عجز البيت فقط ، بهجته =====

وهو أول بيتين وبعده :

وَلَمْ تَدْرِ بَعْدَ ذَهَابِ الرَّقَا . . . (١) مَا صَنَعَ الدَّعْمِينَ نَاطِطِي (٢)

ذكر القالي في أماليه عن البزار أن علي بن الجهم كان يستشده شعر خالد

الكاتب ، فلا يراه شيئاً حتى أنشده يوماً بيت الشاهد فقال :

* قاطه الله لقد أدمن الرَّمِيَّةَ حتى أصاب الفِرَّةَ * (٣)

ويمثل هذا قال الثعالبي في المضاف والمنسوب :

* قد أكثر الشعراء في وصف ليل المحب بالطول فما طالوا ، وحصل خالد

الكاتب على الفِرَّة والنكتة * (٤)

ووصف الصفي بيت الشاهد بالرشاقة ، قال :

* وما أرق قول خالد الكاتب . . . البيت * (٥)

ولخالد الكاتب في هذا المعنى أبيات كثيرة منها :

يَا لَيْلَةَ طَالَتْ عَلَى نَاطِطِي . . . كَأَنَّهَا كَانَتْ بِلَا آخِرِ

سَهْرَتِهَا شَوْقًا إِلَى رَاقِبِي . . . عَدَا الْكَرَى عَنِ طَرْفِي السَّاهِرِ (٦)

وقال أيضا :

نَامَ الْخَلِيُّ وَلَيْلِ طَرْفِي سَاهِرٌ . . . يَا مَقَلَّتِي أَمَا لَيْلِي آخِرُ (٧)

=== المجالس : ٣ / ٩٢ ، سبط اللآلي : ١ / ٣١١ ، التبيان للعكبري : ٢ / ١١٨

نثار الأزهار : ٢٣ ، الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(١) رواية التشبيهاً ، وبهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار :

* ما فعل * .

(٢) رواية بهجة المجالس ، والمختار من شعر بشار ، ونثار الأزهار :

* بالناطِطِ * .

(٣) ١ / ١٠٠ .

(٤) ٢ / ٦٣٤ .

(٥) الغيث المسجم : ١ / ٣٤٣ .

(٦) ديوانه : ٢٣٦ . (٧) ديوانه : ٢٧٤ .

(الطويل)

•• مع قول بشار :

لِخَدَّيْكَ مِنْ كَفَّيْكَ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ . . . إِلَى أَنْ تَرَى ضَوْءَ الصَّبَاحِ وَسَّانَ
تَبَيَّتُ تُرَاعِي اللَّيْلَ تَرْجُو نَفَاةَهُ . . . وَلَيْسَ لِلَّيْلِ الْعَاشِرِينَ نَفَاةً (١)

وهما من قصيدة له يتغزل بسعدى (سعاد) ، ومطلعها :

نَبَا بِكَ خَلْفَ الظَّاعِنِينَ وَسَّانَ . . . وَمَالِكَ إِلَّا رَاحَتِيكَ عَمَّانَ

وبعد البيت الشاهد الأول وبعده :

كَأَنَّكَ لِلشُّوقِ الْغَرِيبِ إِذَا سَرَى . . . مِنْ الْوَجْهِ مَشْدُودٌ عَلَيْكَ صِفَانُ

وبعد البيت الشاهد الثاني وبعده :

تَقَلَّبُ فِي دَاجٍ كَأَنَّ سَسَاوَانَهُ . . . إِذَا أَنْجَابَ مَوْصُولٌ إِلَيْهِ سَسَاوَانُ

المعنى المتحد في البيتين . طول ليل المحبين .

فخالد الكاتب جاء بهذا المعنى مباشرة وأعلن حقيقة ليل المحبين ، وهو

كونه طويلاً ليس له آخر .

أما بشار، فقد زاد على خالد الكاتب حيث بصّر بالحركة الداخلية التي تسور
في نفس المحب، فعاش معه بوجدانه ، وتغلغل في أعماق نفسه ، فرأى ما فيها
من حركة الوجد الدائبة ، والشوق الملح ، فهذه الحالة من النزاع الوجداني جعلته
يشعر بطول الليل وعدم انقضاءه .

وقوله " تُرَاعِي اللَّيْلَ " يصور ملل ذلك المحب ، ومحاولته اليائسة في التخلص

من ذلك التبرم .

وقوله (تَرْجُو نَفَاةَهُ) وصلت النفس فيه إلى قمة الضيق والتبرم ، فأخذت تبتهل

وترجو نفاة الليل .

(١) ديوان بشار : ٣ / ١٢٧ ،

المختار من شعر بشار : ١٣ .

وهنا أشفق الشاعر عليها ، فأعلن لها حقيقة ليل المحب، وأنه ليس له نفاذ ،
لعل في وقوفها على هذه الحقيقة ما يسكن هذا الرجاء اليائس .
وفي تقديم المسند (لليل العاشقين) على المسند إليه (نفاذ) تخصيص
لذلك الليل بعدم النفاذ . وفي هذا تأكيد لهذه الحقيقة .

الشاهد الثالث بعد الثلاثاء : (*) (الوافر)

• قول أبي تمام :
(١) شوى بالشرقيين لهم ضجاجٌ . (٢) أطار قلوب أهل المفرسين (٤)
وهو من قصيدة قالها في مدح إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، ويذكر إيقاعه
بالمحترمة أصحاب بابك ، وكانوا تواعدوا إلى موضع علم به ، فوقف لهم فيسه ،
فكل من جاء قتل وحزت أذنه ، حتى وجه إلى المعتصم بستين ألف أذن .
ومطلعها :-

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٨-٤٤٩ ، شاكر : ٤٩٢ .

(١) شوا : الثواء : طول الثقام ، وشوى بالمكان : نزل فيه وأقام /

اللسان * شوا * : ١٤ / ١٢٥ .

(٢) قال التبريزي :

* القول في * المشركين * مشهور ، لأنها مَشْرُقُ الصَّيفِ ومشرق الشتاء ،

وكذلك المفران * / الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٢٩٩ / ٣ .

(٣) رواية الديوان - دار صعب - ، والدلائل تحقيق شاكر : * لها ضجاج * -

(٤) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٩٩ / ٣ ، ديوانه - دار صعب - ٢٨٥ ،

أخبار أبي تمام للصولي : ٧٨ ، أخبار أبي تمام للبحثري : ١٥١ .

(٥) سبقت ترجمته : ٧٢٦ .

(٦) انظر :

الكامل في التاريخ : ٥ / ٢٢٢ - ٢٧٣ - ٢٨٣ - ٢٨٦٢٨٥ .

حَسُنْتَ عَلَيْهِ أُخْتُ بَنِي خُصَيْنٍ . . وَأَنْجَحَ فِيكَ قَوْلُ الْعَادِلِينَ

وقيل الشاهد :

لَقَيْتَهُمْ بِحَلَّابِ الْمَنَائِمَا . . . بَعِيدِ الرَّزِّ نَائِي الْحَجَرَتَيْنِ (٢)
 فَمَا أَبْقَيْتَ لِلسَّيْفِ الْيَمَانِي . . . شَجًا فِيهِمْ وَلَا الرَّيْحِ الرَّدِّيْنِي (٥)
 وَقَائِعُ أَشْرَقَتْ مِنْهُنَّ جَمْعٌ (٣) . . . إِلَى خَيْفِي مِثِّي قَالِ الْمَوْقِفِينَ (٤)
 عَمَّتِ الْخَلْقَ بِالنِّعْمَاءِ حَتَّى . . . غَدَا الثَّقْلَانِ مِنْهَا مُثْقَلَيْنِ

وتعدها الشاهد ويعدده :

مع قول البحثري :-
 تَنَادَرُ أَهْلُ الشَّرْقِ مِنْهُ وَقَائِعَا . . . أَطَاعَ لَهَا الْعَاصُونَ فِي بَلَدِ الْقَرْبِ (٦)
 (الطويل)

(١) الرَّزُّ : بالكسر الصوت ، وقيل هو الصوت تسمعه من بعيد ، وقيل هو الصوت تسمعه ولا تدري ماهو ، يقال سمعت رَزَّ الرعد / اللسان " رزز " :
 ٥ / ٣٥٢ .

(٢) الحجرتان : الناحيتان / اللسان " حجر " : ٤ / ١٦٨ .

(٣) جَمْعٌ : اسم للمزدلفة سميت بذلك للجمع بين صلاتي المغرب والعشاء فيها ، وذكر التبريزي في شرح الديوان أن " جَمْعٌ " اسم لِمِثِّي أو أنه موضع قريب منه . / انظر :

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استعجم : ١ / ٢ / ٣٩٢ .

(٤) خَيْفِي مِثِّي : الخَيْفُ : ارتفاع وهبوط في سفح جبل أو غلظ ، وخَيْسَفُ اسم يقع مضافاً إلى مواضع كثيرة ، ولا يكون خَيْفًا إِلَّا بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، وأشهرها خَيْفُ مِثِّي ، ومسجده مسجِدُ الخَيْفِ ، وقال التبريزي : والخيف من مِثِّي على التوحيد إِلَّا أَنَّ التَّشْبِيهَ وَالْجَمْعَ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ جَائِزٌ . /

الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٩٩ ، معجم ما استعجم : ٥٢٦ .

(٥) الموقفين : أراد الموقف بعرفة والموقف بالمزدلفة ، أو موقف إبراهيم ، أو نحو ذلك من المواضع / انظر :

الديوان بشرح التبريزي : ٣ / ٢٩٩ .

(٦) ديوانه - طبعة بيروت - : ٦ / ٢ .

ديوانه - صيرفي - : ١ / ١٠٦ .

وهو من قصيدة قالها في مدح عبد الله بن دينار بن عبد الله، (١) ومطلعها :

رَأَى الْبَرْقَ مَجْتَازًا فَبَاتَ يَلَا لُكْبًا . . وَأَصْبَاهُ مِنْ زِكْرِ الْبَخِيلَةِ مَا يُصْصِي

وقبل الشاهد :

إِذَا أَثْقَلَ الْهَلْبَاجُ أَجْنَاءَ سَرَجِهِ . . غَدَا طَرْفُهُ يَخْتَالُ بِالْمَرْهَفِ الضَّرْبِ (٢)

وبعد الشاهد :

لَجَرَدَ نَضْلَ السَّيْفِ حَتَّى تَفَرَّقَت . . عَنِ السَّيْفِ مَخْضُومًا جُمُوعُ أَبِي حَرْبِ

(البسيط)

••• وقول مسلم :

لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى أَدْنَى دِيَارِهِمْ . . أَلْقَى إِلَيْكَ الْأَقَاصِي بِالْمَقَالِيدِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح داود بن يزيد المهلبى (٥) ومطلعها :

(١) لم أقف على ترجمة وافية له ، فكل ما وجدته عنه أنه اشترك في محاربة أبي حرب المبرقع اليماني الذي خرج على السلطان بفسطين سنة (٢٢٧هـ) ، وكان والده دينار من قواد المأمون المشهورين ، وكان أخوه أحمد من أسراء البحر ، وللبحتري فيه مدائح ، وولي أخوه يزيد مصر سنة (٢٤٣هـ) ورجح محقق الديوان الاستاذ الصيرفي أنه كانت هناك مصاهرة بين أسرة دينار وأسرة سهل . / انظر :

الطبري : ٦ / ٣٩٤ ، ٨ / ٥٦٩ - ٥٩٣ ، ٩ / ٦٠٧ ، ٣٧٧ / ٦٥٤ ، شار القلوب :

٦١٤ - ٦١٥ ، تحقيق ديوانه - صيرفي - : ١ / ١٠٤ .

(٢) الْهَلْبَاجُ ، وَالْهَلْبَاجَةُ ، وَالْهَلْبِجُ وَالْهَلْبِجُ : الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا أَحْمَقَ مِنْهُ ، الْجَامِعُ

كَلْ شَرِّ اللِّسَانِ * هَلْبِجٌ * : ٢ / ٣٩٢ .

(٣) رواية شرح ديوان صريع الغواني : * يَلَادِهِمْ * .

(٤) لم أقف عليه إلا في : شرح ديوان صريع الغواني : ١٦١ .

(٥) هو داود بن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الطائسي

المهلبى ، أمير من الشجعان العقلاء ، وكان مع أبيه بإفريقية ، تولى إمارتها

وأحسن التصرف فيها (١٧٠هـ) ثم عزل عنها بولاية عمه روح بن حاتم سنة

(١٧٢هـ) من قبل الرشيد ، ثم ولي الرشيد داود إمرة مصر في أواخر سنة (١٧٣هـ)

فقد منها سنة (١٧٤هـ) وهدأ الاضطرابات السائدة فيها ، ثم عزل عنها سنة =====

لَا تَدْعُ بِي الشُّوقِ إِنِّي غَيْرُ مَعْمُودٍ .: (١) نَهَى النَّهْيَ عَنِ هَوَى الْهَيْفِ الرَّعَادِ بِيَدِ (٢)

وقبل الشاهد :

نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا دَاوُدَ إِذْ عَلِقَتْ .: أَيَدِي الرَّدَى بِنَوَاصِي الضَّرْرِ الْقَوْدِ
دَاوَيْتَ مِنْ دَائِيهَا كَرَمَانَ وَانْتَصَفْتَ .: بِكَ الْمَنُونُ لِأَقْوَامٍ مَجَاهِدِي
مَلَأْنَهَا قَزَعًا أَخْلَى مَعَاظِلَهَا .: مِنْ كُلِّ أْبْلَخٍ سَامِي الطَّرْفِ صِنْدِيدِ (٣) (٤)

وبعد ها الشاهد وبعده :

لَمَسْتَهُمْ بِيَدِ اللَّغْوِ مَتَّصِلٍ .: بِهَا الرَّدَى بَيْنَ تَلْبِينٍ وَتَشْدِيدِ
أَتَيْتَهُمْ مِنْ وَرَاءِ الْأَمْنِ مُطَّلِعًا .: بِالْخَيْلِ تَرْدِي بِأَبْطَالٍ مَنَاجِيدِ (٥)

ذكر الصولي في أخبار أبي تمام ، وأخبار البحري أن أبا تمام أخذ قوله من قول

مسلم بن الوليد ، وأن البحري قال في هذا المعنى :

غَدَا غَدَاةً بَيْنَ الْمَشَارِقِ إِذْ غَدَا .: فَبَثَّ حَرِيقًا فِي أَقَاصِي الْمَفَارِبِ (٦)

=== (١٧٥هـ) وولاه الرشيد أمر السند (١٨٤هـ) وبقي على امرتها حتى توفي

(٢٠٥هـ) / انظر :

تاريخ الطبري : ٢٧٢ / ٨ ، ٥٨٠ ، الكامل لابن الأثير : ٨٥ / ٥ ، ١٩٧ ، النجوم

الزاهرة : ٣ / ٢ ، ٧٥-٧٨ ، ١١٦ ، الأعلام : ٢ / ٣٣٦ .

(١) مَعْمُودٌ وَعَيْدٌ وَمَعْمَدٌ : هَذِهِ الْعَشَقُ . / الْقَامُوسُ الْمَحِيطُ (عقد) : ١ / ٣٢٩ .

(٢) الرَّعَادِيدُ : امْرَأَةٌ رَعْدِيدَةٌ : يَتْرَجِرُ لِحَمِهَا مِنْ نَعْمَتِهَا . / اللسان

"رعد" : ٣ / ١٧٩ .

(٣) أْبْلَخٌ : الْبَلْخُ مَصْدَرُ الْأَبْلَخِ وَهُوَ الْعَظِيمُ فِي نَفْسِهِ ، الْجَرِيءُ عَلَى مَا أَتَى مِنَ

الْفَجُورِ ، وَالْبَلْخُ التَّكْبِيرُ / اللسان "بلخ" : ٣ / ٩ .

(٤) شرح ديوانه : ١٦١ .

(٥) المصدر السابق : ١٦٢ .

(٦) أخبار أبي تمام : ٧٨ ، أخبار البحري : ١٥١ .

فالمعنى المتحد بين هذه الآيات : خضوع الشرق والغرب للمدوح . فأبوتام جعل مدوحه يقيم في المشرقين ، ولكن بفضل ذلك الجيش العظيم الذي يسمع له غلبةً وضجيجاً ، أثبت حكمه في بلد الغرب .

وقوله " ضَجَّاج " صفة مشبهة على وزن فِعَال دلّت على عظيم الجلبة وقوتها ، فالضجيج صفة قائمة بهم قياماً ثابتاً لا حادثاً متجدداً .

وتقديم المسند - الجار والمجرور - " لهم " على المسند إليه " ضَجَّاج " للتوكيد وتقوية الحكم ، وفي هذا ما فيه من كشف لمعاني القوة والشجاعة الكامنة في هذا الجيش . وأنظر إلى دقة اختيار أبي تمام لألفاظه التي بعثت في موسيقى البيت جلبة ورنيناً " ضَجَّاج - أطار " .

أما البحترى فمدوحه أكثر شجاعة من مدوح أبي تمام ، فهو لم يكلفه تجهيز الجيوش العظيمة ، فمجرد سماع أهل الشرق لإذاره بالوقائع يخضع له العاصون في بلاد الغرب ، وقوله : " تناذر " بدلاً من " نذر " دل على شدة الإذار وقوته ، وتركيب الفعل على هذا الوجه دل على أن هناك حركة فزع وخوف دبت في النفوس ، فأخذ بعضهم يندربعضاً .

وتقديم الجار والمجرور في قوله : " أطاع لها العاصون " جزم بانتصار تلك الوقائع ، وخضوع العاصين وتسليمهم .

أما مسلم بن الوليد ، فمدوحه أكثر شجاعة ورهبة في صدور أعدائه من مدوح سابقه ، فليس هناك ضجيج ، ولا معارك ، ولا تناذر بالوقائع ، ولا إجبار على الخضوع والطاعة ، فهو لم يكلفه هذا العناء ، فهو بمجرد نزوله على أول أطراف الديار يقبل عليه أهل الأقاليم بالإذعان طائعين مختارين ، فقوله : " ألقى إليك الأقاليمي " ، تركيب بديع فـ " الإلقاء " صور إسراعهم للطاعة بمحض إرادتهم ، وتقديم الجار والمجرور " إليك " على المسند إليه " الأقاليمي " تعظيم وإكبار لهذا المدوح ، وتنويه بشجاعته . ومجيء لفظ الأقاليمي بالجمع دليل على شمول الطاعة وعموم التسليم .

الشاهد الرابع بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

(١) قول محمد بن بشير:

أَفْرُغْ لِحَاجَتِنَا مَا دُمْتَ مَشْفُوعًا . . . فَلَوْ فَرَّغْتَ لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْدُ وَلَا (٢)

مع قول أبي علي البصير:

فَقُلْ لِسَعِيدٍ أَسْعَدَ اللَّهُ جَسَدَهُ . . . لَقَدْ رَثَ حَتَّى كَادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ (٤)
فَلَا تَعْتَذِرُ بِالشَّغْلِ عَنَّا فَاِتْمَنَّا . . . تَنَاطُ بِكَ الْأَمَالُ مَا أَتَّصَلَ الشَّغْلُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٩ ، شاکر : ٤٩٣ .

(١) سبقت ترجمته : ص ١١٧ .

(٢) لم أقف عليه فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب الأنباري ، وهو فارسي الأصل ،

وكان ضريباً ، لقب بالبصير لذكائه ، وكان يتشيع وهو أحد الأدباء البلغاء ،

الظرفاء ، وكان مترسلاً بليغاً ، قدم " سر من رأى " في أول خلافة المعتصم ،

ومدحه والخلفاء بعده ، ورؤساء أهل العسكر ، توفي بسر من رأى (٢٥٥ هـ) /

انظر ترجمته وبعض أشعاره في :

طبقات ابن المعتز : ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، الفهرست : ١٧٨ ، معجم الشعراء

للمرزباني : ٣١٤ ، شار القلوب : ٥٦ ، ٧٣ ، زهر الآداب : ٤٣٥ - ٤٣٧ ،

سط اللآلي : ١ / ٢٦٦ ، نهاية الأرب ٣ / ٣ ، نكت الهميان : ٢٢٥ ، الأعلام :

١٤٧ / ٥

(٤) رواية عيون الأخبار ، معجم الشعراء ، وديوان المعاني ، وبهجة المجالس :

" ولا تعتذر " .

(٥) انظر البيت في :

عيون الأخبار : ١٢٥ / ٨ / ٣ - ذكر البيت الثاني فقط ومن غير نسبة - معجم

الشعراء للمرزباني : ٣١٤ - ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر -

ديوان المعاني : ١٦٩ / ١ ، ذكر البيت الثاني وقبله بيت آخر ومن غير نسبة ،

التمثيل والمحاضرة : ٥١ - البيت الثاني فقط - ، بهجة المجالس : ٤٩٠ / ٢ -

البيت الثاني فقط وبعده بيت آخر ومن غير نسبة - نهاية الأرب : ٩٣ / ٣ -

البيت والثاني فقط .

وقبل بيت الشاهد الثاني :

(١) وَكُنْ عِنْدَ مَا نَرْجُوهُ (٢) مَيْكَ فَإِنَّا (٣) جَمِيعاً لِمَا أَوْلَيْتَ مِن حَسَنِ أَهْلِ (٤)

وذكر بعد الشاهد الثاني قوله :

وَلَا تَرْتَفِعْ عَنَّا بِشَيْءٍ وَلِيَتَّسَهُ . . . كَمَا لَمْ يَصْفُرْ عِنْدَنَا شَأْنُكَ الْعَزْلُ (٥)

والمعنى الذي يجمع البيتين هو عتاب المدح على الانشغال عنهم ورجاؤه بأن يلتفت

إليهم .

ويتأمل البيتين نجد أن أبا علي البصير أرق مشاعر، وألين عتاباً ، وألطف رجاءً فهو أخير

بتحريك العواطف، واجتد ابها ، فقوله : " أسعد الله جدّه " دعاء من شأنه أن يثير عاطفة

الحنو عند المعاتب ، ويرقق مشاعره .

وقوله : " لقد رث " تأكيد بأن العطاء قد قل .

وقوله : " رث حتى كادَ يَنْصَرِمُ الْحَبْلُ " كناية عن قرب انقطاع أوشاج الصلات، وفي هذه

الكناية عتاب ولوم على القطيعة التي كادت تحل ، فهو لم يجزم بالقطيعة ، ولم يعلن

الجفاء إعلاناً .

فـ " كاد " هنا أفادت أن القلوب مازالت راغبة في الوصل ، وقوله : " فَلَا تَعْتَذِرْ بِالشُّغْلِ

عَنَّا " مبدوءاً بلا الناهية يحمل روح الرجاء والاستعطاف ، فهو يترجاه أن لا يجعل الشغل

هو عذره .

وقوله : " فَإِنَّا تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ مَا اتَّصَلَ الشُّغْلُ " ألطف من قول الأول " فَلَوْ فَرَّغْتَ

لَكُنْتَ الدَّهْرَ مَبْدُؤاً " فأبو علي البصير أخلص عاطفة وأكبر حُباً للمعاتب ، وأكثر رجاءً

واستعطافاً ، فقد أكد له إناطة الآمال به في جميع الأوقات حتى في وقت انشغاله ، فجاء

بأسلوب القصر " إنما " لتذكير المخاطب وتنبهه من غفلته ، فإناطة الآمال به وحاجتهم إليه

أمر يعلمه .

وفي تقديم الجار والمجرور " تَنَاطُ بِكَ الْآمَالُ " كشف عن كثير من مشاعر الرجاء المخبوءة

في نفس الشاعر ، والعرب يقدّمون مثله ، لأن بيانه عند هم أهم ، وهم بشأنه أعنى . أما محمد بن

بشير فجعل رجاءه في كرم المدح مشروطاً بفراغ المعاتب ، فإن فرغ لهم كان كريماً ، وفيما

عدا ذلك تُنفى وتمتنع عنه هذه الصفة ، فجاء بـ " ولو " وهي حرف امتناع لا امتناع ، وفي هذا

تقليل لمعنى الرجاء .

(١) رواية معجم الشعراء : " فكن " . (٢) رواية معجم الشعراء : " ما أملت فيك " .

(٣) رواية معجم الشعراء : " فَإِنَّا " .

(٤) انظر البيت في : معجم الشعراء للمرزباني : ٣١٤ ، ديوان المعاني : ١٦٩ / ١ .

(٥) انظر البيت في : بهجة المجالس : ٢ / ٤٩٠ .

الشاهد الخامس بعد الثلاثاء : (*) (الكامل)

• وقول البحسري :

مِنْ غَادَةٍ مُنِيعَةٍ وَتَمَنَعَ وَصَلَهَا ^(١) . . فَلَوْ أَنَّهَا بَدَلَتْ لَنَا لَمْ تَتَذَلْ (٢)

وهو من قصيدة قالها في مدح محمد بن علي بن عيسى القمي الكاتب (٣)

ومطلعها :

أَهْلًا بِذَلِكُمُ الْخِيَالِ الْمُقْبِلِ . . فَعَلَّ الَّذِي تَهَوَّاهُ ^(٤) أَوْلَمَ يَفْعَلْ

وبعد البيت قبل الشاهد :

بَرَقَّ سَرَى فِي بَطْنِ وَجْرَةٍ فَأَهْتَدَتْ . . يَسْنَاهُ أَعْنَاقُ التَّرْكَابِ الضُّلَّلِ

وبعد الشاهد وبعده :

كَالْبَدْرِ غَيْرِ مُخِيلٍ وَالْغُصْنِ غَيْبٍ . . سَرَّ مَمِيلٍ وَالِدَعَصِ غَيْرِ مَهْيَلِ ^(٥)

• مع قول ابن الرومي : ^(٦)

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ أَنْسَانِي . . عَلِقَتْ مَنُوعًا مَنُوعًا ^(٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٧ ، خفاجي : ٤٤٩ ، شاکر : ٤٩٣ .

(١) رواية الديوان والموازنة والصناعتين وإعجاز القرآن للباقلاني :

• وَتَمَنَعَ نَيْلَهَا •

(٢) لم أجد البيت إلا في : ديوانه : ٣٦٦ / ٢ ، ديوانه - صيرفي - : ١٢٤٢ / ٣ ،

الموازنة : ٢٨٣ ، الصناعتين : ٢٥٤ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ٢٢٢ .

(٣) سبقت ترجمته : ٧٦٥ .

(٤) رواية الديوان - صيرفي - : " تهواه " بالنون .

(٥) الدَّعَصُ : ما استدار من الرمل / . فقه اللغة : ٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٦) وتُسبب البيت في الموازنة والصناعتين لعبد الصمد بن المعذل ، وقد سبقت

ترجمته : ٢٤٩ .

(٧) انظر البيت في : ديوان ابن الرومي : ٤ / ١٤٦٢ ، الصناعتين : ٢٥٤ ،

الموازنة - محمد محيي الدين - ٢٨٣ .

وهو من قصيدة مطلعها :

وَهَبْتُ لَهُ عَيْنِي الْهَجُوعَا . . . فَأَثَابَهَا مِنْهُ الدُّمُوعَا

وبعده بيت قبل الشاهد :

طَبِيٌّ كَانَ يَخْصُرُهُ . . . مِنْ صُتْرِهِ ^(١) ظَمًا وَجُوعَا (٢)

وبعد الشاهد :

مَنْ سَأَلَ قَمَر الدَّجَى . . . مَا بَالَهُ تَرَكَ الطُّلُوعَا

ذكر الآمدي في الموازنة بعد قول الشاعر :

طَبِيٌّ كَانَ يَخْصُرُهُ . . .

قوله :

إِنِّي عَلِقْتُ لِشِقْوَتِي . . . يَا قَوْمَ مَمْنُونًا مَنِيعَا (٣)

وأعتقد أنه بيت الشاهد مع اختلاف الرواية .

ذكر الآمدي أَنَّ الْبُحْتَرِيَّ قَدْ أَخَذَ بَيْتَهُ (مِنْ غَاذَةِ مُنَعَتِ) من قول عبد الصمد

ابن المعذل إِلَّا أَنَّهُ زَادَ عَلَى عَبْدِ الصَّمَدِ بِقَوْلِهِ :

" لَوْ بَدَّلْتَ لَنَا لَمْ تَبْدُلِ " (٤)

وذهب أبو هلال العسكري غير مذاهب الآمدي ، فرأى أَنَّ الْبُحْتَرِيَّ قَدْ أَخَذَ بَيْتَهُ

من عبد الصمد بن المعذل إِلَّا أَنَّهُ قَصَرَ فِيهِ . قال :

" بيت عبد الصمد أبين معنى مع شدة الاختصار ، وبيت البحتري كالعويص

لا يقام (إعرابه) إِلَّا بَعْدَ نَظَرٍ طَوِيلٍ " (٥)

وطبق الباقلاني على بيت البحتري ورأى أَنَّهُ قَدْ طَوَّلَ فِيهِ وَتَكَلَّفَ الْمَطَابَقَةَ ،

وَتَجَسَّسَ الصَّنْعَةَ . قال :

(١) رواية الموازنة : " مِنْ رِقَّةٍ " ، ورواية الصناعتين " مِنْ دِقَّةٍ " .

(٢) الموازنة : - محمد محيي الدين - : ٢٨٣ ، ديوان المعاني : ٢٥١ ، الصناعتين : ٢٥٤ .

(٣) الموازنة : - محمد محيي الدين - : ٢٨٣ .

(٤) الموازنة : ٢٨٣ .

(٥) الصناعتين : ٢٥٤ .

* فالبيت الأول - على ما تكلف فيه من المطابقة ، وَتَجَسَّم الصنعة - ألفاظه أوفر من معانيه ، وكلماته أكثر من فوائده ، وتعلم أن القصد وضع العبارات في مثله ، ولو قال : هي صنوعة مانعة ، كان ينوب عن تطويله ، وتكثيره الكلام ، وتهويله ، ثم هو معني متداول مكرّر على كل لسان * (١)

وذهب الدكتور أبو موسى إلى غير ما ذهب إليه الباقلاني ، فعنده أن بيت البحري من الشعر الرائع الذي لا يقوله إلا من كان في طبقتة ، فهو رصين البناء محكم النسج ، قال :

... فالشعر هو البنية التي أقامها الشاعر ، وحين ندخل فيها تغييسيراً ما تكون بذلك قد هدمناها ، وصيرنا إلى غيرها وقولنا : " هي صنوعة مانعة " كلام تحت كل لسان ، أما قول البحري ، فهو شعر لا يقوله إلا من كان فسي طبيقتة .

وأنظر كيف بدأ الحديث عنها بذكر " الغيد " وهو إشارة النعمة والرفق والصون ، والفاداه هي الناعمة البيئة الغيد .

وتأمل كيف انتقل الكلام إلى وصف صونها ، وعفافها وكيف سلك سبيله في بيان ذلك ، فقال : " مُنعت " وأشار بذلك إلى من حولها من أهل بيتها وعشيرتها ، وأنهم أهل حفاظ ومنعة ثم قال : " وتمنع نيلها " فانتقل الكلام إلى ذات نفس الغيداء لأن صونها وعفافها لا يجوز أن يكون أمراً جاءها من خارج نفسها ، نعم . . إن من تمامه أن تكون هذه الخلال خلال الأهل والعشيرة ؛ لأن شرف النفوس يجري مع كرم العروق .

ثم إن الشاعر وقف عند هذا المعنى وأعطاه البيت كله ، وهو في ذلك يترقى بالمعنى ، ويسمو به ، ويزيد في تأصيله وتقريره ، ويفتّن في الإبانة عنه ، انظر إلى الجملة الخاصة بوصف منعة العشيرة لها ، تجد ها كلمة واحدة " مُنعت "

ولما انتقل الكلام إلى وصف عفافها الذي هو خلقها ، طالت الجملة* وتمنع
 نيلها* وكان الشاعر يريد أن يُسمع بها ، وانتقل إلى صيغة المضارع بعد الماضي
 في الأولى مشيراً بذلك إلى أنه خلق يتجدد في ذات نفسها ، وكأنها تستمدده
 من نبع قِيَّاحي ، ثم أنظر كيف رجع الكلام ونفى أن يكون صون رهطها لها ما له
 مدخل في تصونها ، وحفاظها ، وكيف سلك إلى ذلك سبيلاً من التوكيد لا تراه
 إلا في حر الكلام " فلو أنها بُدِلَتْ لَنَا لَمْ تَبْدُلِ " و " لو " هذه أكثر ما تكون
 لبيان امتناع جوابها لامتناع شرطها ، ولهذا عُرِفَتْ في كلام المعربين بأنها
 حرف امتناع لامتناع . . . (١)

ويبدو لي أن ذكره " بذلها " وإن كان على سبيل الافتراض ما تنبوعه الطباع
 السليمة ، والألفة والحفاظ ، إذ كيف يفترض الشاعر أن قومها ربما بذلوها في حسين
 أنه ذكر " المنع " في أول البيت ؟ وما قيمة هذا المنع إذا كانوا يفرضون أن يبذلوها
 هم فتأبى هي ؟

الشاهد السادس بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول أبي تمام :
 لَيْسَ كَانَ ذَنْبِي أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي (٣) . . . أَسَاءَ فَنَبِي سَوْءِ الْقَضَاءِ لِي الْعُذْرُ (٥)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر مطلعها :

تَصَدَّتْ وَحَبْلُ الْبَيْنِ سَتَحْصِدُ شَرَّ . . . وَقَدْ سَهَّلَ التَّوَدِّيعَ مَا وَعَرَ الْهَجْرُ

وقبل الشاهد :

- (١) الإعجاز البلاغي : ٣٢٣ - ٣٢٤ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٣ - ٤٩٤ .
 (٢) رواية الديوان وأخبار أبي تمام : " فإن كان " .
 (٣) رواية الديوان : " أَحْسَنَ " .
 (٤) رواية الديوان : " أَسَاءَ " .
 (٥) انظر البيت في :
 ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧١ ، ديوانه - دار صعب - : ٤٢٣ ،
 أخبار أبي تمام : ٥١ ، أخبار البحري : ١٦٠ .

وَمَا الْقَفْرُ بِالْيَدِ الْقَوَاءُ بَلِ الَّتِي ^(١) .: نَبَتْ بِي وَفِيهَا سَاكِنُوهَا هِيَ الْقَفْرُ
وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ ثَمَرَاتِهَا .: فَأَحْجِ بِهِ أَنْ تَتَجَلَّى وَلَهَا الْقَفْرُ
وبعدهما الشاهد وبعده :

قَضَاءُ الَّذِي مَازَالَ فِي يَدِهِ الْغِنَى .: ثَنَى غَرَبَ آمَالِي وَفِي يَدِي الْفَقْرُ
رَضِيْتُ وَهَلْ أَرْضَى إِذَا كَانَ مَسْخِطِي .: مِنْ الْأَمْرِ مَا فِيهِ رِضًا مَنَّ لَهُ الْأَمْرُ

• مع قول البحتري: (البيسط)

إِذَا مَحَاسِنِي اللَّاتِي ^(٢) أَدَلَّ بِهَا .: كَانَتْ ذُنُوبِي فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَدِرُ (٣)
وهو من قصيدة له في مدح علي بن مر الأرمني، ^(٤) ومطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجْرٌ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ .: وَتَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

وقبل الشاهد :

قَالَتْ شَيْبٌ وَعَشَقُّ أَنْتَ بَيْنَهُمَا .: وَذَاكَ فِي ذَاكَ ذَنْبٌ لَيْسَ يُغْتَفَرُ
وَعَيَّرْتَنِي سِجَالِ الْعَدَمِ جَاهِلَةً .: وَالنَّبْعُ عَرِيَانٌ مَا فِي فَرْعِهِ ثَمَرُ

وبعدهما أبيات، وبعدها البيت وبعده :

(١) رواية الديوان - دار صعب - : " القفار " .

(٢) رواية أخبار البحتري، وأخبار أبي تمام : " اللاتي " .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه : ٢ / ٣٠٨، أخبار أبي تمام : ٥١، أخبار البحتري : ١٦٠، التثميل

والمحاضرة : ٩٩، محاضرات الأدباء : ٢٣٩ / ١، نهاية الأرب : ٣ / ٩٨ .

(٤) ذكر محقق الديوان - الصيرفي - أنه ليس هناك مراجع تشير . إلى أن علي بن

مر (ويلقب بالطائي) كان يلقب بالأرمني، ولكن هناك علي بن يحيى الأرمني،

أبو الحسن الذي ولي مصر، وقد هجا البحتري علي بن مر في قصيدة أخرى :

وكذلك فعل مع ابنه مر بن علي حيث مدحه مرة ثم هجاه أخرى / انظر :

تحقيق الديوان - صيرفي - : ٢ / ٩٥٣، الطبري : ٩ / ٥٤ .

أَهْزَى الشَّعْرِ أَقْوَامًا ذَوِي وَسْنٍ . . . فِي الْجَهْلِ لَوْ ضُرِبُوا بِالسَّيْفِ مَا شَعَرُوا
 ذكر الصولي أن البحترى قد أخذ بيته من أبي تام السابق ، " فَإِنْ كَانَ ذَنْبِي
 أَنْ أَحْسَنَ مَطْلَبِي . . . الْبَيْتِ " .

وقد أخذاه جميعاً من قول أبي حنث الغزاري (١) حين فرَّ عن حذيفة بن بدر يوم
 الهبأة (٢) :

وَكَمْ مِنْ مَوْفِي حَسَنِ أَحْيَلْتِ . . . مَحَاسِنَهُ فَعَدَّ مِنَ الذَّنُوبِ (٣)

فمعنى البيتين أنه قد يقع اللوم على الإنسان من حيث يتوقع الشكر، وهذا
 أشد ألماً للنفس ، وتظهر معالم هذا الألم في بيت البحترى أكثر من بيت أبي تام .
 ويلاحظ أن كلا البيتين مبني على الشرط ، إلا أن البحترى كان أدق في اختيار
 شرطه .

فأبو تام جاء بـ (إن) الشرطية ، والبحترى جاء بـ (إذا) وفرق كبير بين
 معنى الأديتين ، فأبو تام اقتصر على أن بين أن حسن مطلبه كان ذنباً له ،
 واعتذر لذلك بسوء القضاء ، واحتججه بسوء القضاء احتجاج غير قوي ، لأنه مبني
 على "إن" الشرطية التي لا تجزم بوقوع الشرط ، وتأتي في الأحوال النادرة الوقوع
 أما البحترى فكان أرفف حساً وأشد ألماً ، فجاء بـ (إذا) الشرطية التي تجزم
 بوقوع الخبر ، وتأتي في الأفعال الكثيرة الوقوع فأفادت أن محاسنه كثيرة دائمة ،
 مشهود لها بهذه الكثرة فكيف وقع فيها الشك ؟

(١) لعله أبو حنث "عصم" بن النعمان بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير من
 جشم بن بكر، وقيل هو أحد بني ثعلبة بن بكر، وهو فارس العصا، وهو قاتل
 شرحبيل الملك بن الحارث بن عمرو المقصور بن حجر آكل المرار الكندي يوم
 الكلاب . / انظر : معجم الشعراء للمرزباني : ٢٧٤ .

(٢) يوم الهبأة " وهو يوم الجفر لعيسر على ذبيان، والهبأة أرض ببلاد غطفان
 كانت فيها الموقعة ، وجفر الهبأة وهو مستنقع في هذه الأرض ، وفي هذه
 الموقعة قتل حذيفة بن بدر ، / انظر :

العمدة : ٢/٢٠٢ ، معجم البلدان : ٥/٣٨٩ .

(٣) أخبار البحترى للصولي : ١٦٠ .

وأنظر إلى فعل الأمر (فقل لي) وما يحمله من معاني التضرع والرجاء ، وينسأء الأمر على طريقة الحوار فيه أحياء للعبارة ففيها أخذ ورد يجعل القاري، أو السامع وكأنه أمام مشهد يسمعه ويراه .
ثم أنظر إلى الاستفهام (كيف أعتذر) وما فيه من معنى الحيرة وأنعدام الحيلة، والاستغراب في أن يُشكَّ في محاسنه .

الشاهد السابع بعد الثلاثائة : (*) (البسيط)

• قول أبي تمام :

* قَدْ يُقَدِّمُ الْعَيْرُ مِنْ دَعْرِ عَلِيٍّ الْأَسَدِ * (١)

ذكر الشيخ صدر البيت ، وعجزه :

أَطَلَّتْ رَوْعَكَ حَتَّى صِرْتَ لِي غَرَضًا

وهو من قصيدة له يهجو فيها محمد بن يزيد ، ^(٢) ومطلعها :

أَفِيَّ تَنْظُمِ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنَاءِ . . وَأَنْتَ أَنْزَرِيْنِ لَأَشِيءَ فِي الْعَدْرِ

وقبل الشاهد :

أَنْحَفْتَ جِسْمَكَ حَتَّى لَوْ هَمَّتْ بَانَ . . أَلَهُو بَصْفَعِكَ يَوْمًا لَمْ تَجِدْكَ يَدِي

• • قول البحسري :

(الطويل)

فَجَاءَ مَجِيءِ الْعَيْرِ قَادَتُهُ حَيْرَةً . . إِلَى أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ تَدْمِي أَظَافِرُهُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاكر : ٤٩٤ .
(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣٥١ / ٤ ، الموازنة : ٣١٦ ، التمثيل والمحاضرة : ٣٤٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولعله يقصد بمحمد بن يزيد ، أبا العباس "المبرد" النحوي

المشهور (٢١٠ - ٢٨٥ هـ ، وقيل : ٢٨٦ هـ) ولكن لا أعلم الداعي إلى هجائه ؟ .
(٣) أهرت الشدق ، والهريت وأسع الشدقين ، وقد هرت - بالكسر - وهو أهرت الشدق وهريته ، وأسند أهرت بين السهت ، فالشاعر أراد هنا بأهرت

الشدقين الأسد / اللسان " هرت " : ١٠٣ / ٢ - ١٠٤ .

(٤) ديوانه : ١ / ٢٨٤ ، الموازنة : ٣١٦ .

وهو من قصيدة له قالها في مدح يوسف بن محمد ، ومطلعها :

لَهُ الْوَيْلُ مِنْ لَيْلٍ يَطَّاءٍ أَوْ آخِرِهِ . . . وَوَشَّكَ نَوَى حَيٍّ تَزَمَّ أَبَاعِـسْرَهُ

وقبل الشاهد :

وَمَا كَانَ بَقْرَاطُ بِنِ اشْوَطَ عِنْدَهُ . . . بِأَوَّلِ عَيْدِ أَسْلَمْتَهُ جَرَّائِـسْرَهُ

وَقَدْ شَاغَبَ الْإِسْلَامَ خَمْسِينَ حِجَّةً . . . فَلَا الْخَوْفَ نَاهِيَهُ وَلَا الْحِلْمُ زَا جِرَهُ

وَلَمَّا التَّقَى الْجَمْعَانَ لَمْ تَجْتَمِعْ لَهُ . . . يَدَاهُ وَلَمْ يَثْبُتْ عَلَى الْخَوْفِ نَاطِرَهُ

وَلَمْ يَرْضَ مِنْ جِرْزَانَ حِرْزًا يُجِيرُهُ . . . وَلَا فِي جِبَالِ الرُّومِ رَيْدًا^(١) يَجَسَّوْرُهُ

فَجَاءَ سَجِيءَ الْعَيْرِ . . . الْبَيْتِ .

وبعدده :

وَمَنْ كَانَ فِي اسْتِسْلَامِهِ لَا ثِمًّا لَهُ . . . فَاتَى عَلَى مَا كَانَ مِنْ ذَاكَ عَانِرَهُ

ورأى الآمدي أن هذا المعنى متداول كثير الاستعمال . قال :

" أولم يسمع ما هو كالمجمع عليه من أن العير إذا رأى السبع أقبل إليه مسن

شدة خوفه منه حتى صار مثلاً يتمثل به ، كما يتمثل بالفراشة إذا تهافت فسي

النار ، وفي ذلك أمثال ، وأشعار كثيرة ، فما أظن علمها سقط عن الباحثي^(٢) .

وكأن الآمدي يرى أنه لا أخذ هنا .

فالصورة المشتركة في البيتين هي صورة إقبال العير على الأسد لفرط ذعره .

فأبوتام صاغ هذه الحقيقة كما هي واقعة ومشاهدة بمعنى صريح مباشر ، فذكر

أن العير إذا اشتد خوفه وذعره من الأسد أقبل عليه .

(١) ريداً : الريد الحَيِّدُ ، وهو الحرف النائي من الجبل والجمع ريسود .

الصحاح * ريد " : ٢ / ٤٧٩ .

(٢) الموازنة : ٣١٦ .

أما البحترى، فصاغ المعنى صياغة أجود، فقله : " فجاء مجي العير " دل على انقياد واستسلام تام من ذلك العير، وَجَعَلَهُ الحيرة قائداً دل على فرط الذعر والتخبط في الأمر، وفي تنكير لفظ " حيرة " دليل على عظمها وهولها فهي حيرة غير معهودة .

وأنظر كيف أنه لم يصرح بلفظ " أسد " كما فعل أبو تمام بل جاء له بصورة صورت المنظر المفزع المرعب، والذي أصاب العير بتلك الحيرة الشديدة .

" إِلَى أَهْرَتِ الشُّدَقِينَ تَدْمَى أَظْفَرُهُ "

الشاهد الثامن بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

• قول معن بن أوس : (١)

إِذَا آنَصَرَفْتَ نَفْسِي عَنِ الشَّيْءِ لَمْ تَكُنْ . . . (٢)
إِلَيْهِ يَوَجُّهُ آخِرَ الدَّهْرِ تَقِيلُ (٤) (٣)

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥٠ ، شاكر : ٤٩٤ - ٤٩٥ .
(١) هو معن بن أوس بن نصر بن زياد المزني (٦٤٠ - ٦٤٤ هـ) شاعر فحل من مخضرمي الجاهلية والإسلام ، مدح جماعة من الصحابة ، كف بصره في أواخر أيامه ، وكان كثير التردد إلى عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، فيالغان في إكرامه ، له أخبار مع عمر بن الخطاب ، وكان معاوية بن أبي سفيان يفضلهُ ويقول : " أشعر أهل الجاهلية زهير بن أبي سلمى ، وأشعر أهل الإسلام ابنه كعب ، ومعن بن أوس " ، مات في المدينة ، وله ديوان شعر مطبوع / انظر ترجمته :
جمهرة أنساب العرب : ٢٠٢ ، سبط اللآلي : ٢ / ٢٣٣ ، شرح ديوان الحماصة للتبريزي : ٣ / ٧٨ ، شرح شواهد المعنى : ٢ / ٨٠٨ ، خزانة البغدادي :
- دار صادر - : ٢٥٨ / ٣ ، الأعلام : ٢٧٣ / ٧ .
(٢) رواية عيون الأخبار : " لم تكن " .
(٣) رواية زهر الآداب : ٣ / ٨٧٣ " على " .
ورواية زهر الآداب (٣ / ٨٧٤) " عليه " .
(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٧٤ ، عيون الأخبار : ١ / ١ / ٢٤ ، معجم الشعراء للمزني : ٤٠٠ ،
شرح ديوان الحماصة للمزوقي : ٣ / ١١٣١ ، أمالي المرتضى : ٢ / ٢٦١ ، زهر
الآداب : ٣ / ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، شرح ديوان الحماصة للتبريزي : ٣ / ٨٠ ، لباب الآداب
٤٠٠ ، شرح الشواهد للمعيني - هامش خزانة البغدادي - دار صادر - : ٣ / ٤٤٠ .

وهو من قصيدة قالها في صديق له كان معن متزوجاً بأخته، فاتفق أنه طلقها،
وتزوج غيرها، فألى صديقه أن لا يكلمه أبداً، فأشأ معن أبياته يهز بها قلب صديقه،
ومطلع القصيدة :

(١)
لَعَمْرُكَ مَا أَنَا رِيٌّ وَإِنِّي لَا أُوجَلُ .: عَلَى أَيِّنَا تَعْدُو وَالْمَنِيَّسَةُ أَوْلُ

وقبل الشاهد :

وَكُنْتُ إِذَا مَا صَاحِبَ رَامٍ ظَنَنْتِي .: وَيَدَّلُ سُوءًا بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ
قَلْبْتُ لَهُ ظَهَرَ الْمَجْنُ فَلَمْ أَدُمُ (٢) .: عَلَى ذَاكَ إِلَّا رَيْثَنَا أَتَحَسَّوْلُ

وبعدهما البيت، وهو آخر أبيات القصيدة .

يقول المرزوقي في شرح البيت :

" يقول : وَإِذَا رَأَيْتَ صَاحِبِي يَتَجَنَّبِي عَلَيَّ وَيَتَجَرَّمُ ، وَيَتَطَلَّبُ عَلَيَّ مَا يَنْتَجِ ظَنَّتُهُ ،
ويؤكده شهمة ، وطفق يقبح آثاره ويبدل حسناتي ، اتَّخَذَتْهُ عَدُوًّا ، وَقَلْبْتُ لَهُ
ظَهَرَ التُّرْسِ مَتَقِيًّا مِنْهُ ، وَمُدَقَّعًا لَهُ ، وَلَمْ أَدُمُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ الْمَتَقَدِّمَةِ مَعَهُ
إِلَّا قَدَرًا مَا أَتَحَوَّلُ ، وَيُطْعَمُ مَا أَتَثَقَلُ ، فَقَوْلُهُ " رَامَ ظَنَنْتِي " أَي رَامَ ارْتِفَاعَ الشُّهُمَةِ
عَلَيَّ ، وَقَوْلُهُ : " بِالَّذِي كُنْتُ أَفْعَلُ " أَي أَفْعَلُهُ فَحَذَفَ الضَّمِيرَ اسْتِطَالَةً لِمَلَّةِ
الَّذِي .

وقوله : " إِذَا أَنصَرَفْتُ نَفْسِي " يريد أنني أئدُّ نَفْسَ التَّصَبُّرِ مَا أَمَكُنْ ، فإِذَا
أَعْجَزْتَنِي الْحَالُ الْعَارِضَةُ عَنِ الْإِحْتِمَالِ أَنْصَرَفْتُ مَا لَكَأَعْنَانِي ، ثُمَّ لَا يَثْنِينِي عَلَيَّ
مَا عَرَضَتْ عَنْهُ شَيْءٌ أَبَدَ الدَّهْرِ ، وَقَوْلُهُ " بِوَجْهِ " الْبَاءُ تَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ " تَقْبَلُ " أَي
لَمْ تَكُنْ تَقْبَلُ إِلَيْهِ بِوَجْهِ مِنَ الْوَجْهِ ، وَعَلَى لَوْنٍ مِنَ الْأَلْوَانِ " (٣) .

(١) رواية زهر الآداب : " على أيينا تأتي " .

(٢) المجن : الترس ، وقوله : قلبت له ظهر المجن مثل يضرب لمن كان
صاحبه على مودة ورعاية ثم حال عن العهد / اللسان " جنن " : ٩٤ / ١٣ .

(٣) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ٣ / ١١٣١ .

•• مع قول العباس بن الأحنف : (البسيط)
 (١) نَقَلَ الْجِبَالَ الرَّوَاسِيَّ مِنْ أَمَاكِنِهَا . (٢) (٣) أَخَفَّ مِنْ رَدِّ قَلْبٍ حِينَ يَنْصَرِفُ (٦) (٧)

وبعده :

هُمُوا يَهَجَّرِي وَكَانَتْ فِي نَفْسِهِمْ . : بَقِيَّةٌ مِنْ هَوَى بَاقٍ فَمَا وَقَّسُوا

وهما بيتان لاثالثهما .

فالمعنى الجاسع بين البيتين عدم إقبال النفس على الشيء بعد انصرافها عنه ،
 أي ثبات النفس على ما استقر فيها .

فعمد معن بن أوس إلى أسلوب الشرط ، وبنى عليه المعنى ، فجاء به " إذا " ليؤكد
 دوام واستمرار انصرافه عن ذلك الشيء ، وقوله " لم تك " تأكيد آخر لذلك الانصراف ،
 وتقديم الجار والمجرور " إليه " على الفعل " تقبل " حمل معنى الاستياء والتحقير
 لذلك الشيء .

أما العباس بن الأحنف ، فكان أروع تصويراً ، فقد استعان بالخيال ، واستسقى
 منه صورة الجبال الرواسي ، وجعلها رمزاً لذلك القلب المنصرف ، وحملها كل معاني
 العزة والإباء التي تختلج في نفسه ، فهو لم يكتفِ بذكر لفظ " الجبال " ، وإنما اتبعه
 بوصف " الرواسي " ، ليبدل على متانة تلك الجبال وهذه المتانة ، وهذه الصلابة
 هي نفسه التي تنطوي على العزم القوي الجازم .

وأنظر إلى قوله " من أماكنها " ، وكيف أن هذا القيد قد زاد في وصف الجبال
 بالرسوخ ، فصور بهذا القيد استحالة تحركها وزعزعتها .

(١) رواية الشعر والشعراء : " رد " .

(٢) رواية الشعر والشعراء : " عن " .

(٣) رواية الديوان والشعر والشعراء : " مواضعها " .

(٤) رواية الديوان : " من نقل " .

(٥) رواية الديوان والشعر والشعراء : " نفس " .

(٦) رواية الديوان والشعر والشعراء : " تنصرف " بالتاء .

(٧) انظر البيت في :-

ومأبرع الشاعر حين نكر لفظ " قلب " فدل على أنه قلب قوي ، فكل معاني القوة التي رسمتها صورة الجبال نراها قد تثلثت في تنكير لفظ " قلب " .
 وقوله " حين " دل على العزم والسرعة في الانصراف والتعبير عن الانصراف بالجملة الفعلية دليل على تجدد وحدث الانصراف منه مرة بعد مرة .

الشاهد التاسع بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول أمية بن أبي الصلت : (١)

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِأَمْرِي؛ إِنْ أَصَبْتَهُ . . . يَخَيْرُ وَمَا كَلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٨ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٤ .
 (١) ذكر البكري في السمط أنهما للخريجي ، وبقية المراجع تثبت أنها لأمية بن أبي الصلت .

وأضاف صاحب الوساطة أنها تنسب ، لأمية ولغيره .

(٢) رواية الديوان والاشتقاق والموازنة والصناعتين والأغاني ، وديوان المعاني ، وشرح المضمون به على غير أهله ، وشعراء النصرانية : " إن حيوته " ، وهي أجود ؛ لأن الحياء العطاء بلا منٍّ وَلَا جَزَاءٍ / اللسان " حيا " : ١٤ / ١٦٢ ، ورواية طبقات فحول الشعراء : " لامريء بذل وجهه " واعتقد أنها خطأ لأن هذه الجملة كررت في البيت الثاني ، ورواية تاريخ ابن عساكر : " إن حموته " .

(٣) رواية الديوان ، وديوان المعاني ، والأغاني : " ببذل " .

ورواية الصناعتين ، وشرح المضمون به على غير أهله : " يسَّيب " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٨٠ ، طبقات فحول الشعراء : ١ / ٢٦٥ ، الاشتقاق : ١٤٤ ، الوساطة : ٣١٤ ،

الأغاني : ٨ / ٣٢٨ ، الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد : ٩٣ ، الصناعتين : ٥٢ ،

ديوان المعاني : ١ / ٤٦ ، سمط اللآلي : ١ / ٢٤٢ ، التبيان للمكسبري :

٤ / ٧٥ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ ، شرح المضمون به على غير أهله : ١٢٤ ،

تهذيب تاريخ ابن عساكر : ٣ / ١٢٧ ، شعراء النصرانية : ١ / ٢٢١ .

وبعد ه بيت آخر فقط :

(١)
وَلَيْسَ يَشِينُ لَأَمْرِي بَذْلُ وَجْهِهِ . : إِيَّاكَ كَمَا بَعَضُ السُّؤَالِ يَشِينُ

وهما بيتان قالهما في عبد الله بن جدعان (٢)

ومعنى الشاهد :

" يقول عطاؤك زينة وشرف لمن يصل إليه عطاؤك وليس كل العطاء يزين بسبل بعض العطاء يشين ، كما إذا أنعم اللئيم الخسيس غير ذي القدر والأصل ، وغسب ذي العلم والفضل ، ثم قال : وليس بعيب ونقصان لإنسان سؤال العطاء منك ، كما يشين بعض السؤال ، وهو السؤال من اللئام ؛ لأنك من الكرام ، فكنتي عن السؤال ببذل الوجه ؛ لأن من سأل من غيره ، فكأنه امتهن وجهه .
قوله : « وَمَا كُلُّ الْعَطَاءِ يَزِينُ » جملة حالية .

قيل هو من المديح الجيد في عبد الله بن جدعان * (٣)

ونظير هذا المعنى قول المتنبي :

وَقَبِضْ نَوَالِهِ شَرَفٌ وَعِزٌّ . : وَقَبِضْ نَوَالِ بَعْضِ الْقَوْمِ نَامٌ (٤)

ولقد ذكر القاضي الجرجاني أن المتنبي قد سفسف فيه . (٥)

وبيت أمية بن أبي الصلت جعله ابن الأثير من الضرب الخامس من السلسلخ ،

وهو أن يؤخذ بعض المعنى . (٦)

(١) رواية الوساطة :

" ليس بعارٍ لأمري " .

(٢) هو عبد الله بن جدعان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مرة بن كعب

ابن لؤي بن غالب ، وكان ابن جدعان سيداً جواداً . انظر ترجمته :

الأغانى : ٣٢٧ / ٨ - ٣٣٣ .

(٣) شرح المضمون به على غير أهله : ١٧٤ .

(٤) ديوانه بشرح العكبري : ٤ / ٧٥ .

(٥) الوساطة : ٣١٤ .

(٦) المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .

(البسيط)

.. مع قول أبي تمام :

(١) تَدْعَى عَطَايَاهُ وَفِرًّا وَهِيَ إِنْ شُهِرَتْ . : كَانَتْ فَخَارًا لِمَنْ يَغْفُوهُ مُؤْتَنَفًا
 (٢) مَازَلْتُ مُنْتَظِرًا أَعْجُوبَةً عَنَّا (٤) . : حَتَّى رَأَيْتُ سُؤَالَ يَجْتَنِي شَرَفًا (٥)
 وهو من قصيدة يدح بها أبا دلف العجلي (٦) ، ومطلعها :

- (١) الوقر : المال الكثير / الصحاح " وفر " : ٢ / ٨٤٧ .
 (٢) يغفوه : العافي السائل والطالب . / اللسان " عفا " : ١٥ / ٧٤ .
 (٣) مؤتفا : استأنف الشيء ، وائتفه أخذ أوله وابتدأه ، وقيل استقبله . / اللسان
 " أنف " : ٩ / ١٤ .
 (٤) رواية الموازنة والمثل السائر : " زمنا " .
 (٥) انظر البيت في :
 ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣٦٥ - ٣٦٦ ، ديوانه - دارصعب
 ١٧٨ ، الموازنة : ٩٣ - ٢٩٧ ، المثل السائر : ٣ / ٢٤٦ .
 (٦) هو القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن بني عجل بن لجيم أمير
 الكرخ ، وسيد قومه ، وأحد الأمراء الأجواد الشجعان الشعراء ، قلده
 الرشيد العباسي أعمال " الجبل " ، ثم كان من قادة جيوش المأمون ،
 وأخبار أدبه وشجاعته كثيرة ، وللشعراء فيه أماديح ، وله مؤلفات منها
 " سياسة الطوك " و " البزاة والصيد " وهو من العلماء بصناعة
 الغناء يقول الشعر ويلحنه ، توفي ببغداد " " ٢٢٦ هـ / انظر
 ترجمته :
 طبقات ابن المعتز : ١٧٠ - ١٧٩ - ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٤٤ ،
 ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، أخبار أبي تمام : ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٢ ،
 معجم الشعراء للمرزباني : ٣٣٤ ، تاريخ بغداد : ١٢ / ٤١٦ - ٤٢٣ ،
 سبط اللآلي : ٣٣١ ، نهاية الأرب : ٤ / ٢٤٩ ، الأعلام : ٥ / ١٧٩ .

أَنَا الرَّسُومُ فَقَدْ أَنْكَرَنَ مَا سَلَفًا . . . فَلَا تُكْفَنُ عَنْ شَأْنِكَ أَوْ يَكْفَا

وقبل الشاهد :

(١)
قَصْدُ الْخَلَائِقِ إِلَّا فِي نَدَى وَوَعَى . . . كِلَاهِمَا سُنَّةٌ مَالَمَ يَكُنْ سَرَفاً

وبعد الشاهد :

يَقُولُ قَوْلَ الَّذِي لَيْسَ الْوَفَاءُ لَهُ . . . عَزْمًا وَيُنْجِزُ إِنْجَازَ الَّذِي حَلَفَا

ومعنى الشاهد : " يقول : عطاياه وفرأى مال ، فإذا شهرت كانت فخرًا

للمعطي ، وهذا على سبيل الدعوى من المادح ؛ لأن المعتفي لا فخر له في أخذ

الترفد ، ويجوز أن يعنى سعة العطية ، وأنها تمكن أخذها أن يعطي ويتكرم ، فيؤدي

ذلك إلى الفخر " (٢)

ذكر الآمدي : أن البحري أخذ البيت الأول فقال :

وَإِذَا اجْتَدَاهُ الْمُجْتَدُونَ فَإِنَّهُ . . . يَهَبُ الْعُلَى فِي سَيِّهِ الْمَوْهُوبِ (٣)

وذكر ذلك أن أبا تمام أخذ البيت الثاني من قول أمية بن أبي الصلت :

عَطَاؤُكَ زَيْنٌ لِمَرِيءٍ إِنْ حَبِوتَهُ (٤)

ورأى ابن الأثير أن أخذ أبي تمام هذا من الضرب الخامس من السلخ^(٥) ، ورأى أن

أمية فاق أبا تمام ؛ لأنه أتى بمعنيين اثنين ، وهو أن عطاء المدوح زين ، والآخر

أن عطاء غيره شين ، أما أبو تمام فإنه أتى بالمعنى الأول لا غير . (٦)

فالمعنى المشترك هو مدح المدوح بوقرة العطاء الذي يشرف أخذ به لكونه من

كريم نبيل .

(١) القصد : بين الإسراف والتقتير ، والقصد العدل / الصحاح " قصد " :

٥٢٥ / ٢

(٢) ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ٣ / ٣٦٥ .

(٣) الموازنة - محمد مخي الدين عبد الحميد - : ٢٩٧ .

(٤) المرجع السابق : ٩٣ .

(٥) وهو أن يؤخذ بعض المعنى / المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٣ / ٢٤٦ .

(٦) المثل السائر - مكتبة نهضة مصر - : ٦ - ٢٤٧ - ٢٤٦ .

إلا أن صيغة البيتين قد تباينت ، فأمية بن أبي الصلت مدح عطاء مدوحه بأنسه
زين ، وأن عطاء غيره شين وبدأ البيت بالجملة الاسمية " عطاؤك زين " ، ليدل على
ثبوت ذلك العطاء وزينه .

ويبدو لي أن مجيء الشرط بـ " إن " تقصير في المدح ، حيث جعل عطاء مدوحه
غير موثوق فيه ، وغير مجزوم به ، وأن إصابته المرء بالخير أمر نادر ، ولو أنه استعمل
" إذا " لكان أوكد في العطاء وكثرته .

وتدبيل البيت بقوله " وماكل العطاء يزين " زيادة توكيد لعطاء مدوحه .
أما أبو تمام فقد أحسن وأجاد حيث قرر أن عطايا مدوحه يسميها الناس " وقرأ "
أي غنى ، وهذا دليل على كثرة عطائه ، فبناء الفعل " تدعى " للمجهول دلّ على كثرة
من يدعوها وقرأ ، وهذا دليل على كثرة المعتمدين .

ويبدو لي أن أبا تمام قد قصر أيضاً في بيان مدى اشتهاار هذه العطايا حين
استعمل " إن " الشرطية التي من شأنها عدم الجزم بوقوع الشرط ، فكان أمر اشتهاارها
غير واقع ، فلو أنه استعمل " إذا " لكان أفخم وأدل على الاشتهاار والفخار ، ولظهر
أن أمر اشتهاارها أمر مجزوم بوقوعه .

وبيت أبي تمام الثاني ، فيه تشويق حرك النفوس ، وجعلها تستشرف وتتطلع
لمعرفة تلك الأعجوبة التي ظل الشاعر ينتظرها .

وانظر إلى مجيء " حتى " هنا وكيف أيقظت الأسماع وشدت الانتباه لمعرفة
تلك الأعجوبة .

ثم أنظر كيف استطاع أبو تمام أن يكشف للنفس تلك الأعجوبة بصياغة أعجيب ،
فقد جعل العبارة حية متحركة مشاهدة .

فالسؤال كائن حي يرى بالعين " حتى رأيت سؤالاً " والسؤال عامل نشط دائب
في اجتناء الشرف ، وقوله " يجتبي " بعثت روح الحركة والعمل الدائب في البيت ،
فدللت على أن المدوح دائم العطاء .

(الطويل)

الشاهد العاشر بعد الثلاثاء : (*)

(١)

• قول جرير :

بَعَثَنَ الْهَوَىٰ ثُمَّ آزَتَيْنِ قُلُوبَنَا . : بِأَسْهَمِ (٣) أَعْدَاءٍ وَهَنَّ صَدْرِي (٤)

والبيت من قصيدة له في مدح الحجاج ، (٥) مطلعها :

بِتَّ أَرَائِي صَاحِبِي تَجَلَّدًا . : وَقَدْ طَلَقْتَنِي مِنْ هَوَاكِ عَطُوقِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥١ ، شاكر : ٤٩٥ .

(١) نُسب البيت في زهر الآداب لمزاحم العقيلي ، ونُسب في الحماسة

البصرية لذي الرمة ، وهو غير موجود في ديوانه .

(٢) رواية ديوان جرير ، وديوان المعاني :

" دعين الهوى "

ورواية زهر الآداب : " قضين "

ورواية شرح شافية ابن الحاجب والحماسة البصرية : " دعون " .

(٣) رواية شرح شافية ابن الحاجب ، وشرح جمل الزجاجي :

" بأعين "

ورواية بأسهم أجمل وأدق ؛ لأنواع تعبر عن قوة تلك الأعين وشدتها .

(٤) انظر البيت في :-

ديوانه : ٣٩٨ ، الخصائص : ٢ / ٤١٢ ، الوساطة : ٢٠٦ ، ديوان

المعاني : ٢ / ١٨١ ، زهر الآداب : ١ / ٩٤ ، شرح جمل الزجاجي :

١ / ٤٢١ ، شرح شافية ابن الحاجب : ٤ / ١٣٨ ، الحماسة البصرية :

٢ / ١٧٧ .

(٥) هو أبو محمد الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقي ، أمه الفارعة بنت همام

ابن عروة بن مسعود الثقي ، تقلد جيش عبد الملك بن مروان ، واشتط

في الأمر ، وحارب ابن الزبير ، وقتله ، وولي أمر الكوفة ، والعراق ، واستطاع

أن يخضع أهلها ، كان فصيحاً حسن البيان (ت : ٩٥ هـ) بمدينة

واسط ودفن بها . / انظر ترجمته :

وفيات الأعيان : ٢ / ٢٩ - ٥٤ .

وقبل الشاهد :

أَعَالِجُ بَرَحًا مِنْ هَوَاكِ وَشَقِيئِي . : . فَوَاذٌ إِذَا مَا تَذَكَّرِينَ خَفُوقُ
أَوَانِسُ أَمَا مِنْ أَرْدَنَ عَنَاءَهُ . : . فَعَانٍ وَمَنْ أَطْلَقَنَ فَهَوَ طَلِيْقُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

عَجِبْتُ مِنَ الْغَيْرَانِ لَمَّا تَدَارَكْتُ . : . حِيَالٌ يُخَالِجُنَ الْبُرِينِ وَنُوقُ (١) (٢)

•• مع قول أبي نواس : (الطويل)

إِذَا أَمْتَحَنَ الدُّنْيَا لَيْبِيَّ تَكَشَّفَتْ . : . لَهُ عَن عَدُوِّ فِي ثِيَابِ صَدِيْقٍ (٤)

وهو أحد أبيات خمسة مطلعها :

أَيَارِبَ وَجَوْ فِي التُّرَابِ عَتِيْقٍ . : . وَيَارِبَ حُسْنٍ فِي التُّرَابِ رَقِيْقٍ

(١) يخالجن : خَلَجَهُ يَخْلِجُهُ خَلْجًا وَاخْتَلَجَهُ إِذَا جَذَبَهُ وَانْتَزَعَهُ / الصحاح

" خلج " : ١ / ٣١١ .

(٢) البُرِينُ : جمع بَرَّةٍ وهي الحَلَقَةُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ، وَقِيلَ هِيَ الْحَلَقَةُ مِنْ

صُفْرٍ أَوْ غَيْرِهِ تَجْعَلُ فِي لَحْمِ أَنْفِ الْبَعِيرِ، وَقِيلَ تَجْعَلُ فِي أَحَدِ جَانِبِي

الْمَنْخَرَيْنِ / اللسان " بري " : ١٤ / ١٧ .

(٣) رواية عيون الأخبار : " إِذَا اخْتَبَرَ " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٦٢١ ، عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، ذيل الآمالي : ٩٣ ،

الوساطة : ٢٠٦ ، الصناعتين : ٥٠٩ ، ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ ،

الإعجاز والإيجاز : ١٦٢ ، التشيل والمحاضرة : ٧٩ ، الإبانة عن سرقات

المتنبي : ١٠٨ ، شرح مقامات الشريشي : ١ / ٢٧٢ ، زهر الآداب :

١ / ٩٤ ، المحاسن والمساوي : ٣٦٤ ، بهجة المجالس : ٣ / ٢٩٥ ،

المثل السائر : ٢ / ١٤٩ ، شرح المضمون به على غير أهله : ٤٣ ، نهاية

الأرب : ٣ / ٨٣ .

وقبل الشاهد :

(١)
أَرَى كُلَّ حَيٍّ هَالِكًا وَأَبْنُ هَالِكٍ . . . وَذَا نَسَبٍ فِي الْمَهَالِكِينَ عَرِيقٍ
فَقُلْ لِقَرِيبِ الدَّارِ إِنَّكَ ظَاعِنٌ . . . إِلَى مَنْزِلٍ (٢) نَائِي الْمَحَلِّ سَحِيقٍ

وبعدهما البيت وهو آخر القصيدة :

(٤) • نذكر أن بيت أبي نواس هو أصدق ما وصفت به الدنيا ، (٣) وأن المأسون -
وقيل أبو العتاهية (٥) - قال :

لوسئلت الدنيا أن تصف نفسها لما وصفتها بفوق هذا الوصف .

وذكر القاضي الجرجاني وأبو هلال العسكري أن البيت مأخوذ من قول جرير

في وصف النساء :

دَعَيْنَ الْهَوَى ثُمَّ أَرْتَيْنِ قُلُوبَنَا . . . البيت السابق .

وذكر ابن عبد البر (٦) أنه مأخوذ من قول أبي العتاهية :

وَلَمْ أَرَ كَالدُّنْيَا وَكَشْفِي لَأَهْلِيهَا . . . فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ صَفَائِهِ وَعَنْ صِدْقِ (٧)

استشهد به أبو هلال العسكري في الصناعتين في الفصل الثاني من الباب

العاشر في ذكر المقاطع والقول في الفصل والوصل . (٨)

(١) رواية زهر الآداب : ١ / ٩٣

وَمَا النَّاسُ إِلَّا هَالِكٌ وَأَبْنُ هَالِكٍ وَذُو نَسَبٍ . . .

(٢) يريد بالمنزل هنا القبر .

(٣) ديوان المعاني : ٢ / ١٨١ .

(٤) عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٢ ، المحاسن والمساوي : ٣٦٤ .

(٥) نيل الأمالي : ٩٣ .

(٦) بهجة المجالس : ٣ / ٢٩٥ .

(٧) ديوانه : ١٧١ .

ورواية الديوان : * فَمَا أَنْكَشَفُوا لِي عَنْ وَفَائِهِ وَلَا صِدْقِهِ * .

(٨) قال : " والضرب الثالث أن تكون الفاصلة لا ثقة بما تقدمها من أفاظ الجزء

من الرسالة أو البيت من الشعر ، وتكون مستقرة في قرارها ، وممكنة في موضعها ، حتى لا يسد مسد ها غيرها ، وإن لم تكن قصيرة قليلة الحروف " / الصناعتين : ٥٠٨ .

ونذكر أن كلمة " صديق " وقعت موقِعاً جيداً ؛ لأن معنى البيت يقتضيها ، وهو محتاج إليها .

قال : " والصديق - ها هنا جيد الموقِع ؛ لأن معنى البيت يقتضيه ، وهو محتاج إليه " . (١) .

واستشهد به ابن الأثير في تشبيه المفرد بالمركب . (٢) .
ومعنى الشاهد :

" إذا اختبر الدنيا عاقل ظهرت الدنيا لأجل ذلك العاقل عن عدوه هو لابس ثياب الصديق أي إذا تأمل الدنيا عاقل علم أن الدنيا ظاهرها صداقة وموافقة ، وباطنها عداوة ظاهرة ، ومخالفة بينة ، ما خالط مع أحد إلا وقد تركه ، وامتنح مع عدوه كذا كان حال الدنيا الدنية إنها شرك الردي ، ولا يُنتفع منها أبداً " (٣) .

فالصورة المشتركة في البيتين صورة العدو في ثياب الصديق ، فجزير جعل هذه الصورة معنى غزلياً ، أما أبو نواس ، فجعلها في آمتحان الدنيا واختبارها .
فجزير يتحدث في بيت الشاهد عن جماعة من الأوانس اللاتي ذكرهن في البيت قبله ، فهولم يصرح بأن صاحبه ترميه رمي الأعداء ، وإنما جعلها من جماعة حالهن ذلك تظافاً وتحبباً .

ولعله جعل الحديث في بيت الشاهد بصورة الجمع مع أنه أفرد صاحبه بالحديث في المطلع وقبل الشاهد ؛ ليثبت أن حاله معها حال عامة متكررة مع كل فرد يعاني ما يعانيه .

فهو يريد أن يؤكد استقرار هوى المحبوبة في نفسه ، وكيف أن نظراتها القويصة الحادة كانت الباعث القوي لهذا الاستقرار انظر إلى قوله : " بعثن الهسوى "

(١) المصدر السابق : ٥٠٩ .

(٢) المثل السائر : ١٤٩ .

(٣) شرح المضمون به على غير أهله : ٤٣ .

ومافيه من تصوير رائع لاستحكام هواها في قلبه حيث جعل الهوى كائناً حياً يُعْمَت
ويتحرك . فحبها مبعوث في نفسه يتحرك في حنايا صدره .

ثم آنظر إلى قوله " ثم " وما دلت عليه من مكوث ذلك الهوى زمناً في نفسه
حتى استحكم وتكن .

وقوله : " ارتمين " دل على شدة ذلك الرمي ، فهذا الفعل بهذا التركيب
يحمل معنى التمكن والسيطرة والاعتدال ، فهو أدل على هذه المعاني من الفعل
" رمين " لما فيه من زيادة المبنى .

وقوله " قلوبنا " يحمل معنى الاستسلام والضعف ، وقوة ذلك الهوى .

وفي تشبيه العين بالسهم ، وإضافة السهم للعدو ما يظهر غرابة تلك النظرات
وقوتها .

وقوله : " وهن صديق " يشيع في النفس كوامن الإحساس بالغرابة ، ويوقظ فيها
عنصر المفاجأة ، فذلك الرمي بالسهم ، والتمكن في الرمي ، والاعتدال عليه صادر
من صديق .

وآنظر إلى تنكير " صديق " ، وكيف دل على أنه صديق حميم ذو مكانة ، وأنه أعز
وأحب صديق .

أما أبو نواس فمعنى بيته : أن الدنيا ظاهرها الاطمئنان والأمان كما يطمئن
الشخص إلى صديقه ، وباطنها عداة محفى .

فالدنيا لا بد من امتحانها امتحاناً دائماً ، وأن لا يغفل الإنسان عن هذا
الاختبار ، فاكتشاف أمرها ، والوقوف على حالها ، وعدم الاغترار بها لا يستطيعه إلا من
أوتي الحكمة والحنكة والصبر الدائم .

ووصف المستحق بكونه " لبيب " دليل على ندرة الواقفين على حقيقتها ، وأن أكثر
الناس منخدعون بظهرها إلا اللبيب ذو الحنكة .

وقوله " تكشفت " حيث جاء بالجملة فعلية فعلها مضارع مسند إلى الدنيا مسبق
بأداة الشرط " إذا " ، فيه فصحح لأمر الدنيا وزينتها ، وزخرفها أمرزائل

فجرد أن يطلع عليها اللبيب الفطن تتعري من لقاء نفسها وتنقشع وتزول أمام عينه بسهولة ويسر.

فهذا التركيب تركيب متكن فيه دلالة القوية على المراد منه .

وفي قوله : " له " قيد دل على كثرة المنخدعين بها ، وأنها مأكرة خادعة لا يمكن أن يقف على زيفها ، ولا يمكن أن تتكشف إلا لذلك اللبيب .

وأنظر إليه كيف جسد صورة المكر والخديعة ، وأكدها في الأذهان حيث شبه الدنيا بإنسان سيء المخبر حسن المظهر جميل الثياب ، يخدع الناظر بمظهره ، ويذهب عن كبه أن هذا الإنسان هو ألد أعدائه ، وهكذا الدنيا تبهر الناظر بزينتها وزخرفها ، وتصرفه عن النظر إلى حقيقتها ، وفي هذا قمة الخديعة .

الشاهد الحادي عشر بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول كثير :

إِذَا تَأَرَّاتِ خُلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَا : (١) (٢) (٣) (٤) وَقَلْنَا الْحَاجِبِيَّةَ أَوْلُ (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥١-٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٥ .
(١) رواية عيون الأخبار ، والمحاسن والأضداد ، أخبار أبي تمام ، والموازنة والخزانة للبغدادي ، ومحاضرات الأدباء : " إذا وصلتنا " ، ورواية تزيين الأسواق : " ما أتينا " .

(٢) الخُلَّة : بالضم : الصديقة والصاحبة / اللسان " خلل " : ٢١٧/١١ .

(٣) رواية عيون الأخبار وتزيين الأسواق : " كي تزيلنا " .

ورواية الموازنة وخزانة البغدادي : " كي تزيلها " .

ورواية أخبار أبي تمام : " لتزيلها " .

ورواية التشيل والمحاضرة : " أن تريدنا " .

ورواية بهجة المجالس : " تستيلنا " .

ورواية بديع أسامة : " أن تزورها " .

(٤) رواية محاضرات الأدباء : " عرضنا " .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٥٥ ، الشعروالشعراء : ٥١٥/٢ ، عيون الأخبار : ٢٨/١٠/٤ .

وهو من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (١) ، مطلعها :
صَحَا قَلْبُهُ يَاعِزُّ أَوْ كَانَ يَدُ هَسَلٍ . . وَأَضْحَى يَرِيدُ الصَّرْمَ أَوْ يَتَبَدَّلُ
وقبل الشاهد :

إِذَا قُلْتُ أَسْلُو غَارَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ . . غِرَاءً وَمَدَّتْهَا مَدَامِعُ حَقْلٍ
وبعدها الشاهد وبعده :

سَنُؤَلِّبُكَ عُرْفًا إِنْ أَرَدْتَ وَصَالَنَا . . وَنَحْنُ لِبَطْنِكَ الْحَاجِبِيَّةِ أَوْصَلُ
ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء مناسبة الشاهد ، فقال :

« بعثت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله إلى كثير ، فقالت له : يا ابن أبي جمعة
ما الذي يدعوك إلى ما تقول من الشعر في عزة ، وليست على ما تصف من الحسن
والجمال لو شئت صرفت ذاك إلى غيرها ممن هو أولى به منها أنا ، أو مثلي ،
فأنا أشرف ، وأوصل من عزة ، وإنما جربته بذلك ، فقال :

إِذَا تَأَرَدَتْ خَلَّةٌ أَنْ تُزِيلَنَّا . . أَبِينَا وَقَلْنَا الْحَاجِبِيَّةَ أَوْلَى » (٢)

• • مع قول أبي تمام (٣) (الكامل)

نَقَلَ قُوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى . . مَا الْحَبِّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوْلَى (٤)

المحاسن والاضداد : ١٢٤ ، أخبار أبي تمام : ٢٦٤ ، الموازنة - محمد محيي الدين

عبد الحميد - : ٦١ ، الصناعتين : ٢٢٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٧٢ ، محاضرات

الأدباء : ٢ / ٣ / ٥٠ ، بهجة المجالس : ٢ / ٨٢٥ ، بديع أسامة بن منقذ : ١٩٨ ،

تزيين الأسواق : ٤ ، خزنة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ٣٨٢ .

(١) سبقت ترجمته : انظر : ٥١٩ .

(٢) الشعر والشعراء : ٢ / ٥١٥ .

(٣) ذكر في موضع من محاضرات الأدباء أنه لأبي الشيمس / انظر :

محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٢٣ .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٢٥٣ ، ديوان أبي تمام - دار

صعب - : ٤٠٧ ، البيان والتبيين : ٣ / ٣١٣ ، الخصائص : ٢ / ١٧١ ، أخبار

وهو أحد أبيات أربعة أولها :

الْبَيْنُ جَرَّ عَنِّي نَقِيعَ الْحَنْظَلِ . : وَالْبَيْنُ أَشْكَلُنِي وَإِنْ لَمْ أَشْكَلِ

وقبل الشاهد :

تَا حَسْرَتِي أَنْ كِدْتُ أَقْضِي إِنْ مَأَا . : حَسْرَاتُ نَفْسِي أَنْتِي لَمْ أَفْعَلِ

وبعد الشاهد وبعده :

كَمْ مَنَزِلٍ فِي الْأَرْضِ يَأْلَفُهُ الْفَتَى . : وَحَيْنُهُ أَبَدًا لِأَوَّلِ مَنَزِلِ

ذكر الصولي والآمدي أن هناك من قال بأن أبا تمام أخذ معنى بيته من قول

ابن الطثرية :

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الْهَوَى . : فَصَادَفَ قَلْبًا فَارِغًا فَتَسَكَّنَا (٢)

ورأى الآمدي أن قول ابن الطثرية أجود ما قيل في هذا المعنى ، لأنه ذكر

العلة . (٣)

ورأى الصولي والآمدي أن قول أبي تمام أشبه بقول كثير ، ومنه أخذ . (٤)

ورأى أبو هلال العسكري أن قول أبي تمام أبين وأدخل في الأمثال من قول

كثير . (٥)

=== أبي تمام : ٢٦٣ ، الموازنة - محمد يحيى الدين - : ٦٠ ، الصناعتين : ٢٢٤ ،

٤٧٢ ، التمثيل والمحاضرة : ٩٤ ، ٢٠٩ ، محاضرات الأدباء : ٢٣/٣/٢ ،

٥١ ، المحاسن والساويء : ٣٠٤ ، تحرير التحبير : ١ / ٢١٩ ، نهاية

الأرب : ٣ / ٩٤ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٢٢٩ ، تزيين الأسواق : ٣ .

(١) رواية الديوان : * خالياً * .

(٢) ديوانه : ١٠٩ .

(٣) الموازنة : ٦١ .

(٤) أخبار أبي تمام : ٢٦٣ ، الموازنة : ٦١ .

(٥) الصناعتين : ٢٢٤ .

وذكره الثعالبي على أنه من الأمثال السائرة للمحدثين . (١)
 وذكر أسامة بن منقذ أن أبا تمام أخذ بيته من قول كثير، إلا أنهما متساويان في
 الحسن ، فذكرهما في باب المساواة ، وهو مساواة الآخذ منه للآخذ عنه ، والأول أحق
 به ، لأنه ابتدع ، والثاني اتبع ، فالأول سابق ، والثاني لاحق . (٢)
 فالمعنى الجامع بين البيتين أن القلب ثابت على الحب الأول . فإذا نظرنا
 إلى البيتين وجدنا أن كل ما دل عليه بيت كثير أنه إذا أرادت محبة من المحبات
 أن تزيل مافي النفس من محبة للحاجبية ، أثبت النفس ذلك لأن حب الحاجبية هو
 أول حب طرق القلب .

وتركيب البيت لا يخلو من بعض اللطائف ، فجيئه بضمير الجمع " تزيلنا - أبينا -
 قلنا " ، وكذلك مجيء " إذا " الشرطية ، يكشف عن قوة إحساس بالمعنى الذي
 يمور في نفس الشاعر ، فهو عازم ، جازم مصمم على الوفاء للحاجبية ، لكنه ضعف حين
 قال : " سنوليك وصلأ . . . البيت " فليس هذا شأن المحب الصادق .

فيبدو أنه طمع في عائشة بنت طلحة وكانت من أجمل نساء زمانها ، وكانت من
 أعفهن ، ولكن لعله كان يأمل في الحديث معها ، فهذا شرف عظيم له ، وأياً ما كان
 فالمحب الصادق المحبة لا يفكر في غير من يحب .

وقول كثير هذا لا يداني معنى أبي تمام اتساعاً وحركة أنظر إلى حركة تنقيـل
 الفؤاد التي أتى بها أبو تمام ، واختياره لفعل الأمر " نَقَلَ " وما فيه من ثقل الحركة ،
 وما يدل عليه من معنى التعجيز ، فتحول الفؤاد ، وتغير النفس من أشق الأُمسور
 وأصعبها .

وقوله : " حيث شئت من الهوى " فهذا الإطلاق وهذه الحرية في التنقل فسي
 أرجاء الهوى دليل وحجة على ضعف النفس وعجزها ؛ فالقلب مهما تنقل في الهوى

(١) التمثيل والمحاضرة : ٩٤ .

(٢) بديع أسامة : ١٩٤ .

فلن يجد مستقره إلا في الحب الأول وتأمل كيف جاء الشاعر بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، وهو من أشد أساليب التوكيد وأقواها ، ليثبت ويؤكد المعنى الذي يشيع في نفسه ، والذي يحس به إحساساً كاملاً ، فالحب الذي فتسق أكام المشاعر ، وأيقظ الأحاسيس النابضة في القلوب هو الذي يسكن الفؤاد ، ويقسم فيه ، ولا يمكن أن يتحول عنه .

وقد حصل بين أبي تمام وبعض الشعراء اختلاف على هذا المعنى فقال ديك

الجن :

كَذَبَ الَّذِينَ تَحَدَّثُوا أَنَّ الْمَهْوَى . . . لَأَشْكُ فِيهِ لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
(١)
مَالِي أَجِنُّ إِلَى خَرَابٍ مُقْتَرٍ . . . دَرَسَتْ مَعَالِمَهُ كَأَنَّ لَمْ يُؤْهَلِ (٢)

فقال حبيب حين بلغه قول ديك الجن :

كَذَبَ الَّذِينَ تَخَرَّصُوا فِي قَوْلِهِمْ . . . مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْمُقْبِلِ
أَطَيْبٌ فِي الطَّعْمِ مَا قَدْ ذُقْتَهُ . . . مِنْ مَأْكَلٍ أَوْ طَعْمٍ مَالَمْ يُؤْكَلِ (٣)

فقال ديك الجن أيضا حين بلغه قول أبي تمام :

أَرَعَبٌ عَنِ الْحَبِّ الْقَدِيمِ الْأَوَّلِ . . . وَعَلَيْكَ بِالْمُسْتَأْنَفِ السُّسْتَقْبَلِ
نَقْلُ فؤَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ فَلَنْ تَرَى . . . كَهَوَى جَدِيدٍ أَوْ كَوْصَلِ مُقْبِلِ (٤)

ثم ذكر الشيخ الأنطاكي صاحب تزيين الأسواق أن أبا البرق سلك بينهما جادة

الإيناف ويقوله يجب الاعتراف ؛ لأنه أحسن في المقال حيث قال :

زَادُوا عَلَى الْمَعْنَى فَكُلُّهُ مُحْسَنٌ . . . وَالْحَقُّ فِيهِ مَقَالَةٌ لَمْ تَجْهَسْ لِ
الْحُبِّ لِلْمَحْبُوبِ سَاعَةً وَصَلِهِ . . . مَا الْحُبُّ فِيهِ لِأَخْرٍ وَلَا أَوَّلِ (٥)

(١) رواية الديوان " مَا إِنْ أَجِنُّ " .

(٢) الديوان : ١٨٤ ، - البيت الثاني فقط - .

(٣) لم أجده في ديوانه .

(٤) لم أجده في ديوانه .

(٥) تزيين الأسواق : ٤ .

ويبدو لي أن الأنطائي لم يصب في حكمه بحسن المقال لأبي البرق بل الفيصل
في هذا أن الحب الأول إذا كان صادقاً فلا تحول عنه، وإنما يحسن الحب بالوصل
لعم يطلب المتعة، ولعم شأنه التنقل دون أن يملك عليه الحب نفسه .
وديك الجن ليس صادقاً في قوله؛ لأنه ظل وفياً لصاحبه حتى بعد أن قتلها
وظل يكيها طوال حياته .

الشاهد الثاني عشر بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول المتنبى :

وَعِنْدَ مِنَ الْيَوْمِ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ . : شَبِيبٌ وَأَوْفَى مَنْ تَرَى أَخَوَانَ (١)
وهو من قصيدة يذكر فيها خروج شبيب العقيلي^(٢) على كافور الإخشيدي، وقتله
بدمشق سنة شان وأربعين وثلاثاء (٣) ، ومطلعها :

عَدُّوكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ . : وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَسْرَانِ
وقبل الشاهد :

أَتَسِيكَ مَا أَوْلَيْتَهُ يَدٌ عَاقِلٍ . : وَتَسِيكَ فِي كُفْرَانِهِ بِعَيْنَانِ
وَيَرْكَبُ مَا أَرْكَبْتَهُ مِنْ كَرَامَةٍ . : وَيَرْكَبُ لِلْعِصْيَانِ ظَهْرَ حِصَانِ
وبعدهما بيت وبعده الشاهد وبعده :

قَضَى اللَّهُ يَا كَافُورُ أُنْثَى أَوْلَى . : وَلَيْسَ بِقَاضِي أَنْ يَرَى لَكَ ثَانِي
يقول الشاعر :

أنه لا وفاء اليوم عند أحد، فإن أوفى الناس غادر مثله مثل شبيب في القدر
قال العكبري :

(*) الدلائل، برضا : ٣٢٩، خفاجي : ٤٥٢، شاكر : ٤٩٥ .

(١) لم أجده إلا في :

ديوان المتنبى بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦، العرف الطيب : ٤ / ٦٠٢ .

(٢) سبقت ترجمته : ١١٠ .

(٣) العرف الطيب : ٤ / ٥٩٨ .

* لم يبق في الناس وافي لمن يصحبه أي من يفي لصاحبه يومنا هذا ، وأوفى

الناس غادره ، كشبيب في الغدر * (١)

(الطويل)

•• مع قول أبي تمام :

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَّهَا . : . سَجِيَّةٌ نَفْسٍ كُلِّ غَانِيَةٍ هِنْدٌ (٤)

وهو من أبيات قالها في مدح محمد بن الهيثم بن شبابة ، (٥) مطلعها :

تَجَرَّعَ أَسَىً قَدْ أَقْفَرَ الْجَرَّعُ الْفَسْرُ (٦) . : . وَدَعَّ حِسِي عَيْنٍ يَحْتَلِبُ تَاءَهَا الْوَجْدُ

وبعد ، أبيات قبل الشاهد :

إِذَا أَنْصَرَفَ الْحَزُونُ قَدْ قَلَّ صَبْرُهُ . : . سُؤَالَ الْمَفَانِي فَالْبِكَاءُ لَهُ رِدٌّ (٧)

بَدَتْ لِلنَّوَى أَشْيَاءٌ قَدْ خَلَّتْ أَنَّهُا . : . سَيِّدُ (٨) أَبِي رَبِيبِ الزَّمَانِ إِذَا تَبَدُّو

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٤٦ .

(٢) رواية الإبانة عن سرقات المتنبى : * ولا * .

(٣) رواية الإبانة عن سرقات المتنبى : * سجية طبع * .

(٤) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٨١ ، ديوان أبي تمام - دار

صعب - : ١٠٧ ، الخصائص : ٣ / ٢٧١ ، الإبانة عن سرقات المتنبى : ٤٥ ،

بهجة المجالس : ٣ / ٥٥ .

(٥) هو محمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني ، ذكر المسعودي أن له كتاباً عنوانه

* كتاب الدولة * ولأبي تمام والبحثري ، مدائح فيه . / انظره

مروج الذهب : ١ / ١٣ ، أخبار أبي تمام : ١٨٨ ، أخبار البحثري للصولي : ١٥٣ ،

١٥٦ ، ١٦٤ .

(٦) الجرع والجرعاء : ما سهل من الأرض ، القاموس المحيط (جرع) : ٣ / ١٢ ،

والأسى : الحزن / اللسان * أسا * : ١٤ / ٣٤-٣٥ .

(٧) رِدٌّ : معين / الديوان بشرح الخطيب : ٢ / ٨٠ ، اللسان رِدٌّ : ٣ / ١٧٤ .

(٨) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : * سسيديوني * .

تَوَى كَانْقِضَاهِ النَّجْمِ كَانَتْ نَتِيجَةً . . . مِّنَ الْهَزْلِ يَوْمًا إِنَّ هَزَلَ التَّوَى حَيْدُ^(١)

وبعد هذا الشاهد وبعده :

وَقَالُوا أُسَىٰ عَنْهَا وَقَدْ خَصَمَ الْأُسَىٰ . . . جَوَانِحُ مَشْتَاقٍ إِذَا خُوِّصَتْ لُكْدُ^(٢)

ذكر ابن جنبي أن الطائي قد أحسن في استخلاص الصفة من العلم،^(٤) قال :

* وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير، فأحسن فيه، واستوفى معناه، فقال :

فَلَا تَحْسَبَا هِنْدًا لَهَا الْغَدْرُ وَحَدَهَا . . . سَجِيَّةٌ نَفْسٍ كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ

فقوله * كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ * متناه في معناه، وأخذ لأقصى مداه ألا ترى أنه كأنه

قال : كُلُّ غَانِيَةٍ غَادِرَةٌ أَوْ قَاطِعَةٌ أَوْ خَائِنَةٌ ، أو نحو ذلك * (٥)

وذكر العميدي^(٦) أن أبا تمام أخذ معنى بيته من ديك الجن . حيث يقول

(طويل) :

أَخَا الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ لَا تَرْكَبِ الْهَوَىٰ . . . فَإِنَّ الْهَوَىٰ يُرِيدُكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَدْرِي

وَلَا تَتَّقِنُ بِالْغَانِيَاتِ وَإِنْ وَقَفْتُ . . . وَفَاءُ الْغَوَانِيسِي بِالْعَهْودِ مِنَ الْغَدْرِ (٧)

وقال المتنبّي :

إِذَا غَدَرْتَ حَسَنًا وَقَفْتُ بِعَهْدِهَا . . . فَمِنْ عَهْدِهَا أَنْ لَا تَدُومَ لَهَا عَهْدُ (٨)

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب : * الهوى * .

(٢) أُسَىٰ عَنْهَا : اصبر صبرا ، والأسى : التعزى والتصبر / اللسان * أسا * : ١٤ / ٣٥-٣٦ .

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب : * خاصمت * .

(٤) وذلك في * باب في الاستخلاص من الأعلام معاني الأوصاف * ، ومنه قولهم فسي

الخبر إنما سُمِّيَتْ هَانِثًا لِتَهْنَأَ ، وعليه جاء نابغة ؛ لأنه نبيغ فُسِّيَ بذلك ، فهذا

لعمرى صفة غلبت ، فبقي عليها بعد التسمية بها بعض ما كانت تفيد من معنى

الفعل من قبل ، وعليه ذهب الكتاب في ترك صرف أحمر إذا سُمِّيَ به ثم نُكِّرَ ،

وقد ذكرنا ذلك في غير موضع إلا أنك على الأحوال قد انتزعت من العلم معنى

الصفة ، وقد مر بهذا الموضع الطائي الكبير فأحسن فيه . . . / الخصائص : ٣ / ٢٧١ .

(٥) المصدر السابق نفس الصفحة .

(٦) الإبانة عن سرقات المتنبّي : ٤٥ .

(٧) ديوانه : ١١٥ ، رقم (٢٢) .

(٨) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢ .

(١)
ولمحمد بن سوار:

يَقُولُونَ هِنْدٌ لَا تَدُومُ وَزَيْنَبٌ . . عَلَى الْعَهْدِ كُلِّ النَّاسِ هِنْدٌ وَزَيْنَبٌ
تَطَلَّبَتْ وَدًّا لَا يَكُونُ لِعِلَّةٍ . . فَأَعُوذَنِي وَجِدَانٌ مَا أَتَطَلَّبُ
وَحَاوَلْتُ مَنْ يُوْفِي بِعَهْدٍ فَلَمْ أَجِدْ . . كَأَنَّ الَّذِي حَاوَلْتُ عَنَقَاءُ مُغْرِبِ (٢)

فالمعنى الجاسع بين الشاهدين هو تَفَشَّى الغدر في النفوس إلا أن لكل من

الشاعرين طريقة خاصة في التعبير .

فالمعنى بنى بيته على الاستفهام " وَعِنْدَ مَنْ الْيَوْمَ الْوَفَاءُ لِصَاحِبٍ " والاستفهام هنا يلامس العصب الحساس في المعنى ، فنفس الشاعر مفعمة بإحساس الخيانة والغدر ، وهذا الاستفهام الإنكاري أبرز هذا المعنى وجسّد هذا الإنكار ، وكذلك ساعد تقديم الطرف " عند " على المبتدأ " الوفاء " في إبراز المعنى ، لأن هذه العنودية هي لب المعنى وأساسه .

و تنكير لفظ " صاحب " يظهر ما عليه الناس من التقليل لشأن الصُّحبة ، والاستهانة بها ، فكان هذه الاستهانة أصبحت سمة في الناس جَبَلُوا عليها ، فأكثر الناس شهرة بالوفاء تنطوي نفسه على الخيانة والغدر ، وجاء بشيب وجعله نموذجاً بشرياً للغدر . أما بيت أبي تمام ، فهو من حر الكلام وفاخره ، فقد جمع المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فهو لم يقتنع بالقول بأن أوفى الناس موسوم بالخيانة والغدر .

فيبدو أن أبا تمام قد أحس بوخز الغدر ، واستشعر ألمه ، وتجرع كؤوسه حتى تشربت نفسه بذلك الألم فامتدت سمانيه إلى صورة تلك المحبوبة التي هي رمز العطاء والسخاء ، فحطمت صورتها ، ونصبها نموذجاً بشرياً يرمز إلى كل معاني الخيانة والغدر .

(١) هو محمد بن سوار بن إسرائيل الشيباني ، نجم الدين أبو المعالي (٦٠٣ هـ -

٦٧٧ هـ) الشاعر المشهور مدح الرؤساء والقضاة وغيرهم / انظر:

فوات الوفيات : ٣ / ٣٨٣-٣٨٩ .

(٢) المصدر السابق : ٣ / ٣٨٢ .

وكان أبو تمام بارعاً في تحطيم تلك الصورة ، وإزالتها من النفوس إزالة تامّة .
ولحلّال الصورة التي يريد حلولا لا انتقال معه . فهو لم يحطمها دفعة واحدة ،
فالنفوس متعلقة بكون هند رمز العطاء ، ومحو هذه الصورة محواً مباشراً أمر تنفر
منه النفس ، إلا أن أبا تمام استطاع أن يسك بزمام الإحساس وقيادته إلى حيث
يريد ، فتدرج في طمس تلك المعالم ، فبدأ البيت بالنهي " فلا تحسبا " فأوهم النفس
بدفاعه عن تلك المحبوبة ، ثم لجأ إلى خطاب صديقين له ترويحاً لنفسه المثقلة بالأم
الفدر ، فوجدت الراحة في خطاب صاحب .

وأنظر إلى تقديم الجار والمجرور " لها " وكيف زاد في إبعاد التهمة عنها ، ثم
تفاجأ النفس بلفظ " وحدها " هذه اللفظة التي كشفت عن إحياءات كثيرة تدور في
نفس الشاعر ، وقجرت المغانى المحبوسة في نفسه ، فأعلن الحقيقة الجاثمة في صدره ،
فقطع الكلام واستأنف بقوله (كُلُّ غَانِيَةٍ هِنْدُ) .
وجاء بلفظ العموم (كُلُّ) ليؤكد عموم هذا النموذج وشموله لكل أفراد الغوانسي .
ففرق بين نموذج أبي تمام وبين النموذج الذي نصبه المتنبّي ، وكذلك فرق بين
إثبات كل من النموذجين .

(الطويل)

الشاهد الثالث عشر بعد الثلاثاء : (*)

• قول البحثري :

(١) (٢) (٣) (٤) (٥)
فَلَمْ أَرِ فِي رَنْقِ الصَّرَى لِي مَوْرِدًا . . . فَحَاوَلْتُ وِرْدَ النَّيْلِ عِنْدَ أَحْتِفَالِهِ (٦)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٧٩ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٥ - ٤٩٦ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : ٣ / ١٦٢٤ .

(٢) الرنق : الكدر / معجم مقاييس اللغة " رنق " : ٢ / ٤٤٥ .

(٣) الصرى : الماء يطول مكثه ويتغير ، والصرى : اسم نهر يتشعب من الفرات ، ويجري
إلى بغداد ، ويقال الصرا بلا هاء أيضا سمي بذلك لأنه صبري من الفرات أي قطع /

معجم ما استعجم : ٢ / ٨٢٩ .

(٤) نهر من أنهار الرقة ، حفره الرشيد ، وسمي باسم نيل مصر / معجم البلدان : ٥ / ٣٣٤

وهو من قصيدة يدح بها علي يحيى (١) ومطلعها :

عَذِيرِي مِنْ وَاشٍ بِهَا لَمْ أُوَالِمِ . . . عَلَيَّهَا وَلَمْ أَخْطِرْ قِلَاهَا بِبَالِيسِ

وقبل الشاهد :

وَيَأْمُرُنِي بِالصَّبْرِ مَنْ لَيْسَ وَجْدُهُ . . . كَوْجِدِي وَلَا إِعْلَانُ حَالِي كَحَالِهِ

فَإِنْ أَفْقِدِ الْعَيْشَ الَّذِي قَاتَ بِاللَّوِيِّ . . . فَقَدِمًا فَقَدَّتِ الظِّلَّ عِنْدَ انْتِقَالِهِ

تَرَكْتُ مُلَاحَاةَ اللَّئِيمِ وَإِنَّمَا . . . نَصِيْبِي فِي جَاءِ الْكَرِيمِ وَمَالِهِ

وبعدهما الشاهد ومعه :

حَلَفْتُ بِمَا يَتَلَوُ الْمُصَلُّونَ فِي مِنَى . . . وَمَا عَتَقْدُوهُ لِلنَّبِيِّ وَالرَّسُولِ

لَيَعْتَسِفَنَّ الْبَيْدَ وَهُمْ مُشَاعِبٌ . . . عَنُوفٌ بِهَا فِي حَلِّهِ وَارْتِحَالِهِ

إِلَى فَارِغٍ مِنْ كُلِّ شَأْنٍ يَشِينُهُ . . . فَإِنْ يَشْتَفِلْ فَالْمَجْدُ عِظْمُ اشْتِفَالِهِ

(٥) احتفاله : امتلاؤه ، والحفل اجتماع الماء في محفله ، تقول : حفل الماء

الماء يحفل حفلاً وحفولاً ، وحفل الوادي بالسيل وأحفل جاء بسيل

جنبيه. / اللسان " حفل " : ١١ / ١٥٦ .

(٦) ديوانه - الصيرفي - : ٣ / ١٦٢٤ .

ديوانه : ١ / ٢٢٤ - الوساطة : ٢٥٢ ، التبيان للعكبري :

٢٨٧ / ٤ .

(١) هو علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم ، من خاصة ندماء المتوكل ، ومن

بعده من الخلفاء إلى المعتد ، شاعر راوية ، صديق للفتح بن خاقان ،

وهو الذي جمع له مكتبته الشهيرة ، مات سنة (٢٧٥هـ) / انظر :

الفهرست : ٢٠٥ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٧٣-٧٤ .

وجاء في ديوانه - صيرفي - : أنه ورد في بعض مخطوطات الديوان أنها

قيلت في أبي جعفر بن تهبك .

(الطويل)

• • مع قول المتنبي :

(١)
قَوَاصِدَ كَافُورٍ تَوَارِكَ غَيْرِهِ . . . وَمَنْ قَصَدَ الْبَحْرَ اسْتَقَلَّ السَّوَاقِيَا (٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور سنة ست وأربعين وثلاثمائة مطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى الْمَوْتَ شَافِيَا . . . وَحَسْبُ الْعَنَاءِ أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

وقبل الشاهد :

(٣)
وَجَرَدًا مَدَدْنَا بَيْنَ آذَانِهَا الْقَنَا . . . فَبِئْسَ خِفَافًا يَتَّبِعَنَّ الْعَوَالِيَا (٤)

وبعد أبيات وبعدها :

يَعَزُّمُ يَسِيرَ الْجِسْمِ فِي السَّرْحِ رَاكِبًا . . . بِهِ وَيَسِيرُ الْقَلْبُ فِي الْجِسْمِ مَاشِيَا

وبعد الشاهد ، وبعده :

فَجَاءَتْ بِنَا إِنْسَانَ عَيْنِ زَمَانِيَا . . . وَخَلَّتْ بَيَاضًا خَلْفَهَا وَمَاقِيَا

ومعنى الشاهد : أن هذه الخيل لا يشتد عزمها على السير إلا إذا كان السير

إلى ذلك المدوح ، وتحرن عن السير إلى غيره ، وشبه المدوح بأنه كالبحر فسي

سخائه وغيره من الملوك بالنسبة لعطائه كماء الساقية إذا قيس بماء البحر .

قال المعكبري شارحاً معنى البيت :

" إن الجرد ، وهي التي تحتنا قاصدة هذا البحر ، وتركت السواقي ، وطالب

البحر بغير سلاف يرى غيره قليلاً ؛ لأن السواقي تستمد من البحر " (٥)

(١) قواصد : حال من الجرد ، أي هن يقصدنه توارك غيره . / ديوان المتنبي بشرح المعكبري : ٢٨٧ / ٤ .

(٢) انظر البيت في :-

ديوانه بشرح المعكبري : ٤ / ٢٨٧ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٣٤ ، الوساطة : ٢٥٢ ،

يتيمة الدهر : ١ / ١٩١ ، التمثيل والمحاضرة : ٢٦٠ ، زهر الآداب : ٢ / ٥٨٤ .

(٣) جرداً : يقال فرس أجرد إذا رقت شعرته ، وهو حسن الجردة والمتجسرد /

معجم مقاييس اللغة " جرد " : ١ / ٤٥٢ .

(٤) العوالي : أي عوالي الرماح وهي أسنتها ، واحدتها عالية / اللسان " علا " :

٠٨٧ / ١٥

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح المعكبري : ٤ / ٢٨٧ .

وذكر أن سيف الدولة لما سمع هذا البيت غضب غضباً شديداً ، وقال : له
الويل جعلني ساقية ، وجعل الأسود بحراً . (١)

والمعنى المشترك في البيتين : عدم الاحتفال بالأدنى عند قصد الأكل ، ولكن
رسم هذه الصورة ، وإبراز خطوطها اختلف في لوحة كل من الشعراء .

فالبحتري هنا أقل مدحاً ، فقوله : " حاولت ورد النيل " فيه نوع من التخوف
والتردد وعدم الاطمئنان ، بل عدم الوثوق في عطاء المدوح .

وقوله : " عند احتفاله " تقييد للاحتفال بالظرف ، وهذا التقييد يومي ، وإلى أن
المدوح ليس بدائم الغنى ، وهذا انتقاص من قدره .

أما بيت المتنبى فنحت الكلام فيه غير نحته في بيت البحتري ، فهو أجود سبكاً ،
وأغزر معنى .

انظر إليه وقد جعل الخيل هي التي تقصد المدوح ، وتترك غيره ، لمحبتها له ،
وثقتها بكرمه .

وفي وصله الشطر الأول من البيت بالشطر الثاني " بالواو " إبراز للصورة
التي يريد رسمها وتجسيد للمعنى الذي يدور في داخله .

والشطر الثاني يجري مجرى المثل ، فمعناه غزير وعميق حيث شبه المدوح بالبحر
في وفرة عطائه ، وجعل من دونه في العطاء سواقي قليلة الدفع ناضبة .

وفي بناء الشطر الثاني على الشرط وجوابه نوع من الإيجاز الحي المليء بمعنى
العطاء .

الشاهد الرابع عشر بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

• وقول المتنبى :

(*) الدلائل ، رضا : ٢٧٩-٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٢ ، شاكر : ٤٩٦

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢٨٧/٤

كَأَنَّمَا يُؤَلِّدُ النَّدَى مَعَهُمْ . : لَا صِفْرَ عَازِرٍ وَلَا هَـ _____ سَرَمٍ (١)

وهو من قصيدة في مدح علي بن إبراهيم التنوخي ، ومطلعها : (٢)

أَحَقُّ عَافٍ يَدْمَعُكَ السِّهْمُ . : أَحَدْتُ شَيْءٌ عَهْدًا بِهَا الْقِسْمُ

وقبل الشاهد :

قَوْمٌ بُلُوعُ الْفُلَامِ عِنْدَهُمْ . : طَعَنَ نَحْوِرَ الْكُسَاةِ لَا الْحُلْمُ

وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفَوْا . : وَإِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَسُّوْا

(الطويل)

•• مع قول البحري :

عَرِيقُونَ فِي الْإِفْضَالِ يُؤْتِنُ النَّدَى . : لَنَا شَيْئُهُمْ مِنْ حَيْثُ يُؤْتِنُ الْعُمُرُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عامر الخضر بن أحمد ، ومطلعها : (٥)

(١) ديوان أبي الطيب بشرح المعكبري : ٤ / ٦٥ .

(٢) سبقت ترجمته : ٥٣٧ .

(٣) يُؤْتِنُ : الْجَمَلُ الْأَيْفُ الذَّلُولُ الَّذِي يَأْنَفُ مِنَ الزَّجْرِ مِنَ الضَّرْبِ فَهُوَ ذَلُولٌ

منقاد ، أَرْضُ أَنْفٍ وَأَنْيْفَةٌ : مَنِبْتَةٌ اسْتَأْنَفْتُ الشَّيْءَ إِذَا ابْتَدَأْتَهُ / اللِّسَانُ

" أنف " : ٩ / ١٣ - ١٤ .

(٤) لم أجده إلا في :

ديوان البحري : ١ / ٢٧٦ ، ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٨٧٢ ، التبيان للمعكبري :

٤ / ٦٥ .

(٥) هو أبو عامر الخضر بن أحمد بن عمر بن الخطاب العدوي التغلبي عامل المعتمد

على الموصل سنة (٢٦١ هـ) وهو من أسرة كان لها شأنها في أيام الدولسة

العباسية ، فابن أخيه هو الحسن بن أيوب بن أحمد بن عمر بن الخطاب

الذي جمع عسكر الموصل لقتال مساور بن عبد الحميد الشاري وذلك سنة

(٢٥٤ هـ) ومنها إسحاق بن أيوب أخو الحسن ، وقد كان أميراً لديار ربيعة

والتقى مع إسحاق بن كنداج سنة (٢٦٦ هـ) وهزم / انظر :

الكامل لابن الأثير : ٥ / ٣٣٩ ، ٦ / ٧ / ٢٤٠ .

لَمَّا وَصَلَتْ أَسْمَاءُ مِنْ حَبْلِنَا شَكَرَ . : وَإِنَّ هَمَّ بِالْبَيْتِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَدْرُ
وقيل الشاهد :

فَمَا يَتَعَاطَى مَا يَنَالُونَهُ يَدًا . : وَلَا يَتَقَصَّى مَا يَنَالُونَهُ شُكْرًا
وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا تَجَرَّوْا فِي سُدُودٍ وَتَرَائِدًا وَ . : فَأَنْفَقَ مَا أَبْضَعَتْ عِنْدَهُمُ الشَّمْرُ^(١)
المعنى المشترك في البيتين : قدم عهد المدوح بالكرم ، فالمتنبي جاء بالمعنى
مباشراً ، ورمى به في أول البيت ، فصَّح بأن الكرم يولد مع قبيلة المدوح ، فلا فرق
بين صغيرهم وكبيرهم .

أما البحتري ، فكان أدق تركيياً ، وأغزر معنى حيث جعل عهد قبيلة المدوح
بالندى أقدم ، فعهدهم به من قبل الولادة ، فهو ينشأ ، ويترعع معهم بنشوء
الحياة فيهم ، أي وهم أجنة .

فكان البحتري دقيقاً في قوله : " يُوْتِنَفُ العِمْرُ " لأن عمر الإنسان يبدأ في وقت
دبيب الروح في جسده ، وذلك لأن معنى العِمْر ، والعَمْر : الحياة^(٢) .

وكلمة " يُوْتِنَفُ " كلمة نامية ذات دلالات موحية ، فهي تحمل معنى النشوء والترعرع
والنمو ، والإنبات ، فأرض أنف وأنيفة : أي منبئة ، وأنظر إليه كيف أثبت عراقتهم
في الكرم حيث ابتدأ البيت بالمسند " عريقون " ، وحذف المسند إليه ، وكأن
هذه الصفة معروفة فيهم ، وهم مشهورون بها .

الشاهد الخامس عشر بعد الثلاثة : (*) (الطويل)

● وقول البحتري :

فَلَا تَغْلِيْبِيْنَ بِالسَّيْفِ كُلِّ غَلَائِمٍ . : لِيَبْضِيْ فَإِنَّ الْكَفَّ لَاسَيْفٍ تَقْطَعُ (٣)

(١) ما أبضعت : اتخذت بضاعة / معجم مقاييس اللغة : " بضع " : ١ / ٢٥٦ .

(٢) اللسان " عمر " : ٤ / ٦٠١ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(٣) ديوان البحتري : ١ / ٣٤٦ ، الوسايط : ٢٨٨ .

وهو من قصيدة يمدح بها أبا عيسى بن صاعد^(١) مطلعها :

أَحَاجِيكَ هَلْ لِلْحَبِّ كَالدَّارِ تَجْمَعُ . : . وَلِلَّهَائِمِ الظَّمَانِ كَالظَّلْمِ يَنْقَعُ^(٢)
^(٣) يَنْقَعُ^(٤)

وقيل الشاهد :

يَقِلُّ غَنَاءَ القَوْسِ نَبْعُ نَجَارِهَا^(٥) . : . وَسَاعِدُ مَنْ يَرِي عَنِ القَوْسِ خُرُوعُ^(٦)
^(٧)

وبعد الشاهد وبعده :

إِذَا شِئْتَ حَازَ الحِطُّ دُونَكَ وَاهِنٌ . : . وَنَارَكَ الأَقْسَامَ عَبْدٌ مَجْدَعٌ

(الطويل)

• مع قول المتنبي :

إِذَا الْهَيْدُ سَوَتْ بَيْنَ سَيْفِي كَرِيهَةٍ^(٨) . : . فَسَيْفِكَ فِي كَفِّ تَزِيلِ التَّسَاوِيَا^(٩)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الأخشيدي ، وذلك حين فارق المتنبي سيف

الدولة ، ورحل إلى دمشق فكاتبه كافور بالمسير إليه ، فلما ورد مصر أخطى له كافور

داراً وخلق عليه وحمل إليه ألفاً من الدراهم فقال قصيدته هذه مادحاً إياه وذلك

سنة ست وأربعين وثلثمائة ، ومطلعها :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى المَوْتَ شَافِيَا . : . وَحَسَبَ المَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا

(١) سبقت ترجمته : ص ٢٦٦ .

(٢) أحاجيك : أغلبك في الحجبا ، والحجبا : العقل والفتنة / اللسان " حجا " : ١٤ / ١٦٥ .

(٣) الظلم : ماء الأسنان وبريقها / مختار الصحاح : " ظلم " : ٤٠٥ .

(٤) ينقع : يسكن العطش / مختار الصحاح " نقع " : ٦٧٧ .

(٥) النبع : شجرة تتخذ منه القسي وتتخذ من أغصانه السهام ، الواحدة " نبعه " .

مختار الصحاح : ٦٤٣ .

(٦) النجار : الأصل / القاموس المحيط " نجر " : ٢ / ١٤٣ .

(٧) الخروع : الرخو اللين / مختار الصحاح : ١٧٣ .

(٨) الكريهة : الشدة في الحرب . / مختار الصحاح : ٥٦٨ .

(٩) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٤ / ٢٩٣ ، العرف الطيب : ٤ / ٦٣٨ ،

الوساطة : ٢٨٨ ، تفسير أبيات المعاني : ١٨٠ .

وقبل الشاهد :

وَأَنْتَ الَّذِي تَغْشَى الْأَيْسَنَةَ أَوْلَا . . . وَتَأْنِفُ أَنْ تَغْشَى الْأَيْسَنَةَ ثَانِيًا

وبعد الشاهد وعده :

وَمِنْ قَوْلِ سَامٍ لَوَرَّاكَ لِنَسْلِهِ . . . فَدَى ابْنَ أَخِي نَسْلِي وَنَفْسِي وَمَالِيَا

ومعنى الشاهد :

* إذا طبعت الهمند سيفين فجعلتهما سواء في الحدة والمضاء ، فالسيف الذي يصاحبه يكون أضعف ، لأنك تزيل مساواتهما بشدة الضرب ، وكذا قال الواحدي . (١)

وقد نقل المتنبي معنى هذا البيت إلى الخيل ، فقال :

فَمَا تَنْفَعُ الْخَيْلَ الْيَكْرَامَ وَلَا الْقَنَا . . . إِذَا لَمْ يَكُنْ فَوْقَ الْيَكْرَامِ كِرَامُ (٢)

فالمعنى المشترك في البيتين هو أن القوة في الضارب لا في المضروب به . وفي كلا البيتين لطائف وأسرار ، فالبحري جاء بأسلوب النهي ، وفيه ما فيه من معنى الاستهانة والتقليل من شأن ذلك السيف " فلا تغلين " ، وقوله " كل غلاؤه . . . " وقوله " ليمضي " تصوير لعجز ذلك السيف أمام قوة المدوح ، ثم أكد كون المدوح أشد وأسرع من السيف ، فجاء بأداة التوكيد " إِنَّ " وقرنها بـ " الغاء " ، ليبلغ في توكيد سرعة تلك الكف ، ولو أنه جاء بـ " الواو " العاطفة بدلاً من " الغاء " لما كان لتوكيده مثل هذه القوة .

أما المتنبي . فكان أفخم عبارة ، وأدق تصويراً ، فلجأ إلى الشرط وجوابه ، لتتم المقارنة في أوضح صورها ، وأجمل معانيها ، ولتظهر نتيجة تلك المقارنة جازمة قاطعة جاء بـ " إذا " ليجزم بمضاء كف المدوح .

(١) التبيان للعكبري : ٤ / ٢٩٣ .

(٢) ديوانه : ٣ / ٣٩٤ .

فالهند إذا سوت بين سيفين في الحدة والقوة والمضاء ، فإن السيف السذي يكون في كف المدوح أعلى جودة من بقية السيوف ، وماذاك إلا لأنه في كف المدوح . وأسلوب الشرط هذا بعث نوعاً من الحركة تلائم حركة السيوف الدائرة فيه . وأنظر إلى تخميمه شأن تلك السيوف ، وما ينطوي عليه هذا التخميم من معني ، فذكر " الهند " وهي أكثر البلدان شهرة في صناعة السيوف ليجعلها رمزاً للجودة والفخامة ، وفي ذكره لفظ " كريهة " وهو مأخوذ من الكراهة كناية عن الحرب ، وفي هذه الكناية تصوير دقيق حي للحرب وما يدور فيها ، وما يعقبها من دمار وخراب كانت تلك السيوف سبباً فيه .

وفي الإعلاء من جودة تلك السيوف وتخميمها ، تخميم للمدوح ؛ لأن تلك السيوف مهما عظمت ، فإن قوة المدوح هي التي تعطيها القوة الحقيقية . وتكثير لفظ " كف " تعظيم وتخميم وتصوير للكف بأنها كف عجيبة في قوتها وجبروتها .

الشاهد السادس عشر بعد الثلاثمائة :- (الكامل)

● قول البحترى :

سَامُوكٌ مِنْ حَسَدٍ فَأَوْضَلَ مِنْهُمْ (١) . . . غَيْرَ الْجَوَارِ وَجَانَ غَيْرَ الْفُضْلِ

فَبَدَلَتْ فِينَا مَا بَدَلَتْ سَمَاحَةً . . . وَتَكَرَّرْنَا وَبَدَلَتْ مَا لَمْ تَبْدُلِ (٢)

وهو من قصيدة - عدد أبياتها ستة أبيات - يدح بها إبراهيم بن سهل ، ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(١) ساموك : تساموا أي تباروا . / مختار الصحاح " سما " : ٣١٦ .

(٢) ديوانه : ١ / ٣١٩ .

(٣) هو إبراهيم بن الحسن بن سهل ، وكنيته أبو الفضل له مع البحترى مواقف عديدة

منها أن البحترى هجاه مرة فتركه أبو الفضل أياماً ، وأظهر قلة المبالاة والإهمال

لهجائه ، ولم يظهر الموجدة بذلك . حضره يوماً فقال : يا أبا عبادة تبيعسني

غلامك نسيماً - وهو رومي ليس بحسن الوجه - فقال : كيف أبيعك من لو فارقته =====

لَوْ أَنَّ كَفَّكَ لَمْ تَجِدْ لِمَوْمِلٍ .: لَكَفَاهُ عَاجِلٌ وَجِهِيكَ الْمُتَهَلِّلُ
وبعدہ أبيات قبل الشاهد :

رَغَبْتَ قَوْمًا فِي السَّمَاحِ وَأَيْنَ هُمْ .: إِنْ سَاجَلُوكَ مِنَ السَّمَاءِ الْأَعْلَى
وبعدہ الشاهد وبعدہ :

وَتَصَرَّفَتْ بِكَ فِي الْمَنَازِلِ هَيْئَةً .: نَزَلَتْ مِنَ الْعَلْيَاءِ أَعْلَى مَنَزِلٍ
ومعنى الشاهد :

" أراد أنهم من الحسد أخذوا يسامونه " فعل مشاركة من السمو " في العطاء ،
فبذلوا ، ولا جود عندهم ، فكان بذله بذلين بذل الساحة الصادر منه مباشرة ،
وبذل هؤلاء البخلاء الذي صدر عنهم بسببه " (١)

.. مع قول أبي تمام : (الطربل)

أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدى بَعْدَمَا عَفَتْ .: مَهَايِعُهُ الْمُثَلَّى وَمَحَّتْ لَوَاجِبُهُ (٢)
فِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ .: مَوَاهِبٌ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهِيَ مَوَاهِبُهُ (٤) (٣)

=== ساعة فارقتي روحي ! .. ثم باعه إياه بألفي دينار ، وما ريوحتسى
ندم البحترى وسأل أبا الفضل رد الغلام إليه فأبى ، ثم رده إليه بعسد
ذلك وقال له : " إياك أن تهجو الأحرار ، فإن لهم مكائد يضل فيها هجوك
ومدحك " / انظر :

أخبار البحترى للصولي : ١٢٧ - ١٣٠ .

(١) هامش الدلائل - تحقيق رشيد رضا - : ٣٨٠ .

(٢) مهايعة : المهاييع جمع " مهييع " وهو الطريق الواسع المنبسط . /

القاموس المحيط " هييع " : ٣ / ١٠٤ .

(٣) اللواحب : جمع لاحب وهو الطريق الواضح . / القاموس المحيط :

" لاحب " : ١ / ١٣٢ .

(٤) ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٤٥ .

والشاهد من قصيدة طويلة مدح بها عبد الله بن طاهر،^(١) ومطلعها :
 أَهْنُ غَوَايِي يُوسُفٍ وَصَوَابِيهِ . . . فَعَزَمًا فَقَدِمَا أَدْرَكَ السُّؤْلَ طَالِبُهُ
 وقبل الشاهد :

وَدَّ وَيَقْظَاتٍ مُسْتَمَرٍّ مَرِيرَهَا . . . إِذَا الْخَطْبُ لَأَقَاهُ اضْطَحَلَّتْ نَوَائِبُهُ
 وَأَبْنِ بِوَجْهِ الْخَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا . . . مَرَائِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَاوَبُهُ
 وبعد الشاهد :

لِتُحْدِثَ لَهُ الْأَيَّامُ شُكْرَ صَنَاعِهِ . . . تَطِيبُ صَبَا نَجْدٍ بِهِ وَجَنَائِبِيهِ

فالمعنى المتحد في الشاهدين هو وصف المدوح بالكرم العام ، وأن كل صور
 الكرم الموجودة تنسب إليه .

أما نسج الشاهدين وتركيبهما ، فيختلف بيت البحترى عن بيت المتنبى ، فمحور
 الصورة في بيت البحترى هو صورة الحاسد ، فالحسد هو الدافع إلى منافسته على
 الجود ، فصورة الحسد وما ينتج عنها من خراب قلبها البحترى ، وجعلها صورة مثمرة
 لشرف المدوح ، فالإيه يضاف شرف ما بذل ، وإليه أيضا يضاف شرف ما بذله الحاسد ون ؛
 لأنه السبب في هذا البذل ، فهو الذي حرك في نفوسهم دافع العطاء .

(١) هو عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريق الخزاعي بالسولا ،
 أبو العباس (١٨٢ هـ - ٢٣٠ هـ) ، أمير خراسان في عصر المأمون ، ومن
 أشهر الولاة في العصر العباسي ، فكانت له طبرستان ، وكرمان ، وخراسان ،
 والري ، والسواد ، وما يتصل بتلك الأطراف ، واستمر إلى أن توفي بنيسابور
 وقيل بمرو ، كان سيداً نبيلاً من أكثر الناس بذلاً للمال شهناً ، وكان
 المأمون كثير الاعتماد عليه . / انظر ترجمته : المحبر : ٣٧٦ ، الطبري :
 ٥٨٠-٥٨١ ، ٥٩٢-٥٩٥ ، ٥٩٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٩ ، ٦١٣ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ،
 ٧/٩ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٨٩ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٥ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٢٢ ،
 ١٣١ ، ٣٣٨ ، وفيات الأعيان : ٣ / ٨٣ ، الأعلام : ٤ / ٩٤ .

وانظر الى قيمة " الغاء " في بداية البيت الثاني ، وكيف ربطت بين البيتين .
وأحكمت الصلة بينهما وأظهرت حب المدوح وسرعته في العطاء .
وقوله " فينا " اعتراف من المادح بغضل ذلك المدوح .
وما أدق قوله " ما بذلت " ، فالاسم الموصول هنا فتح أفقاً رحباً من معنى العطاء
والبذل ، ذلك البذل لتكامله وعظمه كأنه لا يوجد إلا في الوهم والخيال .
أما أبو تمام فقد استمد ألوان صورته من الطبيعة الرحبة ، فجعل الندى كالارض
الفسيحة المنبسطة المترامية الأطراف ، والمدوح هو الذي عرف الناس طرق الكرم
وسهد ها لهم بعد أن عفت ودرست ، وأصبحت أرضاً قاحلة خربة غير واضحة المعالم ،
فكل ما طراً بعد ذلك على كل مرتفع ومنخفض من ينع واخضرار ، وإن لم يكن المدوح
هو القائم به ، فإنه ينسب إليه ، وهو من صنع كرمه ونداه ، لأنه هو البادي والمظهر
لمعالم ذلك الطريق .

الشاهد السابع عشر بعد الثلاثاء : (*) (البسيط)

• قول المتنبي :

بَيْضَاءُ تَطْمِيعُ فَيْمًا تَحْتَ حُلَّتَيْهَا . . . وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها المغيث بن علي بن بشر العجلي ، (٢) ومطلعها :

تَمَّعَ جَرَى نَقْضَى فِي الرَّبِيعِ مَا وَجَبَا . . . لِأَهْلِهِ وَشَفَى أَنْتَى (٣) وَلَا كَرَبًا (٤) (٥)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٠ ، خفاجي : ٤٥٣ ، شاكر : ٤٩٦ .

(١) انظر البيت في :

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١١١ / ١ ، العرف الطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) ستأتي ترجمته : ١٠٧ .

(٣) أنتى : كيف / التبيان للعكبري : ١٠٩ / ١ .

(٤) وَلَا كَرَبًا : كرب أن يفعل كذا ، أي كاد وقارب / التبيان للعكبري : ١٠٩ / ١ .

(٥) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

وقبل الشاهد :

هَامَ الْغَوَاذُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَنتُ . : بَيْتًا مِنَ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدُّ لَهُ طُنْبًا (١)

مَظْلُومَةُ الْقَدِّ فِي تَشْبِيهِهِ غُصْنَا . : مَظْلُومَةُ الرَّبِيِّ فِي تَشْبِيهِهِ ضَرَبًا (٢)

وبعدهما الشاهد وبعده :

كَأَنَّهَا الشَّمْسُ يُعْبَى كَفَّ قَائِضِهِ . : شُعَاعَهَا وَيَرَاهُ الطَّرْفُ مُقْتَرِيًا (٣)

ذكر القاضي الجرجاني (٤) أنه مأخوذ من قول عبد الله بن الحسن العلوي ،

وهو متداول :

يُحْسَبَنَّ مِنَ لَيْنِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا (٥) . : وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخَنَا الإِسْلَامُ (٦)

ومعنى الشاهد : " من لين حديثها وأنسها يطمع فيما تحت ثوبها ، فإذا طلب

عز ذلك مظلوماً وعدَّ " (٧)

ويبدولي أن كلمة " زوانيا " هنا ركيكة ، وقد عاب عبد القاهر مثل هذه الكلمة

في كتابه أسرار البلاغة عند قول ابن المعتز :

إِنْ زَنْتَ عَيْنَهُ بِغَيْرِكَ قَاضِرٍ ب . : هَا بِطُولِ الشَّهَادِ وَالذَّمِّ حَسَدًا

قال :

(١) طُنْبُ الْخِيَامِ حِبَالُهَا الَّتِي تَشَدُّ بِهَا / معجم مقاييس اللغة " طنب " :

٠٤٢٦ / ٣

(٢) ضَرَبًا : الضرب " بفتح الراء " العسل الأبيض الغليظ . / معجم مقاييس

اللغة " ضرب " : ٣ / ٣٩٩ ، القاموس المحيط " ضرب " : ١ / ٩٩ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ١١١ .

(٤) الوساطة : ٣١٨ .

(٥) رواية التبيان : " لين الحديث " .

(٦) رواية التبيان :

" وَيَهَيِّنُ عَنْ رَفَثِ الرِّجَالِ نِفَارًا "

(٧) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ١١١ .

* ولفظ * زنت * وإن كان ما يطلوها من أحكام الصنعة يحسبها وورودها في
الخبر * العَيْنِ تَوْنِي (١) يؤنس بها ، فليست تدع ما هو حكمها من ادخال
نفرة على النفس * (٢)

•• مع قول البحتري : (الكامل)

تَبَدُّوْ يَعْطِفِيْ مَطْبِعٍ حَتَّى إِذَا ١ . : شَغِلَ الْخَلِيَّ ثَنَّتْ بِصَدْقَةِ مَوْسٍ (٦)
(٣) (٤) (٥)

وهو من قصيدة قالها في دعوة كانت ليونس بن بفا (٧) دعاه فيها ،
مطلعها :

هَلْ فِيكُمْ مِنْ وَاقِفٍ مَتَفَرِّسٍ . : بَعْدِي عَلَى نَظَرِ الطَّبَّاءِ الْأُنَّسِ
وبعد أبيات قبل الشاهد :

أَتَرَنِي قَلْبَ الْخَلِيِّ مِنَ الْجَوَى . : وَمَلَكَنَ مِنْ قَوَدِ الْأَبِيِّ الْأَشْوَسِ
مِنْ كُلِّ مَرْهَقَةِ الْقَوَامِ غَرِيْبَةٍ . : جَعَلَتْ مَحَاسِنُهَا هَوَى لِلْأُنَّسِ
وبعدهما الشاهد وبعده :

شَاهَدْتُ أَيَّامَ السُّرُورِ فَلَمْ أَجِدْ . : يَوْمًا يَسِرُّ كَيْومِ دَعْوَةِ يُونُسَ

-
- (١) مسند الإمام أحمد بن حنبل * مسند أبي هريرة * : ٢ / ٣٢٩ .
(٢) أسرار البلاغة - هـ ، ريت - : ٢٧٧ .
(٣) عطف الشيء يعطفه عطفاً و عطفواً فانعطف وعطفه فتعطف : حناه وأماله ،
شدد للكثرة ، ويقال : عطف رأس الخشبة فانعطف أي حنيته فانحنى
وعطف أي حلت / اللسان * عطف * : ٩ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٤) الخَلِيَّ : الفارغ الذي لاهم له . / اللسان * خلا * : ١٤ / ٢٣٩ .
(٥) صَدَقَ عَنْهُ : أي أعرض / اللسان * عرض * : ٩ / ١٨٧ .
(٦) ديوان البحتري : ١ / ١٧٨ .
(٧) هو من نداء ابن المعتز وخاصته ، وكان أثيراً لديه ، وهو من أحسن
الناس وجهاً ، له أخبار مع ابن المعتز انظرها في :-
الأغاني : ٩ / ٣١٨ - ٣٢٠ .

المعنى الظاهر للبيتين : شدة العنع مع شدة الأطماع .

ويبدو لي أن بيت البحري آنق وألطف من بيت المتنبي ، فالذي أورده المتنبي أن محبوبته ، لأنسها ولين حد يشها يطمع فيما تحت ثوبها ، فإذا طُلب منها ذلك ، عز ذلك المطلوب ، وتعد لعفتها ونقا سريرتها .

وأنظر إلى قوله " بيضاء " حيث حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ، وأصل الكلام " هي بيضاء " ، وإنما حذف المسند ، ليظهر أجمل صفاتها ، ويسين مواطن إعجابه بها .

وما ألطف تلك الملازمة بين وصفها بالبياض - هذه الصفة التي أظنها في بداية البيت - وبين وصفها بصفاء الشرف * وعز ذلك مَطْلُوباً إذا طَلِباً * ، فهي نقية المظهر والمخبر ، وفي تقديم جواب الشرط على فعله ، وصياغة الشرط بـ " إذا " توكيد لعزتها وشرفها ، فهي إذا أُلِحَّ عليها في الطلب فإنها عزيزة متمتعة . ولكن ما أفتح وأشنع قوله : " فيما تحت حلتها " .

ومع هذا كله فبيت البحري أكثر خفة ، وأرشق حركة .

أنظر إلى المقابلة بين جملي " تبدو بعطفة مطمع " وجملة " ثنت بصدفة مؤيس " وما بعثته في البيت من رشاقة ولطف ، أضف إلى ذلك أن محبوبته البحري أكثر حنكة ومراناً في استئالة القلوب ، فالذي جذب إليها ليس الصفات الجسدية الظاهرة من بياض وغيره ، وإنما جذبها دلالها وتمايلها وخفة حركتها ، حتى إذا أسرت القلب الخلي ، وانشغل بها وطمع فيها أعرضت عنه إغراضا بعث اليأس في نفسه .

الشاهد الثامن : عشرين بعد الثلاثاء : (*) (الكامل)

● قول المتنبي :

إِنْ كَارَيْتِكَ تَرَكْ إِذْ كَارِي لَمْ . . . إِنْ لَا تُرِيدُ لِمَا أُرِيدُ مُتَرَجِّمًا (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٣-٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .
(١) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٣٣ ، العرف الطيب :

وهو من قصيدة قالها في صباه يمدح بها إنساناً ، وأراد أن يستكشفه عن مذهبه ،
مطلعها :

كُفِّي أُرَانِي وَيُكِّ لَوْمَكِ الْوَمَسَا . . هَمْ أَقَامَ عَلَى فَوَادٍ أَنْجَمَا

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

يَأْمَنَ لِجُودِ يَدِيهِ فِي أَمْوَالِهِ . . نَقَمٌ تَعَوُّدٌ عَلَى الْيَتَامَى أَنْعَمَا

حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ مَاذَا عَاقِلَا . . وَيَقُولُ بَيْتَ الْمَالِ مَاذَا مُسْلِمَا

معنى الشاهد : " مثلك إذا لم أذكره حاجتي فهو تذكار له ؛ لأنه يعلم ما يريد ، (١)

فلا يحتاج إلى من يترجم له عما في مرادي ، فترك إنكاره إنكاراً " (٢)

وذكر العكبري أنه مأخوذ من قول أبي تمام :

وَإِذَا الْجُودُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ . . تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي (٣)

•• مع قول أبي تمام : (الخفيف)

وَإِذَا الْمَجْدُ كَانَ عَوْنِي عَلَى الْمَرْ . . تَقَاضَيْتُهُ بِتَرْكِ التَّقَاضِي (٤) (٥)

وهو من قصيدة قالها في مدح أحمد بن أبي ديوان (٦) ومطلعها :

بَدَّلَتْ عِبْرَةً مِنَ الْإِيْمَانِي . . يَوْمَ شَدَّ وَ الرِّحَالِ بِالْأَعْرَاضِ (٧)

(١) هكذا وجدتُها في التبيان ، ولعلها " ما أريد " ، وهو ما يتفق مع طبيعة المعنى .

(٢) التبيان للعكبري : ٤ / ٣٣ .

(٣) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة .

(٤) رواية التبيان للعكبري : " إذا الجود " .

(٥) انظر البيت في :

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢ / ٣١٦ ، ديوان أبي تمام

- دارضرب - : ١٦٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٤٩ ، ديوان المعانسي :

١ / ١٦٨ .

(٦) سبقت ترجمته : ٣٧١ .

(٧) الإيماض : مسارقة النظر . / القاموس المحيط " ومضى " : ٢ / ٣٦١ .

والشاهد آخربيت في القصيدة ، وقبله :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تَصَدَّ عَنِ الرَّمِّ .: .: سِي إِذَا مَا جَدَّدْتَ فِي الْإِنْبَاطِ
وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاهد من أحسن ما قيل في حسن

الاقْتِضَاءِ .

ومثله قول الآخر :

أَرْوَحُ بِتَسْلِيمٍ وَأَعْدُو بِمِثْلِهِ .: .: وَحَسْبُكَ بِالتَّسْلِيمِ مِنِّي تَقَاضِيَا

ومثله أيضا قول الآخر :

أَنْتَ أَمْضَى مِنْ أَنْ تَحْرَكَ لِلْمَجْه .: .: سِي وَلَكِنْ شَرَاهَةُ الشُّعْرَاءِ

وفي خلاف هذا المعنى :

أَرْوَحُ وَأَعْدُو نَحْوَكُمْ فِي حَوَائِجِي .: .: فَأَصْبِحُ مِنْهَا غَدَوَةً كَالَّذِي أَمْسَى

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لِلصَّدِيقِ شِفَاعَتَيْسِي .: .: فَقَدِصْرْتُ أَرْضَى أَنْ أُشْفَعَ فِي نَفْسِي (١)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين : أن المدوح بالغ الجود ، فهو يوجد دون أن

يَسْأَلُ .

فالمتنبي جاء بالمعنى مباشرة ، وبناء على فكرة " الإذكار والتذكير " فرأى أن الإذكار

الحقيقي ليس هو الإلحاح في الأمر والمطالبة به إنما الإذكار في ترك التذكير ،

وهذا دليل الفطنة ، ونفاز البصيرة .

أما بيت أبي تمام ، فهو أغزر معنى ، وأبعد مرسي ، حيث بنى البيت على فكرة

المقابلة - وهي الطلب بحجة وطمع شديد - ، ووفق بين الإذكار والتقاضي في هذا

الموقف الذي يحتاج إلى نوع من الجزالة والفخامة في الفكرة واللفظ .

ثم انظر إلى قوله " وإذا المجد كان عوني " حيث صرح بأن عونه على ترك

المقابلة هو مجد المدوح ، والتصريح بكلمة المجد هنا أفخم من الكناية في قول

المتنبي " مثلك " .

وتأمل صورة هذا التصريح ، وكيف جاء به متفعماً في ثوب الاستعارة المكنية حيث شبه المجد بإنسان ، ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو " العون " . وفي بناء البيت على الشرط بـ " إذا " توكيد بأن مجده مجد عريق عظيم .

الشاهد التاسع عشر بعد الثلاثاء : (*) (الكامل)

• قول أبي تمام :

(١)
فَتَعَيْتُ مِنْ شَيْءٍ إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ . : مِنْ يَخْدِرُهَا فَكَأَنَّهَا لَمْ تُحَجَّبِ (٢) (٣)

والشاهد من قصيدة مدح بها عرب بن طوق التغلبي ، (٤) ومطلعها :

أَحْسِنُ بِأَيَّامِ الْعَقِيقِ وَأَطِيبِ . : وَالْعَيْشِ فِي إِظْلَالِهِنَّ الْمُعْجِبِ

وقبل الشاهد :

لِلَّهِ لَيْلَتَنَا وَكَانَتْ لَيْلَةً . : نَذِيرَتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى وَالْعَلَيْبِ (٥)

مَالَتْ وَقَدْ أَطَقَتْ كَفِّي كَفَّهَا . : جِلًّا وَمَاكَلُ الْحَلَالِ بِطَيْبِ

وبعد هما الشاهد وبعده :

وَإِذَا رَنْتَ خِلْتِ الطَّبَاءَ وَلَدْنَهَا . : رَبْعِيَّةٌ وَأَسْتَرْضَعْتَ فِي الرَّبْرِ (٦)

أَنْسِيَّةٌ إِنْ حَصَلَتْ أَنْسَابَهُمَا . : جَنِّيَّةُ الْأَبْوَيْنِ مَالَمُ تَنْسَبِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .

(١) رواية الموازنة : " فعجبت " .

(٢) رواية الديوان والموازنة : " من نورها " .

(٣) الديوان - دار صعب - : ١٨ ، الموازنة - محمد مجي الدين عبد الحميد -

٦٧ ، الوساطة : ٢٩٧ .

(٤) لم أقف على ترجمة له ، ولعله أخو مالك بن طوق مدوح أبي تمام .

(٥) العليبي : بفتح أوله وسكون ثانيه ، ثم ياء مثناة من تحت مفتوحة ، وآخره

باء موحدة : موضع ، وقيل : جبل بتهامة / مرصد الاطلاع : ٩٥٨ / ٢ .

(٦) ربعية : الربيعي مانع أيام الربيع ، ويكنى به عن ولد الرجل في شبابه /

الصالح " ربع " : ١٢١٥ / ٣ .

•• مع قول قيس بن الخطيم (١) :
 قَضَى لَهَا اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا الـ (٢) . خَالِقُ أَنْ لَا يَكْتَنَهَا سَدَفٌ (٤) (٣)
 والشاهد من قصيدة قالها في حرب (٦) كانت بين الخزرج وبين بني جحجبي (٧)

(١) هو قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سود بن ظفر، كنيته أبو زيد، كان شاعر الأوس، وبينه وبين حسان بن ثابت منافسات، وقد قدم مكة، فدعاه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، وتلا عليه القرآن، فقال: إنني لأسمع كلاماً عجباً، وطلب من الرسول صلى الله عليه وسلم إمهاله، لينظر في الأمر هذه السنة، ثم يعود، فمات قبل تمام الحول. / انظر ترجمته : الأغاني : ٢٦ / ٣ ، خزنة البغدادي - دار صادر :

٣ / ١٦٨، ١٦٩، الإصابة : ٣ / ٢٦٦، رقم (٧٣٥٠).

(٢) رواية الديوان : " حين يخلقها " .

(٣) رواية المختار من شعر بشار : " إلا تجننها " ورواية الأشباه والنظائر

" بأنها لا يكتنها "، ومعنى يجننها ويكتنها : يحجبها ويسترها . / اللسان " جنين " : ١٣٩ / ٩٢، " كتن " : ١٣٠ / ٣٦٠ .
 (٤) رواية بديع أسامة لا يكتنها السداف " بال التعريف .

والسداف : الظلمة . / اللسان " سداف " : ١٤٦ / ٩ .

(٥) انظر البيت في :

ديوانه : ١٠٥، الأصعيات : ١٩٦، رقم (٦٨)، الموازنة - محمد محيي الدين

عبد الحميد - : ٦٧، الأغاني : ٢٣ / ٣، المختار من شعر بشار : ١٤٢،

الوساطة : ٢٩٧، الأشباه والنظائر للخالد بين : ١ / ١٥٩، العمدة :

١ / ٧١، بديع أسامة : ١٩٧ .

(٦) وهي حرب سمير للأوس على الخزرج، انظر خبر هذه الحرب في :

الأغاني : ٣٩-٤٢، خزنة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ١٩٠-١٩٣، أيام

العرب في الجاهلية : ٦٢ - ٧١ .

(٧) بنو جحجبي : بقاء ساكنة بين جيمين مفتوحتين جي من الأوس . / خزنة

البغدادي - دار صادر - : ٢ / ١٩٣ .

وبني خطمة^(١)، ولم يشهد لها قيس ولا كانت في عصره، وإنما أجاب بها شاعراً منهم يقال له: درهم بن زيد بن ضبيعة^(٢).

ومطلعها:

رَدَّ الْخَلِيْطُ الْجِمَالَ فَانصَرَفُوا .: مَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ أَنَّهُمْ وَقَفُوا^(٣)

وقبل الشاهد:

بَيْنَ سُكُولِ النِّسَاءِ خَلَقَتْهَا .: قَصْدٌ، فَلَا جَبَلَةَ وَلَا قَضْفَ^(٤)

تَفْتَرِقُ الطَّرْفَ وَهِيَ لَا هَيْسَةَ .: كَأَنَّهَا شَفَّ وَجْهَهَا نُسْرَفَ^(٥)

وبعدهما الشاهد وبعده:

تَتَامَ عَنْ كُبْرٍ شَأْنِيهَا فَإِذَا .: قَامَتْ رُوَيْدًا تَتَكَادُ تَنْفَرِفُ^(٦)

ذكر القاضي الجرجاني^(٧) والآمدي^(٨) أن أبا تمام قد أخذ هذا المعنى من قيس

ابن الخطيم. أو أنه أخذه من قول أبي نواس:

(١) خَطْمَةٌ: بفتح الخاء المعجمة وسكون الطاء وبعدها ميم هو عبد الله بن جشم ابن مالك بن الأوس قيل له لأنه ضرب رجلاً بسيفه على خطمه أي أنفه، فسمي خطمة، وجحجبي وخطمة حيان لقبيلة قيس بن الخطيم. / خزانة البغدادي

- دار صادر - : ٢ / ١٩٣.

(٢) هو شاعر جاهلي من الأوس من بني زيد ثم هو أحد بني عمرو بن عوف، وهو أخو سمير بن زيد الذي من أجله قامت أول حرب بين الأوس والخزرج. / انظر:

الأغانى: ٣ / ٤٠، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ١٩٣.

(٣) الخَلِيْطُ: المخالط والمشارك لهم / القاموس المحيط (خلط): ٢ / ٣٧١.

(٤) الْقَضْفُ: النحافة / القاموس المحيط "قصف": ٣ / ١٩١.

(٥) تَفْتَرِقُ: تشغل النظر / القاموس "غرق": ٣ / ٢٨١.

(٦) تَنْفَرِفُ: تتثنى وقيل تنقص من دقة خصرها، وانصرف العظم: انكسر /

اللسان "غرف": ٩ / ٢٦٤.

(٧) الوساطة: ٢٩٧.

(٨) الموازنة - محمد محيي الدين عبد الحميد - : ٦٧.

تَرَى ضَوْفَهَا مِنْ بَاطِنِ الْكَاسِ ظَاهِرًا .: (٢) عَلَيْكَ وَلَوْ غَطَّيْتَهَا بِغِطَاءٍ (٤) (٣)

وكذلك أخذ المتنبّي قول قيس بن الخطيم ، فقال :

تَلَقَّ الْمَلِيحَةَ وَهِيَ يَسْكُ هَتَكُهَا .: وَمَسِيرَهَا فِي اللَّيْلِ وَهِيَ نُكَاةٌ (٥) (٦)

فالمعنى المباشر في البيتين ظهور الشيء ، على الرغم من استتاره لقوته .

فأبو تمام نظر إلى هذا المعنى ، وكساه صورة جديدة ، فأتخذ من الشمس وضوئها

مادة يرسم بها ذلك المعنى ، ففتاته شمس حقيقية إذا حجبها الغيوم بددت تلك

الحجب بضوئها المستمر .

وفي مجيء فعل الشرط مبنياً للمجهول ، وهو قوله "حُجِبَتْ" إظهار لقوة تلك

الحجب ، فلما كانت الحجب أقوى - وهي مع ذلك تبدو - كان المعنى أروع وأبلغ

وأدل على أنها ذات جمال فائق .

وفي بناء البيت على الشرط بـ "إذا" وعدم الفصل بين الفعل وجوابه بأي فاصل

"إِذَا حُجِبَتْ بَدَتْ" دليل على سرعة ذلك البدوّ ، فليس هناك فاصل زمني بين

وقت الحجب وبين وقت الظهور .

وقوله : " من خدرها " قيدٌ كشف أن المراد بتلك الشمس هي فتاته ، وليست

الشمس الحقيقية ، وأيضا هو تصريح بأنها من ذوات الخدور ، فهي مصونة كريمة على

أهلها ، شريفة في قوعها .

(١) رواية ديوانه والموازنة : " من ظاهر " .

(٢) رواية الديوان : " ساطعاً " .

(٣) رواية الديوان : " وإن غطيتها " .

(٤) ديوانه : ٤٠٢ .

(٥) نُكَاةٌ : اسم للشمس معرفة لا ينصرف مثل هُنَيْدَةٌ / التبيان للعكبري :

١ / ١٣٠ .

(٦) المختار من شعر بشار : ١٤٢ ، ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١٣٠ .

وقوله : " فكانها لم تحجب " تدبيل لطيف زاد المعنى جمالاً وروعة وتأكيذاً .
واستعارة الشمس في قول أبي تمام معروفة ، ولكن وضعها في هذه الصورة
جعلها بدیعة غريبة .

أما قيس بن الخطيم فكانت فكرته أقوى في الإثبات ، وحجته أبلغ ، حيث أكد
للخيال أن ضوء محبوبته ضوء ثابت لا يتبدد ، فهو من قضاء الله ، وبديع تصويره ،
قاله منذ أن خلقها قضى بأن لا يسترها ، ولا يحجبها ظلام ، فهي تضيء كل ظلمة
تحل بها ، وقضاء الله أمر محقق محتوم لا جدال في ذلك .

وفي تكرير لفظ الجلالة " الله " " الخالق " إشعار بعظم ذلك القضاء وثبوته .
والجار والمجرور " لها " معقد معنى البيت ، ولمجيئه في البيت حلاوة ومذاق
خاص . فلو أن الشاعر قال :

" قَضَى اللَّهُ حِينَ صَوَّرَهَا . . . "

لم نجد للبيت تلك الحلاوة التي في قوله " قضى لها الله "

الشاهد العشرون بعد الثلاثائة : (*) (الحفيف)

• قول المتنبي :

(١)
رَامِيَاتٍ بِأَسْنَمٍ رِيَشُهَا الْهَيْدُ . . . بِ تَشَقُّ الْقُلُوبِ قَبْلَ الْجُلُودِ (٢)

والشاهد من قصيدة قالها في صباه ، ومطلعها :

كَمْ قَتِيلٍ كَمَا قَطِئَتْ شَهِيدٍ . . . بِيَبَاضِ الطُّلُوسِ وَوَرْدِ الْخُدُودِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٧ .

(١) راميات نعت للبدور في البيت الذي قبل الشاهد .

(٢) انظر البيت في :-

ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ١ / ٣١٤ ، العرف الطيب :

وقبل الشاهد :

عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ رَأَيْتَ بُدُورًا . . . طَلَعَتْ فِي بَرَاقِعٍ وَعَقَّوْدٍ

وبعد الشاهد :

يَتَرَشَّفَنَّ مِنْ فِيمَا رَشَفَاتٍ . . . هُنَّ فِيهِ أَهْلَى مِنَ التَّوْحِيدِ (١) (٢)

ومعنى الشاهد :

" يريد " بالأسهم " : الأعين ، ولما سماها أسهماً جعل لها ريشاً ،

لأن الريش يقوي السهام ، كذلك لحظاتهم وإنما تصل إلى القلوب بحسن أشعارهن

وأهدابهن ، وتنفذ إلى القلوب ، أي تصل إلى القلوب ، فتنفذ فيها قبل الجلود " (٣)

(الطويل)

• • مع قول كثير :

رَشَّتِي بِسَهْمٍ رِيْشُهُ الْكُحْلُ لَمْ يَجْزْ . . . تَطَوَّاهِرَ جِدْرِي وَهَوَى فِي الْقَلْبِ جَارِحُ (٦) (٧) (٤) (٥)

(١) المراد بها كلمة التوحيد .

(٢) رواية العرف الطيب : " هن فيه حلاوة التوحيد " .

والبيت على كلا الروايتين فيه مبالغة رديئة ، قال الشيخ في الأسرار معلقاً

على البيت - وهو من تشبيه المحسوس بالمعقول - :

" وأبعد ما يكون الشاعر من التوفيق إذا دعت شهوة الإغراب إلى أن يستعسبر

لللهزل والعبث من الجد ، ويتغزل بهذا الجنس / الأسرار - هـ ، ريتر - : ٣١٥ .

(٣) التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

(٤) رواية التبيان : " ريشه الهدب " ،

ويبدو لي أن هذه الرواية أنسب وأدخل في الصورة .

(٥) رواية الديوان : " لم يصب " ، ورواية التبيان : " لم يضر " .

(٦) رواية التبيان : " جارحي " .

(٧) انظر البيت في :

ديوانه : ١٨٨ ، التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ ،

وجعل حقيق الديوان هذه الأبيات مضافة إلى قصيدته التي مطلعها :

لِعَزَّةِ هَاجَ الشَّوْقُ فَالِدَّمَعِ سَافِحٍ . . . مَعَانٍ وَرَسْمٌ قَدْ تَقَادَمَ مَا صَحُّ

ولم يحدد موقع الأبيات الأربعة من القصيدة ، وإنما ذكرها منفردة .

والشاهد أول أبيات أربعة ، وبعده :

وَجِدْتُ بِهَا وَجَدَ الْمُضَلَّ قَلْوَصَهُ ^(١) . : بِمَكَّةَ وَالرُّكْبَانَ غَادٍ وَرَائِحَ ^(٢)
 وَجِدْتُ بِهَا مَالَمَ يَجِدُ نُوَّ حَرَارَةَ ^(٣) . : يُمَارِسُ جَمَاتِ الرُّكْبَى النَّكَوَّاحَ
 وَجِدْتُ بِهَا مَالَمَ تَجِدُ أُمَّ وَاجِدِ ^(٤) . : بِوَاجِدِهَا تُطْوِي عَلَيْهِ الصَّفَائِحَ

ذكر العكبري أن قول المتنبي مأخوذ من قول كثير هذا ، أو أنه مأخوذ من قول

جميل بن معمر ، وقيل هولكثير أيضاً :

مَا صَائِبٌ مِنْ نَابِلٍ قَذَفَتْ بِهِ ^(١) . : يَدٌ وَسَمَرُ الْعَقْدَتَيْنِ وَشَيْقُ
 يَا وَشَكَ قَتْلًا مِنْكَ يَوْمَ رَمَيْتَنِي ^(٢) . : تَوَافِدُ لَمْ يَعْلَمْ لِهِنَّ خُرُوقَ ^(٣) (٥)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو سرعة نفاذ نظرات المحبوبة ، وتأثيرها

في القلب .

ولكن إذا تأملنا البيتين ، وجدنا أن ألوان الصورتين متقاربة إلا أن توزيعهما

مختلف .

فكلا الصورتين فيهما : رمي ، وسهام ، وريش ، وجلد ، وقلوب ، إلا أن المتنبي

شبه الهدب بالريش ، أما كثير فالريش عنده هو الكحل .

(١) ذكر القلوص ، وهي الشابة من النوق ؛ لأن الوجد من فقدتها أشد ، ولم يقل - مثلاً - "بغيره" .

(٢) وذكر "مكة" لأن من أصعب الصعب وجدان الضالة بها ، ولذلك ذكر "الركبان غاد ورائح" .

(٣) جَمَاتِ الرُّكْبَى : جماء كل شيء اجتماعه وحركته ، تجس القوم إذا اجتمع بعضهم إلى بعض ، والرُّكْبَى جمع رُكْبَى وهي البئر تحفر . / اللسان :

١٤ / ١٥٣ ، ٣٣٤٠

الظاهر أن البيت لجميل ، فقد ورد في ديوانه وورد بعده بيت فيه ذكر بشينة وهو قوله :

كَأَنَّ لَمْ تُحَارِبَ يَا بَشِينَ لَوْ أَنَّهَا . : تَكشِفُ غَمَّهَا وَأَنْتِ صَدِيقِي

(٤) رواية الديوان : "لم تظهر" .

(٥) ديوان جميل بشينه : ٤٩ ، التبيان للعكبري : ١ / ٣١٥ .

والمتنبي كان أغرق نزوعاً وأبعد مرمى ، فمحبوبته كانت أقوى تأثيراً ، فكلمة " شق " أقوى من كلمة " جرح " ، ففي الشق قوة ليست في الجرح .
ولسهم صاحبة المتنبي تأثير حسّي في الجلد وتأثير معنوي في القلب ، فهو بذلك أقوى .

وقول كثير: " وهو في القلب جرح " تركيب حي يحمل في باطنه معنى الالتئاع والألم ، فتعبيره عن هذه الآلام بالجملة الاسمى الحالية ، وتقديم الجار والمجرور " في القلب " ومجيء الخبر على وزن فاعل " جرح " دليل قوي على شدة تلك النظرات ، وثبوتها ودوام فعلها في النفس .

الشاهد الواحد والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• قول بعض شعراء الجاهلية ، ويمرئى إلى لبيد^(١) :
وَدَعَوْتُ رَبِّي بِالسَّلَامَةِ جَاهِدًا . : لِيُصِحِّحَنِي فَإِذَا السَّلَامَةُ دَاءٌ (٣)
وقبله بيت متصل به :

كَانَتْ قَنَاتِي لَا تَلِينُ لِفَاقِمِزٍ . : فَأَلَانَهَا إِصْبَاحُ وَإِيسَاءُ

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٨١ ، خفاجي : ٤٥٤ ، شاكر : ٤٩٨ .
(١) نسبه ابن طباطبا للنمرين تولب ، ونسبه الثعالبي في الإعجاز والإيجاز للناطقة الجعدي ، ونسب أيضا - لعمر بن قيس ، ونسب البيتان في مجموعة المعاني لعبد الرحمن بن شويد التري .
(٢) رواية الكامل : " في السلامة " .
(٣) انظر البيت في : شعر النمرين تولب « شعراء راسد ميون » : ٤٠٠ .
عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، الكامل - دار الفكر - : ١ / ١٤٨ ، عيار الشعر : ٨٣ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٥ ، زهر الآداب : ١ / ٢٦٨ ، التشبيهات : ٢١٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ٨١ .

•• مع قول أبي العتاهية : (الرجز)

أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامَهُ . تَدْبِرُ فِي إِقْبَالِهَا أَيَّامَهُ (٢) (٣)

فالمعنى العام في الشاهدين هو أن الداء والعلة في طول عمر الإنسان .
فليبد جاء بالمعنى مباشراً ، فهو لم يزد على أن اجتهد في دعاء ربه وطلب
السلامة . إلا أن قوله " فإذا السلامة داء " إيجاز مفعم بالمعنى . وتركيب هذا
الإيجاز على الطباق بين لفظ "السلامة" ولفظ "الداء" فيه محاورة للفكر ، وتشسيط
للذهن ؛ لأن فيه قلباً للمعنى المألوف ، فالمعروف أن في الصحة السلامة ، وليس فيها
الداء .

وأيبرع مجيء الفاء هنا (فإذا) حيث دلت على المفاجأة والمباغته ، وعدم
التوقع .

أما أبو العتاهية ، فكان أكثر تحريكاً للخيال ، فجاء بالطباق في
شطري البيت :

" نقص - تمام "

" تدبر - تقبل "

وحركة المخادعة هذه حركة لطيفة فيها نوع من الإثارة التي تحرك الفكر .
وأنظر إلى قوله " تدبر في إقبالها أيامه " ، وتأمل الدور الذي قام به تقديم
الجار والمجرور " في إقبالها " على الفاعل " أيامه " وكيف استحكت به حلقات

(١) رواية الحيوان : " نقص " بالضاد .

(٢) رواية التشبيهات للشطر الثاني :

" يَا ذَا الَّذِي قَدْ بَعَدَتْ أَيَّامُهُ "

(٣) لم أجده في ديوانه : انظره في :

عيون الأخبار : ٢ / ٦ / ٣٢٢ ، البيان والتبيين : ١ / ١٥٤ ، الحيوان :

٥٠٢ / ٦ - الشطر الأول فقط - ، والبيت بتمامه في : التشبيهات : ٢١٧ .

المعنى حيث جعل الإقبال والإدبار وكأنهما حركة واحدة لها نفس السرعة بل نفس الاتجاه .

وهذه الحركة السريعة في الإقبال والإدبار تنبيه قوي للنفس بسرعة انقضاء أجلها بل بسرعة فناء الدنيا بأسرها .

الشاهد الثاني والعشرون بعد الثلاثئة : (*) (انكامل)

• قوله :

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الْحَبِيْبِ (٢) . . . تَكُوْنُ كَالشُّوْبِ (٣) آسْتَجِدَّةً
إِنَّ الصَّدِيْقَ يُمِلُّ (٤) . . . أَنْ لَا يَزَالَ يَرَكَ عِنْدَهُ (٥)

ذكره الشيخ من غير نسبة . (٦)

• مع قول أبي تمام : (الطويل)

وَطَوَّلُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مُخْلِقٌ (٧) . . . لِدِيَا جَتِيْمٍ فَأَغْتَرِبُ تَتَجَدَّدُ (٨) (٩)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨١-٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٤-٤٥٥ ، شاکر : ٤٩٨ .

(١) رواية محاضرات الأدباء : " أغرب زيارتك " .

(٢) رواية محاضرات الأدباء : " الصديق " .

(٣) رواية محاضرات الأدباء : " كالشيء " .

(٤) رواية محاضرات الأدباء : " إن الصديق يمل من " .

(٥) لم أجد البيت فيما أطلعت عليه من مصادر إلا في :

محاضرات الأدباء : ٢ / ٣ / ٣٦ .

(٦) لم أقف عليه .

(٧) مخلق : بال / مختار الصحاح : ١٨٧ .

(٨) الدياجتان : الدياجة تستعار للوجه في الوصف بالحسن ، وفي الوصف

بوفور الحياء ، والماء ، وعلى المعنى الثاني بيت أبي تمام / ثمار القلوب : ٢ / ٥٩٧

وجاء في شرح التبريزي :

" أهل اللغة يقولون : الدياجتان الخدان ، وربما قالوا الليتان ويجوز أن

يكون الطائي عنى الخدين ؛ لأنها في معنى الوجه ، وقد يحتل أن يكون جمع

" الدياجتين " مثلاً ، ولم يرد الخدين ، ولكنهما جريا مجرى البردين =====

وهو من قصيدة له في مدح أبي سعيد محمد بن يوسف الطائي ، (١) ومطلعها :

عَدَّتْ تَسْتَجِيرُ الدَّمْعَ خَوْفَ نَوَى غَدْرِ . . . وَعَادَ قَتَادًا عِنْدَهَا كُلُّ مَرْقَدِ

وقبل الشاهد :

وَلَمْ تُعْطِنِي الأَيَّامُ نَوْمًا مَسَكْنَا . . . الَّذِي بِهِ إِلا يَنُومُ مَشْرَدِ

وبعد الشاهد وعده :

فَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً . . . إِلَى النَّاسِ أَنْ لَيْسَتْ عَلَيْهِمْ بِسَرْمَدِ

ذكر أبو هلال العسكري في ديوان المعاني أن بيت أبي تمام في معنى قوله

تعالى :

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ (٣)

قال بعد أن ذكر الآية :

فأخرج الكلام مخرج العموم ، ولم يخص أرضا دون أرض ، ولا قريبا دون بعد ،

وينشد في هذا المعنى قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ المَرْءِ . . . البيت (٤)

=== والثوبين ، فيكون الواحد ، والجمع في معنى واحد ؛ لأنه إذا قيل فلان مُخْلِيقُ البُرْدِ ، أو البُرْدَيْنِ ، فالمعنى : أنه مُخْلِيقُ الثياب ، وأراد " بالدياجتين " ما يظهر من أمره ، لأن ملبس الإنسان يدل على باطنه . / الديوان بشرح التبريزي : ٢٣ / ٢ . انظر البيت في : - (٩)

ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٢٣ / ٢ ، ديوانه - دار صعب : ٩٠ ، البيان والتبيين : ١٨٧ / ٢ ، عيون الأخبار : ٢٣٣ / ٣ / ١ ، الموشى : ٢٤ ، ديوان المعاني ١٩٠ / ٢ ، التشبيهات : ٣٤٨ ، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : ٥٩٨ / ٢ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتر - ١١٢ ، محاضرات الأدباء : ٣٦ / ٣ / ٢ ، المحاسن والمساوي : ٢٨٥ ، بهجة المجالس : ٢٤٠ / ١ .

(١) سبقت ترجمته ، انظر : ص ٧١٨ .

(٢) رواية بهجة المجالس : " إن ليست " .

(٣) الجمعة : آية ١٠ .

(٤) ديوان المعاني : ١٩٠ / ٢ .

وذكر ابن أبي عون أن من جيد هذا المعنى قول ابن المعتز :
 كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ أَبْتَدَأَهُ . : كَذَا يُخْلِقُ الْمَرْءَ الْعُيُونَ اللَّوَامِيحُ

وذكر بيت أبي تمام على أنه من أجود الأمثال في هذا المعنى قال :

* وقال ابن المعتز (الطويل) :

كَمَا يُخْلِقُ الثَّوْبَ الْجَدِيدَ أَبْتَدَأَهُ البيت

وهذا قول الطائي (الطويل) :

وَطَوَّلُ مَقَامِ الْمَرْءِ فِي الْحَيِّ مَخْلُوقٌ . . . البيت

فَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زِيدَتْ مَحَبَّةً . . . البيت * (١)

وفي هذا المعنى قول أبي الفتح البستي :

مَنْزِلَتِي يَحْفَظُهَا مَنْزِلِي . : وَبِأَحْتِي تَحْفَظُ دِيَا جَبْتِي (٢)

ويبدو لي أن أصل هذا المعنى مأخوذ من قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

* زُرِّيغًا تَزْدَدُ حُبًّا * (٣)

المعنى العام في الشاهدين : ندرة الرؤية تزيد الرغبة في الإنسان ، وكثرتها

تُهَيِّئُ مِنْهُ .

فلو نظرنا إلى طريقة تناول كل من الشاعرين لهذا المعنى ، وجدنا الأول قد

رمى بنصيحته رمياً مباشراً ، ولم يراعِ الأحوال النفسية لمُتَلَقِي النصيحة .

وقوله * كالثوب استجده * تشبيه لاعمق فيه ، وهو تشبيه لا يخدم المعنى كثيراً .

أما أبو تمام فكان أخبر بأحوال النفس ، وأمهرفي قيادتها نحو استجابة النصيح ،

إن أنه كان حريصاً كل الحرص على أن تستجاب نصيحته وأن تؤثر في النفوس .

(١) التشبيهات : ٣٤٨ .

(٢) ثمار القلوب : ٥٩٨ / ٢ .

(٣) مسند الشهاب : ١ / ٣٦٦ - ٣٦٧ ، رقم : (٦٢٩ - ٦٣٠ - ٦٣١ - ٦٣٢) ،

المستدرك على الصحيحين : ٣ / ٣٤٧ ، مجمع الزوائد : ٨ / ١٧٥ .

فصورة الثوب الخلق التي رسمها أبو تمام أليق بالمقام ، وأبلغ في التنفير، فتصوير النتيجة للنفس، ثم إخبارها بالأمر يفتح منافذ الحذر في جوانبها .

ثم بعد هذه التهيئة النفسية ، وتصوير نتائج طول الإقامة ألقى الأمر على السامع " فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّرِ " .

ويؤني لأسمع رنين الشدة في الحضر على سرعة الاستجابة ينبعث من فعل الأمر المقترن بـ " الفاء " .

وفي مجيء الأمر مقترناً بالجواب " فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّرِ " تأكيد من الشاعر بأن النفس قد وصلت إلى مرحلة من التقبل لا مجال للرفض معها .

وهذا البيت مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالبيت بعده ، وهو قوله :

" فَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ زَيْدَتِ مَحَبَّةً "

فـ " الفاء " هنا قامت بدور فعال في تسلسل المعاني والأحداث حيث ربطت وأحكمت وثاقهما ، فالبيت الثاني تجسيد وتصوير لقوله : " فَاغْتَرِبَ تَتَجَدَّرِ " .

ولقد كان الشاعر دقيقاً بارعاً في اختيار صورته ، فاخترها صورة حسية قريبة من حس الإنسان وشعوره ، وهي صورة متكررة أمام النظر، وفي هذا تذكير، وبعث للتفكير تجاه الموقف المرسم .

قال الشيخ عبد القاهر :

" . . . فأنا نعلم أن المشاهدة تؤثر في النفوس مع العلم بصدق الخبر كما

أخبر الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله : " قَالَ بَلَىٰ - وَلَكِنَّ لِيُطْمَئِنَّ قَلْبِي (١) ، الشواهد في ذلك كثيرة ، والأمر فيه ظاهر ، ولولا أن الأمر

كذلك لما كان لنحو قول أبي تمام :

وَطُولُ مَقَامِ الْمَرْءِ . . .

فَأَنِّي رَأَيْتُ الشَّمْسَ . . .

معنى ، وذلك أن هذا التجدد لا معنى له إن كانت الرؤية لا تفيد أنساً من حيث هي رؤية ، وكان الأنس لنفيها الشك والريب ، أو لوقوع العلم بأمر زائد لم يعلم من قبل " (١)

ثم انظر إلى قوله " زِيدَتْ مَحَبَّةٌ " ، وبناء الفعل " زَانَ " للمجهول والذي صور عظيم المحبة المنبعثة في القلوب ، وفي هذا إحياء للنفس وحث لها وترغيب في الابتعاد لتعظم محبتها في النفوس .

الشاهد الثالث والعشرون بعد الثلاثائة : (*) (الرصل)

• وقول الخَرَيْمِيِّ : (٢)

زَانَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا . : أَنَّهُ عِنْدَكَ مَحْقُورٌ صَفِيرٌ (٣)
تَتَنَاسَاهُ كَأَن لَّمْ تَأْتِيهِ . : وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ كَبِيرٌ (٤) (٥) (٦) (٧)

- (١) أسرار البلاغة - ه ، ريتز - : ١١٣ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاكر : ٤٩٨ .
(٢) سبقت ترجمته : ٤٤٩ .
(٣) رواية الديوان ، والموشى ، ولباب الآداب والتبيان للعكبري " مستور حقير " .
(٤) رواية لباب الآداب " وتتناساه " .
رواية الوزراء والكتاب " مستور يسير " .
(٥) رواية لباب الآداب " عند الله " .
(٦) رواية الديوان : " مشهور خطير " .
رواية الوزراء والكتاب : " مذكور كثير " .
رواية الوساطة والتبيان للعكبري : " مشهور كثير " .
رواية لباب الآداب : " مشكور كبير " .
(٧) ديوانه : ٢٥ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ ، الشعر والشعراء :
٢ / ٨٦٠ ، الفاضل : ٩٦ - من غير نسبة - ، الموشى : ٤٥ ، الوزراء
والكتاب : ٢٦٨ ، الوساطة : ٢٥٤ ، لباب الآداب : ٢٥٧ ، التبيان
للعكبري : ٤ / ٦٥ .

وهو من قصيدة له في مدح محمد بن منصور بن زياد (١) مطلعها :

لَا يَنَاجِي فِي النَّدَى إِلَّا النَّدَى . وَإِنَّا هَمَّ بِهِ لَا يَسْتَشِيرُ

وبعد بيتا الشاهد وبعدهما :

كَمْ وَكَمْ أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ . تَدَعُ الْمُشْنِي بِهَا وَهُوَ حَسِيرٌ

والشاهد في معنى بعض الحكماء :

أحبي معروفك بإماتة ذكره ، وعظمه بتصغيرك له * (٢)

ومثال هذا المعنى أيضا قول الخريبي :

لَأَنَّكَ تَعْطِينِي الْجَزِيلَ بَدَاهَةٌ . وَأَنْتَ لِمَا اسْتَكْرَهْتَ مِنْ ذَاكَ حَاقِرٌ (٣)

وأقوال الخريبي في معنى قول طريح الثقفي (٤) :

سَعَيْتُ أَيْتِغَاءَ الشُّكْرِ فِيمَا صَنَعْتَ بِي . فَقَصَّرْتُ مَغْلُوبًا وَإِنِّي لَشَاكِرٌ (٥)

ولقد علق ابن قتيبة (٦) على بيت الشاهد بأنه من جيد شعر الخريبي ، وكذلك ذكر

القاضي الجرجاني (٧) أن هذا البيت من أملح شعره .

(١) من كتاب البرامكة ، كان ثريا سخيا أكثر الخريبي من مدحه ومن رثاء أبيه .

الوزراء والكتاب : ٢٦٦-٢٦٨ .

(٢) الموشى : ٤٥ .

(٣) ديوانه : ٢٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ .

(٤) هو طريح بن إسماعيل بن عبيد بن أسيد الثقفي ، أبو الصلت (. . - ١٦٥ هـ)

وهو شاعر الوليد بن يزيد الأموي وخليفه ، انقطع إليه قبل أن يلي الخلافة ،

واستمر اتصاله به ، وأكثر شعره في مدحه ، وكان الوليد يستشيره في مهماته .

انظر ترجمته :

الوزراء والكتاب : ٩٥ ، سبط اللآلي : ٢ / ٧٠٥ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي

٢ / ١٤٠ ، تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٥٦ ، الأعلام : ٣ / ٢٢٦ .

(٥) شعر طريح الثقفي : ٨٦ ، عيون الأخبار : ٣ / ٨ / ١٦٠ .

(٦) الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٠ .

(٧) الوساطة : ٣٥٤ .

(المنسوح)

•• مع قول المتنبي :

تَظُنُّ مِنْ فَقْدِكَ أَعْتَدَا هُمْ .: أَنَّهُمْ أَنْعَمُوا وَمَا عَلِمُوا (١)

وهو من قصيدته (٢) التي مدح بها علي بن إبراهيم التنوخي (٣)

وقبل الشاهد :

قَوْمٌ بَلَّوْغَ الْعُلَامِ عِنْدَ هُمْ .: طَعَنُ نَحْوِ الْكَمَاةِ لَا الْحُلْمِ

كَأَنَّمَا يُولَدُ النَّدَى مَعَهُمْ .: لَا يَصْفَرُّ عَانِزٌ وَلَا هَسْرَمٌ

إِذَا تَوَلَّوْا عَدَاوَةً كَشَفُّوا .: وَلَئِنْ تَوَلَّوْا صَنِيعَةً كَتَسُّوا

وبعد هذا الشاهد وعده :

إِنْ بَرَّقُوا فَالْحَتُوفُ حَاضِرَةٌ .: أَوْ نَطَقُوا فَالصَّوَابُ وَالْحَكْمُ

ومعنى الشاهد :

* يريد أنهم لا يعتدون بصنيعهم ، وإنعامهم ، كأَنهم لم يعلموا بذلك لتناسيهم

وغفلتهم عنه * (٤)

وفي هذا المعنى قول يزيد بن حمار : (٥)

وَمِنْ تَكْرِمِهِمْ فِي الْمَحَلِّ أَنَّهُمْ .: لَا يَقْلَمُ الْجَارُ فِيهِمْ أَنَّهُ الْجَارُ (٦)

(١) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٣ / ٦٥ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٢٤ .

(٢) سبق ذكر المطلع : ١٠٣ .

(٣) سبقت ترجمته : ١٠٣ .

(٤) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

(٥) هو يزيد بن حمار السكوني من فرسان الجاهلية ، شهد حرب " ذي قار " ،

وكان حليفاً لبني شيان ، وقام بحركة " عسكرية " كانت من أسباب هزيمة

الفرس . / انظر :

النقائض : ٦٤٢ - ٦٤٤ ، الأعلام : ٨ / ١٨١ .

(٦) التبيان للعكبري : ٤ / ٦٥ .

والمعنى العام في الشاهدين : أن المعروف يعظم إذا استصغره صاحبه ،
وتناساه .

ويبدو لي أن الموازنة بين البيتين تكون من جهة أن الخريبي جعل فاعل الخير
عالمًا بما يفعل بصيرًا به إلا أنه يحقره ، ويصغره ، ولا يتعالى به ، وقد أكد هذا
التحقير بتقديم الظرف " عندك " على الخير " محقور " ، وجاء بالجملة مؤكدة بـ " أن " ،
ثم زاد ذلك التأكيد بوصف الخبر بلفظ " صغير " مبالغة في التحقير .

وقوله " تناساه " دل على السرعة والاعتدال على التناسي ، فهذا البناء للفعل
أبلغ من قوله " تنسى " .

أما المتنبي فكان أبلغ في وصف مدّوحيه بالكرم والساحة في العطاء ، فجعل
اعتدادهم بما يفعلون مفقوداً لا محقوراً فقط .

وقد أجاد الشاعر حين بنى بيته على لفظة " تظن " هذه اللفظة التي تحمل في
معانيها كل معاني الدهشة ، والتي تثير في النفس كل كوامن الاستغراب والاستعظام
والإكبار لأولئك المنعمين ، وظهرت معنى النفي في قوله : " وما علموا " بأنه ليس على
الحقيقة إنما هو للمبالغة في إكبار شأنهم ، فهم لعدم اعتدادهم بما صنعوا ، وعدم
تفاخرهم كأنهم لم يعلموا .

وانظر إلى تعبيره عن الإنعام كيف جاء به مؤكداً بـ " أن " ، ليثبت أن إنعامهم
كان حقيقة لا ظناً .

وما أطف الوصل بين جملة الإنعام ، وبين جملة عدم علمهم ، ففيه إشارة إلى
تلازم واقتران الإنعام بعدم العلم ، وأن هذا هو شأنهم ، وديدهم .

الشاهد الرابع والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الوافر)

• وقول البحري :

أَلَمْ تَرَ لِلنَّوَائِبِ كَيْفَ تَسْمُو . . . إِلَى أَهْلِ النَّوَائِلِ وَالْفُضُولِ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاکر : ٤٩٩ .
(١) ديوان البحري - بيروت : - (١) / ٦٠ ، ديوانه - صيرفي : - ٣ / ١٧٣٩ .

والشاهد من قصيدة يمدح بها الفتح بن خاقان،^(١) ومطلعها :

أَكُنْتُ مَعْتَفِي يَوْمَ الرَّجِيلِ . . . وَقَدْ لَجَّتُ دُمُوعِي فِي الْهُسُولِ

وقبل الشاهد :

وَلَمَّا أَعْتَلَّ أَصْبَحَتِ الْمَعَالِي . . . مُحَبَّسَةً عَلَيَّ خَطَرٍ مَهْمُولٍ (٢)

وبعد الشاهد :

وَكَيْفَ تَرُومُ ذَا الشَّرَفِ الْمُعَلَّى (٣) . . . وَتَخْطُو صَاحِبَ الْقَدْرِ الضُّبَيْلِ

(البسيط)

•• مع قول المتنبي :

أَفَاضِلُ النَّاسِ أَغْرَاضٌ لِيذَا الزَّمَنِ . . . يَخْلُو مِنَ السَّهْمِ أَخْلَاهُمْ مِنَ الْفِطَنِ (٤)

والشاهد هو مطلع قصيدة مدح بها أبا عبد الله القاضي الأنطاكي (٥)

وبعد :

وَإِنَّمَا نَحْنُ فِي جِيلٍ تَسْوِيسِيَّةٍ . . . شَرَّ عَلَى الْحُرِّمِينَ سُقْمٌ عَلَى بَدَنِ
حَوْلِي بِكُلِّ مَكَانٍ مِنْهُمْ خِلَاقٌ . . . تُخْطِي إِذَا جِئْتَ فِي اسْتِفْهَامِهَا يَمَنُ

ومعنى الشاهد :

* يقول : الفضلاء من الناس للزمان ، كالأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه ، ويقصد هم بالمحن ، فلا يزالون محزونين ، وإنما يخلو من الحزن ، والفكر من كان خالياً من الفطنة والبصيرة ، وهذا من أحسن الكلام ، وهو من كلام الحكيم .

(١) سبقت ترجمته : ٩١ .

(٢) ذكر في ديوانه - صيرفي - بعد هذا البيت بيت هو مثل الشاهد :

فكاشن فض من دمع غزير . . . وَأَصْرِمُ مِنْ جَوَى كَمِدٍ نَخِيلِ

(٣) رواية ديوانه - صيرفي - : " ذَا الْفَضْلِ الْمُرَجِّي " .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٤ / ٢٠٩ ، العرف الطيب :

٤ / ٥٨٣ ، الوساطه : ١٥٩ ، يثيمة الدهر : ١ / ١٧٥ ، ٢٠٢ ، زهر

الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٥) سبقت ترجمته : ٩٧٩

قال الحكيم : على قدر الهمم تكون الهموم ، وذلك أن العاقل يفكر في عواقب

الأمر ، فلا يزال مهموماً ، وأما الجاهل ، فلا يفكر في شيء من هذا * (١)

ورأى ابن وكيع التنيسي أن قول المتنبي هو من قول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

أَتَتَّكِرُ بِتِي السَّهْمِ وَالسَّهْمُ مَالَهُ . . . مِِنَ الْأَرْضِ مَا أَوْى غَيْرَ قَلْبِ الْمَسْمُومِ

وقال آخر :

مَنْ كَانَ نَدَا غَفْلَةٍ وَجَهْلٍ . . . كَانَ خَلِيئًا مِنَ الْهُمُومِ

وعلق بقوله :

* وقد اختصر أبو الطيب اللفظ الطويل في الموجز القليل * (٣)

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، فقال صاحب بن عباد :

وَقَائِلَةٌ لِمَ عَرَّتَكَ الْهُمُومُ (٢) . . . وَأَمْرُكَ مُشْتَلٌ فِي الْأُمَمِ (٤)

فَقُلْتُ نَدْرِينِي لِمَ أَشَّتْكَ . . . فَإِنَّ الْهُمُومَ يَقْدِرُ الْهِسَمُ (٤)

وقال أبو الفتح البستي :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ لَا بَدَّ لَهُ . . . مِنْ هُمُومٍ تَعْتَرِيهِ وَغَمِّمِ

وَالَّذِي يَرْكَبُ بَحْرًا سَسِيرًا . . . قَحَمَ الْأَهْوَالِ مِنْ بَعْدِ قَحَمِ (٥)

وقال ذو الإصبع العدواني :

أَطَافَ بِنَا رَبِّ الزَّمَانِ فَدَاسَنَا . . . لَهُ طَائِفٌ بِالصَّالِحِينَ بَصِيرُ (٦)

(١) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٢) سبغت ترجمته : ص ٥٩٦ .

(٣) المنصف في نقد الشعر : ٥٢٩ .

(٤) زهر الآداب : ١ / ٢٥٦ .

(٥) لم أجده في ديوانه ، التبيان للعكبري : ٤ / ٢٠٩ .

(٦) ديوانه : ٣٥ .

(١)
 وأحسن ما قيل في هذا المعنى ، قول قابوس بن وشكير :
 قَلَّ لِلذِّي بَصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيْرَنَا . . . هَلْ حَارَبَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خَطَرُ
 أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَعْلُو فَوْقَهُ جَيْفٌ . . . وَيَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَعْرِهِ السُّدْرُ
 فَإِنْ تَكُنْ نَشَبَتْ أَيْدِي الزَّمَانِ بَيْنَا . . . وَنَالْنَا مِنْ تَوَادِي بُؤْسِهِ الضُّرْرُ
 فِي السَّمَاءِ نَجُومٌ مَالَهَا عَدَدٌ . . . وَلَيْسَ يُكْسَفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٢)

والمعنى الجامع بين البيتين : أنه على قدر الهم تأتي المصائب ، فالبحتري جعل
 النوايب تقصد أهل النوازل والفضول ، وقد تناول معناه هذا تناولاً لطيفاً ، فبدأ
 البيت بهمزة الاستفهام المفيد للتعجب " ألم تر " ، والذي فتح منافذ الإحساس ،
 وشد الانتباه للمعنى الغريب المثار . وانظر إلى الفعل (ترى) وكيف نقل الأمر المعنوي إلى
 المحسوس المشاهد عن طريق الاستعارة .
 وانظر إليه كيف قدم الجار والمجرور " للنوايب " ؛ لأنه محط التعجب ، وطيحه
 يدور المعنى ، فمراد الشاعر ليس هو التعجب من سمو وحده ، ولكن أن يكون من
 النوايب .

ولهذا التقديم أثر كبير في تركيب البيت ، فلو أنه قال : " ألم تركيب تسمو

النوايب إلى أهل النوازل والفضول لفسد مذاق البيت ، وخرج عن كونه شعراً .
 وتأمل الاستفهام في قوله : " كيف تسمو " فكيف هنا لها مذاق خاص فهي تتعجب من طريقة
 وصول النوايب إلى هذا الشخص بذاته . وانظر إلى اختيار الشاعر للفظ (تسمو) فهي
 عبارة تفوس في قلب المعاني ، وتستخرج خبأها ، فقد أظهرت سمو هؤلاء الأفاضل ،
 ورفعتهم ، فهم يجلسون عالياً ؛ لأنهم أهل عزة وكرم .

(١) هو قابوس بن وشكير بن زياد بن وردان شاه الجيلي ، أبو الحسن . . . ٣٠٠ - ٤٠٣ هـ ،
 الملقب شمس المعالي ، أمير جرجان ، وبلاد الجبل ، وطبرستان ، أخرجه منها عضد
 الدولة ، ثم استعادها ، وهو دلي الأصل ، نابغة في الأدب ، والانشاء ، جمعت
 رسائله في كتاب سمي " كمال البلاغة " ، وله شعر جيد بالعربية والفارسية . /
 انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٨٤ - ١٩٥ ، يتيمة الدهر : ٤ / ٥٩ - ٦١ ، الإعجاز والإيجاز :

٩٦ - ١٢٢ ، وفيات الأعيان : ٤ / ٧٩ - ٨٢ ، الأعلام : ٥ / ١٧٠ .

(٢) يتيمة الدهر : ٢ / ٤ / ٦١ .

ومجيء جملة " تسمو " بالفعل المضارع أثار في البيت نوعاً من الحركة والنشاط .
 أما بيت المتنبي ففيه من الرقة والسلاسة ما يجعله من السهل الممتنع ، فقد أشار
 إلى أن الفضلاء من الناس للزمان كأغراض يرميهم بنوائبه وصروفه .
 وزاد في المعنى عن الأول حين جعل الخلو من الهم دليلاً على عدم الفطنة ،
 وهذا معنى غريب لطيف .

واستعمال كلمة " غرض " أقوى في هذا المقام من كلمة " تسمو " حيث جعل الزمن
 هؤلاء الأفاضل هدفاً من أهدافه يتربصهم ويترصدهم ، وقد بنى هذه اللفظة على
 الاستعارة المكتنية ، حيث شبه الزمن بالإنسان ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء
 من لوازمه ، وهو الهدف والغرض ، ويمكن أن يكون التركيب مجازاً عقلياً ، فالغرض
 يكون من عاقل ، والزمن لا يعقل ، فأسند الفعل لغير ما هو له ، وهذا قياس على قول
 الخنساء " فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِرْدَبَارٌ " .

وانظر إليه كيف ابتداء البيت بوصف من تكالبت عليهم المصائب بقوله " أفاضل " ،
 وفي هذا تعظيم وإكبار لشأنهم .

وفي بناء البيت على الجملة الاسمية المكونة من المبتدأ " أفاضل " ، والخبر
 " أغراض " دليل على ثبوت ودوام صفة الفضل لهم .

وفي جعلهم " أغراضاً " بصيغة الجمع تصوير لتوالي ، واستمرار ودوام إصابتهم
 بالمصائب ، وكونهم مقصداً لها .

وأنظر إلى قوله " لِيَذَا الزَّمَنِ " ، وكيف أشار إلى الزمن بالقرب قصداً إلى تعظيم
 أهواله ومصائبه .

الشاهد الخامس والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

● وقول المتنبي :
 تَدَلُّ لَهَا وَأَخْضَعُ عَلَى الْقُرْبِ وَالنَّوَى . . . قَمَا عَاشِقٌ مِّنْ لَا يَنْدِلُ وَيَخْضَعُ (١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٢ ، خفاجي : ٤٥٥ ، شاکر : ٤٩٩ .
 (١) ديوان أبي الطيب شرح العكبري : ٢ / ٢٣٨ ، العرف الطيب : ٤ / ٢٧ ، الوساطة
 ٣١٣ ، المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

وهو من قصيدة قالها في صباه ، مدح بها علي بن أحمد الخراساني ، (١) ومطلعها :

حُشَاشَةٌ نَفْسٍ وَدَعَتْ يَوْمَ وَدَعَا . . . فَلَمْ أَدْرِ أَيَّ الظَّاعِنِينَ أَشْتَعِ

وقبل الشاهد :

فَيَا لَيْلَةَ مَا كَانَ أَطْوَلَ يَتَّهَمًا (٢) . . . وَسُمُّ الْأَفَاعِي عَذَبٌ مَا أَتَجَرَّعُ

وبعد الشاهد :

وَلَا تُؤَبِّجُ مَجْدٍ غَيْرَ تَوْبِ أَبِي أَحْمَدٍ . . . عَلَى أَحَدٍ إِلَّا يَلْقُمُ مَرْقَسًا

ومعنى الشاهد : * الزم الطاعة والانقياد في القرب ، والبعد ، وارض وسلم لفعلها ،

فهذا من علامة الحب * (٣)

ولقد أكثر الشعراء في هذا المعنى ، فمنه قول أبي نواس :

سِنَّةُ الْعُشَّاقِ وَاحِدَةٌ . . . فَإِذَا أَحْبَبْتَ فَاسْتَكْبِرْ (٤)

ومنه قول البحتري :

وَتَدَلَّتْ خَاضِعًا لِلْمَلِكِي (٥) . . . وَهَلِيلٌ مِنْ عَاشِقٍ أَنْ يَنْدِلَا (٦)

ومنه قول العباس بن الأحنف :

تَحَلَّلْ عَظِيمَ الذَّنْبِ مِنْ تَحِبُّهُ . . . وَلِنْ كُنْتَ مَظْلُومًا فَقُلْ أَنَا ظَالِمٌ
فِيَانِكَ إِلَّا تَغْفِرِ الذَّنْبَ فِي الْهَوَى . . . يُفَارِقُكَ مَنْ تَهَوَّى وَأَنْفَكَ رَاغِمٌ (٧) (٨)

(١) سبقت ترجمته : ٩٧١ .

(٢) يريد : ما كان أطولها ، فحذف الضمير لإقامة الوزن / التبيان : ٢٣٨ / ٢ .

ورواية المنصف : * ما كان أطول بثها / المنصف : ١٧٧ .

(٣) التبيان : ٢٣٨ / ٢ .

(٤) ديوانه : ٤١٢ ، التبيان : ٢٣٨ / ٢ .

(٥) رواية الديوان - بيروت - : * جاهداً * .

(٦) انظر البيت في :

ديوانه : ١٧٦ / ١ ، التبيان للعكبري : ٢٣٩ / ٢ .

(٧) رواية التبيان : * وَإِنْ لَمْ تَحِلْ * .

(٨) ديوانه : ٢٧٢ ، التبيان للعكبري : ٢٣٩ / ٢ .

ذكر العكبري أن العباس قد أحسن في قوله هذا (١) .

وعلق ابن وكيع على بيت المتنبي بقوله :

* هذا مستعمل كثير إلا أنه ما حقره ، وقد ساوى البحتري في قوله :

وَتَذَلَّتْ خَاضِعاً لِيَلِيكِي . . . البيت (٢)

(الرحل)

• مع قول بعض المحدثين : (٣)

كُنْ إِذَا أَحْبَبْتَ عَبْداً . . . لِلَّذِي تَهْوَى مُطِيماً

لَنْ تَنَالَ الْوَصْلَ حَتَّى . . . تَلْزِمَ النَّفْسَ الْخُضُوعاً (٤)

المعنى المشترك في الشاهدين : أن الهوى والحب الحقيقي يبني على التذلل

والخضوع .

ومن الغريب أن يتناول المتنبي مثل هذا المعنى لما عرّف من كبريائه إلا إذا قيل

أنه ليس في الحب . وقد أحسن العكبري فيما استحسن بيتي ابن الأحنف ، فرأى فعله أحسن ما قيل في هذا المعنى .

وفي معنى الشطر الثاني من بيت الأحنف قول المؤمل بن أميل : (٥)

(١) التبيان للعكبري : ٢ / ٢٣٩ .

(٢) المنصف في نقد الشعر : ١٧٧ .

(٣) نسبة الأستاذ عبد السلام هارون في معجم شواهد العربية لأبي نواس ، ولم يذكر على أي المصادر اعتمد .

ولقد بحثت عن بيت الشاهد في ديوان أبي نواس فلم أقف عليه .

ويبدو لي أن هذين البيتين خاليان من كل صنعة جيدة ، والمعاني فيهما سطحية .

(٤) الوساطة : ٣١٣ ، - من غير نسبة وذكر البيت الأول فقط - التبيان للعكبري :

٢ / ٢٣٨ .

(٥) المؤمل بن أميل : بن أسيد المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس عيلان كوفي

من مخزومي آل ولتين الأموية والعباسية ، واشتهر أكثر في دولة بني العباس لأنه

كان من الجند المرتزقة ، انقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعد ها ، توفي سنة ١٩٠ هـ

تقريباً / انظر :

إِذَا مَرَضْنَا أَتَيْنَاكُمْ نَعْوِدُكُمْ . . وَتَذُنُّونَ فَنَأْتِيَكُمْ فَنَفْتَنُورُ (١)

وعلى الجملة ، فهذه معان غير كريمة ، وأردأ منها التعبيرات عنها ، مثل " تذل ، واخضع " في قول المتنبي ، و " قَلِيلٌ مِّنْ عَاشِيَةٍ أَنْ يَذِلَّا " في قول البحتري .
وأفضل منها جميعاً قول أبي فراس :

إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الْهَوَى . . وَأَذَلَّتْ دَمْعًا مِّنْ خَلَاثِقِهِ الْكِبْرُ (٢)

وقريب من هذا المذهب ما ذكره الآمدي لكثير ، وقدم له بقوله :

" وَلَكِنَّ الْحَرَ الْكَرِيمَ الْأَيْفَ كَثِيرٌ بِنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِذْ يَقُولُ :

وَلَمَّا رَأَتْ وَجْهِي بِهَا وَتَبَيَّنَتْ . . صَبَابَةٌ حَرَانِ الصَّبَابَةِ صَارِ
أَدَلَّتْ بِصَيْرٍ عِنْدَهَا وَجَبَّالِدَةٍ . . وَتَحَسِبُ أَنَّ النَّاسَ غَيْرَ جَلَالِ
فَيَا عَزَّ صَارِي الْقَلْبِ حَتَّى تَوَدَّ نَيْسِي . . فَوَادُّكَ أَوْ رَدِّي عَلَيَّ فُوَادِي

ثم قال : " وكان هذا ما ينشده أبو العباس شعلب كثيرا ، ويستحسنه " (٣)

الشاهد السادس والعشرون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

(٤)
• وقول مضر بن رعي :

لَعَمْرُكَ إِنِّي بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَمْ . . عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ لِمُفَجِّعٍ

=== الأغانى : ٢٢ / ٢٤٥-٢٥٢ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٨٤ ، سبط اللآلي :

١ / ٥٢٤ ، نكت الهميان : ٢٩٩ ، خزانة البغدادي - دار صادر - : ٣ / ٥٢٣-٥٢٥ .

(١) الإعجاز والإيجاز : ١٧٨ ، نهاية الأرب : ٣ / ٩٢ .

(٢) ديوانه : ١٥٧ .

(٣) الموازنة تحقيق السيد صقر - : ٢ / ٢٦٦ .
الدلائل ، رضا : ٣٨٢-٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٥-٤٥٦ ، شاكر : ٤٩٩ .
(٤) ذكرت هذه النسبة في الوساطة ، والتبيان للعكبري . ونسب البيت في المؤلف

والمختلف ، والحامسة - ت : عسيلان - ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ، للبراء

ابن رعي الفقعسي وهو شاعر جاهلي من بني فقعس ، كنيته " أبو الحنَّاك "

وهو الصواب ، وقيل " أبو الرجال " ، ولم أجد له غير هذه الترجمة اليسيرة / انظر :

المؤلف والمختلف : ٨٦ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٧ ، التاج :

" حنك " : ٧ / ١٢٤ .

وَأُنْسِي بِالْمَوْلَى الَّذِي لَيْسَ نَافِعِي . . وَلَا ضَائِرِي فَقَدَانُهُ لَمَتَّعُ (١)

والشاهد من أبيات خمسة ، وقبله ثلاثة أبيات هي :

أَبْعَدَ بَنِي أُمِّي الَّذِينَ تَتَابَعُوا . . أَرْجَى الْحَيَاةِ أَمْ مِنَ الْمَوْتِ أَجْزَعُ
ثَانِيَةً كَانُوا ذُؤَابَةَ قَوْمِهِمْ . . بِهِمْ كُنْتُ أُعْطِي مِنْ أَشْيَاءِ وَأَمْنَعُ
أَوْلِيكَ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ رَزَقْتَهُمْ . . وَمَا الْكُفَّ إِلَّا إِصْبَعُ ثُمَّ إِصْبَعُ

وشرح التبريزي البيت الأول فقال :

« عَلَيَّ دَلَالٌ وَاجِبٌ أَيُّ لَهْ أَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ وَأَنْ أَحْتَمِلَ » (٢)

ومعنى البيت الثاني :

« أَيُّ مَبْقَى ، يُقَالُ : اْمْتَعَ اللَّهُ فَلَانًا بِفُلَانٍ أَيُّ أَبْقَاهُ ، وَمِنْهُ مَتَعَ النَّهَارَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ

الزَّوَالِ » (٣) .

== أما مضرَّس بن ربيعي فهو مضرر بن ربيعي بن لقيط بن خالد بن نضلة بن فقهم بن أسد ، شاعر حسن التشبيه والرصف ، أورد له البغدادي أبياتاً جيدة في وصف ليلة ويوم ، ومقطوعة فيها حكمة ، وقال : « هو شاعر جاهلي » ، واختار أبو تمام في الحماسة قطعتين من شعره ، وروى له المرزباني عسدة مقطوعات ، وقال : « له خبر مع الفرزدق » ، فإن صح هذا ، فلا يكون جاهلياً . انظر : المؤلف والمختلف : ١٩١ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٣٩٠-٣٩١ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٣ / ١٠٢ ، خزانة البغدادي - دار صادر - ٢ / ٢٩٢ ، الأعلام : ٧ / ٢٥٠ .

(١) انظر البيت في :

الحماسة - تحقيق عسيلان - : ١ / ٤٠٨ ، رقم (٢٨٠) ، الوساطة : ٣٣٧ ، المؤلف والمختلف : ٨٧ ، التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ ، شرح ديوان الحماسة للتبريزي : ٢ / ١٦٨ .

(٢) التبيان للعكبري : ٢ / ١٦٨ .

(٣) المصدر السابق : نفس الجزء والصفحة .

(الطويل)

•• مع قول المتنبي :

أَمَا تَغْلَطُ الْأَيَّامُ فِيَّ بَأَنَّ أَرَى .: بَغِيضًا تَتَّائِي ^(١) أَوْ حَبِيًّا تَقْرُبُ ^(٢)

وهو من قصيدة مدح بها كافور الإخشيدي ، وكان قد حمل إليه ستائة دينار .

والبيت الذي قبل الشاهد ، هو مطلع القصيدة :

أَغَالِبُ فِيكَ الشُّوقَ وَالشُّوقُ أَغْلَبُ .: وَأَعْجَبُ مِنْ نَدَا الْهَجْرِ وَالْوَصْلِ أَعْجَبُ

وبعد الشاهد :

وَلِلَّهِ سِيرِي مَا أَقَلَّ تَتَيَّأَةً ^(٣) .: عَشِيَّةَ شَرْقِي الْحَدَّالِي ^(٤) وَغُرْبِي ^(٥)

ومعنى الشاهد :

" يقول : هذه الأيام مولعة بإدناء من أبغض ، وإبعاد من أحب ، فما تغلط مرة

بتقريب الحبيب ، وإبعاد البغض ، فلو غلطت مرة ، وفعلت هذا ، وجعله غلطاً

من الدهر ؛ لأنه خلاف ما يفعله الدهر ^(٦) .

ذكر القاضي الجرجاني أن قول المتنبي أصله من قول مضر بن ربيعي إلا أن المتنبي

أحسن وأطاب ^(٧)

(١) تَتَّائِي : تفاعل من النَّأْي ، وهو البعد : أَنَا بَيْتُ الرَّجُلِ وَنَأَيْتُهُ أَبْعَدْتُهُ . /

اللِّسَانُ " نَأَى " : ٢٠٠ / ١٥ .

(٢) لَمْ أَقْفِ عَلَى الْأَبْيَاتِ فِيمَا لَدِي مِنْ مَصَادِرٍ إِلَّا فِي :

الْوَسَاطَةِ : ٣٣٧ ، يَتِيمَةُ الدَّهْرِ : ٢١٠ / ١ ، التَّبْيَانُ لِلْعَكْبَرِيِّ : ١ / ١٧٧ .

(٣) تَتَيَّأَةُ : التَّعْيَةُ التَّلْبُثُ وَالتَّكْتُكُ / التَّبْيَانُ لِلْعَكْبَرِيِّ : ١ / ١٧٨ .

(٤) الْحَدَّالِي : مَوْضِعٌ بِالشَّامِ وَقِيلَ جَبَلٌ بِأَزَاءِ غُرْبٍ . / مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَسَ :

٢ / ٩٩٤ .

(٥) غُرْبٌ : بَضْمٌ أَوَّلُهُ ، وَتَشْدِيدٌ ثَانِيهِ ، وَآخِرُهُ بَاءٌ مَوْحِدَةٌ اسْمُ جَبَلٍ دُونَ الشَّامِ

فِي دِيَارِ بَنِي كَلْبٍ ، وَعِنْدَهُ عَيْنٌ تَسْمَى غُرْبَةً ، وَقِيلَ غُرْبٌ مَاءٌ بِنَجْدٍ مِنْ مِيسَاهِ

بَنِي تَمِيمٍ . / مَعْجَمُ مَا اسْتَعْجَسَ : ٤ / ١٩٢ .

(٦) التَّبْيَانُ لِلْعَكْبَرِيِّ : ١ / ١٧٧ .

(٧) الْوَسَاطَةُ : ٣٣٧ .

وفي هذا المعنى قول الطرمح :

يُفَرِّقُ مِنَّا مَنْ نُحِبُّ اجْتِمَاعَهُ . . . وَيَجْمَعُ مِنَّا بَيْنَ أَهْلِ الصَّفَائِنِ (١)

ومنه قول الآخر:

عَجِبْتُ لِتَطْوِيحِ النَّوَى مَنْ نُحِبُّهُ . . . وَإِنْ نَاءَ مَنْ لَا يَسْتَلِدُّ لَهُ قُرْبُ (٢)

ذكر القاضي الجرجاني أن الشعر في هذا المعنى كثير، وأصله من قول المضرس

ابن رعي . (٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين : بُعد الحبيب ، وقرب المغيض ، فالشاعر في الشاهد الأول تظهر نفسه وهي تتلوى ألماً وحزناً ، فمصابه عظيم جلل ، فقد أصيب بفقدان ثمانية من إخوته كانوا ذؤابة قومهم ، ولشدة وقع هذه الفجيعة على النفس لأن الشاعر بأسلوب التوكيد ليُخمد نار الحزن المتأججة في نفسه ، فبدأ البيت بالقسم (لعمر) ، ثم جاء بإن المؤكدة (إِيَّتِي) ، وجعل الخبر مقترناً بلام التوكيد (لَمُفَجَّع) ، وهذا التشديد في الكلمة دل على شدة الفجيعة وعظمتها وكذلك في البيت الثاني شعر أن هناك أمراً ترفضه عاطفة الشاعر ، وتألم له ، وهي مثقلة به ، فأخذ يؤكد ألمه هذا في حسرة وتوجع ، فجاء بإن المؤكدة (إِيَّتِي) ولام التوكيد في الخبر (لَمُتَّع) والتشديد في الكلمة يدل على شدة ثقل هذا التمتع ، وأنه غسبير مرغوب فيه .

وفي قوله (بِالْخَلِيلِ الَّذِي لَهُ عَلَيَّ دَلَالٌ) جاء بالاسم الموصول (الذي) وقدم الخبر الجار والمجرور (له) على المبتدأ (دَلَالٌ) ثم وصف الدلال بأنه واجب تنويهاً بمقام ذلك الخليل ، واعترافاً بعظيم مكانته في النفس ، وفي هذا التنويه إقرار وتوكيد .

(١) المصدر السابق : ٣٣٦ ، التبيان للعكبري : ١ / ١٧٧ .

(٢) المصدران السابقان ، نفس الجزء والصفحة .

(٣) الوساطة : ٣٣٧ .

أما المتنبي فبني بيته على الاستفهام ، وكأنه وجد فيه المأس الذي يبثه حزنه ،
 وحيرته ، ويُفرغ فيه كل معاني الكرب والحزن ، وهذا الاستفهام يتولد منه معسني
 الرجاء العقيم ، والتضرع اليائس في أن تغلط الأيام (أَمَا تَغْلُطُ الْأَيَّامُ فِيَّ) .
 وحرف العطف (أو) في قوله (بَغِيضًا تَنَائِي أَوْ حَبِيْبًا تُقَرِّبُ) يحمل معسني
 اللوعة والحنين لذلك الحبيب .

الشاهد السابع والعشرون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

• قول المتنبي :

مَظْلُومَةٌ الْقَدَّرِي تَشْبِيهِهِ غَضْنَا . مَظْلُومَةُ الرَّيْقِي فِي تَشْبِيهِهِ ضَرْبًا (١)

وهو من قصيدته^(٢) التي مدح بها المغيث العجلي ، سنة : ٣٢٧ هـ تقريباً (٣)

وقبل الشاهد :

هَامَ الْفَوَادُ بِأَعْرَابِيَّةٍ سَكَّنتُ بَيْتًا مِنْ الْقَلْبِ لَمْ تَمُدَّنْ لَهُ طُنْبًا

وبعد الشاهد :

بَيْضَاءَ تَطْمِعُ فِيمَا تَحْتَ حَلَّتِهَا وَعَزَّ ذَلِكَ مَطْلُوبًا إِذَا طُلِبَا

ومعنى الشاهد * يريد أن من شبهها بالغصن ظلمها ، ومن شبه ريقها

بالعسل ظلمها ، لأنها ذات قوام أعدل ، وأحسن من الغصن ، وذات رضاب أحلى

من العسل الخالص * (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاكر : ٤٩٩ .

(١) لم أقف على البيت إلا في :

ديوانه بشرح العكبري : ١ / ١١١ ، العرف الطيب : ١ / ٩٣ .

(٢) سبق ذكر مطلعها : ١٠٣٧ .

(٣) هو المغيث بن علي بن بشر العجلي ، قصد المتنبي حين نزل المغيث

بأنطاكية ، ومدحه ، ثم رحل عنها المغيث لأنه لم يكن من أهلها ، وقد مدحه

بقصيدتين راعيتين . / انظر : المتنبي - محمود شاكر - : ١ / ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ .

(٤) التبيان للعكبري : ١ / ١١١ .

•• مع قوله : (١) (الطويل)

إِذَا نَحْنُ شَبَّهْنَاكَ بِالْبَدْرِ طَالِعًا . : . بِخَسَنَاتِكَ حَظًّا أَنْتَ أَبْهَى وَأَجْمَلُ
وَنَظْمٌ إِنْ قَسْنَاكَ بِاللَيْثِ فِي الرَّغَى . : . لِأَنَّكَ أَحْمَى لِلْحَرِيمِ وَأَبْسَلُ (٢)
فالفكرة الدائرة في الشاهدين هو ظلم المدوح إن جئنا له بما يشابهه في
الوصف .

فالمتنبي اكتفى ببيان أنها مظلومة القدر إن شُبَّه بالفصن ، ومظلومة الرقيق إن
شُبَّه بالعسل ، ولم يعلل لهذا الظلم ، ولم ينصفها بإثبات الأوصاف اللائقة بهما .
ذكر الأستاذ محمود شاكر أنه وجد في إحدى النسخ أمام هذا البيت حاشية ،
ورجَّح أن تكون من كلام الشيخ عبد القاهر ، وفيها يعلل القصور في هذا البيت ، قال :
" سبب ما ترى فيه من القصور : أن الواجب أن تُجَعَلَ هي نفسها مظلومة من
أجل تشبيهه قَدَّها بالفصن وريقها بالضرب ، لا أن يجعل القدر والريـسـق
مظلومين .

ألا ترى أن اللائق أن يقول : إن شَبَّهت قَدَّها بالفصن ظلمتها ، ولا يحسن
أن يقول : ان شَبَّهت قَدَّها بالفصن ظلمته " (٣)

ويبدو لي أن كلام عبد القاهر هنا كأنه ليس كلامه ؛ لأن القول بظلم قدها ، وبظلم
ريقها أجمل وأروع من القول بظلمها ، فما أبعد الفرق بين أن نقول : ظلمنا قدها ،
وأن نقول ظلمناها .

أما الشاعر الثاني ، فكان أبلغ وصفاً ، وأغزر معنى إذ أنه جاء بالمشبه به ،
وهو في أجمل صورة ، وأبهى منظر ، فهو لم يكتفِ بذكر البدر ، وإنما جعله في أروع صورة
وهو حال كونه طالعاً مضيئاً ، وعلى الرغم من هذا التصوير الرائع للمشبه به جزم الشاعر

(١) لم أقف على قائله .

(٢) لم أقف على البيتين فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) الدلائل ، شاكر :

بأن تشبيهه بمدوحه بهذا البدر المضيء ، بخس وظلم ، لذا جاء بـ (إذا) ليؤكد
ويجزم بهذا الظلم .

وكذلك جاء بصورة الليث ، وقيدها بكونها في الوغى ؛ لأن الليث في هذه الحالة
يكون في كامل قواه ، وبالغ شجاعته .

وجاء بـ (إن) في موضع الجزم ، لأن تقديم الجواب (نظلم) دل على الجزم .
فالطريف والفريب في صورة الشاعر أنه خرج عن الصورة المتعارف عليها عند الشعراء ،
فهم إذا أرادوا مدح أحد بالحسن شبهوه بالبدر وإذا أرادوا مدح أحد بالشجاعة
شبهوه بالليث ، إلا أن الشاعر بالغ في وصف مدوحه ، وجعل هذا التشبيه ظلماً
وبخساً ثم إن الشاعر لم يكتف بإعلان هذا الظلم كما فعل الأول ، وإنما نراه بعسد
سرد كل مظلمة يذكر العلة ، والسبب في هذا الظلم ، فمدوحه ظلم لأنه أبهى وأجمل
من البدر ، وأحمى وأبسل من الليث .

وأنظر إلى تكرار أسلوب التفضيل في البيت مبالغة في الوصف ، وقيد الحمى بكونه
للحريم ، لأنه أعظم وأشرف ما يدافع عنه .

ب - الموازنة بين الشرع والإجادة فيهما
من الجانبين

الشاهد الثامن والعشرون بعد الثلاثاء :- (*) (الرمل)

• قول لبيد :

وَكَذِبَ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا . . . إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يَزِي بِالْأَمَلِ (١)

والشاهد من قصيدة مطلعها :

إِنَّ تَقْوَى رَبَّنَا خَيْرٌ نَفْلٍ . . . وَإِذْنِ اللَّهِ رَبِّي وَعَجَلٌ

وقبل الشاهد :

وَإِذَا رُمْتَ رَجِيلاً فَارْتَحِلْ . . . وَأَعْصِ مَا يَأْمُرُ تَوْصِيماً الْكَسَلِ

وبعد الشاهد :

غَيْرَ أَنْ لَا تَكْذِبَنَّهَا فِي التَّقَى . . . وَاخْزُهَا بِالْبِرِّ لِلَّهِ الْأَجَلِ

ومعنى الشاهد كما أورده ابن سلام :

" ومعناه الرجل ييهم بركوب أمر جسيم يقول : فلا تحدّث نفسك بأنك لا تظفر،

فإن ذلك يثبّطك عن السمو إلى معالي الأمور ، ولكن حدّث نفسك بالظفر

لتشيعك نفسك على ما تريد " (٢)

وجاء في اللسان :

" منّ نفسك العيش الطويل لتأمل الآمال البعيدة ، فتجد في الطلب ، لأنك

إذا صدقتها ، فقلت لعلك تموتين اليوم ، أو غداً قصر أملها ، وضعف طلبها " (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٣ ، خفاجي : ٤٥٦ ، شاكر : ٥٠٠ .
(١) انظر البيت في :

شرح ديوان لبيد : ١٨٠ ، كتاب الأمثال لابن سلام : ١١٦-١١٧ ، الشعر

والشعراء : ٢٨٦/١ ، البيان والتبيين : ١٨٧/٢ ، شرح ديوان الحماسة

للمرزوقي : ١٤٨/١ ، الإعجاز والإيجاز : ١٤٤ ، التشيل والمحاضرة : ٦١ ، يتيمة

الدهر : ٢٠٧/١ ، محاضرات الأدباء : ١٦٧ ، اللسان " كذب " : ٧٠٨/١ ،

نهاية الأرب : ٧٠/٣ ، أنوار الربيع : ٤ / ٢٤ .

(٢) كتاب الأمثال : ١١٦-١١٧ .

(٣) اللسان " كذب " : ٧٠٨/١ .

ويبدو لي أن الإنسان إذا تذكر الموت ، وداوم على تذكير النفس به ، كان ذلك دافعاً قوياً للنفس لتجتهد في العمل وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم :

« أَكْثَرُوا مِنِّي زِكْرَ هَاهِمِ اللَّذَاتِ » (١)

وأحسن ما قيل في تفسير هذا البيت ، قول ابن معصوم المدني :

« أي لا تحدث نفسك بعدم الظفر أبداً ، بل بشرها بحصول الأمل ، فإنَّ

صدقها بالجبن عن ملاقاته الأهوال يثبطها عن بلوغ الآمال (٢)

وفي هذا المعنى قول سعد بن ناشب :

إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ عَزْمَهُ . . . وَنَكَبَ عَنِّي زِكْرَ الْعَوَاقِبِ جَانِبًا

سَأَغْسِلُ عَنِّي الْعَارَ بِالسَّيْفِ جَالِبًا . . . عَلَيَّ قَضَاءُ اللَّهِ مَا كَانَ جَالِبًا (٣)

وذكر المرزوقي أن ابن زيابة^(٤) قد بنى قوله :

(١) مسند الشهاب : ٣٩١/١ ، رقم ٦٦٨-٦٦٩-٦٧٠-٦٧١ ، المستدرک علی

الصحيحين : ٣٢١/٤ ، مصابيح السنة : (١ / ٥٣٣) ، رقم (١١٤١) ، مجمع

الزوائد : ٣٠٩/١٠ .

(٢) أنوار الربيع : ٤ / ٢٤ .

(٣) سبق تخريجه انظر : ٥٩٨ .

(٤) ابن زيابة : وقيل ابن زيابة ، والزيابة فارة من فئران الحرة . وهو شاعر من

شعراء الجاهلية من بني تميم .

ذكر البغدادي أنه قد اختلف في اسمه ، قال :

« . . . واختلف في اسمه ، فقال أبو رياش في شرح الحماسة هو عمرو بن لأي

أحد بني تميم اللات بن ثعلبة ، وهو فارس مجلز ، وقال أبو محمد الأعرابي

والمرزباني اسمه سلمة بن نهل ، وقال أبو عبيد البكري في شرح أمالي القالي :

اسمه عمرو بن الحرث بن همام أحد بني تميم اللات بن ثعلبة .

واستبعد الميمني قالة البكري .

والحق أن المرزباني ذكر أن اسمه : عمرو بن الحرث بن همام ، وأنه من بني

ميم الله بن ثعلبة ، ثم قال : وقيل اسمه سلمة بن نهل . / انظر الحماسة

لأبي تمام - ت عسيلان - : ٨٩/١ ، معجم الشعراء : ٢٠٨ ، سمط اللاكبي : ١ / ٥٤ ،

خزانة البغدادي - دار صادر - : ٢ / ٣٣٣ .

أَنَا ابْنُ زِيَابَةَ إِنْ تَدْعَنِي . : آتِكَ وَالظَّنُّ عَلَى الْكَسَائِبِ

على قول لبيد * بيت الشاهد * (١)

ذكر ابن قتيبة أن بيت الشاهد مما يستجاد له (٢)

وذكر ابن سلام أن بشار بن برد سئل أي بيت قالت العرب أشعر؟ فقال:
إن تفضل بيت واحد على الشعر كله لشديد، ولكن أحسن لبيد . . . ثم ذكر بيت
الشاهد . (٣)

وجاء في الإعجاز والإيجاز أنه قال حين سئل عن أجود بيت قالته العرب:
"إن تفضل بيت على أشعار العرب لشديد، ولكن أحسن كل الإحسان،
وأوجز، وأعجز لبيد في قوله . . ." (٤) ثم ذكر بيت الشاهد .

وذكر الجاحظ أن بيت الشاهد من الأبيات التي تصلح للرواية والمذاكرة (٥)
وجعله الثعالبي في التمثيل والمحاضرة من الأبيات السائرة للمخضمين . (٦)

• • مع قول نافع بن لقيط : (٧) (الكامل)

(١) شرح ديوان الحماسة للمرزوقي : ١ / ١٤٨ .

(٢) الشعر والشعراء : ١ / ٢٨٦ .

(٣) كتاب الأمثال : ١١٧ .

(٤) ١٤٤ .

(٥) البيان والتبيين : ٢ / ١٨٢ .

(٦) ٦١ .

(٧) نافع * ويقال نُوَيْفِع ، ونُفَيْع * ابن لقيط الفقعسي الأسدي توفي نحو (٩٠ هـ)

جعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من الشعراء الإسلاميين وقال عنه :
" وكان نُوَيْفِعٌ من رجالات العرب شعراً ونجدة ، وكان ربما أخاف السبيل فأطردَهُ
الحجاج لجناية ، فلم يزل خائفاً * وقد أورد بعض أشعاره .

كانت إقامته مع قومه بني أسد في " القنان " جبل لبني فقمس مجاور لبسلان

عطفان ، بالقرب من سميرا * يقال له اليوم " القنينات " وكان " نافع " معاصراً =====

وَإِذَا صَدَقَتِ النَّفْسَ لَمْ تَتْرِكْ لَهَا . . . أَمَلًا وَيَأْمَلُ مَا اشْتَهَى الْمَكْدُوبُ (١)
ولعل البيت الذي قبله هو قوله :

ذَهَبَتْ لِيَدَايَ وَالشَّبَابُ فَلَيْسَ لِي . . . فِيمَنْ تَرَيْنَ مِنَ الْأَنْامِ ضَرْبُ
وبعده الشاهد ولعل الذي بعده قوله :

وَإِذَا السُّنُونُ دَأْبِنَ فِي طَلَبِ الْفَتَى . . . لِحَقِّ السُّنُونِ وَأَنْزَكَ الْمَطْلُوبُ
يَسْعَى الْفَتَى لِيُنَالَ أَفْضَلَ سَعْيِهِ . . . هَيْهَاتَ ذَاكَ وَذَوْنَ ذَاكَ خُطُوبُ (٢)
المعنى الجامع بين الشاهدين أَنَّ عَلَى الْإِنْسَانِ إِنْ هَمَّ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ أَنْ يَكْذِبَ
عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى لَا تَشْبِطَ هَمَّهُ .

وَإِذَا دَقَقْنَا النَّظْرَ فِي الْبَيْتَيْنِ ، وَجَدْنَا أَنَّ كِلَيْهِمَا قَدْ بُنِيَ عَلَى الشَّرْطِ بِ (إِذَا)
بدلاً من (إِنْ) ؛ لِأَنَّ (إِذَا) تَأْتِي فِيمَا يَجْزِمُ الْمَتَكَلِّمُ بِوُقُوعِهِ ، وَكِلَا الشَّاعِرَيْنِ يَجْزِمُ
وِيحْتِ عَلَى تَكْذِيبِ النَّفْسِ عَلَى الدَّوَامِ كَمَا هَمَّ الْإِنْسَانُ بِأَمْرٍ جَلِيلٍ وَأَنْ لَا يَحِيدَ عَنِ
هَذَا الطَّرِيقِ .

وَأَنْظُرْ إِلَى لَطَافَةِ قَوْلِهِ (إِذَا حَدَّثْتَهَا) وَمَافِيهِ مِنْ إِشَارَاتٍ خَفِيَّةٍ إِلَى تِلْكَ
الغفصات التي تدور في الباطن .

ونلاحظ أن لبيداً يؤمن إيماناً كاملاً بفكرة تكذيب النفس فنراه يعود ، ويؤكد

=== للحجاج الثقي والعجير السلولي / انظر:

طبقات فحول الشعراء : ٢ / ٦٣٧-٦٤٥ ، أمالي اليزيدي : ١٤٥-١٤٦ ، أمالي
الزجاجي : ٧٩-٩١ ، معجم البلدان : ٤ / ٤٠١ ، معجم ما استعجم : ٢ / ٣ / ١٠٩٧
الأعلام : ٨ / ٥٠ .

(١) هناك قصيدة طويلة ذكرها الزجاجي في أماليه : ٧٩-٨١ ، وابن منظور في
اللسان : " مرط " : ٣٩٩ / ٧-٤٠٠ ، ولكن لم يذكر فيها بيت الشاهد ، ويبدو
أنه منها ، وذكر صاحب اللسان أن القصيدة هي لنافع بن نفيح الفقعسي ، ويقال
أنها لنافع بن لقيط الأسدي .

(٢) أمالي الزجاجي : ٨٠ ، اللسان : " مرط " : ٣٩٩ / ٧-٤٠٠ .

في الشطر الثاني بأن صدق النفس يضعف الأمل ، فجاء بالجملة مؤكدة (بيان)
أما نافع بن لقيط فبدأ بيته بعكس ما ابتدأ به الأول فأعلن وأكد أن صدق
النفس يمحو الأمل من النفس .

وقوله (ويأمل ما اشتهى المكذوب) أرسله حكمة سائرة ومثلاً يضرب .
وأنظر إلى اختياره لفظ (اشتهى) بدلاً من (يريد) وما فيها من ترغيب
وحث على الكذب على النفس .

فلا شتفاء هو كل ما ترغبه النفس مع الإلحاح في طلبه . (١)

الشاهد التاسع والعشرون بعد الثلاثاء (*) (الكامل)

• وقول رجل^(٢) من الخوارج أتى به الحجاج^(٣) في جماعة من أصحاب

(١) شهن الشيء وشهاه يشهاه شهوة واشتهاه وتشهاه أحبه ورغب فيه والتشهي :

اقتراح شهوة بعد شهوة . / اللسان " شها " : ٤٤٥ / ٤٤٥ - ٤٤٦ ، شاعر : ٥٠١ - ٥٠٢ .
(*) (٢) نسبت الأبيات في زهر الآداب لعمران بن حطان ، وكذلك في ديوان الخوارج

- إحسان عباس - ، ونسبت في العفو والاعتذار لعامر بن حطان - وكذلك نسبها
الأستاذ شاعر في تحقيق الدلائل - .

وخطأ صاحب إعتاب الكتاب نسبتها لعمران بن حطان قال : " يذكر عمران بن

حطان في هذه الحكاية وهم " ، وكذا وقعت في زهر الآداب للحصري ، وفي غيره ؛
لأن عمران كان من القعد ، ولم يكن يحضر القتال ، وإنما هو عامر أخو عمران . /

إعتاب الكتاب : ٦٢ - نقل عن تحقيق العفو والاعتذار - ونسبه في الموازنة لبعض

الخوارج ، وفي أخبار أبي تمام وتهذيب ابن عساكر لرجل من أصحاب قطري .

وعمران بن حطان هو عمران بن حطان بن ظبيان بن لوزان بن عمرو بن الحارث بن

سدوس بن شيان ، وهو شاعر فصيح من شعراء الشراة ، ودعاتهم والمقدمين

في مذهبهم (الشراة : هم فرقة الخوارج سمو أنفسهم بذلك لأنهم قالوا

شربنا أنفسنا في طاعة الله - أي بعناها - ، وكان من المعمرين ، فلما ضعف عن

الحرب اقتصر على الدعوة والتخريف بلسانه ، وكان قبل أن يفتن بهذا المذهب

مشتهراً بطلب العلم والحديث ، أدرك صدراً من الصحابة وروى عنهم ، وروى عنه

أصحاب الحديث / انظر ترجمته :

قَطْرِي (١) فَقَطَّهْم ، وَمَنْ عَلَيْهِ لِيَدٍ كَانَتْ عِنْدَهُ ، وَعَادَ إِلَى قَطْرِي ، فَقَالَ لَهُ قَطْرِي ، عَاوِدَ قَتَالَ
عَدُوَّ اللَّهِ الْحَجَّاجَ فَأَبَى وَقَالَ : (٢)

أَقَاتِلِ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِي (٣) . . . بِيَدِي تُقَرِّبُ يَأْتِيهَا مَوْلَا تَسَهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ (٤) . . . فِي الصَّفِّ وَأَحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتَسَهُ
وَتَحَدَّثَ الْأَقْوَامُ (٥) أَنَّ صَنَائِعِي (٦) . . . غُرِسَتْ لَدَيْ فَحَنْظَلَتْ نَخْلَاتَهُ (٧) (٨) (٩)

=== الأغانبي : ١٠٩/١٨ - ١٢٠ ، زهر الآداب : ٩٢٥/٤ ، ميزان الاعتدال : ٢٣٥/٣
تهذيب التهذيب : ١٢٧/٨ - ١٢٩ .
(٣) انظر ترجمته : ١٠١٢ .

(١) وقطري بن الفجاءة اسمه جمونة بن مازن بن يزيد المازني الخارجي * أبو نعامة *
خرج زمن مصعب بن الزبير لما ولي العراق نيابة عن أخيه عبد الله ، وقطري
معدود في جملة خطباء العرب المشهورين بالبلاغة والفصاحة . / انظر ترجمته :
سبط اللآلي : ٥٩٠ ، العبير : ٩٠/١ ، وفيات الأعيان : ٩٣-٩٥ .

(٢) وقصة الأبيات كما جاءت في زهر الآداب : (٩٢٤/٤) ؛ ولما ظفر الحجج بعمران
ابن حطان الشاري ، قال : اضربوا عنق ابن الفاجرة ، فقال عمران : لبئسما أدبك
أهلك يا حجج ! كيف أمنت أن أجيبك بمثل ما لقيتني به ، أبعث الموت منزلة
أصانعك عليها ؟ فأطرق الحجج استحياءً ، وقال : خطوا عنه ، فخرج إلى أصحابه ،
فقالوا : والله ما أظنك إلا الله ، فأرجع إلى حربه معنا ، فقال : هيهات ! غلَّ يبدأ
مطليقها ، واسترق رقبة معتقها ، وانشد . . . الأبيات .

- (٣) رواية العفو والاعتذار : * ملكوته * .
(٤) رواية الديوان وزهر الآداب : * وقتت موازياً * .
(٥) رواية أخبار أبي تمام : * ويحدث * .
(٦) رواية الديوان وزهر الآداب ، والعفو والاعتذار : * وتحدث الأكفأ * .
(٧) رواية أخبار أبي تمام : * صنيعه * .
(٨) حنظلت : الحنظل الشجر المر / اللسان : (حنظل) : ١٨٣/١١ .

والمقصود هنا أنها لم تثمر .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوان الخوارج - إحصان عباس - : ١٨٧ ، رقم القطعة (٢١٧) ، العفو والاعتذار :

٥٦١/٢ ، أخبار أبي تمام : ٢٠٦ ، الموازنة - محمد مهني الدين - : ٦٧ ، الصنائع :

٢٣٦ ، زهر الآداب : ٩٢٥/٤ ، تهذيب ابن عساكر : ٧٠/٤ .

وبعد البيت الأول بيت متصل به ، وهو قوله : (١)
 إِنِّي إِذَنْ لَأَخُو الدَّعَاةِ وَالسُّدِّيِّ .: عَفَّتْ عَلَيَّ عِرْفَانِي جَهْلَاتِيهِ (٢) (٣)

وبعد البيت الثالث : (٤)
 أَأَقُولُ جَارَ عَلِيٍّ ؟ إِنِّي فِيكُمْ (٥) .: لَأَحَقُّ مِنْ جَارَتِ عَلَيْهِ وَلَا تَمُّ
 تَاللُّهُ مَا كِدَّتْ الأَمِيرَ بِآلِيهِ .: وَجَوَارِحِي وَسِيْلَاحِهَا آلَاتُهُ (٦)

• مع قول أبي تمام : (الطويل)
 أُسْرِبِلُ (٧) هَجَرَ القَوْلِ مَنْ لَوْ هَجَوْتَهُ .: إِذَنْ لَهَجَانِي عَنْهُ مَعْرُوفُهُ عِنْدِي (٨)
 وهو من قصيدة يمدح بها أبا المغيث الرافعي (٩) ويعتذر إليه . (١٠)

وقبل الشاهد :

وَأَصَلَّتْ شِعْرِي فَأَعْطَى رَوْنَقَ الضُّحَى .: وَلَوْلَاكَ لَمْ يَظْهَرَ زَمَانًا مِنَ الغَمْدِ
 وَكَيْفَ وَمَا أَخْلَلَتْ بَعْدَكَ بِالحِجَابِ .: وَأَنْتَ فَلَمْ تُخْلِلْ بِمَكْرَمَةٍ بَعْدِي

(١) رواية تاريخ ابن عساكر : " لأخو الجهالة " .

(٢) رواية الموازنة : " قَطَّتْ " ، ورواية ابن عساكر : " طَمَّتْ " .

(٣) رواية الموازنة : " على إحسانه " ، ورواية ابن عساكر : " على أحشائه " .

(٤) رواية العفو والاعتذار : " جَرَّتْ " .

(٥) رواية العفو والاعتذار ، وأخبار أبي تمام ، والموازنة : " لا إني إذا " .

(٦) وفي أخبار أبي تمام بيت أخير :

هَذَا وَمَا طَبَّيْتُ بِجَبْنِ إِنْسِي .: فِيكُمْ لِمَطْرَقٍ شَهْدٍ وَعَلَاتِهِ

الطب : بالكسر العادة والشأن ، والعلاة : السندان .

(٧) أصل الكلام : " أُسْرِبِلُ " استغهام انكاري .

ورواية الديوان بشرح الخطيب ، والصناعتين ، وزهر الآداب : " أَلْسِسُ هَجَرَ القَوْلِ " .

(٨) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ١١٦/٢ ، رقم ٥٦ ، ديوانه - دارصعب - : ١١٤ ،

أخبار أبي تمام : ٢٤٠ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٦٦ ، الصناعتين : ٢٣٦ ، زهر

الآداب : ٩٢٥ .

(٩) سبق ذكر مطالعها : ص ١٢٠ .

(١٠) هو موسى بن إبراهيم الرافعي (بالعين كما في تاريخ الطبري والكمال) ، أبوالمغيث ،

عامل أهل حمص على المعونة في عصر المتوكل ، وقد وثب عليه أهلها سنة (٢٤٠ هـ) ،

لقتله رجلاً من رؤسائهم ، فقتلوا جماعة من أصحابه ، ثم أخرجوه ، وأخرجوا صاحب الخراج

من مدينتهم ، فبلغ ذلك المتوكل ، فوجه إليهم عتاب بن عتاب ، ومعه محمد بن عبد ويه

الأنباري ، وحل محل أبي المغيث ، ولكن ما لبثوا أن وثبوا عليه سنة (٢٤١ هـ) فأرسل

لهم المتوكل جيشاً لإخضاعهم ، فتوسط لهم الفتح بن خاقان ، وقبل الخليفة وساطته /

انظر : تاريخ الطبري : ١٩٧/٩ ، الكامل لابن الأثير : ٢٩٣/٥ ، النجوم الزاهرة : ٢٤٩/٢ - ٣٠١ .

وبعد الشاهد:

كِرِيمٌ مَتَى أَمْدَحَهُ أَمْدَحَهُ وَالْوَرَى . . مَعِيَ وَمَتَى مَالَمْتَهُ لُمْتَهُ وَخَلْبِي

المعنى الجامع : تأنيب النفس على الإساءة إلى من أحسن إليها .

فالتأظر إلى الشاهد ينجد أن كلاً من الشاعرين قد أحسن وأجاد لبنائه معناه على الاستفهام الإنكاري ، وفي ذلك من الفخامة ما فيه ؛ لأن الموقف موقف محاسبية للنفس وفي الإنكار لهم وتأنيب .

وأنظر إلى الخارجي وقد كرر الاستفهام في البيت الثاني (مَاذَا أَقُولُ) فَصَّوَرَ الحيرة والاضطراب الدائر في نفسه ، وجسد الخجل ، والشعور بالذنب من الوقوف أمام ذلك المحسن .

وحركة الاعتذار الدائبة في نفس الشاعر ولدت صوراً حية تتحرك ، وتنطق ، وتعتذر ،

فقوله (بِيَدِي تَقَرُّ) جعل اليد تنطق وتعتزف بموالة ذلك المحسن .

وقوله (وَأَخْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ) جعل إحسانه وكأنه كائن حي يقف مدافعاً ناصباً

الحجج والبراهين على كرم وجود الحجاج ، وفي تقديم الجار والمجرور (له) على الفاعل " فَعَلَاتُهُ " اعتراف بالفضل والإدانة له بالإحسان .

وقوله " أَنْ صَنَاعِعاً غُرِسَتْ " تركيب حسن حيث جاء بصورة (الغرس) ونسى

الفعل للمجهول " غُرِسَتْ " ليبدل على تمكن ذلك المعروف في نفسه ، وأنه قد ضرب بجذوره في أعماقه وبذلك أكد استحالة اقتلعه من نفسه .

فالخارجي على الرغم من اتساع صورته وتعدد ألوانها ، قَصَرَ عن أبي تمام ، فقد

جمع هذا المعنى الكثير في اللفظ القليل ، فصورة المعروف عند الخارجي كانت تدافع وتحتج فقط أما معروف أبي تمام فكان يهجو ، وهذا أبلغ في زجر النفس وقمعها ، ولم يقتصر أبو تمام على جعل المعروف هاجباً بل جعله أقدر على الهجاء من أبي تمام نفسه .

فقوله (أَسْرِبِل) أي ألبس دل على قدرة أبي تمام على الهجاء ، وأنه لشدة

هجائه يستر المهجو ويفطيه ويحجبه عن الأنظار لما يلبسه إياه من قبيح الصفات

وقدم همزة الاستفهام المغيدة للإنكار على الفعل ، وجاء بـ (لو) الشرطية ليدل على عدم قدرته على الهجاء وعجزه عنه أمام هجاء المعروف .

وفي الفصل بين فعل الشرط وجوابه (بإذن) واقتران الجواب بلام التوكيد (لهجاني) تأكيد لشدة أثر هجاء المعروف . وتقديم المفعول به - الضمير في هجاني - على الفاعل (معروفه) لإظهار أن صاحب الضمير محط الإنكار ، وفيه تسليم من أبي تمام بقوة ذلك الهجاء وقوة وقعته على نفسه .
وتقديم الجار والمجرور (عنه) على الفاعل (معروفه) دل على تسابق المعروف ، وسرعته في الدفاع عن ذلك المحسن ، فكفاه بذلك مشقة الدفاع عن نفسه .

الشاهد الثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

• وقول النابغة :

إِذَا مَاغَدَا بِالْجَيْشِ حَلَقَ فَوْقَهُ ^(١) . : عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ ^(٢)
جَوَانِحٍ قَدْ أَيْقَنَ أَنَّ قَبِيلَهُ ^(٣) . : إِذَا مَا اتَّقَى الصَّغَانَ أَوْلُ غَالِبِ ^(٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٤ ، خفاجي : ٤٥٧ ، شاكر : ٥٠١ .
(١) رواية الدلائل تحقيق شاكر ، والمثل السائر ، وشرح التصريح بمضمون التوضيح :
" إِذَا مَاغَزَا " .

ورواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي : " إِذَا مَاغَزُوا " .

(٢) رواية الديوان ، وعيار الشعر ، والموازنة ، والمنصف في نقد الشعر ، وشرح جمل الزجاجي وشرح التصريح بمضمون التوضيح : " فوقهم " .

(٣) رواية الديوان وأخبار أبي تمام والموازنة والمنصف ، والصناعتين ، والمثل السائر :
" الجمعان " .

(٤) ديوانه : - تحقيق فوزي عطوي - : ٤٩ - ٥٠ ، عيار الشعر : ٣٣ ، أخبار أبي تمام :
١٦٥ - ١٦٦ ، الوساطة : ٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٢٨ - ٥٥٥

الصناعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ١٠٦٩ / ٤ ، المثل السائر : ٢٨١ / ٣ ، شرح

جمل الزجاجي : ٥٥٢ / ٢ ، شرح التصريح على التوضيح : ٢٢٧ / ٢ .

وهو من قصيدة مدح بها عمرو بن الحارث الأصفري الحارث الأعرج بن الحارث الأكبرين أبي شعر،^(١) حين هرب إلى الشام، ونزل به .

وهو من قصيدته التي مطلعها :

كَلَيْبِنِي لِمَهَّمْ يَا أُمَيْمَةَ نَاصِبٍ . . . وَلَيْلٍ أَقَاسِيهِ بَطِيءٍ الْكَوَاكِبِ
وقبل البيت الأول :

وَوَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ . . . كِتَابُ مِنْ غَسَّانٍ غَيْرِ أَشَائِبِ
بَنُو عَمِّ دُنْيَا ، وَعَمْرُو بْنُ عَامِرٍ . . . أَوْلَئِكَ قَوْمٌ بِأَسْمِهِمْ غَيْرُ كَذَائِبِ
وبعده :

يُصَاحِبُنَهُمْ حَتَّى يُغِيرَنَّ مَغَارَهُمْ . . . مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ السِّدَّوَارِبِ
وبعده بيت هو قبل البيت الثاني من الشاهد :

تَرَاهُنَّ خَلْفَ الْقَوْمِ خُزْرًا عِيُونَهُنَّ . . . جُلُوسَ الشُّمُوحِ فِي ثِيَابِ الْمَرَانِسِبِ
وبعده الشاهد وبعده :

لَهْنٌ طَيِّبٌ عَادَةٌ قَدْ عَرَفْنَهَا . . . إِذَا عُرِّضَ الْخَطِيءُ فَوْقَ الْكَوَاثِبِ
وجعل ابن طباطبا قول النابغة :

إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ . . . عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ
من الابتداء الذي يحسن السامع بما ينقاد إليه القول فيه قبل استتمامه ، فقدم

في هذا البيت معنى ما تحلق الطير من أجله ، ثم أوضحه بقوله :

يَصَاحِبُنَهُمْ حَتَّى يُغِيرَنَّ مَغَارَهُمْ . . . مِنْ الضَّارِيَاتِ بِالدَّمَاءِ الدَّوَارِبِ

وما بعده من أبيات سبق ذكرها (٢)

وجعل ابن الأثير قول النابغة من الضرب الحادي عشر من السلخ وهو :

(١) سبقت ترجمت : * ٦٦٢ *

(٢) عيار الشعر : ٣٣ .

• اتحاد الطريق واختلاف المقصد ، ومثاله أن يسلك الشاعران طريقاً واحدة فتخرج بهما إلى موردين أو روضتين وهناك يتبين فضل أحدهما على الآخر* (١)

• مع قول أبي نواس : (المديد)

وَإِذَا مَجَّ الْقَنَا عَطَقَاً . . . وَتَرَأَى الْمَوْتُ فِي صُورِهِ
رَاحَ فِي يَثْبِي مَغَاضِيبِهِ . . . أَسَدٌ يَدْمَى شَبَابَ ظُفْرِهِ
تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدَوْتَهُ . . . ثِقَّةٌ بِالشَّبَعِ مِنْ جَزْرِهِ (٤)
وهو من قصيدة مدح بها العباس بن عبيد الله ، (٥) ومطلعها :

أَيُّهَا الْمَنَابُ عَنْ عَفْوِهِ . . . لَسْتُ مِنْ لَيْلِي وَلَا سَمَرِهِ
وقبل الشاهد :

سَبَقَ التَّغْرِيطُ رَائِدُهُ . . . وَكَفَاهُ الْعَيْنُ مِنْ أَشْرِهِ
وبعده :

وَتَرَى السَّادَاتِ مَا لَيْسَ . . . لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَمَرِهِ

(١) المثل السائر : ٣ / ٢٦٥ .

(٢) رواية الديوان والوساطة والمنصف :

* تَتَأَيَّى * ومعنى تَتَأَيَّى وَتَتَأَيَّى واحد ، وهو تتعمد وتقصد .

ورواية المثل السائر * تتمنى * .

(٣) رواية الموازنة وزهر الآداب :

* غزوته * .

(٤) ديوانه : ٤٣١ ، الكامل : ٢ / ١٤ ، أخبار أبي تمام : ١٦٥ ، الوساطة :

٢٧٤ ، الموازنة : ٥٩ ، المنصف في نقد الشعر : ٧٨ - ٥٥٥ ،

الضناعتين : ٢٤٦ ، زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ ، المثل السائر :

٣ / ٢٨٢ ذكر البيت الأخير فقط .

(٥) سبقت ترجمته : * ٦٦٣ * .

(١)
وأول من قال في هذا المعنى الأفوه الأودي ، وذلك قوله :
وَتَرَى الطَّيْرَ عَلَى آثَارِنَا . . . رَأَى عَيْنٍ ثِقَةً أَنْ سَتَمَارُ (٢)

ثم تبعه النابغة فقال :

إِذَا مَا غَدَا بِالْجَيْشِ حَطَّقَ فَوْقَهُ . . . البيت (٣)

وقد استجاد بعض المحدثين قول النابغة فقال :

من أين للأفوه مثل ابتداء النابغة

وورد هذا القول بأن الأفوه له فضل السبق، وهو أعظم الفضل ، وهو قد اقتصر ،

وشرح مراده في بيت ، أما النابغة فقد أطال وأتى بمراده في أبيات . (٤)

ولقد تطرق كثير من الشعراء بعدهما لهذا المعنى ، فقال حميد بن ثور يصف ذئباً

إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ عَمَامَةً . . . مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرَنَّ الَّذِي هُوَ صَارِعُ (٥)

وقال أبو نواس :

تَتَابَعَى الطَّيْرَ غَزْوَتَهُ . . . بيت الشاهد (٦)

وقال مسلم بن الوليد :

قَدْ عَوَدَ الطَّيْرَ عَادَاتٍ وَثِقْنَ بِهَا . . . فَهِنَّ يَتَّبِعْنَهُ فِي كُلِّ مَرْتَحَلٍ (٧)

وقال أيضا في هذا المعنى :

أَشْرَيْتَ أَرْوَاحَ الْعِدَا وَقُلُومَهَا * خَوْفًا فَأَنْفُسَهَا إِلَيْكَ تَطِيرُ
لَوْ حَاكَمْتِكَ فَمَا لَبِثَكَ بِذَخْلِهَا * شَهَدَتْ عَلَيْكَ تَعَالِبٌ وَتُسُورُ

(١) هو صلاة بن عمرو بن مالك بن الحارث أودي ، وأود هو ابن صعب بن سعد

العشيرة بن مذحج ، ويكنى الأفوه أبا ربيعة وهو جاهلي قديم ، وذكر

بعض المؤرخين أنه أدرك المسيح عليه السلام . / انظر ترجمته :

سمط اللاكبي : ١ / ٣٦٥ ، ٨٤٤ ، الأغاني : ١٢ / ١٦٩ - ١٧٣ .

(٢) ديوانه - الطرائف الأدبية - : ١٣ ، الموازنة - محمد محيي الدين - : ٩ ، ٥ ،

الوساطة : ٢٧٤ .

(٣) سبق تخريجه : ١٠٨١ ، من البحث .

(٤) المنصف في نقد الشعر : ٧٨ - ٧٩ .

(٥) ديوانه : ١٠٦ ، الموازنة : ٥٩ .

(٦) سبق تخريجه : ١٠٨٣ .

(٧) شرح ديوان صريع الخواني : ١٢ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٣ / ٢٨٢ ،

زهر الآداب : ٢٤٦ .

وقال أبو تمام :

وَقَدْ ظَلَلْتُ أَعْنَاقُ أَعْلَامِيهِ ضَحَى . . . يَعْقَبَانِ طَيْرِي فِي الدَّمَاءِ نَوَاهِيهِ
أَقَامَتْ مَعَ الرَّايَاتِ حَتَّى كَانَتْهَا . . . مِنْ الْجَيْشِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَقَابِلِ (١)

وقال أبو الطيب المتنبى :

يَفْدَى أُمَّ الطَّيْرِ عُمْرًا سِيْلَاحَهُ . . . نُسُورُ الْمَلَا أَحْدَانُهَا وَالْقَشَائِمُ (٢)
وَمَا ضَرَّهَا خَلْقٌ بِغَيْرِ مَخَالِيبِ . . . وَقَدْ خُلِقَتْ أَشْيَافُهُ وَالْقَوَائِمُ (٣)

ثم أورد هذا المعنى في موضع آخر من شعره فقال :

سَحَابٌ مِنَ الْعِيقَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا (٤) . . . سَحَابٌ إِذَا اسْتَشَقَّتْ سَقَّتْهَا صَوَارِمُهُ (٥)

وقد رأى أبو بكر الصولي أن قول أبي نواس أحسن من قول مسلم بن الوليد ، وأبي

تمام إلا أن النابغة قد فاقهم جميعاً .

قال بعد ذكر بيتي أبي تمام ومسلم بن الوليد :

* وأحسن من هذا قول أبي نواس في العباس بن عبيد الله *

ثم قال بعد نهاية أبيات أبي نواس .

* ولا أطمأ أحدًا قال في هذا المعنى أحسن مما قاله النابغة وهو أولى بالمعنى ،

وإن كان قد سبق إليه ؛ لأنه جاء به أحسن * (٦)

(١) ديوانه - دارصعب - : ٢١٩ ، أخبار أبي تمام : ١٦٤ ، المثل السائر : ٢٨٢ / ٣ ،

زهر الآداب : ٤ / ١٠٦٩ .

(٢) القشاعم : المسنن من الرجال والنسور والضخم العظيم منها / القاموس المحيط

* قشعم * : ٤ / ١٦٧ .

(٣) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٧٩ - ٣٨٠ ، المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٤) رواية المثل السائر * تَرْجَفُ * .

(٥) ديوانه بشرح العكبري : ٣ / ٣٣٨ ، المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٦) أخبار أبي تمام : ١٦٥ .

ورأى القاضي^(١) الجرجاني، وتبعه أبو هلال العسكري أن أبا تمام قد زاد على الأفوه، والنابعة، وأبي نواس، وسلم بن الوليد فرأى أبو هلال العسكري أن الزيادة في قوله: "إِلَّا أَنْتَهَا لَمْ تُقَاتِلِ".

ورأى القاضي الجرجاني أن الحسن والتقدم في بيت أبي تمام ليس من هذه الزيادة فقط، وإنما لقوله "فِي الدَّمَاءِ تَوَاهِلٍ" وإقامتها مقام الرايات، وبذلك يتم حسن قوله: "إِلَّا أَنْتَهَا لَمْ تُقَاتِلِ".

ورأى أن الأفوه الأودي قد فضل الجماعة بأمر: منها السبق وهي الفضيلة العظمى، والآخر قوله: (رأى عين) فخير عن قريبها؛ لأنها إذا بَعَدَتْ تُخَيَّلَتْ ولم تر، وإنما يكون قريبها متوقفاً للفريسة، وهذا يؤيد المعنى، ثم قال: "ثقة أن ستار" فجعلها واثقة بالميرة، ولم يجمع هذه الأوصاف غيره، أما أبو نواس فإنه نقل اللفظ فقط، فلم يزد شيئاً حتى يُقَضَّ، وأما قول المتنبي:

سَحَابٌ مِنَ الْعِقْبَانِ يَزْحَفُ تَحْتَهَا . . . البيت .

فزاد أن جعل هاهنا سحابتين وجعل السحابة السفلى تسقي ما فوقها، وهذا غريب وقد يعنيه بعضهم لأمرين:

أحدهما أن السحاب لا يسقي ما فوقه، والآخر أن العقبان، والطيور لا تستسقي، وإنما تستطعم، فأما إسقاء ما فوقه فهو الذي أغرب به، فهو لم يجعل الجيش سحاباً في الحقيقة فيمتنع إسقاؤه ما فوقه، وإنما أقامه مقام السحاب من وجهين لتزاحمه وكثافته، وقد فعلت العرب ذلك في أشعارها، وقال يستسقي؛ لأنه لما جعله سحاباً جعله يستسقي. (٣)

وعن بيت المتنبي هذا قال ابن الأثير:

(١) الوساطة: ٢٧٤.

(٢) الصناعتين: ٢٤٥.

(٣) الوساطة: ٢٧٤، المثل السائر: ٣ / ٢٨٣.

” وهذا معنى قد حوى طرفي الإغراب والإعجاب ” (١)

ورأى ابن الأثير أن أبا نواس، ومسلم بن الوليد، وأبا تمام، والمنتبي أحسن من أجاد في هذا المعنى ، وأنه قد تطرق إليه الكثيرون إلا أنهم جاءوا بشيء واحد لا تفاضل بينهم فيه إلا من جهة حسن السبك ، أو من جهة الإيجاز في اللفظ ، ورأى أن أفضل هؤلاء الأربعة مسلم بن الوليد والمنتبي ، فقال عن بيتي مسلم :

أَشْرَبَتْ أَرْوَاحَ الْعِيدَا وَقَلُومَهَا . . .

لَوْ حَاكَمْتِكَ فَطَالَبَتَكَ بِذَخْلَمَهَا . . .

” فهذا من الطليح البديع الذي فضل به مسلم غيره في هذا المعنى ” (٢)

وقال عن بيتي المنتبي :

يَقْدِي أَمَّ الطَّيْرِ عَمْرًا سِلَاحَهُ . . .

وَمَاضَرَّهَا خَلْقٌ يَغْيِرُ مَخَالِبِهِ . . .

” وكذلك فعل أبو الطيب المنتبي فإنه لما انتهى إليه الأمر سلك مسلك من سبقوه ، إلا أنه خرج إلى غير المقصد الذي قصدوه ، فأغرب وأبدع وحاز الإحسان بجملته ، وصار كأنه مبتدع لهذا المعنى دون غيره ” (٣)

ولم يتطرق لبيتني الأفوه الأودي ، والناطقة الذبياني بالنقد .

وقد أظهر الشيخ عبد القاهر الفرق بين البيتين ، ودلل واستشهد بهما على أن

المعنى يُنقل من صورة إلى صورة ، وشرح ذلك بأن هاهنا معنيين .

أحدهما : أصل وهو علم الطير بأن المدوح إذا غزا عدواً كان الظفر له ، وكان هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتلى ، فعمد الناطقة إلى الأصل ، وذكره صريحاً ، وجعله مكشوفاً ، واعتمد في كشف الفرع ،

(١) المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٢) المثل السائر : ٢٨٣ / ٣ .

(٣) المصدر السابق ، نفس الجزء ، والصفحة .

وهو طمعها في لحوم القتل على دلالة الفحوى ، وعكس أبو نواس الصورة .

نقل الشيخ عن المرزباني قال :

« حدثني عمرو الوراق قال : رأيت أبا نواس يُنشد قصيدته التي أولها :

« أَيُّهَا الْمُنْتَابُ عَنْ عَفْسِهِ »

فحسدته ، فلما بلغ إلى قوله :

تَتَأَيَّى الطَّيْرُ غَدَوْتَهُ . : ثِقَةً بِالشَّيْبِ مِنْ جَزْرَةٍ

قلت له ماتركت للنايغة شيئاً حيث يقول : « إِذَا مَاغَدَا بِالْجَيْشِ » ، البيهقي ،

فقال : اسكت ، فلئن كان سبق فما أسأت الاتباع » (١)

وعلق الشيخ على هذه القصة محلاً للفرق بين الصورتين :

« وهذا الكلام من أبي نواس دليلٌ بَيِّنٌ في أن المعنى يُنقل من صورة إلى صورة ،

ذاك لأنه لو كان لا يكون قد صنع بالمعنى شيئاً لكان قوله « فما أسأت الاتباع »

محالاً ، لأنه على كل حال لم يتبعه في اللفظ ، ثم إن الأمر ظاهر لمن نظر في

أنه قد نقل المعنى عن صورته التي هو عليها في شعر النايغة إلى صورة

أخرى وذلك أن ههنا معنيين :

أحدهما : أصل وهو علم الطير بأن المدوح إذا غزا عدواً كان الظفر له ، وكان

هو الغالب .

والآخر : فرع وهو طمع الطير في أن تتسع عليها المطاعم من لحوم القتل .

وقد عمد النايغة إلى « الأصل » الذي هو علم الطير بأن المدوح يكون

الغالب ، فذكره صريحاً ، وكشف عن وجهه ، واعتد في « الفرع » الذي هو

طمعها في لحوم القتل ، وأنها لذلك تحلق فوقه على دلالة الفحوى .

وعكس أبو نواس القصة ، فذكر « الفرع » الذي هو طمعها في لحوم القتل صريحاً

فقال كما ترى :

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٤-٣٨٥ ، خفاجي : ٤٥٧-٤٥٨ ، شاعر : ٥٠٢ .

• ثِقْمَةٌ بِالشَّبَعِ مِنْ جَزْرَةٍ •

وَعَوْلٌ فِي "الأصل" الذي هو علمها بأن الظفر يكون للمدوح على الفحوى ،
 ودلالة الفحوى على علمها أن الظفر يكون للمدوح ، هي في أن قال : " من جَزْرَةٍ •"
 وهي لا تثق بأن شبعها يكون من جَزَر المدوح حتى تعلم أن الظفر يكون له .
 أن يكون شيء أظهر من هذا في النقل عن صورة إلى صورة " (١)

الشاهد الواحد والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الحفيف)

• قول أبي العتاهية :

شِيمٌ فَتَحَّتْ مِنْ المَدْحِ مَا قَدَّ (٢) . . . كَانِ مَسْتَفْلِقًا عَلَى المَدْحِ (٣)

ومثل معنى بيت الشاهد قول أبي تمام :

وَلَوْلَا خِلَالٌ سَنَّتْهَا الشَّعْرَ مَا دَرَى . . . بُعَاةُ العُلَا مِنْ أَيْنَ تَأْتِي التَّكَايِمُ

وقول المتنبي :

وَعَلَّمُوا النَّاسَ مِنْكَ المَجْدَ وَاقْتَدَرُوا . . . عَلَى دَقِيقِ المَعَارِنِ مِنْ مَعَارِنِكَ

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت أبي العتاهية هو كالمحتوى على معنى بيتي أبي

تمام والمتنبي . (٤)

• مع قول أبي تمام : (الكامل)

نَظَّمْتُ لَهُ خَرَزَ المَدِيحِ مَوَاهِبُ (٥) . . . يَنْفَعُنِي فِي عُقْدِ اللِّسَانِ المُنْفَحِمِ (٦)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٨٥ ، خفاجي : ٤٥٨ ، شاكر : ٥٠٣ .
 (*) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٣ .
 (٢) رواية الصبح المنبئ : " من المجد " .

(٣) لم أجده في ديوانه - طبعة دار صعب - . انظر : الصبح المنبئ : ٢٣٦ ، الوساطة : ٣٠٤ .

(٤) المصدر السابق ، نفس الصفحة .

(٥) رواية الديوان بشرح الخطيب ، وكذلك الديوان الكامل - دار صعب : " مَكَايِمُ " .

(٦) المُنْفَحِمُ : العَيْبُ الضعيف الذي لا يقول الشعر / اللسان " فحم " : ٤٤٩ / ١٢ .

(٧) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٢٥٢ / ٣ ، ديوان أبي تمام - دار صعب .

والشاهد من قصيدة يمدح بها أبا الحسين محمد بن الهيثم بن شبانة (١) ومطلعها :

نَثَرْتُ قَرِيدَ مَدَامِجٍ لَمْ تَنْظُمَ^(٢) . . . وَالذَّمْعُ يَحْمِلُ بَعْضَ شَجْوِ الْمُسْرَمِ^(٣)

وقبل الشاهد :

كَلِفٌ يَرَبُّ الْمَجْدِ يَزْعُمُ أَنَّهُ . . . لَمْ يُبْتَدَأْ عَرَفٌ إِذَا لَمْ يُتَسَمَّ

وبعد الشاهد :

فِي قَلْبِهِ كَثْرُ السَّكَاتِ وَإِنْ غَدَا . . . هَاطِلًا وَعَفْوٌ يَدِيهِ جُهْدُ الْمِسْرَمِ

المعنى الجامع بين الشاهدين أن أخلاق المدوح وشيمه الرفيعة هي التي حركت دوافع المدح عند الشعراء ، إلا أن لكل من الشاعرين صورته التي أجاد فيها ، فأبو العتاهية بنى بيته على صورة الفتح والإغلاق .

وأبو تمام بنى معناه على صورة العقد والنغث .

ولكلا الصورتين وجه من الحسن ، فأبو العتاهية ابتدأ بيته بالمسند ، وحذف المسند إليه فقال (شيم) أي " هي شيم " وإنما حسنَ الحذف هنا للإشادة بعظم تلك الشيم والخصال .

وقوله " مستغلقاً " بزيادة البناء دلَّ على قوة الإغلاق واستعصاء المعانسي على الشعراء .

إِلَّا أَنَّ قَوْلَهُ (فَتَحَّتْ) بالتضعيف أظهر أن هذه الشيم لحسنها ورفعتهما وعظمتها ، وتأثيرها في نفوس الشعراء فَجَّرَتْ لديهم القوى الشعرية ، ومدت الخيال بالمعاني الغزيرة .

(١) سبقت ترجمته : ٢٣ . ١

(٢) رواية الديوان بشرح الخطيب :

" لَمْ يُنْظَمْ "

(٣) رواية الديوان بشرح الخطيب :

" بَعْضُ يُثْقَلُ "

أما أبو تمام فكانت صورته أظنى مذاقاً وأدق تركيباً ، وأغزر معسنى ،
 فهي صورة مستمدة من القرآن الكريم من قوله تعالى :
 * وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (١) ، وقد حَسَّنَ هذا التلميح في هذا
 الموضع .

وأين قوة الفتح من قوة * النفث في العقد *
 وأنظر إلى تركيب صورة النفث هذه ، حيث جاء بلفظ (عُقد) بصيغة
 الجمع بدلا من (عقدة) بصيغة المفرد ؛ ليدل على أنها عقد كثيرة قوية
 فهي عقدة بعد عقدة ، وفي إضافة العُقَدِ إلى اللسان تصوير لعجزه ، وفي
 وصفه بأنه مُفحِمٌ مبالغته في وصفه بالمعجز التام .

واضفى على اللسان هذه الصورة العاجزة ؛ ليظهر قوة تلك المواهب
 التي استطاعت أن تحل ذلك اللسان ، وجعلته يتغنى في طرب وخفة بتلك
 القصائد المتينة ، ففي تشبيه المدائح بصورة العقد الذي نظمت خـمـرـه
 دليل على قوة تلك القصائد وتلاحم بناؤها .

فهذه المواهب إذاً مواهب عظيمة عجيبة عجب السحر نفسه .

الشاهد الثاني والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (الوافر)

• وقول أبي وجزة : (١)

أَتَاكَ الْمَجْدُ مِنْ هُنَا وَهَنَا . : . وَكُنْتَ لَهُ كَجُمُعِ السُّيُولِ (٢) (٣)

• مع قول منصور النمري : (٤)

إِنَّ التَّكَايُمَ (٥) وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَةَ . : . أَحْلَكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ (٦)

(١) هو يزيد بن عبيد وقيل يزيد بن أبي عبيد ، انتسب إلى بني سعد بسن بكر بن هوازن لولائه فيهم ، وأصله من سليم ، وينو سعد أظار رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث أرضعته حليلة السعدية .

كان أبو وجزة شاعراً مجيداً ، وهو أحد من شسب بعجوز وكان من التابعين ، روى الحديث عن جماعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم سكن المدينة ، فانقطع إلى آل الزبير ، ومات بها سنة ١٣ هـ / انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٠٦-٧٠٧ ، الأغاني : ١٢ / ٢٣٩-٢٥٢ ،
القاموس المحيط : " وجز " : ٢ / ٢٠٢ ، غاية النهاية : ٢ / ٣٨٢ ، خزانة
الأدب - دار صادر - : ٢ / ١٥٠ ، الأعلام : ٨ / ١٨٥ .

(٢) رواية ديوان المعاني ، والدلائل تحقيق شاكرو : " بمجتمع السيلول " .

(٣) ديوان المعاني : ١ / ٥٩ .

(٤) هو منصور بن الزبير بن سلمة - وقيل منصور بن سلمة بن الزبير بن سلمة - بن

شريك بن مطعم بن مالك بن سعد بن عامر .

كان منصور شاعراً من شعراء الدولة العباسية من أهل الجزيرة ، وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابي وراويته ، وعنه أخذ ، ومن بحره استقى ، وبمذ هبته تشبهه .

وقد مدح منصور النمري هارون الرشيد وأعجب بشعره إلا أن بعضهم أشار بحفيظة الرشيد عليه فيبعث من يقتله فوجده قد توفي / انظر :

الشعر والشعراء : ٢ / ٨٦٣ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٠-١٥٧ ، تاريخ بغداد : ١٣ / ٦٥-٦٩ ، خاص الخاص : ١١٢ .

(٥) في إحدى روايات ديوان المعاني روي صدر البيت :

" خَلِيفَةُ اللَّهِ إِنَّ الْجُودَ أَوْدِيَةٌ "

(٦) انظر البيت في : ديوانه : ١٠٠ ، الأغاني : ١٣ / ١٤٥ ، ديوان المعاني :

١ / ٢٨ ، ٥٩ / ٥٩ ، التمثيل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٦٧ ،

مَا تَقْضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعٌ . : إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يَرْتَجِعُ
وقبل الشاهد :

مَبَاشِرًا لِأُمُورِ الْمَلِكِ مُبْتَدِلٌ . : فِيهَا قَرِيحَةٌ رَأَى مَابِهِ طَبَسَعُ
تَهْدِيهِ فِي ظُلَمَاتِ الرَّأْيِ تَحْزِينُهُ (١) . : عَيْنٌ مِنَ الْحَزْمِ مَا فِي مَا قَبَهَا قَمَعُ
وبعدهما الشاهد وبعده :

إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَاللَّهُ يَرْفَعُهُ (٢) . : وَمَنْ وَضَعْتَ مِنَ الْأَقْوَامِ يَتَضَعُ (٣)
الصورة المجتمعة في البيتين هي صورة اجتماع المكارم والمجد في المدوح بمجتمع
السيول . وقد أجاد كل من الشاعرين في إبراز صورته فأبو وجزة جعل المجد شخصاً
يمشي ويتحرك، فهو يسعى نحو المدوح سعياً حثيثاً وينسل إليه طائفاً مختاراً من
كل حذب وصوب .

وأنظر إليه وقد ابتدأ البيت بالجملة الفعلية ليدل على شدة الانسيال
وتأمل قوله " وكنت له " والدور الفعال الذي يقوم به الجار والمجرور في الرسط
بين حلقات البيت حيث أثبت الصلة بين صورة المجد وصورة المدوح .
أما أبو منصور النري فبدأ بيته بالجملة الاسمية المؤكدة (بان) ليؤكد ثبوت
ودوام تلك المكارم في المدوح ، وصرح بكونها أودية ليستحضر الخيال غزارة تلك
الأودية وامتلاءها ، فتقف النفس إجلالاً وإكباراً حين تعلم أن مجتمع هذه المكارم
الرفيعة هو المدوح .

وقوله " أحلك الله منها " كلام بليغ من حر المديح إذ أنه جعل مجتمع السميول
هو مكان المدوح وحده بلا منازع لأن حلوله كان بأمر من الله والأمر من الله قضاء ،

=== أمالي المرتضى : ٢٧٧/٢ ، زهر الآداب : ٣/٧٠٣ ، تاريخ بغداد : ٦٨/١٣ ،
الحماسة البصرية : ١٤٨/١ .

(١) تحزبه : تشده / القاموس المحيط " حزب " : ٥٦ / ١ .

(٢) رواية زهر الآداب والحماسة البصرية : " رافعه " .

(٣) رواية الأغاني : " متضجع " .

وهذا إثبات أن المكارم والمعروف حُصَلَة جَبِلَ عَلَيْهَا ، وأمر فُطِرَ عَلَيْهِ .
ومجيء الجار والمجرور " منها " هو مُخِ المعنى ومعتده .
وعبر عن اجتماع تلك المكارم في المدوح بالجملة الفعلية (حيث تجتمع)
ليؤكد تجدد اجتماعها فيه مرة بعد مرة .

الشاهد الثالث والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (البسيط)

قول بشار :^(١)

١- الشَّيْبُ كُرَّةٌ وَكُرَّةٌ أَنْ يُفَارِقَنِي ^(٢) . : . أَعْجِبْ بِشَيْءٍ عَلَيَّ الْبَغْضَاءُ مَوْدُودٍ ^(٣) ^(٤) ^(٥) ^(٦)

- (١) هوله في : أمالي المرتضى ، وهو لمسلم بن الوليد في :
ذيل ديوانه ، ديوان المعاني ، التشبيهات ، التمثيل والمخاضة ، أحسن
ما سمعت ، زهر الآداب ، تاريخ بغداد ، سمط اللآلي ، حماسة ابن الشجري ،
نهاية الأرب للنويري .
وهو لأبي العتاهية في الفاضل .
وذكر في مجموعة المعاني أنها لمسلم بن الوليد ، وأنها رويت لبشار أيضاً .
- (٢) رواية تاريخ بغداد لصدر البيت :
- " أكره شيبتي وأخشى أن يزايلني "
- (٣) رواية المختار من شعر بشار والتشبيهات : " أن تفارقه " .
- رواية زهر الآداب : " أن أفارقه " .
- (٤) رواية ديوان المعاني : " أحب " .
- (٥) رواية أحسن ما سمعت ، وزهر الآداب ونهاية الأرب " أعجب لشيء " .
- (٦) ذيل ديوان صريح الفواني : ٢٩٢ ، ذكرت الأبيات الثلاثة (أي التي ستذكر
بعد الشاهد) ، الفاضل : ٧٥ ، البيت الأول والثالث .
المختار من شعر بشار : ٢٨٣ البيت الأول .
ديوان المعاني : ١٥٨ / ٢ البيت الأول فقط .
التشبيهات : ٢٢١ البيت الأول والثالث .
التمثيل والمخاضة : ٣٨٧-٨٢ البيت الأول فقط .

والشاهد أحد أبيات ثلاثة وهو ثانيها وقبله :

٢- نَامَ الْعَوَانِلُ وَاسْتَكْفَيْنَ لِأَيْمَتِي . . . وَقَدْ كَفَاهُنَّ نَهْضُ الْبَيْضِ فِي السُّوَدِ

وبعد الشاهد :

٣- يَمْضِي الشَّبَابُ وَقَدْ يَأْتِي لَهُ خَلْفٌ ^(١) . . . وَالشَّيْبُ يَذْهَبُ مَفْقُودًا يَنْفَقُودُ

ولقد استحسنت أبو هلال العسكري بيت الشاهد فقال :

" وذكر مسلم بن الوليد كراهة الشيب وكراهة مفارقتها إن جاء فأحسن

حيث يقول : . . . البيت " (٢)

وكذلك رأى الثعالبي أنه من أحسن ما قيل في الإشفاق من الشيب (٣)

وكذلك رأى ابن الشجري أن مسلماً قد أحسن في بيته هذا (٤)

•• مع قول البحري : (الوافر)

تَعَيْبُ الْغَانِيَاتِ عَلَيَّ شَيْبِي . . . وَمَنْ لِي أَنْ أُمَّتَعُ بِالْمَعْيِبِ (٥)

=== أحسن ما سمعت : ١٢٣ البيت الأول والثالث .

أما المرتضى : ٦٠٧ / ١ البيت الأول والثالث

زهر الآداب : ٩٧١ / ٤ البيت الأول والثالث

تاريخ بغداد : ٩٧ / ١٣ - ٩٨ الأبيات الثلاثة وذكر البيت الثاني والثالث

عن رواية أبي تمام .

سطح اللآلئ : ٣٣٤ / ١ البيت الأول والثالث .

حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ البيت الأول والثالث .

نهاية الأرب للنويري : ٢٢ / ٢ البيت الشاهد فقط ، مجموعة المعاني : ١٢٣ .

(١) رواية زهر الآداب " فيأتي بعده بدل " .

رواية تاريخ بغداد : " أما الشباب فمفقود له خلف " ، ورواية حماسة

ابن الشجري ومجموعة المعاني : " يمضي الشباب ويأتي بعده خلف " .

(٢) ديوان المعاني : ١٥٨ / ٢

(٣) أحسن ما سمعت : ١٢٣ .

(٤) حماسة ابن الشجري : ٢٤٥ .

(٥) ديوانه - بيروت - : ٤٤٠ / ١ ، ديوانه - صيرفي - : ٩٩ / ١ ، الشهاب فسي

الشيب والشباب : ١٦ .

وهو من قصيدة يمدح بها هيثم بن هارون بن المعمر، (١) ومطلعها :

أَمْنِكَ تَأْوُبُ الطَّيْفِ الطُّرُوبِ . : حَبِيبٌ جَاءَ يَهْدِي مِنَ حَبِيبِ

وقبل الشاهد :

أَقُولُ لِلْمَتَى إِذْ أَسْرَعَتْ بِي سِي . : إِلَى الشَّيْبِ أَخْسَرِي فِيهِ وَخِيَابِي

مَخَالِفَةٌ يَضْرِبُ بَعْدَ ضَرْبِ . : وَمَا أَنَا وَأَخْتِلَا فَاتِ الضُّرُوبِ

وَكَانَ حَدِيثُهَا فِيهَا غَرِيبًا . : فَصَارَ قَدِيمُهَا حَقُّ الْغَرِيبِ

وبعد الشاهد :

وَوَجَدِي بِالشَّبَابِ وَإِنْ تَقَضَّى (٣) . : حَمِيدًا دُونَ وَجَدِي بِالمَشَيْبِ

المعنى الجامع بين الشاهدين كراهة الشيب مع محبته . وإذا تأملنا الشاهدين

وجدنا أن كلا من الشاعرين قد تناول هذا المعنى بصورة تختلف عن صورة الآخر .

فبشار ابتداء بيته بجملة خبرية " الشيب كره " أعلن بها حقيقة شعوره نحو

الشيب الذي هو رمز أقول الشباب ، وهذا الخبر على عظمه جاء خالياً من ضرب

التوكيد ، لأنه حقيقة مسلم بها عند الشاعر .

(١) جاء في تحقيق الديوان - صيرفي - :

" والمهيثم بن عبد الله بن المعمر التغلبي ، ثم العدوي قلده أساتكين سنة ٢٦١ هـ

الموصل ، وأرسل إليه الخلع واللواء ، وكان يد يار ربيعة متوليها بعد مسوت

إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ) فجمع جموعاً كبيرة وسار إلى الموصل ، ونزل

بالجانب الغربي وزحف إلى باب البلد ، فخرج له أهلها فقاتلوه حتى عاد عنها : "

١ / ٩٨ . ويبدو لي أن محقق الديوان خلط بين عبد الله بن المهيثم " الابن "

وبين المهيثم بن عبد الله " الأب " ، فالذي وجدته في تاريخ الطبري ، والكامل لابن

الأثير أن الذي تولى أمر يار ربيعة بعد وفاة إسحاق بن أيوب سنة (٢٨٧ هـ)

هو عبد الله بن المهيثم بن عبد الله بن المعمر " المعتمر " . / انظر :

تاريخ الطبري : ١٠ / ٧٦ ، والكامل لابن الأثير : ٦ / ٩٨ .

(٢) لمتي : اللمة : شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة ، وفي الصحاح : الشعر

يجاوز شحمة الأذن . / الصحاح : " لم " : ٥ / ٣٢٠ ، اللسان : " لم " :

١٢ / ٥٥١

(٣) رواية الديوان - صيرفي - : " وَإِنْ تَوَلَّى " .

وإِنِّي لأسمع رنات الأسي والتحسرتن في جوانب هذا الخبر إلا أن الشاعر
فاجأنا بخبر آخر تعجب له النفس، فأخبرنا أنه على كرهه للشيب يكره أن يفارقه ،
وجاء بالواو ، ووصل بين الجملتين ليزيد النفس عجباً ، فهو قد جعلها كأنها جملة
واحدة على الرغم ما بينها من تضاد ، وهذا التضاد له طعنة حسنة في النفس
لما أثاره فيها من التعجب ، ثم جاء بقوله (أعجب) بصيغة الأمر ليوقظ معسني
العجب في النفس .

ونكر لفظ " شي " ليولد في الخيال نوعاً من الغموض المثير للعجب ، ثم أظن
أن هذا الشيء على بغضه وكرهه مودود محبوب .

أما البحري فقد جعل الشيب عيماً تعيره به الغانيات وهذا أوجع في النفس
وأشد إيلا لها ؛ لأن في مجيء صورة الغانيات ، تذكيراً بأيام الشباب ، وهذا
التذكير يبعث الحسرة في النفس ، إلا أن الشاعر يفاجئنا بجعل هذا العيب وما يصدر
عنه من آلام أجمل ما يتمتع به الإنسان ، وهو غاية ما يتمناه ويرجوه ، وانظر كيف صور
كره مفارقة الشيب بقوله " من لي " وهو استفهام يحمل معنى التمني والترجى
وبنى الفعل " أمتع " للمجهول ليبالغ في عظم ذلك التمتع .

الشاهد الرابع والثلاثون بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

وقول أبي تمام :

يَشْتَاقُهُ مِنْ كَمَالِهِ غَدُهُ . : وَيَكْتَبِرُ الْوَجْدَ نَحْوَهُ الْأَمْسُ (١)

وهو من قصيده يمدح بها الحسن بن وهب ، (٢) ومطلعها :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خضاجي : ٤٥٩ ، شاعر : ٥٠٤ .

(١) ديوانه - بشرح الخطيب التبريزي - : ٢ / ٢٣٢ ، ديوانه - دار صعب - :

١٤٨ .

(٢) سبقت ترجمته : ص ٨٥٩

هَلْ أَثْرَيْنَ دِيَارِهِمْ دَعَسَ .: (١) حَيْثُ تَلَاقَى الْأَجْرَاعُ وَالْوَعَسُ (٢) (٣)

وقبل الشاهد :

أُرْوَعُ لَأَيْنَ رِيَاحِهِ الْحَرْجَفُ ال .: (٤) (٥) صِرُّ وَلَايِنَ نُجُومِهِ النَّحْسُ (٦)

وبعد الشاهد :

رَدِّي لِطَرْفِي عَنْ وَجْهِهِ زَمَنٌ .: (٧) وَسَاعَتِي مِنْ فُرَاقِهِ حَرَسٌ (٨)

.. مع قول ابن الرومي : (الطويل)

إِمَامٌ يَظَلُّ الْأَمْسُ يَعْجَلُ نَحْوَهُ .: (٩) تَلَقَّتْ مَلْهُوفٍ وَيَشْتَاقُهُ الْغَدُ (١٠)

والشاهد ثالث أبيات أربعة ، قالها في مدح المعتضد بالله (١)

(١) الدعس : الكثير الواضح من الآثار . / القاموس المحيط * دعس * : ٢ / ٢٢٣ .

(٢) الأجرع : الرملة الطيبة المنبت ، أو الكثيب جانب منه رمل ، وجانبا

حجارة كالأجرع والجرعاء . / القاموس المحيط * جرع * : ٣ / ١٢ .

(٣) الوعس : السهل الذي من الرمل ، / اللسان * وعس * : ٦ / ٢٥٦ .

(٤) أروع : الأروع من يعجبك بحسنه ، وجهارة منظره ، أو بشجاعته كالرائع . /

القاموس * روع * : ٣ / ٣٣ .

(٥) الحرجف : الريح الباردة الشديدة الهبوب . / القاموس المحيط * حرجف * :

٣ / ١٣٠ .

(٦) الصر : الباردة الشديدة الصوت / القاموس المحيط * صر * : ٢ / ٧١ .

(٧) الحرس : الدهر / القاموس المحيط * حرس * : ٢ / ٢١٤ .

(٨) رواية تاريخ الخلفاء : * تلهف * .

(٩) انظر البيت في :

ديوانه - مطبعة دار الكتب - : ٢ / ٦٦٠ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٩ .

(١٠) هو أحمد أبو العباس ، ابن ولي العهد الموفق طلحة بن المتوكل بسن

المعتضد بن الرشيد (٢٤٢ هـ - نحو ٢٨٩ هـ) ، أمه أم ولد اسمها

* صواب * وقيل * حرز * ، وقيل * ضرار * ، كان ملكاً شجاعاً مهيباً ظاهر

الجبروت ، وانرا العقل ، شديد الوطأة ، وكان يسمى السفاح الثاني ؛

لأنه جدد ملك بني العباس / انظر :

تاريخ الطبري : ٩ / ٥٣٠ ، ٥٤٠ ، ٥٤٤ ، ٥٥٢ - ٥٥٧ ، ٦٦٣ ، ٦٦٧ / ١٠ : ١٥٩ ، ٨٠

٢٠ - ٢٢ ، ٢٨ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٥٦ ،

مروج الذهب : ٢٢٩ - ٢٧٤ ، التنبيه والإشراف : ٣٣٦ ، تاريخ الخلفاء : ٣٦٨ - ٣٧٥ .

وقيل الشاهد :

هَنِيئًا بَنِي الْعَبَّاسِ إِنَّ إِمَامَكُمْ . : إِمَامُ الْهُدَى وَالْجُودِ وَالْبَأْسِ أَحْمَدُ^(١)
كَمَا يَا بِي الْعَبَّاسِ أَنْشِيءُ تَلْكَكُمْ . : كَذَا يَا بِي الْعَبَّاسِ مِنْكُمْ يُجَسِّدُ

وبعد هما الشاهد وبعده :

يَوْمَ الزَّمَانِ الْمُنْقِضِي عَنْهُ أَنْتَهُ . : عَلَيْهِ لِيَزَامُ آخِرَ الدَّهْرِ سَرْمَدُ

فالصورة الجامعة بين الشاهدين هي اشتياق الغد للمدوح ، وتذكر الأوس له .

فأبو تمام وابن الرومي صوروا الغد بصورة واحدة ، وهي صورة المشتاق ، إلا أن

أبا تمام زاد على الآخر بقوله :

” مِنْ كَمَالِهِ ” ، وفي هذا إشادة بالمدوح .

أمَّا تذكر الأوس له ، فأبو تمام جعل الأوس إنساناً كثيراً الوجد ، وهي صورة

لطيفة ، ولكن صورة ابن الرومي كانت أكثر لطافة ، فهو لم يكتب بأن جعل الأوس

إنساناً كثيراً الوجد ، بل صور آثار ذلك الوجد ، فجعله إنساناً دائم التلفت كثيره ،

ثم أضاف هذا التلفت إلى كلمة ” ملهوف ” ، وفي هذا ما فيه من الدلالة على عظم

الشوق ، والبراعة في تجسيد تباريح الوجد .

قال الشيخ عبد القاهر :

” لا تنظر إلى أنه قال : ” يشتاقه الغد ” ، فأعاد لفظ أبي تمام ، ولكن

انظر إلى قوله :

” يَعْمَلُ نَحْوَهُ تَلَفَّتْ مَلْهُوفٌ ” (٢)

(١) رواية تاريخ الخلفاء :

” والبأس والجود أحمد ” .

(٢) الدلائل ، رضا : ٣٨٦ ، خفاجي : ٤٥٩ ، شاكر : ٥٠٤ .

الشاهد الخامس والثلاثون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

وقول أبي تمام :

(١) لَيْسَ نَمَّتِ الْأَعْدَاءُ سُوءَ صَبَاحِهَا . : . فَلَيْسَ يُؤَدِّي شُكْرَهَا الذُّبُّ وَالنَّسْرُ (٢)

وهو من قصيدة قالها يفخر بقومه عند انصرافه من مصر (٣)

وقبل الشاهد :

(٤) ضَبِيْبِيَّةٌ مَا إِنْ تُحَدِّثُ أَنْفُسَا . : . يَمَا خَلْفَهَا مَا دَامَ قَدَامَهَا وَتَسْرُ (٥)

وبعد الشاهد :

(٦) يَبَاهَا عَرَفَتْ أَقْدَارَهَا بَعْدَ جَهْلِهَا . : . بِأَقْدَارِهَا قَيْمُ بْنُ عَيْلَانَ وَالْفِزْرُ (٦)

ذكر الآمدي أن هناك من يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم بن الوليد :

لَوْ حَاكَمْتِكَ فَطَائِبَتِكَ يَذْخُلِيهَا . : . شَهِدْتَ عَلَيْكَ شَعَالِبٌ وَتَسُوْرُ

وهو يرى غير ذلك ؛ لأن المعنيين مختلفان ، فسلم أراد أن يقول لمدوحه :

لو حاكمتك - الفرقة والعصب التي لقيتك - بنار من قتلت منها لشهدت عليك

الشعالب والنسور .

(١) رواية الديوان بشرح الخطيب ، والديوان - دار صعب - :

” فَإِنْ نَمَّتْ ”

(٢) الديوان بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧ ، الديوان - دار صعب - :

٤٢٤ ، الموازنة : ١٢٢ .

(٣) سبق ذكر مطلعها : ٩٩٩ ، من البحث .

(٤) ضبيبية : منسوبة إلى الضبيب ، وهو فرس كان لرجل من طي ، حمل عليه

بعض ملوك الفرس ، وذلك أنه كان معه في حرب ، فهزم ذلك الملك ، وقصر

فرسه ، فحمله الطائي على الضبيب ، فعرف له الملك ذلك ، وأقطع مواضع

بالسواد . / ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧

(٥) الوتر : الظلم / القاموس المحيط ” وتر ” : ٢ / ١٥٧ .

(٦) الفزْر : سعد بن زيد مناة بن تميم سموا بذلك ؛ لأن أباهم سعداً كان

له قطيع من معز فجاء به إلى الحرم ، فأتهبه الناس ، فقالوا في المثل : لا أفعل

ذلك حتى يجتمع معزى الفزْر . / ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٧٧

أما أبو تمام ، فقال على سبيل الاستهزاء :
لئن نمت الأعداء سوء صباحها فليس يؤدّي الذئب والنسر شكرها لكثرة
ما أكل منها ، وهذا المعنى غير ذاك . (١)

(المتقارب)

•• مع قول المتنبي :
(٢) وَأَنْبَتَ مِنْهُمْ رَبِيعَ السَّبَاعِ . : فَأَثْنَتْ بِإِحْسَانِكَ الشَّابِلِ (٣)
وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ، ويذكر استنقاده أبا وائل تغلب بن داود
ابن حمدان العدوي من أسر الخارجي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة ، ومطلعها :
إِلَامَ طَمَاعِيَّةِ الْعَازِلِ . : وَلَا رَأْيِي فِي الْحُبِّ لِلْعَاقِلِ
وقبل الشاهد :

تَرَكْتُ جَمَاجِمَهُمْ فِي النَّقَا . : وَمَا يَتَخَلَّصَنَّ لِلنَّاخِلِ

وبعد الشاهد :

وَعَدَّتْ إِلَى حَلْبِ ظَافِرًا . : كَعُودِ الحُلِيِّ إِلَى العَاطِلِ (٤)

ومعنى البيت كما ذكره العكبري :

• يقول : لو قدرت السباع على النطق ، لأثنت بما شملها من إحسانك بكثرة
القتلى ، فكأنك بما أوليتها من لحوم القتلى أنبت لها ربيعاً ، وهذا ترشيح
للاستعارة ، بأن السباع لا تأكل الحشيش ، ولما استعار الربيع ، استعار النبت
له .

والمعنى : أنبت من أجسادهم ربيع السباع ، فأخصبت في لحومها إخصاب

(١) انظر : الموازنة بتحقيق محيي الدين عبد الحميد - : ١٢٢ .

(٢) رواية الديوان بشرح العكبري : " فأنبت منهم " .

(٣) انظر البيت في :

الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣١ ، العرف الطيب : ٤ / ٣٧٦ .

(٤) المرأة التي لا حلي لها . / القاموس المحيط " عطل " : ٤ / ١٧ .

السائمة في ربيعها ، فأثنت بما عمها من فضلك ، وشعلها من إحسانك .
ورأى العكبري أن هذا البيت من احسان الكلام ، وهو مبني على الاستعارة ، ومثله
قوله :

وَكَانَ بِهَا يِثْلُ الْجَنُونِ فَأَصْبَحَتْ . . . وَمِنْ جُثِّ الْقَتْلِ عَلَيْهَا تَنَائِمٌ

فالصورة المشتركة في البيتين هي كثرة القتل ، وشكر الذئب والسباع .
فأبو تمام عبر عن كثرة القتل بالمعنى الكنائي ، وفي هذا ما يثير الفكر ، ويحرك
الخيال ، فقوله : " لئن نمت الأعداء سوء صباحها " صورة حية لحالة الأعداء ،
وهم يسخطون ، ويذمون ، ويندبون ذلك الصباح لكثرة مارأوا فيه من قتلاهم .

ثم أكد هذا المعنى بصورة أخرى فقال : " فليس يؤدي شكرها الذئب والنسر " ،
فجعل الذئب والنسر يعجزان عن شكر تلك الليلة ، لكثرة ما أكلوا من لحوم الأعداء .
أما المتنبي فاخترع صورة أعمق ، وأدق ، تجعل التأمل لها يقف مندھشاً من كثرة
القتلى ، فجاء بصورة الربيع ، وما فيه من كثرة الإنبات والاختضار ، فجعل القتل ربيعاً
يخصب أجسام السباع كما يخصب الربيع أجسام السائمة .

وصورة الإنبات التي أتى بها ، وإن كانت صورة معهودة إلا أنه صاغها صياغة
أخرجتها في أبهى حللها ، فالجار والمجور في قوله " أنبت منهم " صور تكمن
المدوح من الأعداء ، وأثبت ضعفهم وتخاذلهم أمام قوته وسطوته .

وانظر إلى الإضافة في قوله (ربيع السباع) وكيف أضفت على الصورة نوعاً من
الغرابية واللطافة وجعلتها من الاستعارات الخاصة النادرة ، واختيار المتنبي للسباع
أكثر خدمة للصورة وأدل على كثرة القتل ؛ لأن السباع أكثر الحيوانات افتراساً ، وأشدّها
حاجة للحوم .

وتأمل " الغاء " في قوله " فأثنت " وكيف دلت على سرور تلك السباع لإحساسها
بالشبع ، فأسرعت بالثناء على المدوح .

وفي وصف الإحسان بكونه شاملاً دليل على عظم ذلك المدوح .

الشاهد السادس والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (البسيط)

• وقول أبي تمام :

وَرَبِّ نَائِيِ الْمَغَانِي رُوْحَهُ أَبَدًا . : لَصِيْقُ رُوْجِي وَدَانٍ لَيْسَ بِالدَّانِي (١)
وهو من قصيدة يمدح بها سليمان بن وهب ، ^(٢) ويشفع في رجل يُقال له سليمان

ابن رزّين ابن أخ دجّل الخزاعي : ومطلعها :

إِنَّ الْأَمِيرَ حَمَامَ الْجَارِمِ الْجَانِي . : وَمُسْتَرَادُ أَمَانِي الْمَوْثِقِ الْعَانِي ^(٣)

وقبل الشاهد :

عِصَابَةٌ جَاوَرَتْ آدَابَهُمْ أَدَبِي . : فَهَمَّ وَلِنْ فُرْقُوا فِي الْأَرْضِ جِيرَانِي
أَرْوَاخُنَا فِي مَكَانٍ وَاجِدٍ وَغَدَّتْ . : أَبَدَانْنَا فِي شَامٍ أَوْ خُرَاسَانَ

وبعدهما الشاهد وبعده :

أَفِي أَخٍ لِي فَرْدٍ لَا قَسِيمَ لَهْ . : فِي خَالِصِ الْوَدِّ مِنْ سِرِّي وَإِعْلَانِي

(١) ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٢٣٥ .

ديوان أبي تمام - دار صعب - : ٢٩٥ .

(٢) المستراد : المكان الذي يرتاده الرجل ويجول فيه . / القاموس المحيط / رود :

١ / ٣٠٧ .

(٣) هو سليمان بن وهب بن سعيد بن عمرو الحارثي ، أبو أيوب أحد كتّاب

الدنيا ورؤسائها فضلاً وأديباً وكتابة ، وأحد عقلاء العالم وذوي الرأي منهم ،

كتب للمأمون وهو حدث صغير ، وتولى خراج مصر سنة (٢٤٢ هـ) ، وولي

الوزارة للمعتز وللمهتدي ثم للمعتد سنة (٢٦٣ هـ) ، ونقم عليه الموفق

فحبسه في سنة (٢٦٥ هـ) هو وابنه عبيد الله ، وأخذ أموالهما وعقارهما ،

ثم صولحا على تسعمائة ألف دينار ، ثم نقم عليه مرة أخرى فحبسه ، فمات

في حبسه سنة (٢٧٢ هـ) / انظر :

الطبري : ٩ / ٥٤٠ ، الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ -

٢٥٢ ، ٢٥٤ ، الوزراء والكتاب : ١٣٤ ، وفيات الأعيان : ٢ / ٤١٥ .

(الوافر)

•• مع قول المتنبي :

لَنَا وَلَا هَلِيهِ أَبَدًا قُلُوبٌ .: تَلَاقِي فِي جُسُومٍ مَا تَلَاقَى (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة حين أمره بفرس وجارية ومطلع

القصيدة ، وهو البيت الذي قبل الشاهد :

أَيُّدِي الرَّبْعِ أَيَّ دَمٍ أَرَاقَا .: وَأَيُّ قُلُوبٍ هَذَا الرَّكْبِ شَاقَا

وبعد الشاهد وعده :

وَمَا عَفَّتِ الرِّيحُ لَهُ مَحَلًّا .: عَفَاهُ مَنْ حَدَا بِهِمْ وَسَاقَا

ومعنى الشاهد :

يقول أن لنا وللراجلين من أهل هذا الربع قلوباً تتلاقى على الدوام ، بما هي عليه من الشوق والحنين والتذكار لسالف العهد ، وأيام الوصال ، على الرغم من تباعد الأجساد ، وعدم تلاقئها . (٢)

ورأى العكبري أنه منقول من قول ابن المعتز :

إِنَّا عَلَى الْبَعَادِ وَالتَّفَرُّقِ .: كَلْتَلْتَقِي بِالذِّكْرِ إِنْ لَمْ نَلْتَقِ (٣)

المعنى الجامع بين الشاهدين هو قرب الأرواح مع بُعد الأجساد ، وإذا تأملنا كلا من الصورتين ، وجدنا أن أبا تمام قد بدأ بيته بقوله : * ورب ناعي المغاني * فجاء برَبِّ مع ذكر تنائي الديار وبعد ها ليزيد في النفس صورة البعد بعهداً ، فهذا الإغراق في البعد إنما هو تصوير لوحشة نفسه التي ما تلبث أن تفيض حينئذٍ لأهل تلك المغاني .

وقوله * أبداً * لفظة نفيسة صورت حركة الحنين والشوق الدائبة في نفسه .

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٢ / ٢٩٤ ، العرف الطيب : ٩٣ / ٤ .

(٢) التبيان للعكبري : ٢ / ٢٩٤ .

(٣) ديوانه : ٣٣٧ .

وهذا التضاد في قوله * ودان ليس بالداني * إنما هو وليد ذلك التنازع الناشب في صدره بين البُعد والحنين .

وإذا تأملنا صورة المتنبى وجدناها تجيش بألوان الحس والشعور، انظر إليه كيف نكر المسند إليه * قلوب * ليظهر شفافية تلك القلوب، الجياشة بالعواطف، وكأنها قلوب من نوع خاص، وقصر هذه القلوب على كونها له ولأهل تلك الديار، يتقدم المسند الجار والمجرور على (قلوب)؛ ليؤكد أن هذه القلوب فريدة في عاطفتها لا يملكها كل أحد .

وانظر إلى (واو) العطف، وكيف كشفت عن ذلك الرباط المتين بين الشاعر، وأهل تلك الديار .

وتأمل لفظ * تلاقى * وما فيه من تشخيص حيّ لإلحاح الشوق والحنين، وقوله * تلاقى * بدلا من * تتلاقى * مع تقييده بكونه * في جسم * أظهر أن ذلك اللقاء إنما هو لقاء معنوي لا حسي يتم في عالم الروح .

وأنظر إليه كيف فصل بين المسند والمسند إليه بقوله * أبدا * ليؤكد دوام ذلك التلاقي الروحي واستمراره .

وانصت إلى النفي في قوله * ماتلاقى * لتسمع دندنات الشوق واللوعة لتسلك النفس الحزينة اللاهفة .

الشاهد السابع والثلاثون بعد الثلاثاء : (*) (الرمل)

• وقول أبي هيفان : (١)

(*) الدلائل، رضا : ٣٨٧، خفاجي : ٤٦٠، شاکر : ٥٠٥ .
(١) هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزبي العبدى الخرنوبي، راوية، عالم بالشعر والأدب، شعره جيد إلا أنه مقل، من أهل البصرة، سكن بغداد، وأخذ عن الأصمعي وغيره، وكان متهتكا فقيرا يلبس مالا يكاد يستر جسده، له * أخبار الشعراء * و * صناعة الشعر * و * أخبار أبي نواس *، مات سنة سبع وخمسين ومائتين من الهجرة / . انظر :

أَصْبَحَ الدَّهْرُ مَسِيئًا كُلَّهُ .: مَالَهُ إِلَّا ابْنُ يَحْيَى حَسَنَهُ (١)

•• مع قول المتنبي : (الطويل)

أَزَلَّتْ بِكَ الْأَيَّامُ عُتْبِيَّ كَأَنَّمَا .: بَنُوهَا لَهَا ذَنْبٌ وَأَنْتَ لَهَا عَذْرُ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي - (٣) مطلعها :

أَطَاعِنُ خَيْلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ .: وَجِيدًا وَمَا قَوْلِي كَذَا وَمَعِيَ الصَّبْرُ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقوله :

وَأِنِّي وَإِنْ نِلْتَ السَّمَاءَ لَعَالِمٌ .: يَا نَكَ مَا نِلْتَ الَّذِي يُوجِبُ الْقَدْرُ

ومعنى الشاهد :

يقول : الأيام لها إساءات كثيرة ، فلما سمحت بمثلك زال عتبي عليهما ،

فكأنها أتت بك عذراً . (٤)

ذكر العكبري أن معنى المصراع الأول من الشاهد مأخوذ من قول حبيب

أبي تمام :

تَوَالِكَ رَدَّ حُسَايِي فُلُولا .: وَأَصْلَحَ بَيْنَ أَيَّامِي وَتَيْنِي (٥)

=== تاريخ بغداد : ٣٧٠ / ٩ ، لسان الميزان : ٣ / ٢٤٩ ، سمط اللاكسي :

٣٣٥ ، بغية الوعاة : ٢ / ٣١ ، الأعلام : ٤ / ٦٥ .

(١) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر الأفي :

الوساطة : ٢٣٢ ، التبيان : ٢ / ١٥٩ .

(٢) ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح العكبري : ٢ / ١٥٩ ، العرف الطيب :

٢ / ٦٧ ، الوساطة : ٢٣٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ١٣٦ .

(٣) لم أقف على ترجمة له بعد .

(٤) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ .

(٥) التبيان : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٠٧ .

والمصراع الثاني من الشاهد من قوله :

كَثُرَتْ خَطَايَا الدَّهْرِ فِيَّ وَقَدْ بَرَى . . . يَنْدَاكَ وَهُوَ إِلَىٰ مِثْلِهَا تَائِبٌ (١)

ومثله لابن الرومي :

أَنْتُمْ أَنْاسٌ بِأَيَّامِكُمْ . . . يَسْتَعْتَبُ الدَّهْرُ إِذَا أَدْنَبَا (٢)

إِذَا جَنَى الدَّهْرُ عَلَيَّ أَهْلِيهِ . . . وَزَادَ فِي عَذَابِكُمْ (٣) أَعْتَبَا (٤)

ولأبي نواس :

يَتْرَبِي إِلَيْكَ بِهَا بَنُوا أَمَلِي . . . عَتَبُوا فَأَعْتَبَهُمْ بِكَ الدَّهْرُ (٥)

المعنى الجامع بين البيتين أنه لا خير في الدهر إلا وجود المدوح . وقد اعتد

كل من الشعراء على صورة واحدة هي صورة إساءة الدهر، ومحو المدوح لتلك

الإساءة فأبو هفان جاء بالصورة مؤكدة حيث أعلن أن الدهر كله إساءات ، وجاء

بلفظ (كَلَّةٌ) عقب الجملة ليؤكد شمول وعموم تلك الإساءات ، وبعد أن أكد

هذا المعنى في الأذهان جاء بأسلوب القصر عن طريق النفي والاستثناء ، وانظر

إلى تركيب هذا القصر ، وكيف زاد الأسلوب تأكيداً على تأكيد ، ومكّن المعنى وقصره

في النفس ، حيث قدم المسند الجار والمجرور (له) على المسند إليه " حَسَنَةٌ " ،

وقدم المقصور عليه (ابن يحيى) على المقصور " حسنة " وقصر الحسنة على " ابن يحيى

وحده ونفاها عن جميع ما عداه مبالغة وادعاء .

أما المتنبي فنراه عائباً لائماً للأيام لكثرة إساءتها، ولم تجد الأيام ما تزيل به عتبه

ولومه إلا ذلك المدوح، ولم يكتف المتنبي بهذا المعنى بل جاء بصورة حية تبرز

(١) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه - دار صعب - : ٣٢ .

(٢) رواية الديوان : " يستغفر " .

(٣) رواية الديوان : " عذبتكم " .

(٤) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه : ١ / ٢٣٣ .

(٥) التبيان للعكبري : ٢ / ١٥٩ ، ديوانه : ٤٧٩ .

حسن أخلاق ذلك المدوح ، وعظيم فضله ، فصنع من الدنيا أمّا عَقَمَهَا بنوها جميعهم
إلا ابناً واحداً ، ولك أن تتصور حالة هذه الأم التي أفنت ربيع أيامها في تربية هؤلاء
الأبناء ثم تكافأ بالعقوق ، فإذا ما تصورت هذا المعنى واستلأت به نفسك ، فما ظنك
بها حين تجد بعد هذا العقوق ابناً باراً يخلص لها الطاعة ويدين لها بالبر ،
ومعاساها أن تكون مكانته في نفسها ؟

وانظر إلى الجار والمجرور ، والدور العظيم الذي قام به في إبراز المعنى ،

فقوله : « أزالمت بك » أ ضفى

على الإزالة معنى القوة ، والذهاب التام ، وأرجع للمدوح وحده فضل
تلك القوة ، وفضل تلك الإزالة ، فالباء هنا دلت على استعانتها به ولجوئها إليه .
وتأمل كذلك قوله " بنوها لها ذنب " وما فيه من معنى العقوق التام ، والأسف
والحسرة على هؤلاء الأبناء .

وانظر إلى قوله " وأنت لها عذر " وما يحمله من معنى الرضى والطاعة والاستبشار
والفرح بذلك الابن البار .

الشاهد الثامن والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

• وقول علي بن جبلة : (١)

(*) الولد لي ، رضا : ٣٨٧ ، طحطاحي : ٤٦٠ ، شاعر : ٥٠٥ .
(١) هو علي بن جبلة بن عبد الله - وفي تاريخ بغداد - بن مسلم بن عبد الرحمن

ويكنى أبا الحسن ويلقب بالعمكوك ، من أبناء الشيعة الخراسانية من أهل
بغداد ، وبها نشأ ، وولد بالحربية من الجانب الغربي ، كان ضريباً كُفَّ
بصره بالجدري وهو ابن سبع سنين ، وقيل كان أعمى ، كان من الموالى ، وكان
أسود أبرص ، وهو شاعر مطبوع ، عذب اللفظ جزله ، لطيف المعاني ، مسدّاح
حسن التصرف جيد المدح وصاف محسن ، مدح المأمون ، وحמיד بن عبد الحميد
الطوسي وأكثر من مدح أبي دلف العجلي والحسن بن سهل قال عنه الجاحظ :
" كان أحسن خلق الله إنشاداً ، ما رأيت مثله بدويّاً ولا حضريّاً " .

ولد سنة (١٦٠ هـ) وتوفي بمدينة السلام ، وقيل قتله المأمون سنة ٢١٣ هـ . / =====

وَأَرَى اللَّحَالِي مَاطُوتٌ مِنْ قُوَّتِي (١) . رَدَّتْهُ فِي عِظْتِي (٢) وَفِي إِفْهَامِي (٤)
والشاهد أول بيتين وثانيتها :

وَعَلِمْتُ أَنَّ الْمَرْءَ مِنْ سُنَنِ الرَّدَى . : حَيْثُ الرَّيَّةُ مِنْ سِهَامِ الرَّابِي (٥)
•• مع قول ابن المعتز : (المتقارب)

وَمَا يُنْتَقَصُ مِنْ شَبَابِ الرَّجَالِ (م) . : يَزِدُّ فِي نُهَاهَا وَأَلْبَابِهَا (٦)
وهو من قصيدة يفتخر بها مطلعها :
أَلَا مَنْ لِعَيْنِي وَتَسَكَّابِهَا . : تَشَكَّى الْقَدَى وَبَكَاهَا بِهَا
وقبل الشاهد :

فَإِنْ فُرْصَةٌ أَتَكُنْتِ فِي الْعَدُوِّ . : وَفَلَا تَبْدِي فِعْلَكَ إِلَّا بِهَا
فَإِنْ لَمْ تَلِجْ بَابَهَا مُسْرِعًا . : أَتَاكَ عَدُوُّكَ مِنْ بَابِهَا

=== انظر ترجمته : البرصان والعرجان : ٨٦-٨٧ ، الشعر والشعراء : ٨٦٨/٢ -
٨٧٢ ، طبقات ابن المعتز : ١٧٠-١٨٥ ، الورقة : ١٠٦ ، الأغاني : ١٤/٢٠ -
٤٢ ، تاريخ بغداد : ٣٥٩/١١ ، وفيات الأعيان : ٣٥٠/٣ ، رقم ٤٦١ ،
نكت الهميان : ٢٠٩-٢١٠ ، شذرات الذهب : ٣٠/٢ .

(١) رواية التمثيل والمحاضرة : " من شرتي " .
والشرة : النشاط والرغبة ، وشرة الشباب حرصه ونشاطه / اللسان " شرر " :
٤ / ٤٠١ .

(٢) رواية الديوان : " زادته " .

(٣) رواية الديوان : " في عظي " .

(٤) لم أجد إلا في :

ديوانه : ١٠٤ ، الوساطة ، ٢٤٥ ، التمثيل والمحاضرة : ٨٧ ، نهاية الأرب :

٨٩/٣ ، التبيان : ١ / ١٧٠ .

(٥) ديوانه : ١٠٤ ، التمثيل والمحاضرة : ٨٧ ، نهاية الأرب : ٨٩/٣ .

(٦) ديوانه : ٣١ ، الوساطة : ٢٤٥ ، التبيان : ١ / ١٧٠ .

وبعد هما الشاهد وبعد :

وقد أَرَجَلَ الْعَيْسَ فِي مَهْمَةٍ . . . تَقَصَّى الرَّحْمَالُ بِأَصْلَابِهَا

وقد أخذ المتنبي هذا المعنى فقلبه ، وقال :

لَيْتَ الْحَوَارِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَذَتْ . . . مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أَعْطَتْ وَتَجَرَّبِي (١)

المعنى العام في الشاهدين : أن قَدَم السن يزيد الإنسان حكمة ، وخبرة .

وإذا تأملنا الشاهدين ، وجدنا أن كلا من الشاعرين صاغ المعنى صياغة حسنة

جيدة .

فَصُورَةُ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ تَوْلَدَتْ عَنْ نَفْسٍ تَتَفَجَّرُ نَفَاجَةً وَاقْتِدَارًا ، فَهُوَ قَوِيٌّ دَائِمُ الْعَطَاءِ فِي شَبِيئِهِ وَشَبَابِهِ ، انظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ اسْتَطَاعَ أَنْ يَثْبُتَ قُوَّتَهُ عَنْ طَرِيقِ صُورَةِ الضَّعْفِ الَّتِي تَعْتَرِي الْإِنْسَانَ فِي كِبَرِهِ ، فَصَوَّرَ نَهَابَ الْقُوَّةِ الْجَسَدِيَّةِ بِالشُّبُوبِ الْمَطْوِيِّ ، وَأَسْنَدَ فِعْلَ الطِّيِّ إِلَى اللَّيَالِي لِيُشِيرَ إِلَى سُرْعَةِ انْصِرَامِ الزَّمَانِ ، وَكَأَنَّهُ يَبْنُو الْإِنْسَانَ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْأَزَلِيَّةِ وَهِيَ ضَعْفُ الْإِنْسَانِ .

إِلَّا أَنَّ هَذَا الضَّعْفَ الَّذِي يَصِيبُ الْخَلْقَ عَامَةً يَتَحَوَّلُ عِنْدَ الشَّاعِرِ إِلَى صُورَةٍ مِنْ الْقُوَّةِ عَجِيبَةٍ . انظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ صَوَّرَ هَذَا التَّحْوِيلَ ، وَكَأَنَّهُ حَقِيقَةٌ مُشَاهِدَةٌ ، فَلَجَأَ إِلَى أَسْلُوبِ الْاِلْتِمَاتِ ، فَعَبَّرَ عَنِ الْمَاضِي بِالْمُضَارِعِ (أَرَى) . فَالْمَوْقِفُ عِنْدَهُ مَوْقِفٌ تَحَدُّدٌ مَعَ الْأَيَّامِ ، فَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَثْبُتَ أَنَّ قُوَّتَهُ قُوَّةٌ غَرِيبَةٌ لَذَا اسْتَحْضَرَهَا ، وَجَعَلَهَا حَيَاةً مَتَحَرِّكَةً لِيَرَاهَا مِنْ يَسْمَعِهِ مِنْ خِلَالِ هَذَا التَّحْوِيلِ فِي الْفِعْلِ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْقَلِ الْحَدِيثَ مِنْ وَاقِعِهِ الَّذِي مَضَى إِلَى مَقَامِ الْحُضُورِ ، وَهَذَا الْأَسْلُوبُ أَشَدُّ تَوْكِيدًا ، وَأَشَدُّ تَخْيِيلًا ، وَانظُرْ إِلَيْهِ كَيْفَ رَكَّبَ الْمَعْنَى عَلَى الشَّرْطِ وَجَوَابِهِ (مَاطُوتٌ - رَدْتَهُ) مَعَ عَقْدِ الطَّبَاقِ بَيْنَ الْفِعْلِ وَالْجَوَابِ ، لِيُؤَكِّدَ أَنَّ مَا أَخَذَتْهُ الْأَيَّامُ مِنْ قُوَّتِهِ الْجَسَدِيَّةِ ، رَدْتَهُ فِي عَظْمَتِهِ وَفَهْمِهِ .

وكذلك نجد بيت ابن المعتز يحتوي على دقائق نفيسة منها : بناء الفعـسل

" يُنْتَقَصُ " للمجهول مع زيادة في مبناه ، فدل بذلك على سرعة انقضاء الشباب ، وفي

هذا تنبيه للإنسان من الغفلة التي تصيبه في هذه الفترة وقوله " من شباب الرجال " كناية

عن القوة ، وإضافة الشباب إلى الرجال مبالغة في تجسيد تلك القوة .

وهذا أبلغ من التصريح في بيت الأول " من قوتي " ، والشاعر بنى بيته أيضاً على الشرط وجوابه مع عقد الطباق بين الفعل والجواب (ينتقص - يزد) ، وهذا أشد تحريكاً للخيال ، وأبلغ تصويراً للمعنى .

الشاهد التاسع والثلاثون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

• وقول بكر بن النطاح : (١)

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي كَفِّهِ غَيْرُ رُوحِهِ (٢) . لَجَادَ بِهَا فَلَيْتِي اللَّهُ سَائِطُهُ (٤)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٨٧ ، ضفاجي : ٤٦٠ ، شاکر : ٥٠٦ .
(١) وهو له في :

محاضرات الأدباء ، الإبانة عن سرقات المتنبي ، التبيان للعكبري .

وقد سبقت ترجمة بكر بن النطاح : ٤٢ ، وهو لأبي تمام فسي :

ديوان المعاني ، التشيل والمحاضرة ، شرح المضمون به على غير أهله ،

خزانة البغدادي .

وجاء في الوساطة أنه يروى لبكر بن النطاح وقد دخل في شعر أبي تمام .

وهو في العمدة لزياد الأعجم ، وأخت يزيد بن الطثرية ، وقد استطحته أبو تمام في شعره .

(٢) يروى " يكن بالياء " وتكن " بالتاء .

(٣) رواية الوساطة : " نفسه " ، وكذلك رواية ديوان المعاني ، والعمدة ، وشرح

شواهد المغني ، وخزانة الأدب للبغدادي .

(٤) شرح " شعراء متلون " : ٣٦٠ . ديوان أبي تمام بشرح التبريزي : ٣ / ٢٩ ، ديوان أبي تمام - دار صعب :-

٢٠٥ ، المحاسن والمساوي : ٢٠٨ غير منسوب ، الوساطة : ٢١٦ ،

ديوان المعاني : ١ / ٢٥ ، التشيل والمحاضرة : ٤٣٥ .

محاضرات الأدباء : ٢ / ٥٨٥ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ ،

العمدة : ٢ / ٢٨٣ ، التبيان للعكبري : ١ / ٢٦ ، شرح المضمون به

على غير أهله : ١٥٦ ،

شرح شواهد المغني : ٢ / ٦٣٥ .

ذكر العميدي أن بكر بن النطاح قال البيت في أبي دلف المعجلي حين كان يقيم على خدمته .

وقبل الشاهد :

(١)
هُوَ الِجَمُّ مِنْ أَيِّ النَّوَاجِحِ أَتَيْتَهُ . : . فَلَجَّتْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْجُودُ سَاحِلُهُ
تَعَوَّدَ بَسَطَ الْكَفِّ حَتَّى لَوْ أَنَّهُ . : . ثَنَاهَا لِقَبْضِ لَمْ تَجِبْهُ أَنَا مِلْهُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

عَطَاءٌ لَوْ اسْتَطَاعَ الَّذِي يَسْتَيْحِكُهُ . : . لِأَصْبَحَ مِنْ بَيْنِ الْوَرَى هُوَ عَانِلُهُ

وقد أخذ أبو الطيب معنى الشاهد فقال :

يَأْتِيهَا الْمَجْدَى عَلَيْهِ رُوحُهُ . : . إِنْ لَيْسَ يَأْتِيهِ لَهَا اسْتِجْدَاءٌ
احْتَدَّ عَفَاتِكُ لَأَفْجَعْتَ يَفْقَدِهِمْ . : . فَلَتَرَكُ مَالَمُ يَأْخُذُ وَإِعْطَاءُ (٢)

وعلق القاضي الجرجاني على بيت أبي تمام (أو بكر بن النطاح) وبيتي المتنبي

بقوله :

* بيت أبي تمام أو بكر بن النطاح ألمح لفظاً وأصح سبكاً وزاد أبو الطيب

بقوله : إنه يجدي عليه روحه ، ولكن في اللفظ قصور والأول نهاية في الحسن * (٣)

وذكر أن المتنبي قد نقل هذا المعنى عن الروح إلى الجسد في قوله :

لَوْ اشْتَهَتْ لَحْمَ قَارِيهَا لَبَادَرَهَا . : . خَرَانِذِلٌ فِيهِ فِي الشَّيْزَى وَأَوْصَالَ

ورأى أن هذا البيت هو الأول لأن من جاد بأوصاله فقد جاد بروحه ورأى أنه

قد يكون من قول ابن الرومي :

(٤)
لَوْ حَزَيْنَ جِسْمِهِ لِسَأَلِهِ . : . أَنْفَسَ أَعْضَائِهِ لَنَا أَلْنَا (٥)

ثم كرره وغيره بعض التفسير فقال :

(١) رواية المحاسن والمساوي ، ديوان المعاني ، شرح المضمون به على غير أهله :

* هو البحر .

(٢) ديوانه بشرح العكبري : ١ / ٢٦٠ .

(٣) الوساطة : ٢١٦ .

(٤) رواية الديوان : * من نفسه .

(٥) ديوانه : ٥ / ٢١٤٣ .

يَلْتُ إِلَى مَنْ يَكَادُ بَيْنَكُمَا . : لَوَكُنْتُمَا السَّائِلَيْنِ يَنْقَسِمُ (١)

وذكر أبو نعيم الأصبهاني أن بيت الشاعر مأخوذ من مدح رجل لاخر حيث

قال :

كيسه محلول، وماله مبذول ، يطعمك نفسه إن أكلتها ، ويسقيك روحه

إن شربتها * (٢)

وذكر أبو هلال العسكري أن بيت الشاعر من أبيات مشهورة وقد قبلها الناس

على ما فيها من الغلو، قال :

* ومن الغلو المشهور المستفيض الذي قبله الناس، واستحسنوه، وردت به بكل لسان

قول أبي تمام في المعتصم (٣) ثم ذكر أبياتاً من ضمنها بيت الشاعر

وذكر العميدي أنه من مليح الشعر (٤)

•• مع قول المتنبي : (المنسرح)

إِنَّكَ مِنْ مَعْشَرٍ إِذَا وَهَبُوا . : مَا دُونَ أَعْيَارِهِمْ فَقَدْ بَخِلُوا (٥)

وهو من قصيدة مدح بها بدر بن عمار (٦) وقد فسد لعله ، ومطلعها :

أَبْعَدَ نَأْيِ التَّلِيحَةِ الْبَخْلُ . : فِي الْبُعْدِ مَا لَا تَكَلَّفُ الْإِبْرَدُ

وقبل الشاعر :

يَابَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةَ يَا . : لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ

إِنَّ الْبَنَانَ الَّذِي تَقَلَّبَتْهُ . : عِنْدَكَ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ مَثَلُ

(١) ديوان أبي الطيب بشرح العسكري : ٦٣ / ٤ .

(٢) محاضرات الأدباء : ٥٨٥ / ٢ .

(٣) ديوان المعاني : ٢٤ / ١ .

(٤) الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٥) ديوان أبي الطيب بشرح العسكري : ٢١٦ / ٣ ، العرف الطيب : ١٧٩ / ٤ ،

الوساطة : ٢١٧ ، يتيمة الدهر : ١٩٠ / ١ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٧٤ .

(٦) سبقت ترجمته : ٦٣٥ .

وبعدهما الشاهد وبعده :

قُلُوبِهِمْ فِي مَضَاءٍ مَا امْتَشَقُوا . : قَامَاتُهُمْ فِي تَمَامٍ مَا اعْتَقَلُوا

ومعنى الشاهد :

قال أبو الفتح : بخلوا عند أنفسهم ؛ لأنهم لم يفعلوا الواجب عندهم ويجوز أن يكون بخلوا : نسبهم الناس إلى البخل ، لاقتصارهم على ما دون أعمارهم ، أي من عاداتهم بذل أعمارهم ، والأول أقوى (١)

ذكر القاضي الجرجاني أن بيت المتنبي هذا قد جاء به معنى مفرداً ، وقد أحسن

فيه ماشاء (٢)

ولبشار بن برد في هذا المعنى :

وَيَسْبِقُ إِنْجَازَهُ وَعَسَدَهُ . : وَلَيْسَ يَحِيلُ عَلَى بَاطِلِ
يَرَى أَنَّهُ أَبْخَلُ الْبَاخِلِينَ (م) . : إِذَا جَاءَ بِالرُّوحِ لِلْسَّائِلِ

المعنى العام : المدح بالجود والكرم البالغ .

فإذا نظرنا إلى بيت بكر بن النطاح وجدناه ، وقد بنى بيته على نوع من المبالغة لطيف ، حيث جعل المدوح لشدة كرمه لا يتوانى عن الجود بروحه ، وقدم الجار والمجور في كفه " ليدل على تسابق تلك الروح إلى اليد ، وأنها خرجت من مكانها ، واستقرت في يده طائعة مختارة .

وقوله " لجاد بها " قرن الفعل بلام التوكيد ؛ ليؤكد إسرعه في التفاني في الجود ،

وعدم ترده في بذل تلك الروح .

وقوله " فليتنق " قرن فعل الأمر (بالفاء) لحث السائلين على الإسراع في الكف

عن مطالبته ، وزجرهم عن الإلخاح في سؤاله .

(١) التبيان للعكبري : ٢١٦ / ٣ .

(٢) الوساطة : ٢١٧ .

أما المتنبّي فقد جعل كل إنفاق دون العَرُّ بخلًا ومذمة فوصف المدوح ،
بأنه من معشر كثيري العطاء والهبة ، فإن أعطوا دون أعمارهم شعروا بمذمة البخل .
وأنظر إلى دقته في تركيب الصورة حيث بدأ البيت (بيان) المؤكدة ، ليثبت
في النفوس ، ويشعرها بعظم وفخامة ذلك المدوح .

وجاء بـ (مع) دون (من) (إنك مع معشر) ليدل على مصاحبة المدوح لأولئك
المعشر ، وملازمته ومشاركته لهم في كل الصفات ، فالمتنبّي لم يجعل ذلك الكسـم
العجيب مقصوراً على مدوحه وحده بل جعله عاماً في معشره ، فالفخر بالقبيلة كلها
أدل على العزة والمنعة ، وأعظم في الفخر ، وتكر لفظ " معشر " لتعظيمهم وتفخيمهم .
وجاء (بإذا) الشرطية ، ليجزم أنهم دائمو الهبة والعطاء ، وأن عطاءهم مستمر
لا ينقطع ، وقرن جواب الشرط (بالفاء) و " قد " التي هي للتحقيق ليدل على سرعة
تحقق البخل منهم إن هم وهبوا دون أعمارهم ، وفي هذا تأنيب وزجر لأنفسهم أن
تهب دون الأعمار .

الشاهد الأريسون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول البحسري :

(١) وَمَنْ ذَا يَلْمُ الْبَحْرَانَ بَاتَ زَاخِرًا . : يَفِيضُ وَصَوَّبَ الزُّنَّ إِنَّ رَاحَ يَهْطِلُ (٢) (٣)
وهو من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الله بن طاهر ، (٥) ومطلعها :

(*) الدد كل ، رضا : ٣٨٧ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاکر : ٥٠٦ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " أن " .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - ، " أن " .

(٣) رواية الديوان - بيروت - ، " صيرفي " : " بات " .

(٤) لم أقف عليه فيما رجعت إليه من مصادر إلا في :

ديوانه - بيروت - : ٢ / ٢١٣ ، ديوانه - صيرفي - : ٣ / ١٧٩٤ .

(٥) هو محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب ، أبو العباس الخزاعي

(٢٠٩ هـ - ٢٥٣ هـ) أمير بغداد في أيام المتوكل ، وهو الذي قضى على يحيى

ابن عمر - من الطالبين - وكان قد خرج على المتوكل ونادى لنفسه بالخلافة في الكوفة =

فَوَإِنَّ بِذِكْرِ الظَّاعِنِينَ مُؤَكَّلًا . . . وَمَنْزِلٌ حَيٌّ فِيهِ لِلشُّوقِ نَزْلٌ

وقبل الشاهد :

فَتَى لَا نَدَاهُ عَجْزُهُ حِينَ يَتَّبِعِي (١) . . . وَلَا مَالَهُ مِلْكٌ لَهُ حِينَ يَسْأَلُ
 إِذَا نَحْنُ أُمَّتَاهُ لَمْ يَرِ حَظُّهُ . . . زَكَ أَوْ يَرَى جَدَّوَاهُ حَيْثُ يُؤْمَلُ
 لَهُ قَدَمٌ فِي التَّجْدِ تَعَلَّمَ أَنَّهُ . . . يَسُودُ بِهَا يَرْبِي مِرَارًا وَيُفْضَلُ
 إِذَا جَانَ أَغْضَى الْعَانِلُونَ وَكَفَّهِمْ . . . قَدِيمٌ مَسَاعِيهِ الَّذِي يَتَّقِيَسَلُ (٢) (٣)

وبعد ها الشاهد وبعده :

وَلَمْ أَرَ مَجْدًا كَالْأَمِيرِ مُحَمَّدٍ . . . إِذَا مَاغَدَا يَنْهَلُ أَوْ يَتَهَلَّلُ

•• ضع قول المتنبي : (البسيط)

وَمَا تَنَّاكَ كَلَامِ النَّاسِ عَن كَرَمٍ . . . وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ (٤)

وهو من قصيدة يدح بها سيف الدولة ، ويعتذر إليه ، وذلك في شعبان

سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة ، ومطلعها :

أَجَابَ تَدْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلِّ . . . دَعَا فَلَبَّاهُ قَبْلَ الرِّكْبِ وَالْإِيْسَلِ

وقبل الشاهد :

لَعَلَّ عَتَبَكَ مَحْمُودٌ عَوَاقِبُهُ . . . فَرَبَّمَا صَحَّتْ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ
 وَلَا سَمِعَتْ وَلَا غَيْرِي بِمَقْتَدِرٍ . . . أَذَبَّ يَنْكَ لِزُورِ الْقَوْلِ عَن رَجُلٍ
 لِأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلَّفُهُ . . . لَيْسَ التَّكْحُلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ

=== وتبعه أهلها من أهل التشيع وبعض الأعراب - كان محمد بن طاهر أديباً شاعراً

جواداً ، عظم سلطانه في دولة المعتز إلى أن مات / انظر :

تاريخ الطبري : ١١١ / ٩ ، ١٨٨ ، ١٩٠ ، ٢٠١ ، ٢٢١ ، ٢٣٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٦ ،

٢٥٧ ، ٢٥٨ ، وصفحات أخرى إلى : ص ٣٧٧ ، ١١ / ١٠ ،

الفخري في الآداب السلطانية : ٢٤٠ - ٢٤١ .

(١) رواية الديوان - صيرفي - : " حَجْرَةٌ "

(٢) رواية الديوان - صيرفي - : " التي "

(٣) يتقيل : يتشبه . / اللسان " قيل " : ٥٨٠ / ١١ .

(٤) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٨٧ / ٣ ، العرف الطيب : ٣٣٥ / ٤ ، التثيل

والمحاضرة : ٢٣٧ - ٢٤٠ - عجز البيت فقط -

وبعد الشاهد :

أَنْتَ الْجَوَانُ بِلَا مَنٍّْ وَلَا كَذِبٍ . . . وَلَا مِطَالٍ وَلَا وَعْدٍ وَلَا مَذَلٍّ (١)

ومعنى الشاهد :

* يقول : لا يصرفك كلام الناس في إفساد ما بيننا ، كما لا يقدر أن يصرفوك عن الكرم ، ومن يقدر على هذا الاكمن يقدر أن يزد صوب السحاب المطر ، فالذي يصرفك عن جودك كالذي يرد السحاب ، لأن جودك أغزر من فيض السحاب * (٢)
المعنى العام : عجز المفرضين عن تثبيط كرم المدوح

فالبحتري افتتح بيته بالاستفهام * من * وأعقبه باسم الإشارة * ذا * للتحقير ، والتقليل من شأن من يلوم المدوح ، ثم أخذ بعد ذلك يصور كرم المدوح فجاء له بصورتين ، صورة البحر الفياض ، وصورة المزن الهاطل ، وقد أبدع في إبراز صورة البحر حيث جاء بالفعل (بات) فدل على استمرار فيضانه ثم وصفه بقوله * زاخرا * ثم أعقبه بالفعل (يفيض) وهذه الألفاظ الثلاثة دلت على كثرة فيضه ، وغزير مائه ثم وصل (بالواو) صورة البحر بصورة المزن الهاطل وجعلهما كأنهما صورة واحدة بالغة في وصف المدوح بغزارة العطاء .

وقد بنى الصورتين على الشرط (بان) وإن كان الموقوف هنا صوقف « إذا »

أما المتبني ، فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز من يحاول صرف المدوح عن الكرم ، فأعلن في الشطر الأول عن طريق الجملة الخبرية إخفاق كلام الناس في شنيه عن الكرم ، وفي الشطر الثاني رسم هذا المعنى وصوره ليكون أشد تقريراً في النفس ، فبدأ الصورة بالاستفهام * ومن يسد * للتعجيز والتحقير ، ثم جاء بصورة العارض

(١) الضجر واللقى وأصله من إفشاء السر ، وهو أن لا يقدر على ضبط ما عنده لقلقه

به . / اللسان * مذل * : ١١ / ٦٢١ .

(٢) التبيان للعكبري : ٣ / ٨٧ .

الهطل ، فالذي يحاول تثبيط المدوح كمن يحاول دفع السحاب الممطر ويمنعه من النزول ، وهذه الصورة أكدت استحالة ثني المدوح عن كرمه واستمرار عطائه وغزارته .

ويتضح بعد هذا التحليل أن البحري كان مهتماً بتصوير كرم المدوح، أما تصوير عجز المفرضين فأشار إليه بقوله (من ذا) .

أما المتنبّي فكانت صورته أقوى في الدلالة على عجز المفرضين ، وجعل من صورة العجز هذه دليلاً على كرم المدوح . فأين قول البحري " مَنْ ذَا يَلُومُ " من قول المتنبّي : " وَمَنْ يَسُدُّ طَرِيقَ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ " .

الشاهد الواحد والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

• وقول الكندي (١) :

عَزَّوْا وَعَزَّيْعَزَّهُمْ مَنْ جَاوَرُوا . فَمَهْمُ الذَّرَى وَجَمَاجِمِ الْهَبَاتِ
إِنْ يَطْلُبُوا بِيَرَاتِهِمْ يُعْطَوْنَ بِهَسَا . أَوْ يَطْلُبُوا لَا يَدْرُكُونَ بِيَرَاتِ (٢) (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣١٨ ، خفاجي : ٤٦١ ، شاکر : ٥٠٦
(١) هو محمد بن ظفر بن عير * وقيل عيرة * بن أبي شمر بن فرعان بن قيس بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولادة بن عمرو بن معاوية بن كندة لقب بالمقنع لأنه كان لا يمشي إلا مقنعا فقد كان أجمل الناس وجهاً ، وكان إذا أسفر عن وجهه أصابته عين فيمرض ويصيه العنت الشديد ، فكان يتقنع دهره ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان له محل كبير وشرف ومسروءة ، وسؤدد في عشيرته . كان متخرقاً في عطاياه سمح اليد بماله لا يرد سائلاً عن شيء حتى أطف كل ما خلفه أبوه من مال . /
انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٤٣ رقم (١٧٥) ، الأغاني : ١٧ / ١٠٨ - ١١٠ ، سمط اللآلي : ١ / ٦١٥ - ٦١٦ .

(٢) الترات : جمع ترة وهي المطالبة بدم القتل والثأر لهم / اللسان * وتر : / ٥ / ٢٧٤ .

(٣) لم أجده بعد فيما اطلعت عليه من مصادر .

(الطويل)

•• مع قول المتنبي :

(١) تَفَيْتَ اللَّيَالِي كُلَّ شَيْءٍ أَخَذْتَهُ . . . وَهَنَّ لَمَّا يَأْخُذَنَّ مِنْكَ غَوَارِمُ (١)

وهو من قصيدته التي مدح بها سيف الدولة ومطلعها :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَائِمُ . . . (٣)

وقبل الشاهد :

هَلِ الْحَدَثُ الْحَرَاءُ تَعْرِفُ لَوْنَهَا . . . وَتَعْلَمُ أَيَّ السَّاقِيَيْنِ الْغَمَائِمُ (٤)

طَرِيدَةٌ دَهْرٍ سَاقَتَهَا فَرَدَدَتَهَا . . . عَلَى الدِّينِ بِالْحُطِيِّ وَالِدَ هَرُ رَاغِمُ (٥)

وبعدهما الشاهد وبعده :

إِذَا كَانَ مَا تَتَوَيْهِ فِعْلًا مُضَارِعًا . . . مَضَى قَبْلَ أَنْ تُلْقَى عَلَيْهِ الْجَوَازِمُ

ومعنى الشاهد :

قال الواحدي : الليالي إذا أخذت شيئاً ذهبته ، فإن أخذت منك غرمت ، لأنك تلزمها الغرامة .

قال : ويجوز أن يكون تفتت مخاطبة على رواية من روى أخذته " بالتساء " .

يقول : إذا سلبت الليالي شيئاً أفته عليها ، فلم تقدر على استرداده ، وهي

إذا أخذت منك شيئاً غرمت ، يعني أنت أقوى من الدهر ، فإنه لا يقدر على مخالفتك . (٦)

ثم ذكر العكبري أنه قرى ، على المتنبي أخذته بالنون ، فذكر أن في هذا

تصحيفاً ، وفساداً للمعنى ، والإعراب ، ونقصاً لقوله في آخر البيت ، وذلك أن " تفتت "

يتعدى إلى مفعولين ، فإذا جعلت " الليالي " فاعلة ، ونصب " كل شيء " لم يكن

(١) القَوْتُ : القَوَاتُ ، وفاتني الأمر فواتاً وفواتاً ذهب عني / اللسان " فوت " : ٦٩ / ٢ .

(٢) ديوان أبي الطيب بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ ، العرف الطيب : ٤ / ٤٨١ .

(٣) سبق ذكره : ٨٨٦

(٤) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٢٨٠ .

(٥) الديوان بشرح العكبري : ٣ / ٣٨٢ .

(٦) التبيان للعكبري : ٣ / ٣٨٢ .

مفعول ثان ، ففسد الإعراب ، وإذا قيل " بالتاء " جعلت " الليالي " مفعولاً أول وكل شيء ، " ثانياً .

وأما فساد المعنى ، فلو جعلت " الليالي " الفاعلة كان المعنى أنها تغيت كل شيء ، ولا تفرمه ثم ينقض بقوله : " وهن لما يأخذن منك غوارم " ، وإنما المعنى : تغيت ياسيف الدولة الليالي كل شيء ، أخذته منها ، فلا تفرمه لها ، وهن غوارم لك ما يأخذن ، وبهذا يصح المعنى . (١) .

والمعنى على رواية " التاء " هو الذي يتفق ، وببيت الكندي الثاني - موضع الشاهد - .

فالمعنى المشترك في البيتين ظهور قوة المدوح ، فهو يأخذ حقه إذا طلبه ، وإذا طلب منه الحق لا يدرك .

وكلا البيتين فيه روعة وجمال ، وحسن تركيب إلا أن بيت المتنبى - فيما يبدو - أفخم وأقوى لأنه يغالب الزمن والمصائب ، أما مدوح الكندي فهو يغالب الأعداء ، ومغالبة الزمن أقوى من مغالبة الأعداء .

وانظر إلى روعة الاستعارة المكنية في قوله " تغيت الليالي " حيث شبه الليالي بأناسي ، ثم حذف المشبه به ، وجاء بشيء من لوازمه ، وهو الفوت ، وهذه الاستعارة بعثت في البيت حركة ونشاطاً ، وأخرجت قوة المدوح في صورة مؤكدة .

وببيت الكندي فيه مقابلة حسنة لطيفة بين الشطرين أثبتت قوة المدوح ، وكشفت عن مراد الشاعر في سهولة ويسر .

وفي معنى بيتي الشاهد قول الآخر :

فَمَا أَدْرَكَ السَّاعُونَ فِينَا بِوَتْرِهِمْ . . . وَلَا فَاتَتْهُمِ النَّاسُ وَاتِرُ

وكقول الطرماح :

إِنْ نَأْخُذِ النَّاسَ لَا تَدْرِكُ أَخِيذَتَنَا .: أَوْ نَطْلُبُ نَتَعَدَّ الْحَقَّ فِي الطَّلَبِ (١)

الشاهد الثاني والأربعون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• وقول أبي تمام :

إِذَا سَيْفُهُ أَضْحَى عَلَى السَّهْمِ حَاكِمًا .: غَدَا الْعَفْوِينَهُ وَهُوَ فِي السَّيْفِ حَاكِمٌ (٢)

وهو من قصيدة يمدح بها أحمد بن أبي دوان (٣) ومطلعها :

أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تَرَوِيَ الظَّمَاءَ الْحَوَائِمِ .: وَأَنْ يَنْظِمَ الشَّمْلَ الْمَشْتَتَ نَاطِمٌ

وقبل الشاهد :

أَنَّا إِذَا رَأَوْا إِلَى الرَّوْعِ لَمْ تَرْحُ .: مَسَالِمَةً أَسْيَافُهُمْ وَالْجَمَاجِمُ

بَنُوكَلِّ مَشْبُوحِ (٤) الذَّرَاعِ إِذَا الْقَنَا .: ثَنَّتْ أُنْزِعَ الْأَبْطَالَ وَهِيَ مَعَاصِمُ

وبعدهما الشاهد وبعده :

أَخَذَتِ بِأَعْضَادِ الْعَرِيبِ وَقَدْ حَوَّتْ (٥) .: عُيُونٌ كَلِيلَاتٌ وَذَلَّتْ جَمَاجِمُ

ذكره ابن المعتز في "باب رد أعجاز الكلام على ما تقدمها" وعنده هذا السبب

على ثلاثة أقسام : منها ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول وذكر من هذا

النوع بيت الشاهد (٦) .

- (١) التبيان للعسكري : ٣ / ٣٨٢ .
 (*) اللسان ، رضا : ٣٨٨ ، ضفاجي : ٤٦١ ، شاكر : ٥٦ .
 (٢) ديوانه بشرح الخطيب : ٣ / ١٨١ .
 ديوانه - دار صعب - : ٢٥٤ ، كتاب البديع : ٥٢ ، الموازنة : ١٢٠ .
 (٣) سبقت ترجمته : ٣٧١ .
 (٤) شبوح الذراع : رجل شبح الذراعين ومشبوحهما عريضهما / القاموس المحيط "عرض" : ١ / ٢٣٨ .
 (٥) العريب : تصغير عرب .
 (٦) البديع : ٥٢ .

وذكر الآمدي أن هناك من ^(١) يقول بأن بيت أبي تمام مأخوذ من قول مسلم
ابن الوليد :

يَغْدُو عَدُوَّكَ خَائِفًا فَإِذَا رَأَى . . . أَنْ قَدَّ قَدَرَتَ عَلَى الْعِقَابِ رَجَاكَ

وهو يرى غير ذلك لأن المعنيين مختلفان ، فأبو تمام قال :

إِذَا حَكَمَ سَيْفُ الْمُدُوحِ عَلَى السَّهَامِ حَكْمَ عَفْوِهِ عَلَى السَّيْفِ .

أما مسلم بن الوليد فأراد بقوله : إن عدو المدوح يخافه فإذا رأى أن قد قدر

على العقاب رجاء ، فليس هذا المعنى من ذلك في شيء (٢)

• مع قول المتنبى : (الطويل)

لَهُ مِنْ كَرِيمِ الطَّبَعِ فِي الْحَرْبِ مَنْتَضِي ^(٣) . . . وَمِنْ عَادَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّفْحِ غَايِدُ (٤)

وهو من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر هجوم الشتاء الذي عاقه عن غزوه

خَرْشَنَةَ ، ويذكر الوقعة ، ومطلع القصيدة : ^(٥)

عَوَائِلُ ذَاتِ الْخَالِ رَفِيَّ حَوَاسِيْدُ . . . وَإِنْ ضَجَّعَ الْخُودَ مِنِّي لَمَاجِيْدُ

وقبل الشاهد :

خَلِيْلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ . . . فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ

فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيْرَةٌ . . . وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

(١) المقصود هنا هو ابن أبي طاهر .

(٢) الموازنة : ١٢٠ .

(٣) نضا السيف نضوا وانتضاه : سله من غده ونضا ثوبه عنه نضوا : خلعه

وألغاه عنه ، ونضاه من قوته جرده / اللسان " نضا " : ٢٢٩ / ١٥ .

(٤) ديوان أبي الطيب المتنبى بشرح العكبري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب :

٣ / ١٠٢ ، الإبانة عن سرقات المتنبى : ٨٨ .

(٥) خَرْشَنَةَ : يفتح أوله وتسكين ثانيه ، وشين معجمة ، ونون ببلد قرب مَلْطِيَّةَ ،

من بلاد الروم . / معجم البلدان : ٢ / ٣٥٩ ، مرصد الاطـلاع :

١ / ٤٦٠ .

وبعدهما الشاهد وعده :

وَلَمَّا رَأَيْتِ النَّاسَ دُونَ مَحَلِّهِ . . . تَيَقَّنْتُ أَنَّ الدَّهْرَ لِلنَّاسِ نَاقِصٌ

ومعنى الشاهد :

إن المدوح سيف يجرده وينضيه كرم طبعه بما فيه من الشجاعة والأنفة ، ويفنده ما تعوده من العفو والإحسان والصفح ، أي أنه يجرد ويفند من تلقاء نفسه ، فهو ليس كسيوف الحديد التي تتصرف فيها أيدي الفرسان بالتجريد والغند (١) والمعنى الجامع بين الشاهدين هو وصف شجاعة المدوح في الحرب وكرم طبعه وعفوه عند الاقتدار .

فأبو تام استطاع أن يصور لنا شجاعة المدوح تصويراً حياً مشاهداً ، حيث نقلنا إلى أرض المعركة وهي في أشد الأوقات احتداماً ، وأرانا المدوح وهو يقف على السهامات مسيطراً عليها . فابتدأ تصوير المشهد بتقديم لفظ " سيفه " - وهو اسم أضحى - على الفعل الناسخ نفسه ، ليصور لنا قدرة ذلك السيف ، وكأنه نوع من السيوف عجيب .

وجاء بفعل الشرط (أضحى) بدلاً من كان أو ظل أو أحد أخواتها ، ليصور لنا احتدام المعركة ، وحس وعيسها إذ أن وقت الضحى هو أشد الأوقات قتالاً . وقدم الجار والمجرور (على السهام) على الخبر (حاكماً) ليبرز لنا شجاعة المدوح في تلك المعركة ، ويصور اقتداره وتكته من السهامات ، ومجيء لفظ " السهام " على صيغة الجمع دون الأفراد للمبالغة في عظم شجاعته حيث تمكن من السيطرة على مطلق السهام لا على هامة واحدة .

وبناء المعنى على الشرط بـ " إذا " جزم بوقوع ذلك التمكن منه . إلا أن مجيء جواب الشرط بـ " غدا " دل على أن عفوه أسبق من انتقامه .

(١) انظر: التبيان للعكبري : ١ / ٢٧٢ ، العرف الطيب : ١٠٢ / ٢ - ١٠٣ .

وانظر إلى قوله : " وهو في السيف حاكم " ، فتقييد الكلام بهذه الجملة الحالية مع ما فيها من دقة التركيب حيث قدم الجار والمجرور " في السيف " على الخبر " حاكم " ، ومجيء الخبر على وزن " فاعل " تأكيداً لتحكم عفوه في السيف ، وإنما لجأ الشاعر إلى هذا التركيب الدقيق في تأكيد تحكم العفو ؛ لأن الخيال قد تشرب سابقاً بقوة ذلك السيف العجيبة ، وتحكمه في السهامات ، فكان العفو يتحكم في هذا السيف العظيم أمر لا بد وأن تعجب له النفس ، وتحترق فيه ، فاحتاجت إلى أسلوب يقرر لها المعنى ويؤكد .

أما المتنبى فقد بنى بيته على التجريد حيث انتزع للمدوح من صفة كرم الطبيع وصف (الانتضاء) ، وانتزع له من صفة الإحسان والصفح صفة " الإغاد " وذلك مبالغة في كمال هذه الأوصاف فيه ، ولفتاً للأنظار إلى حسن هذه الصفات .
وانظر إلى فصله بين المبتدأ " منتضى " والخبر " له " بقوله " مِنْ كَرِيمِ الطَّبِيعِ " ، وتأمل هذا التركيب ، وكيف جاء بالاسم المجرور على وزن " فعيل " - وهو صفة شبيهة - ثم أضافه إلى لفظ الطبيع ، مبالغة في وصفه بكرم الطبيع ، وتأكيدهم للملازمة هذه الصفة له تلازم المضاف والمضاف إليه ، فكرمه ليس بالكرم المصطنع ، أو المؤقت ، بل هو متأصل في جذور طبيعه .

ويأبى الشاعر إلا أن نقف أمام مدوحه إجلالاً وإكباراً ، حيث أوصله إلى درجة من كرم الطبيع تتطاحن دونها المفاخر والمآثر ، فقيد كون كرم طبيعه " في الحرب " وفي ذلك ما فيه من إبراز عظيم أخلاقه ؛ لأن هذه الخصال تندرج في الحرب ، ويشح وجودها .

وقبل هذا كله انظر إلى دقة التركيب ، وكيف بنى معناه كله على تقديم " المسند - الجار والمجرور " له " - على المسند إليه " منتضى " ، " غامد " ، وكيف حذف المسند في الشطر الثاني ، وكأن عادة الإحسان والصفح أمر معلوم ، ومسلم له به .
وفي هذا التقديم قصر لجميع ما جاء في الشطرين من الصفات على المدوح وحده دون غيره مبالغة وادعاء .

وتأمل كيف وصل الشطر الأول بالشطر الثاني عن طريق " الواو " التي جعلت
الجملتين وكأنهما جملة واحدة ، فقررت في النفوس أن كرم طبعه عام في الحسب
والسلم .

الشاهد الثالث والأربعون بعد الثلاثائة : (المديد)

• بيت أبي نواس :

خَلَيْتُ وَالْحُسْنَ تَأْخُذُهُ . : تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ (٢)

وهو من قصيدة في الغزل مطلعها :

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ . : يَبْتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَبُ

وبعد بيت قبل الشاهد :

فَتَّتْ قَلْبِي مُحَجَّبَةً . : وَجْهَهَا بِالْحُسْنِ مُنْتَقِبٌ

وبعد الشاهد وبعده :

فَاكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ . : وَاسْتَرَادَتْ فَضْلَ مَا تَهْتَبُ

(٣)

(الوافر)

• مع بيت عبد الله بن مصعب :

(*) الولد ثن ، رضا : ٣٩٠ ، ضاجي : ٤٦٣ ، نساكر : ٥٠٩ .

(١) رواية الديوان " حليت " ويبدو لي أن رواية الدلائل أفضل ، فهي تفيد أن

الحسن ترك لها ملكاً بين يديها لا يمنع أحد منه شيئاً عنها .

وفي رواية الديوان وصفها بأنها حالية ، وهي زينة طارئة ، والأفضل أن توصف

المرأة بالجمال مع خلوها من الحلي ، فإذا ذكروا الحلي قالوا : زانت

حليها ، وفي ذلك شعر كثير ، ومنه :

وَإِذَا الدَّرْزَانَ حَسَنَ وَجْوهٍ . : كَانَ للدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زَيْنَا

وَتَرِيدِينَ طَيِّبَ الطَّيِّبِ طَيِّبًا . : أَيْنَ فِي النَّاسِ مِثْلُ حُسْنِكَ أَيْنَا

(٢) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٣٩ ، الوساطة : ٢٠٥ ، العمدة : ٢ / ٢٨٨ .

(٣) هو عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير ، أبو بكر ، القرشي

الأسدي (١١١ هـ - ١٨٤ هـ) أمير من أهل العدل والورع والشعر والفصاحة ،

ولد بالمدينة ، ولي اليمامة في عهد المهدي ثم الهادي وولي المدينة للرشيد

كَأَنَّكَ جِئْتَ (١) مُحْتَكِمًا عَلَيْهِمْ .: تَخَيَّرْتُ فِي الْأَبْوَةِ مَا تَشَاءُ (٢)

...وبيت بشار: (الطويل)

خَلَقْتُ عَلَى مَا فِيَّ غَيْرَ مُخْبِرٍ .: هَوَايُ وَلَوْ خَيْرْتُ كُنْتُ الْمَهْدَبَا (٣) (٤)

وهو من قصيدة له يشبب بامرأة يقال لها صفراء ، ويلوم فيها يحيى بن زيد على قطع خلته ، وجاء في الأغاني : أنه قال بيت الشاهد وما بعده حين رد عليه بعضهم مذهبه في الإلحاد ، فاعترف بأن ما هو عليه خذلان ، وأنه طبع على أن لا يعرف إلا ما عين ، (٥) ومطلع القصيدة :

خَلِيلِي قَوْمًا فَأَعْدِرَا أَوْ تَعْتَبَا .: وَلَا تَعْدَلَانِي أَنْ أَلَذَّ وَأَطْرَبَا

وقبل الشاهد :

خَطَبْتُ عَلَى حَبْلِ الزَّمَانِ لَعَلَّ (٦) لَعَلَّ (٧) .: يُسَاعِفُنِي يَوْمًا وَقَدْ كَانَ أَنْكَبَا (٨)

=== وعمره (٧٠ سنة) ، كان محموداً في ولايته ، جميل السيرة مع جلالة قدره وعظم شرفه ، توفي بالرقعة في عصر الرشيد . / انظر ترجمته .

تاريخ بغداد : ١٧٢٣-١٧٦ ، سبط اللآلي : ٥٧٠ / ١ ، البداية والنهاية :

١٠ / ١٨٥ ، الأعلام : ١٣٨ / ٤ .

(١) رواية العمدة : " كَأَنَّكَ كُنْتَ "

(٢) انظر البيت في :

الوساطة : ٢٠٥ - محاضرات الأدباء : ٣٣٢ / ١ - العمدة : ٢٨٨ / ٢

(٣) رواية الأغاني : " طِبَعْتُ " .

(٤) انظر البيت في :

ديوانه : ٢٦٩ / ١ ، الأغاني : ٢٢٧ / ٣ ، الوساطة : ٢٠٥ ، المختار من شعر

بشار : ١١٨ .

(٥) الأغاني : ٢٢٧ / ٣ .

(٦) كأنه يريد تشبيه الزمان براحلة هو راكبها وأنه تمكن منها حتى أنه يخطب على

حبل الزمان أي زمامه إذ قد نلله وطمع من ذلك أن يصير الزمان مساعفاً له

مع طمه بأن الزمان بعير أنكب في شيته ميل فلا يساعف راكبه تمام المساعفة / انظر

هاشم الديوان : ٢٦٩ / ١ .

(٧) رواية المختار من شعر بشار : " على ظهر الزمان " .

(٨) رواية المختار : " وإن كان " .

وبعد الشاهد :

أَرِيدُ فَلَا أُعْطَى وَأُعْطَى قَلَمٌ أُرِيدُ (١) . . . وَقَصَّرَ عَلَيَّ أَنْ أَنَالَ الْمُفَيَّبَا (٢)

... وببيت أبو تمام :

فَلَوْ صَوَّرْتَ نَفْسَكَ لَمْ تَرِدْهَا . . . عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ (٣)

وهو من قصيدة قالها في مدح مهدي بن أصم (٤) ومطلعها :

خُذِي عِبْرَاتٍ عَيْنِكَ عَنِ زَمَاعِي (٥) . . . وَصَوْنِي مَا أَزَلَّتْ مِنَ الْقِنَاعِ

والشاهد آخر بيت في القصيدة وقبله :

فَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَرَفٍ يَفَاعِ . . . سَيَقَتْ بِهِ وَلَا خُلُقٍ يَفَاعِ

لَعَزْمِكَ يَثُلُ عِزْمِ السَّيْلِ شُدَّتْ . . . قَوَاهُ بِالْمَذَانِبِ وَالتَّسْلَاعِ

وَرَأْيِكَ يَمِثُلُ رَأْيِ السَّيْفِ صَحَّتْ . . . سَبُورَةٌ حَدَّهِ عِنْدَ الْيَمِصَاعِ (٦) (٧)

(١) رواية المختار : " ولم أُرِدْ " وهي المناسبة .

(٢) ديوانه : ١ / ٢٦٩ .

(٣) انظر البيت في :

ديوانه بشرح الخطيب : ٢ / ٣٤٠ ، ديوانه - دار صعب - : ١٧٢ ، عيون

الأخبار : ١ / ٣ / ٢٢٨ ، الوساطة : ٢٠٥ ، المنصف في نقد الشعر : ٣١٧ ،

التشليل والمحاضرة : ٤٣٥ ، الإعجاز والإيجاز : ١٨٧ .

(٤) وهو من قواد محمد بن حميد الطوسي ، جعله على مينة الجيش الذي حارب به

الخرمية سنة (٢١٤ هـ) في أيام المأمون ، وذكر ابن الأثير اسم السعدى بن

أصم . / انظر :

تاريخ ابن الأثير : ٥ / ٢١٨ ، تاريخ اليعقوبي : ٢ / ٤٦٣ ، حياة أبي تمام

وحياة شعره : ١٠٣ .

(٥) زماع : اسم من أزمعت : يقول لها : نجي عن عزمي بكاءك وتقنعي بالقناع

الذي ألقيتو عن رأسك : ٢ / ٣٣٦ .

(٦) رواية الديوان بشرح الخطيب : " مشورة "

سبورة حده : أي تجربة واختبار حده ، السبر التجربة وسبر الشيء سبراً :

حزره وخبره ، والسبر : استخراج كنه الأمر ، والسبر مصدر سبر الجرح يسبره

سبراً نظراً مقداره وقاسه ليعرف غوره . / اللسان " سبر " : ٤ / ٣٤٠ .

(٧) اليمصاع : المجالدة والمضاربة . / اللسان " مصع " : ٨ / ٣٣٧ .

هذه الشواهد استشهد بها الشيخ عبد القاهر على أنه لا يمكن أن يكون المعنى في البيت على هيئته وصفته في البيت الآخر، ولو كان الأمر كذلك لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه فأحسن وأجاد، وفي آخر أنه أساء وقصر ضرب من اللغو.

وكذلك يكون من الخطأ أن يقال إن هذا البيت نظير ذاك أو مناسباً له، لأن الشيء لا يناسب نفسه، وكذلك لو كان المعنى معاداً مكرراً في البيتين لكان قولهم عن شاعر أنه أخذ المعنى فأخفاء، أو أخذه فقصر فيه، من المحال.

قال الشيخ :

« واعلم أنه لو كان المعنى في أحد البيتين يكون على هيئته وصفته في البيت الآخر، وكان التالي من الشاعرين يجيئك به معاداً على وجهه لم يحدث فيه شيئاً، ولم يغير له صفة؛ لكان قول العلماء في شاعر أنه أخذ المعنى من صاحبه، فأحسن وأجاد، وفي آخر : إنه أساء وقصر لغواً من القول ممن حيث كان محالاً أن يحسن أو يسيء في شيء لا يصنع به شيئاً، وكذلك كان يكون جعلهم البيت نظيراً للبيت، ومناسباً له خطأ منهم، لأنه محال أن يناسب الشيء نفسه، وأن يكون نظيراً لنفسه، وأمر ثالث، وهو أنهم يقولون في واحد : إنه أخذ المعنى فظهر أخذه، وفي آخر إنه أخذه فأخفى أخذه، ولو كان المعنى يكون معاداً على صورته وهيئته، وكان الأخذ له من صاحبه لا يصنع شيئاً غير أن يبدل لفظاً مكان لفظ لكان الإخفاء فيه محالاً؛ لأن اللفظ لا يخفى المعنى وإنما يخفيه إخراجه في صورة غير التي كان عليها » (١)

ثم ذكر عن القاضي الجرجاني أن هناك تناسباً بين معاني الأبيات الثلاثة الأولى، إلا أن أبا تمام قد تناول المعنى من طريق خفي .

(١) الدلائل، رضا: ٣٨٩-٣٩٠، خفاجي: ٤٦٣، شاكر: ٥٠٩.

وإذا تأملنا الأبيات الثلاثة الأولى ، وجدنا أنها على اختلاف أغراضها ، تجمعها مناسبة جليلة واضحة ، فبيت أبي نواس في الغزل ، وعبد الله بن مصعب في المديح ، وشارف في الاعتذار ، والتناسب القائم بينها هو معنى الانتقاء والاختيار .

فأبو نواس يريد أن يبرز محبوبته في أروع صور الجمال فقد مكنت من الحسن تأخذ منه ما تشاء ، فهي في غاية الجمال لأنها لا تختار إلا أحسن ما في الحسن ، وهذا ما يؤديه البيت الأخير " فَآكْتَسَتْ مِنْهُ طَرَائِفَهُ " .

أما عبد الله بن مصعب ، فهو يريد أن يصف مدد وحيه بشدة العفو ، فإذا ذهب إليهم وجدت نفسك أمام خلق تتلكمهم عاطفة العفو والصفح ، فهم لسعة عفوهم كأن عاطفتهم عاطفة الأبوة تختار منها ما تشاء ؛ لأن عاطفة الأبوة من أسنى العواطف ، وأكثرها رحابة وسعة وتسامحاً .

أما بشار ، فقد أخذ هذا المعنى ونقله إلى الاعتذار عن سوء أخلاقه ، فهو قد خلق مسيراً غير مخير ، فكل ما يصدر عنه من سوء ليس باختياره ، فلو أن الاختيار سُرك له لا يختار أن يكون ذا خلق رقيق مهذب .

وهذا المعنى أخذه أبو تمام ، فأخفاه ، فلم يأت بلفظ الاختيار والانتقاء مباشرة بل جاء بقوله " فلو صورت نفسك " وما التصوير هنا إلا في معنى الانتقاء ، فهو يريد أن يقول : إن حاولت رسم نفسك ونصبها أمام عينيك لتضفي عليها ملامح في الحسن ، فإنك لن تزيدها شيئاً ؛ لأنك بلغت الدرجة المتناهية من كرم الطبع .

الشاهد الرابع والأربعون بعد الثلاثة : (الكامل)

• قول أبي العتاهية :

جَزَى الْبَخِيلُ عَنِّي صَالِحَةً . : عَنِّي بِخَفْتِي عَلَى ظَهْرِي
(١)
أَعْلَى وَأَكْرَمَ عَن يَدَيْهِ يَسْدِي . : فَعَلَّتْ وَنَزَتْ قَدْرَهُ قَدْرِي

(*) الولد من ، رضا : ٣٩٠ ، صفح ج ١ : ٤٦٤ ، شواكر : ٥١ .
(١) وهناك رواية بالبناء للمجهول " أعلي وأكرم " وهي غير مستقيمة لأن الضمير يعود على الشاعر ولا فضل في ذلك للبخیل ، وهو يريد أن يثبت له فضلاً .

وَرَزَقْتُ مِنْ جَدَّوَاهُ عَافِيَةً . : أَنْ لَا يَضِيقُ (١) بِشُكْرِهِ صَدْرِي
وَعَنَيْتُ خِلْوًا مِنْ تَفَضُّلِهِ . : أَحْنُو عَلَيْهِ بِأَحْسَنِ الْعُنْدَرِ
مَا فَاتَتْنِي خَيْرُ امْرِئٍ وَضَعَّتْ . : عَنِّي يَدَاهُ مَوْوَنَةَ الشُّكْرِ (٢)

ومعنى الشاهد : " يقول : جزى الله البخيل عليّ بماله خصلةً سالحةً ، فقد خَفَّ مَحْمِلُهُ عَلَى ظَهْرِي ، لَسَقُوطِ يَنْتَوِي عَنِّي ، وذاك أنه أَجَلَّنِي عن صنيعته ، وأكْرَمَ مَحَلِّي إِذْ أَخْلَانِي مِنْ عَارْفَتِهِ ، وصالن قَدْرِي حين لم يَسْتَدْلِهِ لِعَظِيمَتِهِ ، وورفع يَسْـدِي وَكْرَمَتِهَا حين لم يَشِينْهَا بِمَرْزِيَّتِهِ ، فَرَزَقَنِي اللهُ عَافِيَةً مِنْ ضَيْقِ الذَّرْعِ بِشُكْرِهِ وَالتَّطْشُوقِ بِأَفْضَالِهِ ، وَاسْتَعْنَيْتُ عَنْهُ خَالِيًا مِنْ بَرِّهِ ، مُنْصَرِفًا مِنْ تَفَضُّلِهِ ، مُتَعَطِّفًا عَلَيْهِ بِبَسْطِ عَذْرِهِ حين لم يَجِدْ عَلَيَّ ، ولم يَتَلَقَّ إِقْبَالِي عَلَيْهِ بِقَبُولِهِ لِي " (٣) .

ومعنى البيت الأخير :

• أَنَّهُ لَمْ يَفْتَتِي إِحْسَانَ رَجُلٍ لَمْ يَلْزَمْنِي لَهُ شُكْرٌ إِفْضَالًا ، وَلَمْ يَجِبْ بِفِعْلِهِ

بِي عَلَيَّ اِعْتِدَاءً " (٤)

(١) رواية المرزوقي : " أَلَا يَضِيقُ " .

ذكر المرزوقي أنه يجوز في الفعل النصب والرفع ، فالنصب على أن تكون " أن " الناصبة للأفعال ، والرفع على أن تكون " أن " مخففة من الثقيلة ويكون الاسم مضرًا ، كأنه قال : أنه لا يضيّق ، والجملة خبره .

(٢) لم أجد في ديوانه - دار صعب - إلا البيت الأخير وقيل بيتان هما :

إِنَّ الْبَخِيلَ وَإِنْ أَفَادَ غِنَى . : لَتَرَى عَلَيْهِ مَخَايِلَ الْفَقْرِ
لَيْسَ الْغِنَى يَكَلِّدِي سَعَةً . : فِي النَّالِ لَيْسَ بِوَأَسِعِ الْمَصْدَرِ

ديوانه - دار صعب - : ١١٧ ، الحامسة - تحقيق عسيلان - : ٢ / ٢٣٩ ،

رقم (٦٢٤) ، شرح ديوان الحامسة للمرزوقي : ٣ / ١٥٤٤ ، شرح

ديوان الحامسة للتبريزي : ٤ / ٥٥ ، أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ١٤٣ .

(٣) شرح ديوان الحامسة للمرزوقي : ٣ / ١٥٤٥ .

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصفحة ، شرح ديوان الحامسة للتبريزي :

(١)
أَعْتَقَنِي سُوءَ مَا صَنَعْتَ مِنِّي ال . : سَقَّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَيَّ كَيْدِي
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلْسُوءِ فِيكَ وَمَا . : أَحْسَنَ سُوءٌ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ (٤) (٢) (٣)

ذكره الشيخ من غير نسبة ، وهو من شعر إبراهيم بن العباس الصولي (٥)

وهذان البيتان من قصيدة قالها في محمدين عبد الملك ، وقبل الشاهد :

(١) رواية شعر إبراهيم بن العباس - الطرائف الأدبية * : * سوء ما فعلت * ،

وهناك رواية أخرى في * الطرائف * ، و * معجم الأدياء * :

* سوء ما أتيت * .

(٢) إحدى روايتي الطرائف : * ما أحسن سوءاً قلبي * وهي رواية خاطئة لأنه

يريد أن يقول أن السوء أحسن إليه ، ولا يتأتى ذلك في رواية النصيب .

(٣) رواية الطرائف - ص ١٨٤ - : * على أحد * .

(٤) انظر البيتين في :

شعر إبراهيم بن العباس الصولي - الطرائف الأدبية - : ١٤٤ - ١٨٤ العقد

الفريد - دار الكتب العلمية - : ٦ / ١٤٩ ، معجم الأدياء : ١ / ١٩٣ ،

أسرار البلاغة - هـ ، ريتز - : ١٤٣ - من غير عزو - ، حاسة ابن الشجري :

٧٨ - من غير عزو - ، تحرير التحرير : ٢ / ٣١٣ .

(٥) وتُنسب هذه الأبيات مع أبيات أخرى لأبي الأسد الدينوري : وهو نباتة بن

عبد الله الشيباني من أهل الدينور من شعراء الدولة الهاشمية . انظر

سقط اللآلي : ١ / ٥٤٥ .

وذكر صاحب العقد الفريد بعض أبيات القصيدة - دون ذكر الشاهد - ونسبها

لأبي زييد ، وقد خطأه محقق الطرائف الأدبية ، وذكر أنه وهم ، وإنما هي

لأبي الأسد بإجماع الرواة .

وذكر أنه أخذ هذا الإجماع عن ديوان المعاني لأبي هلال العسكري .

والذي وجدته في ديوان المعاني بيتين لا يوجد بينهما بيت الشاهد . جاء

في ديوان المعاني - ٢ / ٢٠٣ - :

وأشدني عم أبي لأبي الأسد الدينوري :

لَيْسَ أَدْبَتِي يَؤَاجِسِدَةً . : تَقْنَعْنِي مِثْلَ آخِرِ الأَبَدِ

تَحْلِفُ لِي لِأَتَبْرُنِي أَبَسَدًا . : فَإِنَّ فِيهَا بَرْدًا عَلَيَّ كَيْدِي

ولا يوجد في ديوان المعاني ما يشير إلى إجماع الرواة .

إِنْ كَانَ رِزْقِي إِلَيْكَ فَأَرْزُقْ بِهِ . . فِي تَأْظِرِّي حَيَّةً عَلَى رَصَدِ
لَوْ كُنْتُ حُرًّا كَمَا زَعَمْتَ وَقَدْ . . كَدَدْتُ نَتِي بِالْمِطَالِ لَمْ أَعُودِ
لِكُنِّي عُدْتُ ثُمَّ عُدْتُ فَإِنْ . . عُدْتُ إِلَى مِطْلَبِهَا إِذَا فَعُدَّ (١)

وعلق ابن أبي الإصبع على بيتي الشاهد بقوله :

* وهذان البيتان في معناهما من أحسن ما سُمِعَ ، وأكمل وأمتن شعراً ،

وأفضل ، ولولا الإفراط في الإطالة بينت ما فيهما * (٢)

فالمعنى الجامع بين الشاهدين هو أن الحرمان من المعروف تحرير لرقبة

الإنسان من قيود الرق .

فإذا تأملنا أبيات الشاعرين ، وجدنا أبا العتاهية قد اعتمد في تركيب معناه

على صورة البخيل ، والغريب في هذه الصورة أن يكون البخيل الذي هو محط

المذمة موضع المدح والتقدير .

انظر إليه كيف بدأ أبياته بالدعاء العريض لهذا البخيل فقال : * جُزِي *

بينما الفعل للمجهول ؛ ليدل على عظيم الجزاء والامتنان ، وقوله * رُزِقْتُ * بالبناء

للمجهول تصوير لوفرة ما رزق من العافية .

وأنظر إلى قوله * أحنو بأحسن العذر * وكيف دل على أنه أصبح هو في مقام

المتفضل إذ صار يحنو ويعطف عليه باتخاذ العذر له .

وتأمل قوله * مؤونة الشكر * ففي جعله للشكر مؤونة دليل على أن نسي

المعروف مشقة على نفس المتفضل عليه ، وعبثاً ثقيلاً يفيد .

=== وكذلك ذكر الأستاذ الميمني أنها نسبت في معجم الأدباء لأبي زييد

والذي وجدته في معجم الأدباء نسبتها لإبراهيم الصولي .

(١) الطرائف الأدبية : ١٨٤ ، وهذه الأبيات موجودة أيضاً في معجم

الأدباء مع اختلاف في روايتها .

(٢) تحرير التحبير : ٢ / ٣١٣ .

وإذا انتقلنا إلى أبيات إبراهيم بن العباس ، وجدنا نحته غير نحت سابقه ،
فالأول بنى معناه على صورة البخيل ، أما هذا فأقامه على صورة الرّق ، وهي أفخم
وأبعد مرمى ، فجعل الإساءة موطن الشكر وسعقل الإحسان ، فهي عتق لمن تصيبه
من رق الشكر .

ثم انظر إلى طرافة صورته و غرابتها ، وكيف جعل نفسه عبداً للسوء لعظيم امتنانه
وشكره وحبّه لهذا السوء . فعبودية السوء أبرد على كبده من رق المعسروف .
ثم صرح بأن السوء لم يحسن قط إلى أحد كما أحسن إليه ، كذلك تأمل كيف
نكّر لفظ " سوء " تقديراً وتعظيماً .

الشاهد الخامس والأربعون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

• قول نصيب : (١)

* وَلَوْ سَكَتُوا أَثْنَتْ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ (٢) * (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاكر : ٥١١ .

(١) سبقت ترجمته : ص ٧٥٠ .

(٢) الحقائق : جمع حقيقة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شدّ في مؤخر

رَحل أو قَتَبٍ فقد احتَقِبَ . / القاموس المحيط (حقب) : ٥٩ / ١ ، اللسان

" حقب " : ١ / ٣٢٥ .

(٣) انظر البيت في : ديوانه : ٥٩ .

عيون الأخبار : ٢٩٩ / ٣ / ١ ، الشعر والشعراء : ٤١٨ / ١ ، الكامل

- دار الفكر - : ١٢٣ / ١ ، التشبيهات : ٣٥٨ ، نقد الشعر : ٨٣ ، الأغاني :

٣٣٧ / ١ ، الأمل للزجاجي : ٣٣ ، شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف :

٣٠٧ ، الصناعتين : ٢٣٥ ، ديوان المعاني : ١ / ١٣٠ ، إعجاز القرآن :

٧٧ ، الإعجاز والإيجاز : ١٥٥ ، محاضرات الأدباء : ٢ / ٣٧٦ ، زهر

الآداب : ٢ / ٣٩٠ ، الإبانة عن سرقات المتنبي : ٨٧ ، العمدة : ١ / ٧٤ ،

تحرير التهجير : ٣ / ٤٨٨ ، المثل السائر : ٣ / ٧٠ ، معجم البلدان

لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥ .

ذكر الشيخ عجز البيت فقط، وصدوره :

(١)
* فَعَا جُوا فَاثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ *
والشاهد من مقطوعة (٢)

يمدح بها سليمان بن عبد الملك (٣) .

وقبل الشاهد :

(٤) (٥) (٦)
أَقُولُ لِرَكْبٍ قَافِلِينَ رَأَيْتَهُمْ . : قَفَاذَاتِ أَوْشَالٍ وَمَوْلَاكَ قَارِبُ

(١) رواية ديوان المعاني : * فعادوا * .

وعاجوا : أي عادوا ونزلوا ، عاج عوجاً ومعاجاً لازم متعدد .

القاموس المحيط * عوج * : ٢٠٨ / ١ .

(٢) ومناسبة هذه المقطوعة أنه حضر عند سليمان بن عبد الملك الفرزدق ونصيب ،

فطلب سليمان من الفرزدق أن ينشده أبياتاً ، فأنشده :

وَرَكِبَ كَأَنَّ الرِّيحَ تَطَلَّبُ عِنْدَهُمْ . : لَهَا تَوْرَةٌ مِنْ جَدِّبِهَا بِالْعَصَائِبِ
سَرُوا يَرْكَبُونَ الرِّيحَ وَهِيَ تَلْفَهُمْ . : عَلَى شَعْبِ الْأَكْوَارِ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
إِذَا آتَسُوا نَارًا يَقُولُونَ لَيْتَهُمَا . : وَقَدْ خَصِرَتْ أَيْدِيهِمْ نَارُ غَالِبِ

فغضب سليمان لأنه كان يظن أن الفرزدق سيقول أبياتاً يمدحه فيها ، فإذنا

هو ينشده أبياتاً في الفخر ، فقام نصيب ، وأنشده أبياتاً على روي أبيات

الفرزدق - وهي الأبيات التي منها بيت الشاهد - فأجزل سليمان عطاءه .

(٣) هو سليمان بن عبد الملك بن مروان ، أبو أيوب الخليفة الأموي (٥٤ هـ - ٩٩ هـ)

ولي الخلافة (سنة ٩٦ هـ) ، وكانت ولايته سنتين وثمانية أشهر وخمس ليال ،

وكان فصيح اللسان ، كثير الأدب ، لين الجانب ، شديد العجب بشيابه ،

وجماله ، أكولاً نهماً . / انظر ترجمته :

المحبر : ٢٦ ، الفخري : ١٢٨ ، التنبيه والإشراف : ٢٩١ ، سبط النجوم : ١٨٧ - ١٩١ .

(٤) رواية الأغاني : * صَادِرِينَ * .

(٥) رواية الأغاني : * لَقَيْتَهُمْ * .

ورواية معجم البلدان * عَشِيَّةٌ * .

(٦) ذات أوشال : وهو جمع " وشل " ، والوشل بالتحريك الماء القليل يَتَحَلَّبُ

من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً ، وذات أوشال موضع بين الحجاز

والشام / انظر :

معجم ما استعجم : ١ / ٢١٢ ، اللسان " وشل " : ١١ / ٧٢٥ .

قَفَّوْا خَيْرُونِي عَنْ سَلِيمَانَ إِنِّي .: لَمَعْرُوفِهِ مِنْ آلِ وَدَّانَ طَالِبُ (١) (٢) (٣)

وبعدهما الشاهد وعده :

فَقَالُوا تَرَكْنَاهُ وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ .: يَطِيفُ بِهِ مِنْ طَالِبِي الْعُرْفِ رَاكِبٌ (٤)
 وَلَوْ كَانَ فَوْقَ النَّاسِ حَيٌّ فِعَالُهُ .: كَفِعْلِكَ أَوَّلِ الْفِعْلِ مِنْهُ يُقَارِبُ
 لَقُلْنَا لَهُ شِبْهُهُ وَلَكِنْ تَعَذَّرَتْ .: سِوَاكَ عَلَى الْمَسْتَشْفِعِينَ الْمَطَالِبُ
 هُوَ الْبَدْرُ وَالنَّاسُ الْكَوَاكِبُ حَوْلَهُ .: وَهَلْ تُشْبِهُ الْبَدْرَ الْمُنِيرَ الْكَوَاكِبُ (٥)

وقد أثنى ابن قتيبة على بيت الشاهد ، فقال :

* لله در نصيب حيث يقول * (٦)

وطق المبرد على بيت نصيب بقوله :

(١) رواية الأغاني : * مِنْ أَهْلِ * .

(٢) وَدَّانَ : قرية جامعة من نواحي الفُرع قريبة من الجحفة ، وهي بين

مكة والمدينة ، وهي لضرة وغبار وكنانة قديماً ، وقال صاحب معجم

المعالم الجغرافية في السيرة النبوية أن هذه القرية اندثرت

من زمن بعيد وقد توهم بعض الباحثين أنها * مستورة * اليوم ،

وليس كذلك ، وموضع وَدَّانَ شرق مستورة إلى الجنوب في حرة الأبواء ،

وبينها وبين مستورة قريباً من اثني عشر كيلومتراً . وأهلها اليوم

بنو محمد من بني عمرو من حرب . /

معجم البلدان لياقوت الحموي : ٥ / ٣٦٥ ، معجم المعالم الجغرافية :

٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) رواية معجم البلدان : * رَاغِبٌ * .

(٤) رواية الأغاني للبيت :

وَقَالُوا عَهْدَنَا وَكُلَّ عَشِيَةٍ .: بِأَبْوَابِهِ مِنْ طَالِبِ الْعُرْفِ رَاكِبُ

(٥) ديوانه : ٥٩ ، الأغاني : ١ / ٣٣٧ .

(٦) عيون الأخبار : ١ / ٣ / ٢٩٩ .

" وهذا في باب المدح حسن ، ومتجاوز ومبتدع لم يسبق إليه " ثم ذكر
أنه قد فُضِّل قول نُصيب على الفرزدق إلا أنه لا يرى ذلك ، لأن التفاضل عنده
إنما يقع بين شيعتين متناسبين ، قال : وليس شعر نُصيب هذا الذي ذكرناه
في المدح بأجود من قول الفرزدق في الفخر ، وإنما يُفاضل بين الشيعتين إذا
تناسبا ، وقد قال سليمان للفرزدق حين أنشده نُصيب ، كيف تراه . قال : هو أشعر
أهل جلده ، فقام الفرزدق ، وهو يقول :

وَخَيْرِ الشُّعْرِ أَشْرَفُهُ رَجَالًا . . . وَشَرُّ الشُّعْرِ مَا قَالَ الْعَبِيدُ * (١)

وذكر الزجاج في أماليه أن معنى بيت نُصيب الأخير مأخوذ من قول حاجب
ابن زرارة بن عدس : (٢)

أَعَزُّكُمْ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيعَتِي . . . رَفِيقٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْسَرُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يَجْزِ أَحْسَنَ صُنْعِهِ . . . تَكَلَّمَ نَعْمَاءَ بِغَيْمِهِ فَتَنْطَبَقُ (٣)
ورأى أبو أحمد العسكري ، (٤) وتبعه الباقلاني (٥) - أن بيت نُصيب مأخوذ من قول

الأعشى :

(١) الكامل : ١ / ١٢٤ .

(٢) هو حاجب بن زرارة بن عدس الدارمي التميمي (. . . - نحو ٣ هـ)
من سادات العرب في الجاهلية كان رئيس تميم في عدة مواطن ،
وهو الذي رهن قوسه عند كسرى على مال عظيم ، ووفى به . وقد
أدرك الإسلام ، وأسلم ، وبعثه النبي صلى الله عليه وسلم على صدقات
بني تميم ، فلم يلبث أن مات . انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥٨ ، ١٤٨ ، ٢٧٢ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٥٤ ، ٤٩٧ ،

الأغانى : ١١ / ١٥٠ ، الإصابة : ١ / ٢٧٢ ، رقم

(١٣٥٨) ، الأعلام : ٢ / ١٥٣ .

(٣) أمالي الزجاج : ٣٣ .

(٤) شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف : ٣٠٧ .

(٥) إعجاز القرآن : ٧٧ .

وَأَنَّ عِتَاقَ الْعِيسَى سَوْفَ يَزُورُكُمْ . . . ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنَّ مَعْلُوقَ (١)

وذكر ابن الأثير أنه يروى عن الجاحظ أنه أدخل بيت نصيب في باب الكناية ،

وهو ليس منه ، بل هو من التشبيه المضمرة الأداة ، قال :

* . . . وقد أدخل في باب الكناية ما ليس منه كقول نصيب . . . البيت . فهذا

يروى عن الجاحظ ، وما أظن كيف ذهب عليه مع شهرته بالمعرفة بفن الفصاحة

والبلاغة ، فإن الكناية هو ما جاز حمله على جانب الحقيقة كما يجوز حمله

على جانب المجاز ، وها هنا لا يصح ذلك ، ولا يستقيم ، لأن الثناء للحقائب

لا يكون إلا مجازاً ، وهذا من باب التشبيه المضمرة الأداة الخارج عن الكناية* (٢)

ويبدو لي أن قول ابن الأثير ليس بشيء . :

أولاً : أنه لا يلزم - دائماً - في الكناية جواز إرادة المعنى الحقيقي ، فأكثر كنايات

النسبة لا يمكن فيها إرادة المعنى الحقيقي .

ثانياً : أين المشبه والمشبه به في العبارة : * أثنت عليك الحقائب* .

ثالثاً : هذا من باب المجاز العقلي * وهو إسناد الفعل إلى ما ليس هو له .*

رابعاً : قول ابن الأثير* لأن الثناء للحقائب لا يكون إلا مجازاً* ، ثم قوله :

* وهذا من باب التشبيه المضمرة الأداة* ، قولان يتعارضان ، والجواب

عنه أن ابن الأثير يجعل التشبيه قسماً من المجاز (٣) .

أولعله يقصد ماسي بعد الاستعارة المكنية ، أي التشبيه المضمرة فسي

النفس ، كما يقول الخطيب ، والعبارة تفيد المبالغة في الجود ، وهسي

ثمرة المجاز العقلي ، فإذا أطلق عليها الجاحظ لقب الكناية فله نظره

لأن هذه المصطلحات لم تكن متميزة كل التميز على عهد الجاحظ ، فتخطئة

ابن الأثير له محاسبة للجاحظ على اصطلاح لم يتميز في عهده ، والذي يمكن

أن يقال إن الجاحظ كان يطلق على مثل هذا التعبير اصطلاح الكناية .

(١) ديوان الأعشى - مؤسسة الرسالة - : ٢٧٢ رقم ٠٣٣ .

(٢) المثل السائر : ٣ / ٧٠ .

(٣) المثل السائر : ١ / ١٠٦ .

ج - وصف الشعر والإدلال به .

إن غرض الشيخ عبد القاهر من هذا الفصل وإسهابه في سرد كثير من الشواهد الحافلة بوصف الشعر هو تصوير المعاناة التي يعانيتها الشاعر، وهو يصوغ قصائده، تبصيراً لمن ظن أن الإعجاز هو في مذاقة الحروف وسلامتها . وغفل عن النظر فسي تركيبها وصياغتها وفي هذا تحذير لمن تراوده نفسه على ركب المخاطب، وارتياح طرق الشعر مع قلة الزاد ونضوب المعين .

قال الشيخ :

« الفَرَضُ من كتب هذه الأبيات ، الاستظهارُ حتى إن حمل حاملٌ نفسه على الفَرَرِ ، والتَّقَمُّ على غير بصيرة ، فزعم أن الإعجاز في مذاقة الحروف ، وفي سلامتها ما يثقل على اللسان ، عليمٌ بالنظر فيها فساد ظنّه ، وقبح غلطه ، من حيث يرى عياناً أن ليس كلامهم كلام من خطر ذلك منه ببالٍ ولا صفاتهم صفاتٍ تصلح له على حال . إذ لا يخفى على عاقل أن لم يكن ضربٌ « تسييمٌ » لحزون جبال الشعر ؛ لأن تسلّم ألفاظه من حروفٍ تثقل على اللسان ، ولا كان تقويمٌ « عديٌّ » لشعره وتشبيهه نظراً فيه ينظر المثقف في كعوب قناتيه لذلك ، وأنه محالٌ أن يكون له جعلٌ « بشائرٌ » نُورَ العامين قد غاصّ فصار إلى قلبه ، وأن يكون اللؤلؤ الذي كان لا ينام عن طلبه ، وأن ليس هو صوب العقول الذي إذا انجلت سحائبٌ منه أعقبت بسحائب ، وأن ليس هو الدرّ والمرجان مؤلفاً بالشذر في العقد ، ولا الذي له كان « البحر تربي » مقدراً » تقدير داود في السرد . كيف ؟ وهذه كلها عباراتٌ عما يدرك بالعقل ويستتبط بالفكر ، وليس الفكر الطريق إلى تمييز ما يثقل على اللسان ما لا يثقل ، إنما الطريق إلى ذلك الحسُّ » (١)

(١) الدلائل ، رضا : ٣٩٧-٣٩٨ ، خفاجي : (٤٧) ، شاكر : ٥١٨-٥١٩ .

الشاهد السادس والرابعون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

أبو حية النميري : (١)

إِنَّ الْقَصَائِدَ قَدْ عَلِمَنَ بِأَنْبِي ^(٣) . : صَنَعَ اللِّسَانَ بِمِهْنٍ لَا أَتَّحِلُّ ^(٢)
 وَإِذَا آبَتَدَاتُ عَرُوضٍ تَسْجِرِ رَيْضٍ ^(٤) . : جَعَلَتْ تَذِلُّ لِمَا أُرِيدُ وَتَسْهَلُ
 حَتَّى تَطَاوَعْنِي وَلَوْ يَرْتَا ضَهَبَهَا . : غَيْرِي لِحَاوَلٍ صَعْبَةً لَا تَقْبَلُ (٥)

بهذه الأبيات يصف أبو حية النميري قوة ملكته الشعرية واقتداره وتكنه من تذليل

اللغة ، وتطويع الأساليب .

انظر إليه كيف أكد ملكته هذه بقوله * بِأَنْبِي صَنَعَ اللِّسَانَ * فجاء بأداة التوكيد

* إِنَّ * وجاء بالصفة المشبهة * صنع * ليدل على أنها صفة متأصلة فيه ثابتة فسي

طبعه لا يصيبها فتور، ولا تضطره إلى الانتحال .

وفي إضافة هذه الصفة إلى اللسان غاية التمكن والاقتدار، واستطاع أبو حية أن

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاكر : ٥١١ .

(١) سبقت ترجمته : ١٠٦ .

(٢) الانتحال : هو أن ينسب الشاعر إلى نفسه شعر غيره جملة . ولا يقال منتحل

إلا لمن ادعى شعراً لغيره ، وهو يقول الشعر . وأما أن كان لا يقول الشعر
 فهو مدع غير منتحل / انظر :

العمدة : ٢ / ٢٨٢ ، معاهد التنصيص : ٤ / ٤ .

(٣) عروض : هي الناقاة الصعبة التي لم تذلل ولم ترض . / اللسان * عرض * :

٧ / ١٧٥ .

(٤) رَيْضٌ : بتشديد الياء المكسورة هي الدابة التي لم تقبل الرياضة ، ولم تذلل

لراكبها ، أو هي الناقاة أول ماتراض وهي صعبة بعد ، وكذلك العروض والعسير
 والقضيب من الإبل كله ، والأنتى والذكر فيه سواء . / اللسان * ريض * :

٧ / ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

وهو ليس في شعره الذي جمعه : رحيم صخي التوليبي .

يصور الحركة الداخلية التي تمور في نفسه حين يهيم بقول الشعر، فجعل القصائد كائنات حياً يحس، ويشعر، فهي ما إن تعلم برغبته في قول الشعر حتى تتشال رهواً، وتسرع في ذلة وطاعة بعد أن كانت جامحة شاردة كالناقة الجسور التي لم ترض ولم تدلل حين تهرب في الغلاة .

وبناء البيت الثاني على " إذا " الشرطية دل على أن هذه حاله على الدوام كلما هم بقول الشعر.

وتأمل قوله " حتى تطاوعني " وكيف دلت " حتى " على انتهاء الغاية في الطاعة، فكأنها استهلكت فعل الطاعة حتى نهايته وفي انهاء صورته بقوله " ولو يرتاضها غيري لحاول صعبة لا تقبل " وفي بنائها على الشرط بـ " لو " تأكيد على امتناع وعجز غيره عن الترويض، فلو أن غيره حاول ترويض تلك الناقة وبذل أقصى جهده في كبح جماحها، فإنه يحاول صعباً لأنها لن تقبل الترويض ولن تدل له .

الشاهد السابع والاربعون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

(١)
تيم بن مقبل :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩١-٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٥ ، شاكر : ٥١٢ .
(١) هو تيم بن أبي مقبل من بني العجلان بن عبد الله بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة ، يكنى أبا كعب ، وجاء في الاشتقاق أنه يكنى أبا الحرّة ، وهو شاعر مخضرم جاهلي - إسلامي ، جعله ابن سلام الرابع من الطبقة الخامسة من فحول الجاهلية وهو شاعر مجيد رشى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وهاجى عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فغلبه عبد الرحمن ، وكان ابن مقبل أعور جافياً في الدين ، فكان بعد إسلامه يبكي أهل الجاهلية ويذكرها / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ١ / ١٥٠ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٢ ، الاشتقاق : ١٢ ،

الإصابة : ١ / ١٨٩ - ١٩٠ رقم (٨٦٢) ، سمط اللآلي : ١ / ٦٨ ، الخزائنة :

- دار صادر - : ١ / ١١٣ .

إِذَا مِتُّ عَنْ ذِكْرِ الْقَوَائِي فَلَنْ تَرَى .: لَهَا قَائِلًا بَعْدِي أَطْبَّ وَأَشْعَرًا (١)
 وَأَكْثَرَبَيْتًا سَائِرًا صُرَيْتَ لَسُهُ .: حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ حَتَّى تَيْسَّرَا (٤)
 أَغْرَ غَرِيبًا يَمْسَحُ النَّاسُ وَجْهَهُ .: كَمَا تَمْسَحُ الْأَيْدِي الْأَغْرَ الْمَشْهَرَا (٥) (٦)

وهو من قصيدة مطلعها :

تَأْمَلُ خَلِيلِي هَلْ تَرَى ضَوْءَ بَارِقٍ .: بِمَانَ مَرَّتَهُ رِيحٌ نَجِدٍ فَفَتْرًا (٧)

وقبل الشاهد :

وإِنِّي لَأَسْتَحِي وَفِي الْحَقِّ سُسْتَحٍ .: إِذَا جَاءَ بَاغِي الْعُرْفِ أَنْ أْتَعَذَّرَا (٨)

ومعد الشاهد :

فَإِنْ تَكَى عَرْسِي نَامَتِ اللَّيْلُ كُلُّهُ .: فَقَدْ وَكَلْتَنِي أَنْ أَصَبَّ وَأَسْهَرَا (٩)

- (١) رواية الديوان ، الشعر والشعراء : " فَلَنْ تَرَى تَالِيًا بَعْدِي " ،
 ورواية منتهى الطلب : " تَالِيًا مِثْلِي " .
 ورواية أمالي ابن الشجري : " لَهَا شَاعِرًا مِثْلِي " .
 (٢) رواية الديوان والشعر والشعراء ، ومنتهى الطلب :
 " وَأَكْثَرَبَيْتًا مَارِدًا " .
 ورواية أمالي ابن الشجري : " وَأَكْثَرَبَيْتًا شَاعِرًا " .
 (٣) رواية ابن الشجري : " يَوْمٌ " .
 (٤) رواية الشعر والشعراء : " حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ " .
 والحزون جمع " حزن " والحزن ما غلظ من الأرض / اللسان " حزن " : ١٣ / ١٢ .
 (٥) رواية الشعر والشعراء :
 " الْجَوَادَ الْمَشْهَرَا " .
 (٦) ديوانه : ١٣٦ ، الشعر والشعراء : ١ / ٤٦٤ ، الأمالي الشجرية :
 - دار المعرفة - : ١ / ٧٢ ، منتهى الطلب : ١ / ٣٧ ب .
 (٧) الديوان : ١٢٩ .
 (٨) الديوان : ١٣٦ .
 (٩) الديوان : ١٣٧ .

• الشاعر في هذه الأبيات شديد الافتخار بشعره ومثانته، فانصرافه عن حوك القوائد اعتلال للشعر عامة ، وقد جاء تركيبه لهذا المعنى تركيباً بليغاً يجسد المعنى تجسيداً حيث شبه انصرافه عن قول الشعر بالموت ، فقوله " إِنْ أَمَسَتْ " ينبض بمعاني شرة تفصح عن شاعرية ابن مقبل وحببه لنظم الشعر، وغرامه به ، إِنْ لا حياة له إِنْ امتنع عن نظمه إِنْ أن الشعر احياء للشعور والإحساس ، وفي الانصراف عنه إزهاق لروح هذا الشعور ، وإِنْ تجرد الإنسان من الإحساس تجردت منه الحياة . و(إِنْ) الشرطية " هنا زادت صورة الموت تأكيداً إِنْ أنها جازمت بتحقيق وقوع الموت إِنْ هو انصرف عن الإنشاد .

وانظر إليه كيف جعل القوافي تعتل لانصرافه اعتلالاً لا تجد من يطيبها منه .
وانظر إليه كيف أقام معناه على أفضل التفضيل " أظب - أشعر أكثر - أغر " بالغة في الافتخار .

وترث قليلاً وتأمل قوله " ضُرِبَتْ لَهُ حُزُونُ جِبَالِ الشَّعْرِ " وكيف استطاعت هذه العبارة بثانة تركيبها ، ودقة سبكها ووفرة خصوصياتها أن تصور محاورة الشاعر للألفاظ ، وإخضاعها لأحاسيسه ، وسيطرته على أوابد الخواطر، وشوارد الأفكار ، فجعل للشعر جبلاً ، وجعل هذه الجبال طيعة بالحزون الغليظة ، وقد ركب هذه الصورة عن طريق تتابع الإضافات فأضاف الحزون إلى الجبال ، والجبال إلى الشعر ، ليصور جسارة هذه الجبال ورسوخها وصلابتها ، إلا أن بناء الفعل " ضُرِبَتْ " للمجهول وتقديم الجار والمجرور " له " أظهر قدرة الشاعر على تمهيد هذه الحزون ، وقوله " حتى تيسرا " دل على تكنه المطلق من اللغة فقد وصل بها إلى نهاية اليسر .

وما تزال المعاني التي تخرّبها نفس الشاعر تتصاعد وتترقى ، فما هوذا يعد أن يسرّ حزون جبال الشعر، يتغنى بقصائده وأشعاره ، فجاء بصورة الفرس الأغر الذي تتسابق إليه الأيدي لتطوف مسحاً على وجهه محبة له ، وغراماً به ، فذلك أشعاره يتسابق الناس للاستماع إليها وإنشادها إعجاباً بها .

الشاهد الثامن والدربعون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

(١)
عدي بن الرقاع :

(٢)
وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا . . . حَتَّى أَقْوَمَ مِيلَهَا وَسِنَانَهَا

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاکر : ٥١٢ .

(١) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع بن عصير بن شعل بن معاوية ابن الحارث . وهو من عاملة حيٍّ من قضاة، ويقال له عدي بن الرقاع العمالي . كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصة بالوليد بن عبد الملك ، وله بنت شاعرة يقال لها سَلْسَى .

جعله ابن سلام الرابع من الطبقة السابعة من فحول الإسلام * جاء في الأغاني أن ابن سلام جعله في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام * وكان منزله في دمشق وهو من حاضرة الشعراء لا من باديتهم / انظر ترجمته :

طبقات فحول الشعراء : ٦٩٩ / ٢ - ٧٠٨ ، الشعر والشعراء : ٦٢٢ / ٢ - ٦٢٥ ، الأغاني : ٣٠٧ - ٣١٧ ، المؤلف والمختلف : ١١٦ ، معجم الشعراء للمرزباني ٢٥٣ ، نهاية الأرب : ٢٤٧ / ٤ .

(٢) السنن : عيب يحدث في القافية قبل الروي ، والروي هو أثبت حروف البيوت ، وعليه تبني المنظومات ، وهو يكون من أي حروف المعجم وقع إلا حروفاً تضعف ولا تثبت ، كالف الترنم وواؤه ، وياؤه ، وهاء الوقف وهاءات التأنيث إذا كان ما قبلها متحركاً ، والألف التي تلحق علماً للتثنية في مثل ضرباً ونهياً ، والواو التي تدل على الجمع إذا كان مضموماً ما قبلها في مثل ضربوا وقتلوا ، وغير ذلك من الحروف ، فإن اتفق غير ما ذكر فهو شان مرفوض .

والروي له ثلاث منازل : يكون آخر حرف في الشعر المقيد ولا ينكسر هذا القياس في رأي المتقدمين ، ويكون بينه وبين انقضاء البيت حرف أو حرفان ، وذلك في الشعر المطلق ، والذي بين رويه وبين انقضاء وزنه حرف واحد فإنما تجيء بعد رويه الصلة لا غير ، وهي تكون أحد أربعة أحرف ، وتكون الأحرف الواو والألف والياء والهاء وأما الذي يقع بعد رويه حرفان فهو ما تحرك هاء وصله فلزمها الخروج / انظر :

مقدمة اللزوميات : ١ / ٦ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، العمدة : ١ / ١٦٩ .

(١) نَظَرَ الْمُثَقَّفِ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ . : . حَتَّى يَمِيقِمَ ثِقَافَهُ مُنَادًا هَا (٢)

وهو من قصيدة مطلعها :

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوَهُمًا فَأَعْتَادَ هَا . : . مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبَيْلَى أَبْلَادَهَا (٤)

وقبل الشاهد :

وَأَصَاحِبَ الْجَيْشِ الْعَرَمَمِ قَارِسًا . : . فِي الْخَيْلِ أَشْهَدُ كَرَهَا وَطِرَانَ هَا

وبعد الشاهد :

وَلَقَدْ أَصَبْتُ مِنَ الْمَعِيشَةِ لَذَّةً . : . وَلَقِيتُ مِنْ شَطَفِ الْأُمُورِ شِدَادَهَا

فَسَتَرْتُ عَيْبَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمٍ . : . وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النَّعِيمِ سِدَادَهَا

وَعَطِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . : . عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكَيْ أُرَدِّدَهَا (٦)

وجاء في الأغاني أن كثيراً قد انتقد عدياً حين سمع قوله :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتَّ أَجْمَعُ بَيْنَهَا

فقال له : لو كنت مطبوعاً، أو فصيحاً، أو عالماً لم تسأت فيها بميل ولا سناد ،

فتحتاج إلى أن تقومها ، ثم أنشد :

(١) المثقف : الثقف بالكسر آله تسوي بها الرماح . / اللسان : " ثقف " : ٢٠ / ٩ .

(٢) منادها : المناد المعوج . / اللسان " أود " : ٣ / ٧٥ .

(٣) انظر البيتين في :

ديوانه : ٥٢ ، تأويل مشكل القرآن : ٢ / ١٩ ، الشعر والشعراء : ٢ / ٦٢٣

البيان والتبيين : ٣ / ٢٤٤ ، الحيوان : ٣ / ٦٤ ، الخصائص :

١ / ٣٢٥ ، التشبيهات : ٢٢٥ ، الأغاني : ٩ / ٣١٧ ، معجم

الشعراء : ٢٥٣ ، الموشح : ١٢ ، إعجاز القرآن للباقلاني : ١٢٢ ،

الروض الأنف : ٣ / ١٨٠ ، كتاب القوافي : ١٢٩ ، تحرير التحبير :

٣ / ٤١٤ ، الطرائف الأدبية : ٨٩ .

(٤) ديوانه : ٤٩ .

(٥) ديوانه : ٥٢ .

(٦) ديوانه : ٥٢ ،

الطرائف الأدبية : ٨٩ .

نَظَرَ الْمُتَّقِيَ فِي كَعُوبٍ قَنَاتِيهِ . . . حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافَهُ مَنَادَ هَا

فقال له كثير: لا جرم أن الأيام إذا تناولت عليها عادات عوجاء ؛ ولأن تكسون مستقيمة لا تحتاج إلى ثقاف أجود لها ، ثم أنشد :

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . . . عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِي أَزْدَادَهَا

بأن يسألك عن صفار الأمور دون كبارها حتى يتبين جهلك . وماكنت قط أحسق منك الآن حيث تظن هذا بنفسك . (١)

قال المرزباني :

* أخبرني العسولي ، قال : حدثني يحيى بن علي قال ، قال أبو جعفر محمد بن

موسى المنجم :

كنت أحب أن أرى شاعرين ، فأؤدب أحدهما - وهو عدي بن الرقاع ، لقوله :

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا . . . مِنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِي أَزْدَادَهَا (٢)

ثم أسأله عن جميع العلوم ، فإن لم يجب أدبته ، وأقبل رأس الآخر - وهو زياد بن زيد لقوله :

إِذَا مَا انْتَهَى عَلَيَّ تَنَاهَيْتْ عِنْدَهُ . . . أَطَالَ فَأَعْلَى أَمْ تَنَاهَى فَقَصْرًا * (٣)

والم تأمل لأبيات عدي يرى أنه كان دقيقاً في تصوير ما يعتل في نفسه من معاناة عند كتابة قصيدته ، وهو أمر طبيعي ينتاب الشاعر حين يروض كلماته لتسير وفقراً لأحاسيسه ، فتقوم الميل والسناد في القصيدة ، وهي ما تزال جنيناً في باطن الإحساس ليس عيباً يُنتقد عليه الشاعر ، وإنما العيب كل العيب إذا أخرجها للوجود بميلهما وسنادها ، فزهير بن أبي سلمى - وهو من عظماء الشعراء - كان يهذب قصائده ، وينقحها سنة كاملة ، حتى عُرفت قصائده بالحوليات . (٤)

(١) الأغانى : ٩ / ٣١٦-٣١٧ .

(٢) رواية الديوان " عن علم " .

(٣) الموشح : ١٧٣ .

(٤) " كان الأصمعي يقول : زهير والحطيئة ، وأشباهما عبيد الشعر ، لأنهم

نقحوه ، ولم يذهبوا به مذاهب المطبوعين . قال :

وأبيات عدي لها أوجه من الحسن لا يمكن حجبها عن الإحساس فقلوه : " قد بت " يتولد منه معانٍ دقيقة ، فهو يشير إلى حرص الشاعر على اختيار الوقت الذي ينظم فيه قصائده ، فالبيات يكون ليلاً ، وفي الليل تسكن الحياة ، وبسكونها تهدأ النفس ، وتشف الروح ، فتتضح الرؤى ، وتتكشف المعاني أمام النفس الشاعرة .
وتصوير حالته ، وهو ينقح قصائده بصورة المثقف في كعوب قناته " هي نتاج خيال خصب دقيق ، فالمثقف لكعوب القناة حريص كل الحرص على تقويم اعوجاجها ؛ لأن في تقويمها استمراراً لحياته ، وفي اعوجاجها لقاء حتفه ، وكذلك الشاعر حريص على تنقيح قصائده ؛ لأن في تنقيحها فخراً له وشهرةً ، وفي شهرته رفع لذكوره ، واستمرار لحياته ، وفي اعوجاج قصائده مذمة له ، ووضع لذاك الذكر .
وانظر إليه حين رسم الصورة فقال : " نظر المثقف " فأضاف النظر إلى المثقف ليبدل على دقة الشكيف .

وقوله في كلا شطري البيت الأول والثاني " حتى أقوم " و " حتى يقيم " دل على أنه لا يذيع قصائده ولا يخرجها إلا بعد أن يصل بها إلى غاية النهاية في التقويم .

الشاهد التاسع والأربعون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

• قول كعب بن زهير :

==== وكان زهير يَسْتِي كَبْرَى قصائده الحوليات " / الشعر والشعراء :

١ / ٨٤ - ٨٥ .

وجاء في خزنة الأدب :

وروي أن زهيراً كان ينظم القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في سنة ، وكانت تسمى قصائده حوليات . - دار صادر - : ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ ، وكان الحطيئة يقول :

" خير الشعر الحوليّ المنقح المحكك " / الشعر والشعراء : ١ / ٨٤ .

(*) رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢ .

(١) فَمَنْ لِلْقَوَائِي شَانَهَا مِّنْ يَحُوكَهَا .: إِذَا مَا تَوَى كَعَبٌ وَقَوْزٌ جَرُولٌ
(٢) (٣) (٤)
(٥) (٦) (٧)
(٨) يَقَوْمَهَا حَتَّى تَلِينَ مَتَوْنَهَا .: فَيَقْصُرُ عَنْهَا كُلُّ مَا يَتَمَتَّلُ

والشاهد من قصيدة مطلعها :

أَلَا بَكَرَتْ عِرْسِي نَعُومٌ وَتَعَذُّلٌ .: وَغَيْرُ الَّذِي قَالَتْ أَعْفُ وَأَجْمَلُ

وقبل بيت الشاهد الأول أبيات في الغزل آخرها :

(٩) وَصَافِيَةٍ تَنْفِي الْقَدَاةَ كَأَنَّهَا .: عَلَى الْأَيْنِ يَجْلُوهَا جَلَاءٌ وَتُكْحَلُ

- (١) رواية الشعر والشعراء : " وَمَنْ " .
- (٢) رواية الديوان والأغاني ، واللسان : " ثوى " بالثاء المثلثة . وثوى - وتوى بمعنى هلك / اللسان " ثوا " : ١٤ / ١٢٦ .
وجاء في الديوان أنه يروى " إِذَا مَا مَضَى كَعَبٌ " .
- (٣) قَوْزٌ : بمعنى مات أي كأنه صار في مغارة ما بين الدنيا والآخرة . / اللسان (فوز) :
٣٩٢ / ٥ .
- (٤) المقصود بجرول هنا الحطيئة .
- (٥) رواية الأغاني وخزانة الأدب : " نشقها " ويروى " يثقفها " بالياء .
- (٦) رواية الديوان : " حتى تقوم " ، وتذكر في الديوان أنه يروى أيضا :
" فيمضين غراً كلها يتمثل " .
- (٧) يتمثل : يضرب مثلاً ، يقال : تمثل هذا البيت ، وتمثل به : ضميره
مثلاً / اللسان " مثل " : ١١ / ٦١٢ .
- (٨) انظر البيتين في :
ديوانه - صنعة أبي سعيد السكري - : ٥٩ ، الشعر والشعراء : ١٥٩ / ١ ،
الأغاني : ٢ / ١٦٥ ، اللسان : ١٤ / ١٢٦ ، مادة " ثوا " ، خزانة
البغدادي - دار صادر - : ١ / ٤١١ .
- (٩) صافيه : يعنى عين محبوبته ، وتنفى القداة : ليس يريد أن هناك قداة تنفيتها ،
ولكن معناه أنها لم تقد قط .
والأين : التعب . / شرح ديوان كعب بن زهير - صنعة السكري - :

وقبل بيت الشاهد الثاني :

(١)
يَقُولُ فَلَا يَغْيَا بِشَيْءٍ يَقُولُهُ . . . وَمَنْ قَاتَلِيهَا مِنْ يَسِيءٍ وَيَعْمَلُ (٢)

وبعد بيت الشاهد الثاني :

كَفَيْتِكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ شَاعِرًا . . . تَتَخَلَّ مِنْهَا مِثْلَ مَا أَتَخَلَّ (٣)

وقد أخذ الكسيت بيت الشاهد الأول فقال :

وَمَا ضَرَّهَا أَنْ كَعْبًا تَسْوَى . . . وَفَوْزَ مِنْ بَعْدِهِ جَرُولُ

في هذين البيتين يفتخر كعب بقدرته على نظم الشعر وصياغته، وتظهر رنسة هذا الافتخار قوية عالية في هذا الاستفهام الذي افتتح به صورته " فمن للقوافي " والذي حمل معنى الاستيعاد والتعجيز التام ، فهذا الاستفهام ينبعث من داخل نفس شاعرة تحس إحساساً عميقاً بصعوبة الموقف الشعري ، فاتخذت منه مادة للفخر، فكل من يحاول حوك القوائد بعد كعب وجرول ، فإنه يشينها ويعيبها ، لجهله بفن الحوك أما الشاعر ، فإنه يعمل في القصيدة بيد صنع ما هر يدلل صعابها ، ويلين متونها فتنتال كلماتها عفواً حتى تقع كل كلمة في موقعها المتكمن . فيعجز عن الإتيان بمثلهما كل من يقرض الشعر.

- (١) رواية الأغاني : " نقول فلا نغيا بشيءٍ نقوله " بنون الجمع .
(٢) رواية الأغاني : " وَيَجْمَلُ " ، يريد بِيَعْمَلُ : يتعنى ويجتهد / أساس البلاغة " عمل " : ٣٣١ .

- (٣) وقد اختلف ترتيب الأبيات في الأغاني ، فذكر بعد بيت الشاهد الأول قوله :

كَفَيْتِكَ لَا تَلْقَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدًا
نَقُولُ فَلَا نَغْيَا بِشَيْءٍ نَقُولُهُ
وبعدهما بيت الشاهد الثاني .

الشاهد الجسور بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

بشار:

(١) عَمِيْتُ جَنِينًا وَالذَّكَاءُ مِنَ الْعَمَى . . . فَجِئْتُ عَجِيبَ الظَّنِّ لِلْعِلْمِ مَوْتَلًا
 (٢) وَغَاصَ ضِيَاءُ الْعَيْنِ لِلْعِلْمِ رَافِدًا . . . لِقَلْبٍ إِذَا مَا ضَيَّحَ النَّاسُ حَصَلًا
 (٣) وَشِعْرٌ كَنُورِ الرَّوْضِ لَا أَمَّتْ بَيْنَهُ . . . يَقُولُ إِذَا مَا أَحْزَنَ الشُّعْرَ أَسْهَلًا (٩)
 (٤) (٥) (٦) (٧) (٨)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاكر : ٥١٢-٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " معقلا " .

(٢) رواية أمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " غاص " .

(٣) رواية الديوان ، وأمالي المرتضى ، وتاريخ بغداد : " للقلب " .

(٤) رواية الديوان : " فاغتنى " بدلاً من رافداً ، ورواية تاريخ بغداد " رائداً " .

(٥) رواية الديوان وأمالي المرتضى : " بقلب " ، ورواية تاريخ بغداد : " بحفظ " .

(٦) رواية تاريخ بغداد " كزهر " .

والنور ، والنورة : الزهر ، أو الأبيض منه ، وأما الأصفر ، فزهر . / القاموس

المحيط " نور " : ٢ / ١٥٥ .

(٧) رواية أمالي المرتضى وتاريخ بغداد :

" لَا أَمَّتْ بِالْفَتْحِ وَمَعْنَاهُ " لا عوج " ، ويبدو لي أن رواية " لَا أَمَّتْ " أنسب

وأقرب للصواب لأن التعبير " لَا أَمَّتْ بَيْنَهُ " بمعنى لا عوج بينه غير مناسب ، والأنسب

أن يقال : لَا أَمَّتْ فِيهِ " أي لا عوج فيه ، وأيضاً لا يستقيم المعنى مع قوله

" بقول " فيكون المعنى لا عوج بينه بقول - وهذا الأخرى من رواية أمالي المرتضى .

(٨) رواية تاريخ بغداد : " نقي " .

(٩) انظر الأبيات في :

ديوانه : ٤ / ١٥٨ ، الأغاني : ٣ / ١٤٢ ، أمالي المرتضى :

١ / ٥٠٩ ، تاريخ بغداد : ٧ / ١١٤ .

وقبل الشاهد :

إِذَا وُلِدَ الْمَوْلُودُ أَعْنَى وَجَدْتَهُ . : وَجَدَّكَ أَهْدَى مِنْ بَصِيرٍ وَأَجْوَلًا

في هذه الأبيات يفتخر بشار ذلك الشاعر الأعشى الضرب بقدرته الشعرية العجيبة، فالشعراء يفتنون خيالهم بالصورة المرئية المحسوسة ، فيلائم الخيال بين هذه الصور وبين الأحاسيس والمعاني التي تتبض بها نفس الشاعر، فتخرج نتاجاً شعرياً .

أما بشار ، فإنه يُغذِّي الخيال من الخيال ، فتركيبه الشعري هو نتيجة تصور داخلي فقط، وعلى هذا المقياس تكون حركة الملازمة بين المعاني والصور في النفس عملية شاقة على الشاعر. إلا أن بشاراً يعلن في افتخار أن شعره يخرج كنور الروض بهاءً وحسناً وتناسقاً .

وانظر إليه ، وقد بدأ البيت بقوله " وشعري " فالواو هنا واو رَّبِّ، أي " رَبِّ شِعْرِي " فدلّت هذه الواو على كثرة شعره وغزارته ، وهو مع كثرة متناغم الصور، متلاحم البنية ، وَقِفْ متعجباً من ذلك الخيال السحري الذي لا م بين تناسق صورته الشعرية وبين نور الروض وبهائه .

ثم قف متعجباً من خيال استعان بصورة " الحزن - والسهل " ليظهر سهولة شعره وسلاسته .

فكل مقام يحزن ويعسر فيه الشعر ، تراه سرعان ما يتبسط ، ويسهل أمام خيال الشاعر ، وينى الشاعر هذه الصورة على الشرط " بإذا " ليدل على سرعة التبسط ويجزم بتحقيق وقوعه .

وبناءً فعل الشرط ، وجوابه على أفعل التفضيل " أحزن - أسهل " مبالغة في الوصف ، فقوله " أحزن " مبالغة في وصف الطريق بشدة وعورة المسلك .

وقوله " أسهلاً " مبالغة في وصف الطريق بالسهولة والبسط .

الشاهد الواحد والشمسون بعد الثلاثمائة : (*) (المنسرح)

• بشار :

زور ملوك عليه أبهسة^(١) .: يعرف من شيمره ومن خطبه^(١)
 لله مراح في جوانحه .: من لؤلؤ لا ينام^(٢) عن طلبه^(٢)
 يخرج من فيه للندى كما .: يخرج ضوء السراج من لهبه^(٣) (٤)

والأبيات من قصيدة قالها حين نهاه الخليفة المهدي عن مغازلة النساء مرة

بعد مرة ، فوصف في هذه القصيدة حال وفائه وأنه لا يحتاج إلى تأكيد النهي ولا يتهم

بعدم الامتثال .

ومطلع القصيدة :

يامالك الناس في مسيرهم .: وفي المقام المطير من رهبه

وقبل الشاهد :

يصدق في دينه وموعده .: نعم ويغطي الندى على كذبه

وبعد أبيات الشاهد :

يقوم بالقوم يوم جنتهم .: ولا يخيب الرواد في سببه

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٢ ، خفاجي : ٤٦٦ ، شاکر : ٥١٣ .

(١) رواية الديوان : " تعرف " ، ورواية عيون الأخبار : " يعرف " بضم الياء .

(٢) رواية الديوان وعيون الأخبار : " لا ينام " بضم الياء أي لا يفتأون يطلبونه فيسهرون لأجل طلبه من شدة الرغبة فيه .

(٣) رواية الديوان وعيون الأخبار : " يخرج من " .

(٤) لم أجده إلا في :

الديوان : ١ / ١٨٤ .

عيون الأخبار : ٢ / ٥ / ١٨٢ .

في هذه الأبيات يفخر بشعار شعره ومثانته ، فهو زور ملوك ، فزيارة الملوك لا تتسنى إلا لمن كان ضليعاً في قول الشعر .

وقوله " عليه أبهة " بتقديم المسند " الجار والمجرور " عليه " على المسند إليه " أبهة " ، للاهتمام به بالغة وادعاءً ، وهذا تأكيد لتعالیه وارتفاع مقامه وانظر إلى قوله (يَعْرِفُ من شعره ومن خطبه) وكيف أراد أن يرفع بشعره غيبة نسبه ، ويفطي به ما يخامره من نقص ، فجعل الشهرة والمعرفة في الشعر والخطب لافسي النسب إلى القبائل كما هو معروف عندهم .

وبعد هذا التعالي بالشعر جاء بصورتين يصف بهما ذلك الشعر ونفاسته ، فهو كاللؤلؤ المخبوء في باطن البحر والذي يجهد الناس في استخراجها ، ولا يفترقون عن طلبه بل ويؤرقون أنفسهم للحصول عليه لشدة رغبتهم فيه .

وفي الصورة الثانية سجل المعاناة التي تدور في نفسه عند صياغة شعره ، فجاء بصورة ضوء السراج ، ولهبه ليظهر لنا أن الشعر أصبح سهلاً عليه ، فهو ينبثق من نفسه تلقائياً كما يخرج السراج من اللهب .

الشاهد الثاني والخمسون بعد الثلاثاء : (*) (الوافر)

• أبو شريح العمير (١)

فَإِنْ أَهْلِكَ فَقَدْ أَبَقَيْتَ بَعْدِي . قَوَافِي تَعَجِبُ الْمُتَسَلِّينَا

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٣ .

(١) لم أقف على ترجمة له .

وقد ورد البيتان في البيان والتصيين ، ودويان المعاني من غير نسبة ، ونسبها في مجموعة المعاني لشاعر جاهلي .

ونسبها ابن الشجري لابن سيادة - وهو الرماح بن يزيد بن سراقه ، ومياعة

أمه - من شعراء الدولتين الأموية والعباسية - وكان شاعراً مجيداً ، انظر ترجمته :

الشعر والشعراء : ٢ / ٧٧٥-٧٧٧ ، المؤلف والمختلف : ١٢٤ ، الأغانسي : =====

(١) (٢)
لذِيذَاتِ الْمَقَاطِعِ مَحْكَمَاتٍ . لَوْ أَنَّ الشَّعْرَ يَلْبَسُ لَأَزْتَدِينَا (٢)

يبدو أن بيتي أبي شريح ليس فيها عتق ، ولا جدة ولا طرافة في التصوير ، حيث صور أشعاره مرة بالشئ الذي يؤكل ويلذ طعمه " لذيزات المقاطع " وصورها ثانية بالشئ الذي يلبس - وهذه صورة عامة قريبة قاحلة المعنى .

=== ٢ / ٢٦١ - ٣٤٠ ، سبط اللاكبي : ١ / ٣٠٦ ، تاريخ ابن عساكر : ٥ / ٣٣١ -
٣٣٤ ، الخزانة للبغدادي - دار صادر - : ١ / ٧٦ - ٧٧ ، والبيتان
في ملحقات ديوانه - فيما نسب إليه وإلى غيره .

ولقد رأى الأستاذ شاكر في تحقيقه الدلائل ، أن نسبة ابن الشـجـري
إنما هي سهو منه وخطأ ، ورجح أنه أخذها من البيان والتبيين ، فقد
عقد الجاحظ باباً ذكر فيه أبياتاً ، ثم قال : وأنشدني لابن ميادة ، وذكر
بيتاً من الشعر ، ثم أتبعه بقوله : وأنشد ، ثم ذكر البيتين ، فاخطط الأمر
على ابن الشجري في نقله إلى حساسته / الدلائل - شاكر : ٥١٣ ،
ونسب الأستاذ عبدالسلام هارون البيتين في معجم شواهد العربية
لعنبر بن الحباب ، وهو عمير بن الحباب بن جعدة السلمي (. . . - ٥٧ هـ)
رأس القيسية في العراق ، وأحد الأبطال الدهاة ، كان من قاتل عبيد الله
ابن زياد مع إبراهيم بن الأشتر ، ونسبت بينه وبين اليمانية ، وبني كلب
وتغلب وقائع منها يوم (ماكسين) ، ويوم الثرثار الأول ، ويوم الثرثار
الثاني ، وقتل ابن الحباب في يوم الحشاك ، قتله بنو تغلب . انظر ترجمته :
معجم الشعراء للمرزباني : ٢٤٥ ، الموشح : ١٢٥ ، الأعـلام :

٥ / ٨٨ .

ونسب البيتان في ألف باء لحسان بن ثابت ، ولم أقف عليهما في ديوانه .

(١) رواية كتاب ألف باء : " رقيقات " .

(٢) رواية كتاب ألف باء : " القواطع " .

(٣) انظر البيتين في :

ديوان ابن ميادة : ٢٥٨ - ٢٥٩ ، رقم (١٠٥) ، البيان والتبيين : ١ / ٢٢٢ ،

ديوان المعاني : ٨ ، حساسة ابن الشجري : ٢٣٨ ، كتاب ألف باء :

١ / ٥٧ - ٥٨ ، مجموعة المعاني : ١٧٨ .

الشاهد الثالث والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الوافر)

الفرزدق :

(١)
بَلَفَنَ الشَّمْسَ حِينَ تَكُونُ شَرْقًا . . . وَمَسَقَطَ قَرْنَيْهَا مِنْ حَيْثُ غَابَا
يَكُلُّ ثَنِيَّةً وَيَكُلُّ ثَفِيرًا . . . غَوَارِبَهُنَّ تَتَسَبَّبُ آتِسَابًا (٣)

والشاهد من قصيدة له يناقض بها جريراً ومظلمها :

أَنَا ابْنُ الْعَاصِمِينَ بَنِي تَمِيمٍ . . . إِذَا مَا أَعْظَمَ الْحَدَثَانِ نَابَا

وقبل الشاهد :

(٤)
وَوَغْرًا قَدْ نَسَقَتْ مَشَاهِرَاتٍ . . . طَوَالِعَ لَا تَطِيقُ لَهَا جَوَابَا

وبعد الشاهد :

وَحَالِي بِالنَّقَا تَرَكَ ابْنَ لَيْلَى . . . أبا الصُّهْبَاءِ مُحْتَفِرًا لِمَهَابَا

إن المتأمل في أبيات الفرزدق يشعر بتلك الروح المفعمة بالافتخار ، والاعتزاز بنتاجها الفكري المشرق ، هذه الحقيقة التي تنطوي بها نفس الفرزدق ، وتفيض بها جوانحه تحتاج إلى تأكيدات لتقررهما في نفوس السامعين ، شأنها في ذلك شأن الحقائق العظيمة والصفات الجليلة ، إلا أن الفرزدق ضرب عن ذلك صفحاً ، زاعماً أن بلوغ قصائده مشرق الشمس ومغربها أمر مقرر في النفوس بدهة .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٢ ، شاکر : ٥١٣-٥١٤ .

(١) رواية النقائض : " حَيْثُ تَكُونُ " .

(٢) رواية النقائض : " غَوَارِبَهُنَّ " .

(٣) لم أجد البيتين إلا في :

ديوانه : ١ / ١٠٤ .

نقائض جرير والفرزدق : ١ / ٤٧٦ .

(٤) أراد بالفر قصائده .

وأنظر إلى روعة الصورة التي أبرزت حفاوة الشاعر بشعره فقضائه قد بلغست من السمو والعلو مقاعد الشمس، وبلغت من الانتشار والعموم كل ما يبلغه ضوء الشمس ويصل إليه على الدوام، فقوله " ومسقط قرنبا من حيث غابا " فيه إشارة إلى حركة الانتشار والذوب، فقضائه مصاحبة للشمس في رحلتها الدائبة، ومع كل إشراقه شمس تبعت قضائه الإشراق والأنس في النفوس، فقضائه تصاحب الشمس في دورتها، وشهرته تصاحب قضائه وترحل معها، فقرن مع دورة الشمس دورة أخرى عجيبة هي في ظنه أوسع وأعم انتشاراً، فما من ثنية، وما من شجر إلا وقد عمته نسبة القضائد إليه .

فقوله " تتسبب انتسابا " تأكيد بأن أمر نسبتها إليه أمر بديهي مسلم به، فسامعها لا يبذل جهداً ولا يجد عناءً في معرفته .

وانظر إلى الباء في قوله " بكل ثنية، وبكل شجر " وكيف دلت على تكن تلك النسبة من كل شجر وكل ثنية وعمومها فيهما ولو أنه جاء (بالفاء) لما دلت على هذا التمكن .

الشاهد الرابع والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

ابن ميادة (١) :

فَجَرْنَا يَتَابِعَ الْكَلَامِ وَبَحْرَهُ . : فَأَصْبَحَ فِيهِ نَدْوُ الرَّوَايَةِ يَسْبَحُ
(٢)
وَمَا الشَّعْرُ إِلَّا شِعْرُ قَيْسٍ وَخِنْذِفٍ . : وَشِعْرُ سِوَاهُمْ كَلْفَةٌ وَتَلْحُ (٣)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

(١) سبقت ترجمته : ١١٥٣ .

(٢) رواية الديوان ، والرسالة الشافية : " وقول " .

(٣) انظر البيتين في :

ديوانه : ٩٧ ، الأغاني : ٢ / ٣٠٩ ، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

- الرسالة الشافية - : ١٣٦ .

وهما بيتان لاثالث لهما ، قالهما حين اجتمع مع عقال بن هاشم بباب الوليد ابن يزيد ، وكان عقال شديد الرأي في اليمن ، فغز عقال ابن ميادة ، واعتلاه ، فقال ابن ميادة أبياته ، فأجابه عقال بأبيات ستذكر بعد هذا الشاهد .

وقد أجاد ابن ميادة في اختيار صورة البحر والينابيع المتفجرة ، والسباحة في أعماقها للتعبير عن قصائده الشعرية ، فالبحر يشير إلى ما تنطوي به عباراته من عمق الخيال وغزارة ، وما يحويه من أسرار عجيبة نادرة ، لا يكشف خبيثها النظرة السريعة العابرة .

وانظر إلى الغاء في قوله " فأصبح " وكيف دلت على تلهف وشوق أصحاب الرواية ، فهم حين رأوا تلك الينابيع الثرة الغزيرة أسرعوا يسبحون في أعماق معانيها شوقاً إلى افتضاض أسرارها .

ومجيء الجملة الفعلية " يسبح " دل على تجدد رغبتهم في السباحة ، لما وقعوا عليه من عجب الأسرار ، فلما أمعنوا النظر في هذه الأشعار تكشفت لهم معانٍ عجيبة تزيدهم شوقاً إلى تجديد البحث .

ثم أكد هذه الصورة عن طريق القصر بما ولا يزيد لها تقريراً في النفوس . فأثبت أن الشعر الحقيقي هو شعر قيس وخندف ، وأن شعر سواهم إنما هو مصطنع متكلف .

الشاهد الخاص والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

(٢)

قال عقال بن هشام الغيني - يرد على بيتي ابن ميادة السابق الذكر - :

(١) الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٣ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

(٢) لم أقف على ترجمة له ، ولكن يفهم من خبره مع ابن ميادة الذي أورده أبو الفرج

الأصفهاني - أنه من شعراء الدولتين الأموية والعباسية ، وقد لقي الوليد بن

يزيد ، وكان عقال شديد الرأي في اليمن . / الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

أَلَا أَبْلَغِ الرَّمَّاحِ نَقْصَ مَقَالَةٍ . . . بِهَا خَطِلَ الرَّمَّاحُ أَوْ كَانَ يَمَزَحُ (١)
 لَقَدْ خَرَقَ الْحَيُّ الْيَمَانُونَ قَبْلَهُمْ . . . بِحُورِ الْكَلَامِ تَسْتَقِي وَهِيَ طَفَّحُ (٢)
 وَهُمْ ظَمُّوا مَنْ بَعَدَ هُمْ فَتَعَلَّمُوا . . . وَهُمْ أَعْرَبُوا هَذَا الْكَلَامَ وَأَوْضَحُوا (٤)
 فَلِلسَّابِقِينَ الْفَضْلَ لَا تَجْحَدْ وَنَهْ . . . وَلَيْسَ لِمَسْبُوقٍ عَلَيْهِمْ تَبَجُّحُ (٥) (٦)

وذكر أبو الفرج الأصفهاني بيتاً بعد البيت الأول ، وهو :

لَعْنٌ كَانَ فِي قَيْسٍ وَخِنْدِفَ أَلْسُنٌ . . . طَوَالَ وَشِعْرٌ سَائِرٌ لَيْسَ يُقْدَحُ

فابن عقال في أبياته هذه يردُّ على ابن ميادة ، وينقض مقالة السابقة ، فليس لقيس وخندف مالليمانيين من الأشعار الغزيرة الطَّفْح التي يُسْتَقِي منها ، فلا ينضب معينها ، فهم أصحاب هذا العلم ورواده ، ولهم فضل السبق ، ولا يستطيع أحد أن يتبجح بسبقه .

فأبيات ابن عقال إذاً إنما جاءت لنقض مقالة ، وإسقاط رأي ، ففيها من معاني التحدي ما فيها ، لذا افتتحها بأداة الاستفتاح " ألا " هذه الأداة القوية الرنانة

(١) رواية الرسالة الشافية " كان " ، وكذلك ذكر في تحقيق الأغاني أنه ورد في

عدد من المخطوطات : " كان " بدلاً من " كان " .

(٢) رواية الأغاني : " وَهِيَ تَطْفَحُ " ، وعلق المحقق على رواية " طَفَّحُ " بأنه

لا يوجد في كتب اللغة أن طافحاً يجمع على طَفَّح ، ولكن علماء العربية

يقولون : إن فَعَلًا يطرد جمعاً لفاعل متى كان وصفاً صحيح اللام نحو

عادل ، وعدل ، وشاهد وشهد .

(٣) رواية الرسالة الشافية " وقد " .

(٤) رواية الرسالة الشافية " لا تتكرونه " ،

رواية الأغاني والدلائل تحقيق شاكر : " لا يجحدونه " .

(٥) رواية الرسالة الشافية والأغاني : " وليس لمخلوق " .

(٦) لم أجد لها فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

الرسالة الشافية - ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن : ١٣٦-١٣٧ ،

الأغاني : ٢ / ٣٠٩ .

التي تستفتح نوافذ الحس ، وتوقظ غواني الإدراك ، فتنبه الأسماع ، وتهيب النفوس
لتلقي ذلك النقض .

ثم نكر لفظ " مقالة " لتحقير هذه المقالة ، والتقليل من شأنها ، فهي مقالة
واهنة مستركة .

واستمع إلى رنين الكلمات حين بدأت تقرر الحقائق " لَقَدْ خَرَقَ الْحَيَّ الْيَمَانُونَ "
فاجتمع في العبارة أداتان من أدوات التوكيد " اللام - قد " ، ولفظ " خرق " وما فيه
من شدة وقوة وتغلغل .

ثم تأمل لفظ " تستقي " وما أحدثه في النفس من تعميق صورة شعرهم ، وإظهار
غزارتها واتساعها فبنا الفعل للمجهول دل على كثرة السقاة وتوافدهم المستمر
على بحور اليمانيين لإرواء النفوس من معانيها العذبة ، وإرواء الخيال بصورها الخصبية .
وانظر إلى قوله " وهي طَفَّحَ " وكيف أكد وقرر غزارتها وعدم نُضُوب معينها .
وتظل رنة الافتخار تعلقو ويسمع صداها في تكرار الضمير " وهم علموا - وهم
أعربوا " فالشاعر يحس إحساساً عميقاً بفضلهم ومكانتهم ، فأبى إلا أن يسجل
هذا الإحساس ويقرر لهم هذا الفضل .

ويأتي اسم الإشارة " هذا الكلام " مشيراً إلى شرف وفخامة علمهم .
وحذف المفعول به من الجملة " وأوضحوا " ليثبت وقوع عنوم الإيضاح منهم ،
وشموله لكل لفظة ، وكل كلمة ، وهذا دليل على اتساع علمهم وتبحرهم .

الشاهد السادس والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

أبو تمام :

كَشَفَتْ قِنَاعَ الشَّعْرِ عَنْ حُرِّ وَجْهِهِ . : وَطَبَّرَتْهُ عَنْ وَكْرِهِ وَهَوِّ وَاقِعِهِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٧ ، شاكر : ٥١٤ .

يَفْرَّ بِرَأْيَا مَنْ يَرَاهَا يَسْمَعُ . : (١) وَيَدُّ نُوَّ إِلَيْهَا نُوَّ وَالْحَجَى وَهُوَ شَاسِعٌ
يَوَدُّ وَيَدَادُ أَنْ أَعْضَاءَ جِسْمِهِ . : إِذَا أَنْشَدَتْ شَوْقًا إِلَيْهَا مَسَامِعُ (٢)
وهو من قصيدة له يفخر بقومه ومطلعها :

أَلَا صَنَعَ الْبَيْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعُ . : فَإِنْ تَكُ يَجْزَاعًا فَمَا الْبَيْنُ جَزَاعُ
وقبل الشاهد بيت متصل به وهو قوله :

فَكَمْ شَاعِرٍ قَدْ رَأَيْتَنِي فَقَدَّ عَتُسَهُ . : بِشِعْرِي فَأَمْسَى وَهُوَ خَزْيَانُ صَارِعُ (٣)
إن أبيات أبي تام هذه من حر الشعر وجيده ، فهي تزخر بالصورة الكريمة
الرائعة .

انظر إليه وقد كشف قناع الشعر عن أجمل وجوهه ، فكأن الشعر كان قبله
محجوباً مستوراً ، فجاءت قصائده بحسن تراكيبها ، وحسن صياغتها ، وروعة خيالها ،
فأظهرت وجوه جمال الشعر .

ثم تأمل الصورة الأخرى ، وهي صورة إبعاد الطير عن وكره وهذه الصورة مأخوذة
معروفة ، ولكن أبا تام أضفى على هذه الصورة غرابة وطفافة بقوله " وهو واقسع "

(١) رواية الديوان بشرح التبريزي : " فيد نو " بالفاء ويبدولي أن رواية الفاء

أجمل لأن الفاء تدل على سرعة استجابة السامع فيبادر لیتوه إلى الدنو منها .

(٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٤ / ٥٩٠-٥٩١

لم أجده في ديوانه طبعة دار صعب .

كذلك لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر .

(٣) نقلاً عن الدلائل تحقيق رضا ولم أجده هذا البيت في ديوانه

ورأيت أن من الصواب إثباته لصلته الوثيقة بالشاهد ، لأن الضمير

في البيت الأول من الشاهد (عن حر وجهه) يرجع إلى الشاعر .

ولذا أثبتته .

فالغرابية في كون الطير طائراً واقعاً في نفس الوقت ، فقصائده طائفة إلى الأسماع
واقعة متكنة في قلب كل من تصل إلى سمعه .

وتأمل قوله * من يراها بسمعه * بسكون طائر ، وخفض جناح ، وتفريخ لسب ،
وجمع عقل ، فإنه تركيب رائع يصور دقة قصائده ، وبراعتها في الوصف والتجسيد
ومهارتها في إيقاع كل كلمة موقعها في النفس والخيال حتى غدا السمع عيناً مبصرة .
وأنظر إلى مهارته في رسم صورة المستمع لها :

* يدنو إليها . . . وهو شامع * ، فهذا الطباق كشف عن خيال أبي تمام
البارع ، فمن هذه المتناقضات ولد صورة المهفة والشوق لقصائده ، وحين يكسبون
الشوق والتلهف من أصحاب العقول والحجى ، تكون تلك القصائد في الدرجة
المتناهية من علو الطبقة .

وقف وتأمل كيف وصف إعجاب المنصتين بها بقوله : * يود وداراً * .

فالمستمع وصل إلى قمة الطرب النفسي ، والانسجام الخيالي فجمحت رغبته
وهي تلح إلحاحاً في أن تتحول أعضاء جسمه كلها مسامع تصفى إلى حلو القول
وعذب الحديث ، فتأنس وتطرب .

وصياغة الكلام عن طريق الشرط (بإِذا) وبناء فعل الشرط * أنشدت * للمجهول
دل على أنه كلما أنشدت قصائده زادت في نفسه هزة الطرب ، والفصل بين الشرط
وجوابه بقوله * شوقاً إليها * إثبات وتأكيد لشدة الشوق وحرارته .

الشاهد السابع والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٤ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) حَدَاءٌ تَمْلَأُ كُلَّ أذنٍ حِكْمَةً . : وَيَلَاغَةُ وَتَدِيرُ كُلَّ وَرِيدٍ (٣)
 كَالدَّرِّ وَالْمَرْجَانِ أَلْفَ نَظْمٍ . : بِالشَّدْرِ فِي عُنُقِ الْفَتَاةِ الرَّوْدِ (٤) (٥) (٦)
 كَشَقِيقَةِ الْبُرْدِ الْمُنْتَمِ وَشَسِيهِ . : فِي أَرْضِ مَهْرَةَ أَوْ بِلَادِ تَزِيدِ (٧) (٨)
 يَعْطِي بِهَا الْبَشْرَى الْكَرِيمَ وَيَرْتَدِي . : بِرِدَائِهَا فِي السَّحْفِ الْمَشْهُودِ
 بَشْرَى الْعَنَى أَبِي الْبَنَاتِ تَتَابَعَتْ . : بِشَرَاؤِهِ بِالْفَارِسِ الْمَوْلُودِ (٩)

- (١) الحداء: القارصة أو الطاغنة / اللسان * حداء* : ١٤ / ١٧١-١٧٢ .
- (٢) الدر من در اللين والدمع ونحوهما تدير، ويدر درًا ودورًا ، وكذلك الناقصة إذا حليت فأقبل منها على الحالب شيء كثير قيل : درت . / اللسان : * درر* : ٤ / ٢٧٩ .
- (٣) الوريد : هو كل عرق ينبض في جسم الإنسان / اللسان * ورد* : ٣ / ٤٥٩ .
- (٤) المقصود بالشذر هنا ، ما يلقط من الذهب من المعدن من غير إجابة الحجارة . / مختار الصحاح * شذر* : ٣٣٣ .
- (٥) رواية الديوان : * في عنق الكعاب الرود* .
- (٦) الرود : الجارية الناعمة ، أو هي الفتاة التي تطوف في بيوت جاراتها والمقصود المعنى الأول . / اللسان * ورد* : ٣ / ١٨٨ .
- (٧) رواية شار القلوب : * المسهم* .
- (٨) برود ومهرة وتزيد يضرب بها المثل كما يضرب ببرود اليمن ، والعرب تنسب البرود الفاخرة إلى تزيد ، وتزعم أنها قبيلة للجن . / شار القلوب : ٢ / ٥٩٨ ، وقيل : إن مهرة - بالفتح - ، وتزيد حي من عرب اليمن من قضاة تنسب إليهم الإبل المهرية ، والبرود ذات الخطوط الحمر ، وقالوا تنسب الإبل المهارية إلى مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاة ، وقالوا : تزيد بن الحاف ابن قضاة ، وإليه تنسب البرود التزيدية ، وغلط في القاموس ، فقال : تزيد بن حلوان ، كما غلط من قال : ابن حيدان فهو عم مهرة لأخوه . / انظر : اللسان * مهر* : ٥ / ١٨٦ ، القاموس المحيط : * زيد* : ١ / ٣١٠ ، الدلائل - تحقيق رضا - : ٣٩٤ .
- (٩) ديوانه - دار صعب - : ٧٧ ، شار القلوب في المضاف والمنسوب : ٢ / ٥٩٨ ، المثل السائر : ١ / ١٣١ - البيت الأول فقط - ، ٢ / ١٥٠ البيت الثاني فقط مع بيت آخر لم يذكر ضمن أبيات الشاهد ، وإن كان وثيق الصلة بها ، - وسيأتي ذكره - .

والأبيات من قصيدته التي قالها في مدح أبي عبد الله أحمد بن أبي دوان ، ويستشفع
بخالد بن يزيد ، (١) ومطلعها :

أَرَأَيْتَ أَيَّ سَوَالِفٍ وَخَدَوَدٍ . : عَنَّتْ لَنَا بَيْنَ اللَّوَى قَزْرُودٍ

وقبل أبيات الشاهد :

خُذْهَا مَثَقَّةَ الْقَوَافِي رَشْمًا . : لِسَوَابِغِ النَّعْمَاءِ غَيْرَ كَنُودٍ (٢)

وبعد الشاهد :

كَرَّفَى الْأَسَاوِدَ وَالْأَرَاقِمَ طَالَمَا . : نَزَعَتْ حَمَاتِ سَخَائِمٍ وَحَقُودٍ

ولقد أورد ابن الأثير بعض أبيات الشاهد في موضعين : فذكر البيت الأول
من الشاهد عند حديثه عن حل الأبيات الشعرية حيث قسم الموضوع ثلاثة أقسام ،
وجعل الشاهد من القسم الثاني ، وهو أن يَنْثُرَ المعنى المنظوم ببعض ألفاظه ويعنزم
عن البعض بألفاظ أخرى ، أن أجمل ما في البيت قوله :

• تَمَلَّاكُلًا أَدْنَى حِكْمَةٍ • وهو عنده من الكلام الحسن الذي إن أُريدَ نشره

لم يمكن إلا باستعمال ذات لفظه ، لأنه في الغاية القصوى من الفصاحة والبلاغة ،
فينبغي مواخاته بمثله ، وهذا عسر جداً ، وهو أصعب مثلاً من نشر الشعر بغير لفظه ؛
لأنه مسلك مضيق ، لما فيه من التعرض لمماثلة ما هو في غاية الحسن والجودة (٣)

أما البيت الثاني من أبيات الشاهد فقد أورد في القسم الثالث من التشبيه

وهو تشبيه المفرد بالمركب (٤)

لقد أجاد أبو تمام في استثمار اللفظة تركيباً وتصويراً ونمناً ، فأبياته هذه تزخر

بالصور الحية التي تبرز فخر الشاعر واعتزازه بقوة شعره ، وجزالته وفخامة صياغته ،

(١) هو خالد بن يزيد بن يزيد الشيباني ، وقد مضت ترجمته : : ٤ < ٣

(٢) الديوان : ٧٢ .

(٣) المثل السائر : ٢ / ١٥٠ .

(٤) المثل السائر : ١ / ١٣٠ - ١٣١ .

وتنوع أغراضه ، فقصائده " حذاء " تطعن كل شعر قبيل وتغنيه .
وحذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند ؛ لأن الموقف هنا يتطلب نوعاً
من السرعة والعجلة ، فصورة الطعن والفناء تحتاج إلى سرعة وخفة في الحركة ،
والحذف هنا مناسب هذه الخفة وساعد في إبرازها .
وقصائده كذلك تحمل من كرائم المعاني ، ونادر الأساليب ما يملأ الأذان حكمة
وبلاغة .

وقوله " وتدر كل وريد " أظهر جمال قصائده ومدى تأثيرها في النفوس ،
فهي تبعث الحياة في نفس كل من استمع إليها .

ثم أخذ يصور قصائده في تلاحم بنائها وانسجام كلماتها بالعقد المنظم من
الدر والمرجان ، وقد ألف بين جوهره بالشذر ، وزاد الصورة جمالاً حين جعل
هذا العقد معروضاً في عنق الفتاة الناعمة المتأيلة دلاً .

ثم أعقب هذه الصورة بصورة أخرى يأنس لها الذوق العربي ، ففي قصائده
من التحسين والتنقيح ، ولباقة الصنعة وطرافة الخيال ، ما يجعلها كالبرود المنقوشة
نقشاً دقيقاً محكماً ، والمزدانة بالتصاوير والألوان الجميلة ، وفي تقييد هذه
البرود بكونها من بلاد مَهْرَة أو بلاد تزيد دليل على نفاستها وندرته ودقتها ؛
لأن بلاد " مَهْرَة " وبلاد " تزيد " أشهر بلاد تصنع فيها هذه البرود ، وقصائده
قدّم خير يأنس بها الناس ، فهي حافر للكرم يدفعه للعطاء والسخاء ، فقوله
" يعطي بها البشري " فقدم الجار والمجرور تعظيماً لها ، وسمى العطايا " بشري "
لوفرته وكثرتها ، فهي عطايا كثيرة تستبشر بها النفس ، ويهش لها الفؤاد ، ثم
رسم صورة رائعة لتلك البشري فهي بشوي غني يملك الأموال الطائلة ، وليس عنده
إلا البنات ، فهو دائم القلق والتفكير كثير الاضطراب والخوف من ضياع ماله وبينما هو
في هذه الحال ، يسرع إليه المبشرون يبشرونه بذلك الفارس المنتظر ، فما عساها
أن تكون فرحته ؟ ! وكيف عساها أن تكون عطاياها ؟ !

وهذه القصائد لفخامتها وعظمتها ألت من ذكر هذا الكرم وعظمت من شأنه
فجعلته يرتدي رداء الفخر والعظمة في المحافل المشهودة .

الشاهد الثامن والخمسون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

أبو تمام :

جَاءَتْكَ مِنْ نَظْمِ اللِّسَانِ قِلَادَةٌ . : . شَيْطَانٌ فِيهَا اللَّوْلُؤُ التَّكْنَسُونَ
 (١) (٢) (٣) (٤)
 أَحْذَاكَهَا صَنَعَ الضَّيِيرُ يَمْدُهُ . : . جِغْفَرٌ إِذَا نَصَبَ الكَلَامَ مَعِينٌ (٥)
 وهو من قصيدة يمدح بها الواثق بالله (٦) ، ومطلعها :

وَأَبِي التَّنَازِلِ إِنَّهَا لَشَجُونٌ . : . وَعَلَى العَجُومَةِ إِنَّهَا لَتَيْسَنُ
 وقبل بيت الشاهد الأول :

مَا فَوْقَ مَجْدِكَ مَرْتَقَى مَجْدٌ وَلَا . : . كُلُّ افْتِخَارٍ دُونَ فَخْرِكَ دُونَ

وقبل بيت الشاهد الثاني أبيات ، وثيقة الصلة بالمبتتين ، وهي :

- (*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .
 (١) أحذاكها : أعطاكها . / اللسان " حذا " : ١٤ / ١٢٠ .
 (٢) رواية الديوان بشرح الخطيب التبريزي : " صَنَعَ اللِّسَانَ " .
 والصَّنَعُ والصَّنِيعُ : الصَّانِعُ الحاذق الماهر . / اللسان " صنع " : ٢٠٩ / ٨ .
 (٣) الجغفر : البئر الواسعة التي لم تَطْوُ . / اللسان " جفر " : ١٤٣ / ٤ .
 (٤) معين : الماء الذي يجري على وجه الأرض ، وقيل الماء العذب الغزير ، وقال الخطيب التبريزي : و " المعين " الذي يجسرى على وجه الأرض ، وقد كَثُرَ ذلك حتى صار الناس يُسَمُّونَ المساء الذي يُسْتَقَى من الآبار معينة ، لأنه ينبع من الأرض ، فيفرقون بينه ، وبين المختزن من ماء المطر وغيره / انظر : اللسان " معين " : ١٣ / ٤١٠ ، ديوان أبي تمام بشرح الخطيب : ٣ / ٣٣١ .
 (٥) انظر البيتين في : ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨-٣٣١ ، ديوانه - دار صعب - : ٢٩٣ ، زهر الآداب : ٣ / ٦٦٢ .
 (٦) سبقت ترجمته : ٩٧٤

(١) حَذِيَّتْ حِذَاءَ الْحَضْرَمِيَّةِ أَرْهَفَتْ . : وَأَجَادَهَا التَّخْصِيرُ وَالتَّلْسِينُ (٢) (٣)
 (٤) (٥) إِنْسِيَّةٌ وَحَشِيَّةٌ كَثُرَتْ بِهِنَّ . : حَرَكَاتُ أَهْلِ الْأَرْضِ وَهِيَ سَكُونٌ
 (٦) يَنْبُوعُهَا خِضْلٌ وَحَلِيٌّ قَرِيضٌ بِهِنَّ . : حَلِيٌّ الْهَدْيِيُّ وَنَسَجَهَا مَوْضُونٌ
 (٧) أَمَّا الْمَعَانِي فَهِيَ أَبْكَارٌ إِذَا . : نَصَّتْ وَلَكِنَّ الْقَوَافِي عَمُونَ

- (١) يعني بالحضرمية "النعال" نسبةً إلى حضرموت ، ربما لأنها أشهر النعال - والمعنى أن هذه الأبيات يشبه بعضها بعضاً كما أن النعل المحسذوة تشاكل أختها ، فلا تزيد عليها ، ولا تنقص دونها ، وهو من حذا النعل حذواً ، وحذاءً قدرها ، وقطعها على مثال ، أي تقطع إحدى النعلين على قدر الأخرى / انظر :
- (٢) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨-٣٢٩ ، اللسان " حذا " : ١٤ / ١٦٩ .
 التخصير : حصر النعل ما استدق من قدام الأذنين منها ، وتعمل مخصرة لها خصران ، والتخصير هنا بمعنى التدقيق . / انظر :
- (٣) ديوانه بشرح الخطيب التبريزي : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " خصر " : ٤ / ٢٤١ ،
 التلسين : ملسنة إذا كانت تستدق من طرفها الذي تلي الأصابع ، والتلسن من النعال الذي فيه طول ولطافة على هيئة اللسان . / ديوانه
 بشرح الخطيب : ٣ / ٣٢٨ ، اللسان " لسن " : ١٣ / ٣٨٢ .
- (٤) إنسية : أي أن القلوب تأنس بروايتها ، أو أن الناس يؤنس بعضهم بعضاً بها ، أو المقصود أنها من صنع الإنس / انظر :
- ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .
- (٥) وحشية : أي ترود في البلاد كما ترود الوحوش ، أو أنه يتعذر الإتيان بثلمها كما يتعذر اصطياح الوحوش . / ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٢٩ .
- (٦) الموضون : المنسوج نسجاً متقارباً كنسج الدروع والسريير بالذهب ، أو المثني بعضه على بعض . / انظر : ديوانه شرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان " وزن " : ١٣ / ٤٥٠ .
- (٧) عون : جمع عون ، وهي التي ولدت مرة بعد مرة ، أي أن القوافي يشترك فيها الشعراء ، ولكن المعاني التي أتى بها أبقار لم يسبق إليها . / انظر :
 ديوانه بشرح التبريزي : ٣ / ٣٣٠ ، اللسان " عون " : ١٣ / ٢٩٩ .

في هذين البيتين شبه أبو تمام القصيدة في نظمها بنظم قلادة اللؤلؤ ،
وقد زاد هذه القلادة جمالاً بأن جعلها سمطين .

ويوصفه اللؤلؤ بأنه مكنون زاد المعنى دلالة وعمقاً ، فقصاده لا يذهب رونقها بقدومها
بل إنها كلما قدم بها العهد ازدادت نفاسة شأنها ، شأن اللؤلؤ كلما قَسُدَ ،
ومعنى عليه الزمان ازدادت قيمته ، وغلا ثمنه .

وبعد أن مكن في النفوس الإعجاب بشعره ، أخذ يلفتها إلى ذاته الشاعرة ،
فأخذ يفخر بنفسه * أحذاكها صنع الضمير * واختار لفظ " صنع " وهي كلمة
تفيد المبالغة لأن معناها الحاذق ، ليصير النفوس بدقته وحذقه ، فهو متكن ممن
صنعتة خبير بدقائقها وأسرارها ، وهو حاذقٌ ماهرٌ أثر المعاني خصب الخيال غزير
الفكر لا ينضب معينه .

وبناء الكلام على الشرط (بإذا) وتقديم جواب الشرط ، تأكيد وجزم على أنسه
دائم المد والعطاء .

وإضافة " صنع " إلى الضمير دليل على أن قصائده ليست مجرد ألفاظ راقدة
لا حياة فيها ولا شعور ، إنما هي وليدة إحساس جياش ، ودخيلة صادقة .

الشاهد التاسع والخمسون بعد الثلاثائة : (*) (الكامل)

قول أبي حية : (١)

صَنَعَ اللِّسَانَ بِيَهْنٍ لَا أَتَحَلَّلُ . (٢)

استشهد به الشيخ على أن قول أبي تمام السابق * أحذاكها صنع الضمير *
مأخوذ من قول أبي حية * صنع اللسان * ، إلا أنه نقله إلى الضمير .

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٨ ، شاكر : ٥١٥ .

(١) هو أبرحية النخيري .

(٢) لم أصف عليه في ديوانه الذي جمعه : رحيم صنيح التوليبي .

الشاهد الستون بعد الثلاثاء : (*) (البيسط)

حسان :

أَهْدَى لَهُمْ يَدًا قَلْبًا مُؤَازِرَهُ (١) . فِيمَا أَحَبَّ لِسَانَ حَائِكٍ صَنَعُ (٥)
(٢) (٣) (٤)

وهو من قصيدته التي عارض بها الزبيرقان بن بدر (٦) ، ومطلعها :

إِنَّ الذَّوَائِبَ مِنْ فِهْرٍ وَإِخْوَتِهِمْ . قَدْ بَيَّنَّا سُنَّةَ لِلنَّاسِ تَتَّبِعُ

وقبل الشاهد :

أَكْرَمَ بِقَوْمِ رَسُولِ اللَّهِ شِيعَتَهُمْ . إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَاءُ وَالشَّيْعُ

وبعده :

فَيَأْتِيهِمْ أَفْضَلُ الْأَحْيَاءِ كُلِّهِمْ . إِنْ جَدَّ بِالنَّاسِ جِدُّ الْقَوْلِ أَوْ شَمَعُوا (٧)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاکر : ٥١٥ .

(١) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان : " مِدْحِي "

(٢) رواية الديوان والبيان والتبيين واللسان " مُؤَازِرَهُ " .

(٣) رواية الديوان : " فِيمَا يَحِبُّ " ، ورواية اللسان : " فِيمَا أَرَادَ " .

(٤) حائك : الحائك النساج وحاك الشعر حوكاً : نسجه ولائم بين أجزاءه

كما يصنع الحائك / اللسان " جوك - حيك " : ١ / ٤١٨ ، وذكر

محقق البيان والتبيين أنه ورد في إحدى المخطوطات " خائط " بدل

حائك وهو تحريف .

(٥) لم أجد البيت فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه : ١٤٦ .

البيان والتبيين : ٣ / ٢٦٢ ، اللسان " صنع " : ٨ / ٢١٠ .

(٦) سبقت ترجمته : ٢٦٨ .

(٧) شمعو : مزحوا ولعبوا / اللسان " شمع " : ٨ / ١٨٦ .

استشهد به الشيخ للتظهير، فحسان قد استعمل لفظ " صنع " وجعله
للسان .

الشاهد الواحد والستون بعد الثلاثاء : (*) (الطويل)

ولأبي تمام :

إِلَيْكَ أَرْحَنَّا عَازِبَ الشُّعْرِ بَعْدَ مَا . . . تَهَمَّلَ فِي رَوْضِ الْمَعَارِنِ الْعَجَائِبِ (١) (٢)

غَرَائِبُ لَأَقْتُ فِي فِتَائِكَ أَنْسَهَا . . . مِنْ الْمَجْدِ فَهِيَ الْآنَ غَيْرُ غَرَائِبِ

وَلَوْ كَانَ يَفْنَى الشُّعْرُ أَقْنَاهُ مَا قَرَّتْ . . . حَيَاضُكَ مِنْهُ فِي السَّنِينِ الذَّوَاهِبِ (٣) (٤)

وَلَكِنَّهُ صَوَّبَ الْعُقُولَ إِذَا أَنْجَلَتْ . . . سَحَائِبُ مِنْهُ أَعْقَبَتْ بِسَحَائِبِ (٥) (٦)

والأبيات من قصيدة له يمدح بها أبادلف القاسم بن عيسى العجلي (٧) ومطلعها :

عَلَى مِطْطِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَأَ عَيْبِ . . . أَنْ دَلَّتْ مَصُونَاتُ الدُّمُوعِ السَّوَاكِبِ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٥ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاکر : ٥١٦ .

(١) أرحنا : أراح الإبل إذا ردها إلى مراحيها الذي تبعت فيه بعد

غروب الشمس . / اللسان " روح " : ٤٦٤ / ٢ .

(٢) عازب : العازب من الإبل التي خرج بها صاحبها للرعي بعيداً عن ديار

الحي / اللسان " عذب " : ٥٩٢ / ١ .

(٣) قرت : جمعت / اللسان " قرا " : ١٧٨ / ١٥ .

(٤) رواية الديوان والإبانة عن سرقات المتنبي : " في العصور الذواهب "

(٥) الصوب : المطر ، ورواية الإبانة : " فيض العقول " .

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه دار صعب : ٤٣ .

الموازنة : ٩٢ ، البيت الرابع فقط .

الإبانة عن سرقات المتنبي : ٢٦٧-٢٦٨ البيت الثالث والرابع .

(٧) سبقت ترجمته : ١٠٠٩

وقبل الشاهد :

فَأَنْتَ لَدَيْهِ حَاضِرٌ غَيْرَ حَاضِرٍ . . . بِذِكْرِ وَعَنْهُ غَائِبٌ غَيْرَ غَائِبٍ (١)

وبعد الشاهد :

أَقُولُ لِأَصْحَابِي هُوَ الْقَاسِمُ الَّذِي . . . بِمِشْرَحِ الْجُودِ التَّبَاسِ التَّدَاهِبِ
وَأَنْتَ لِأَرْجُو عَاجِلًا أَنْ تَرُدَّ نَيْسِي . . . مَوَاهِبَهُ بَحْرًا تُرْجَى مَوَاهِبِي

إن صورة الراعي الذي يعود ليلاً بإبله ، وقد تغذت من طيب المراعي صورة
مألوفة متداولة إلا أن أبا تمام أخذها ، وصاغها صياغة تدل على خصب خياله حيث
أضاف لفظ " عازب " إلى " الشعر " وهذه الإضافة أكسبت الصورة جدة وطرافة ،
وصورت عناية أبي تمام بانتقاء تراكيبه ، وغرامه باختيار صورته ، فهو لا يصدر الشعر
إلا بعد أن يعزب به بعيداً في مراعي خياله وروض معانيه ، ثم يعود به إلى
المدوح وقد تغذى بروائع المعاني والصور .

ومن جيد المديح أنه قصر هذه المعاني التي أمرت على المدوح وحسده
دون غيره وأنه هو الحقيق بها مبالغة وادعاء ، فقدم الجار والمجرور " إليك "
على متعلقه " أرحنا " وتقديم الجار والمجرور هذا قد ربط كل حلقات المعاني التي
زخرت بها صور أبي تمام .

ويزداد أبو تمام احتفالاً بصورته ، فجعل المعاني تائهة غريبة في نفسه
حتى تلاقت مع معنى المجد في رحاب صفات المدوح ، فكان الأنس وكان التراحم .
وما زال أبو تمام يترقى بالمعنى ويسمو به ، ويزيد في تأصيله ويفتن في الإبانة
عنه حيث أوضح لنا أن تلك القصائد لا ينضب معينها ، لأنها تروى من عقول تفيض
بالمعاني .

وانظر إليه كيف صور تدفق تلك المعاني في مخيلته بالسحاب المثقلة بالأمطار ،
وجعل هذه السحاب متتابعة لا ينقطع ماؤها ، وما أبرعه حين بنى صورته على الشرط
" إذا " ليدل على تتابع تلك السحاب وتعاقبها ، ويجزم بعدم انقطاعها .

الشاهد الثاني والستون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

البحثري :

أَلَسْتُ الْمَوْلِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدِ (١) . هِيَ الْأَنْجُمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا (٢)
ثَنَاءً كَانَ الرَّوضُ مِنْهُ مَنَسُورًا (٣) . صُحِيَّ وَكَأَنَّ الْوَشْيَ مِنْهُ مَنَسَمًا (٤) (٥) (٦) (٧)

وهو من قصيدة له يمدح بها الفتح بن خاقان مطلعها :

يَهْوُونَ عَلَيْهَا أَنْ أَبَيْتَ مَتَمِّمًا (٨) . أَعَالِجُ شَوْقًا فِي الضَّيِيرِ مَكْتَمًا

وقبل الشاهد :

أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَارِثٍ . تَبَيَّنَ أَوْ جَرِمَ إِلَيْكَ تَقَدَّمًا

وبعد الشاهد :

وَلَوْ أَنِّي وَقَرْتُ شِعْرِي وَقَارَهُ (٩) . وَأَجَلَلْتُ مَدْحِي فِيكَ أَنْ يُتَهَضَّأَ

- (*) الدلائل ، رضا ، ٣٩٦ ، خفاجي ، ٤٦٩ ، شاكر ، ٥١٦ .
- (١) رواية الديوان ، ورواية العمدة : " أَلَسْتُ الْمَوْلِي فِيكَ غَرَّ قَصَائِدٍ " .
- (٢) اقتادات : تَلَأَاتُ / اللسان " وقد " : ٣ / ٤٦٦ .
- (٣) رواية زهر الآداب : " ثَنَاءً تَخَالُ " .
- (٤) رواية زهر الآداب : " وَتَخَالُ الْوَشْيَ " .
- (٥) رواية زهر الآداب والعمدة والتشبيبات : " فيه " .
- (٦) رواية الديوان والتشبيبات : " مَسَمًا " ومعناه : المخطط بخطوط كالسهام / معجم مقاييس اللغة " سهم " : ٣ / ١١١ .
- (٧) انظر البيتين في : ديوانه - بيروت - : ١٠٩ / ١ - ١١٠ ، ديوانه - صيرفي - : ١٩٨٤ / ٣ ، التشبيبات : ٢٢٧ ، ديوان المعاني : ٢٢٠ ، البيت الأول فقط .
- زهر الآداب : ٣ / ٦٥٦ .
- العمدة : ٢ / ١٦١ .
- (٨) رواية الديوان - صيرفي - : " وَجَدًا " .
- (٩) رواية الديوان - صيرفي - : " فلو " .

لَا كَثُرَتْ أَنْ أُوْبِي إِلَيْكَ بِإِضْبَعٍ .: تَضَرَّعُ أَوْ أَدْنِي لِمَعْذِرَةٍ فَمَا

ذكر ابن رشيق القيرواني أن بيتي البحتري من أحسن أبيات العتّاب وأجودها قال :

* العتّاب - وإن كان حياة المودة ، وشاهد الوفاء - فإنه باب من أبواب الخديعة

يسرع إلى الهجاء ، وسبب وكيد من أسباب القطيعة والجفاء ، فإذا قل كان

داعية الألفة ، وقيد الصحبة وإذا كثر خشن جانبه وثقل صاحبه ، وأحسن

الناس طريقاً في عتّاب الأشراف شيخ الصناعة وسيد الجماعة أبو عبّادة

البحتري الذي يقول . . . الأبيات * (١)

وذكر القيرواني في زهر الآداب خبراً عن الحاتمي يتضمن موازنة بين أبي تمام

والبحتري ، حيث فضل أحدهم بيتي البحتري ورآها من حسن الانتهاء الذي ليس

لأبي تمام مثلها ، أما الحاتمي فرأى أن بيتي البحتري مأخوذان من أبي تمام فقوله :

* وتخال الوشي فيه منمنما * مأخوذ من قول أبي تمام :

حَلَّوْا بِهَا عَقْدَ النَّسِيبِ وَنَتَمَّوْا .: مِنْ وَشِيهَا نَثْرًا لَهَا وَقَصِيدًا (٢)

وقول البحتري : * هِيَ الْأَنْجَمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمًا *

مأخوذ من قول أبي تمام مقصراً عنه كل تقصير عن استيفاء إحسانه حيث يقول :

أَصِخَّ تَسْتَبِيعُ حَرِّ الْقَوَافِي فَإِنَّهَا .: كَوَاكِبٌ إِلَّا أَنَّهُنَّ سَعُودُ

وَلَا تَتَكِنُ الْأَخْلَاقُ مِنْهَا فَإِنَّنَا .: يَلْدُ لِبَاسِ الْبُرْدِ وَهُوَ جَدِيدٌ (٣) (٤)

(١) الصمدة : ٢ / ١٦٠ .

(٢) رواية الديوان - دار صعب - : * رَجَزًا بِهَا * .

وهو من قصيدة يمدح بها خالد بن يزيد الشيباني .

(٣) لم ألق عليه في ديوانه - دار صعب - ، وديوانه بشرح التبريزي .

(٤) انظر الخبر مفصلاً في :

زهر الآداب : ٢ / ٦٥٥ - ٦٥٨ .

في هذين البيتين تظهر قدرة البحري على استشار الأحوال اللغوية ، استشاراً يجعلها حافلةً غنية بالمعاني الياصرة ، فهمة الاستفهام التي افتتح بها معناها حلت كل معاني العتاب والاستعطاف .

وقوله " قصائد " بالجمع والتكثير دل على عظم تلك القصائد وكثرتها وندرتهما ، ثم أخذ الشاعر ينطلق مع إحساسه وشعوره بروعة معانيه ، فأكد للخيال بأنها لجمالها ووضوحها وإنارتها جوانح النفوس بمعانيها الثرة هي الأنجم المقتد بها . فالجنسية في قوله " الأنجم " قصرت جنس النجوم عليها وحدها ، ولم يعتد بنجوم الليل الحقيقية مبالغةً وادعاءً .

ويأبى خيال البحري إلا أن يزيد النفس طرباً ، ف جاء بقوله : " اقتادت مع الليل أنجماً " وهو تصوير خيالي بارع لا تملك النفس حياله إلا أن تقف مسحورة بتسلك القصائد التي تلالأَت معانيها ووضحت صورها كما تتلأأُ نجوم الليل .

وهنا أحس البحري أن المعنى قد بلغ مداه وتمكن في النفس ، فقطع واستأنف معنى جيداً هو معقد كلام الشاعر ، فما المبالغة في وصف قصائده إلا خدمة لهذا المعنى الذي تعمر به نفسه ، فحذف المسند إليه ، وجاء بالمسند " ثناء " ولم يقل " هي ثناء " ؛ لأن المقام مقام مدح وإطراء ، والشاعر تعج نفسه بالولاء لذلك الممدوح ، فأراد أن يسرع بتقديم قرابين الوفاء . فكان الحذف ، وكان الكشف عن صورة ذلك الولاء النفسي .

ويجول بنا خيال الشاعر في أعماق ذلك الولاء ، فيمدنا بصورتين تبرز عظيم الثناء . وتعد أن ينيها على التشبيه المقلوب مبالغة في المدح .

فاستعن بخيالك وتأمل قوله " ثناء كأن الروض منه منوراً ضحى " فما تحلوه قصائده من عظيم الثناء ، وبالغ المدح ، وكرم الصفات بعث روح الاطمئنان والسرور في الكائنات ، فأيقنت أنه سيعمها فضل ذلك الممدوح ، فانتعشت ودبت فيها الحياة ، فها هو ذا الروض قد استمد نور الوجود من ذلك الثناء ، فاخضر وأينع سروراً وطرباً وما أبرع ذلك الخيال حين قيد صورة الروض بوقت الضحى مبالغة

في بيان ذلك التأشير ، فهو خيال ذكي أدرك حقائق العلاقات الطبيعية ، فالضحى أشد الأوقات إنارة ، وهذه الإنارة أشد تأثيراً في إحياء الروض .

ثم جاء بصورة الوشي المنمنم ، وجعل صانع الوشي يقف مفتتاً متأملاً دقسة قصائده ، سبهوراً بحسن تصويرها ودقة تراكيبها ، فاستقى منها خياله ما استقى فكان الوشي المنمنم إننا هو من وحي قصائده .

وبهذا التشبيه المقلوب خرج البحتري عن عادة الشعراء في تشبيه الشعر بالروض وتشبيهه دقته وحسنه بالووشي المنمنم ، فاكتست صورته شوباً أجد .

الشاهد الثالث والستون بعد الثلاثمائة : (*) (البسيط)

قال البحتري :

أَحْسِنُ أَمَا حَسَنٍ بِالشَّعْرِ إِذْ جَعَلْتِ . : . عَلَيْكَ أَنْجَمَهُ بِالمَدْحِ تَنْتَشِيرُ
(١)
فَقَدْ أَتَيْتُكَ القَوَائِمِ غَيْبٌ فَأَيْدِيَةٌ . : . كَمَا تَفْتَحُ غَيْبَ الوَائِلِ الزَّهْرُ (٢)
والشاهد من قصيدة يمدح بها علي بن مر الأرميني ، ومطلعها :

فِي الشَّيْبِ زَجْرَ لَهُ لَوْ كَانَ يَنْزَجِرُ . : . وَيَالِغٌ مِنْهُ لَوْلَا أَنَّهُ حَجَرُ

وقبل الشاهد :

رَأَيْتَ سَجْدًا عِيَانًا فِي بَيْتِي أَدْبٍ . : . إِذْ مَجَّدُ كُلِّ قَبِيلٍ دُونَهُمْ خَبْرُ

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٦٩ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) غَيْبُ الأَمْرِ وَمَغْبِطَةُ عَاقِبَتِهِ وَأَخْضَرُو ، وَغَيْبٌ كُلُّ شَيْءٍ عَاقِبَتُهُ وَجِئَتْهُ غَيْبُ الأَمْرِ

أَبِي بَعْدَهُ ، وَالغَيْبُ وَرَدٌ يَوْمٌ وَظِيمٌ آخِرُ / اللسان " غيب " : ٦٣٤-٦٣٥ .

(٢) ديوان البحتري : - بيروت - : ٢ / ٣١٠ .

ديوانه - صيرفي - : ٢ / ٩٥٨ .

(٣) سبقت ترجمته : \dots .

وبعد الشاهد :

فِيهَا الْمَعَائِقُ وَالْعِقْيَانُ إِنْ لَيْسَتْ . : . يَوْمَ التَّبَاهِي وَفِيهَا الْوَشْيُ وَالْحَبْرُ
وَمَنْ يَكُنْ فَاخِرًا بِالشُّعْرِ يَمْدَحُ فِي . : . أَضْعَافٍ فَبِكَ الْأَشْعَارُ تَفْتَخِرُ

في هذين البيتين يصف الشاعر قدرته الشعرية ، وأن المعاني والصور تتسائل
عليه انشياً إذا ما أراد مدح هذا المدوح الكريم « أبا حسن » ، فابتدأ البيت
بخاطبته وأمره أياه أمر رجاء أن يحسن بالشعر ويقدره ، فأحسانه هذا هو السبب
في إيقاظ إحساسه الشعري .

وتأمل حذف أداة النداء في قوله « أبا حسن » وذلك ليحش على تقدير الشعر
والإحسان إليه .

ثم انظر إلى مجيء أداة التوكيد « قد » واقترانها بـ « الفاء » في البيت الثاني ،
وكيف ربطت « الفاء » معنى البيت الأول بالثاني كل ذلك ليبرز أهمية إحسان
المدوح بالشعر وأثره في سرعة توارد المعاني الشعرية عليه .

ولقد لجأ الشاعر إلى المجاز المرسل ، فجاء بلفظ « القافية » وهو يريد الشعر
كله - أي ذكر الجزء وأراد الكل - فتوارد القوافي المناسبة لمعاني الشعر أصعب
عمل يمر به الشاعر أما هو فتأتيه القوافي طائعة مختارة بأتم فائدة وأحسنها ،
وزيادة في الإثبات لجأ إلى التشبيه وعرض أمام الذهن صورة تفتح أكام الزهر
بآخر المطر وشبه بها قوافيه التي تعرض وتفتح أمامه عن آخرها .

الشاهد الرابع والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الطويل)

وقال البحري :

إِلَيْكَ الْقَوَافِي نَارِعَاتٌ قَوَاصِدًا . : . يُسَيِّرُ ضَاحِي وَشِيهَا وَيَتَمَرُّ (٢)
(١)

(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٦ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاكر : ٥١٦ .

(١) رواية زهر الآداب : « شواردا » .

(٢) رواية الديوان : « وَيَتَمَرُّ » .

وَمَشْرِقَةٍ فِي النَّظْمِ غُرٌّ يَزِينُهَا .: . بِهَاءٍ وَحُسْنًا أَنَّهَا لَكَ تُنْظَمُ (١) (٢)

وهو من قصيدته التي يمدح بها الفتح بن خاقان، ومطلعها :

خَيَالٌ مَلِيمٌ أَوْ حَبِيبٌ مَسَلَّمٌ .: . وَرَقٌّ تَجَلَّى أَوْ حَرِيقٌ مَضْمَرٌ

وقبل الشاهد :

وَمَا الْبَذَلُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يَسْتَطِيعُهُ .: . مِنَ النَّاسِ إِلَّا الْأَرْوَغُ الْمُتَهَجَّمُ

وَيُخَجِّمُ أَحْيَانًا عَنِ الْجُودِ بَعْضُ مَنْ .: . تَرَاهُ عَلَى مَكْرُوهِهِ السَّيْفِ يُقَدِّمُ

وبعد الشاهد :

ضَوَامِنٌ لِلْحَاجَاتِ إِمَّا شَوَافِعًا .: . مُشَفَّعَةً أَوْ حَاكِمَاتٍ تُحَكِّمُ

وَكَايِنَ غَدَّتْ لِي وَهِيَ شِعْرٌ مَسِيرٌ .: . وَرَاحَتْ عَلَيَّ وَهِيَ مَالٌ مُقَسَّمٌ

إن للبحثري نفساً شاعرة كشفت نقابها اللغة الموحية ، والتصوير الحي ، انظر إلى قوافيه نازعات قواصد ، وتأمل ما في هذا التركيب من إيحاءات الشوق والحنين ، ولهفة اللقاء ، فهي وقت صياغتها تتدافع إلى الخيال تسبقها الرغبة في اللقاء ، وكأنني بطوك القوافي عاشقة تزينت بكامل حليها ، وقشيب ثيابها ، أخذت تنزع في السير لهفة وشوقاً للقاء ذلك الحبيب .

وزاد من صورة الشوق هذه تقديم المسند - الجار والمجرور - "إليك" على المسند إليه "القوافي نازعات" ، حيث قصر القوافي النزع على المدح دون غيره بالغة وادعاء ، فهي لا تشتاق ، ولا تنزع إلا إليه .

وقوله : "قواصد" على وزن "فواعل" واستعمال جمع الكثرة بدلا من قاصدات

(وهو جمع مؤنث يدل على القلة) يظهر كثرة قاصديه .

(١) رواية الديوان ودلائل الإعجاز ، تحقيق شاكر . "أنها فيك" .

(٢) لم أجد هـما إلا في :

ديوانه : ١ / ١١٣ .

زهر الآداب : ٣ / ٦٥٦ .

وبناء الفعل " يَسِير " للمجهول صَوْر ضاحي معانيها بعد أن اكتست وشيها المنمنم ، وهي تسير من تلقاء نفسها كأنَّ هناك قوة خفية تحثها على السير .
ويتاحي إحساس الشاعر بعظمة هذه القصائد ، فيشرع في إبراز حسناتها ، فهي مشرقة ، والإشراق في النظم يعني الوضوح الذي يتولد من تراحم الكلمات ، وتعانق الدلالات . ومزج ذلك كله بخيال الشاعر الذي سَقِيَ من روحه وعاطفته .
وهي غَرَّ ناصعة الصفاء كاملة النقاء .

ودعك من هذا كله ، وأنظر إلى دُرِّ المدح ، وكيف استطاعت عبقرية الشاعر أن تزيد المدوح رفعة وإكباراً ، فَمَا ذَاكَ الحِسن ، وما ذاك البهاء إلا لأنها تُنظَّم في ذلك المدوح .

الشاهد الخامس والستون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

قال البحتري :

بِمَنْقُوشَةٍ نَقَشَ الدَّانِيْرُ يَنْتَقِي . : لَهَا اللَّفْظُ مَخْتَاراً كَمَا يَنْتَقِي التَّبْرُ (١)

وهو من قصيدة يمدح بها أبا طمر الخضر بن أحمد ، (٢) ومطلع القصيدة :

لِمَا وَصَلَتْ أَسْمَاءٌ مِنْ حَبْلِنَا شُكْرُ . : وَإِنْ حُمَّ بِالْبَيْتِ الَّذِي لَمْ نُرِدْ قَسْدُ

وقبل الشاهد :

أَبَا طَمْرِ بْنِ الْمَعَالِي وَأَهْلَهَا . : يَوَدُّونَ وَإِدَاً أَنْ يَطُولَ بِكَ الْعَمْرُ

إِذَا جِئْتُمْ وَأَكْرَمَةٌ تَبْهَرُ السُّورَى . : فَمَا هِيَ يَدْعُ مِنْ عَلَاكُمْ وَلَا يَكْرُ

إِذَا نَحْنُ كَأَفَانَاكُمْ عَنْ صَنِيعَةٍ . : أَنْفَنَّا فَلَا التَّقْصِيرُ مِنَّا وَلَا الْكُفْرُ

(*) الدلائل ، رضا ، ٣٩٦ ، خعاجي ، ٤٧٠ ، شاكر ، ٥١٧ .

(١) لم أجده إلا في :

ديوانه : ١ / ٢٧٧ .

(٢) سبقت الترجمة له : ١٠٣٠ .

وبعد ها الشاهد وبعده :

تَبَيَّتْ أَمَامَ الرِّيحِ مِنْهَا طَلِيْعَةٌ . . . وَعَدَّ وَتَهَا شَهْرٌ وَرَوَحَتَهَا شَهْرٌ
تَقْضَى دِيُونَ الْمُنْعِمِينَ وَيَقْتَنَسَى . . . لَهُمْ مِنْ بَوَاقِي مَا أَعَاضَتْهُمْ فَخْرُ

وهذا شاهد آخر يبرز لنا طريقة البحثري في عمل الشعر، فهو حريص كل الحرص على صقل معدن الألفاظ، وهو يعنى أشد العناية باختيار ألفاظه . فالنقش على الدنانير، وانتقاء التبرلها، وتخليصه من الشوائب، من أشد الصناعات صعوبية، فهي تحتاج إلى حذق ومهارة وصبر وجهد من نوع خاص، فكيف إذا كان هذا النقش، وهذا الانتقاء عملاً ذهنياً نفسياً ؟ !
وانظر إلى تقديم الجار والمجزور في قوله " يُنْتَقَى لَهَا اللَّفْظُ " وكيف دل على بالسفح عنايته بقصائده .

الشاهد السادس والستون بعد الثلاثائة : (*) (الطويل)

قال البحثري :

أَيْدِ هَبْ هَذَا الدَّهْرَ لَمْ يَرِ مَوْضِعِي . . . وَلَمْ يَدِرْ مَا مَقْدَارُ حَلِيٍّ وَلَا عَقْدِي
وَيَكْسُدُ مِطْلِي ، وَهُوَ تَا جِرْ سَوْدَانِ . . . يَبِيْعُ شَيْئَاتِ الْكَارِمِ وَالْمَجْدِ (٢) (٣)
سَوَائِرِ شِعْرِ جَائِعِ بَدَدِ الْعَسَلِ (٤) . . . تَعَلَّقَنْ مِنْ قَبْلِي وَأَتَقَبَّنْ مِنْ بَعْدِي (٥)

(*) الدلائل، رضا، ٣٩٦، خفاجي، ٤٧٠، شاكر، ٥١٧ .

(١) رواية الديوان - تحقيق الصيرفي -، والموازنة، والطرائف الأدبية: " الحمد " .

(٢) ضبط محقق الموازنة: " سوائر " .

(٣) ضبط محقق الموازنة: " شعر " . ويبدو أن هذا خطأ من الطابع .

(٤) البدد: التبديد التفريق، يقال: شَمَلٌ مَبْدَدٌ، وَبَدَدَ الشَّيْءُ فَتَبَدَّدَ: فَرَّقَهُ

فَتَفَرَّقَ، وَتَبَدَّدَ الْقَوْمُ إِذَا تَفَرَّقُوا، وَتَبَدَّدَ الشَّيْءُ: تَفَرَّقَ / اللسان " بدد " :

٧٨/٣، القاموس المحيط: " بدد " : ٢٨٥/١ .

(٥) لم أجد الأبيات فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في:

ديوانه - تحقيق الصيرفي - : ٧٤٧/٢، ديوانه - طبعة بيروت - : ٢٠٨/١ ،

الموازنة - تحقيق سيد صقر - : ٢٦١، الطرائف الأدبية : ٢٣٧ - البيت

الأول والثاني فقط .

يَقْدَرُ فِيهَا صَانِعٌ مَتَّيِّسٌ (١) . : لِإِحْكَامِهَا تَقْدِيرَ دَاوُدَ فِي السَّرْدِ (٢) (٣)
والأبيات من قصيدة يمدح بها ابن ثوابه (٤) ومطلعها :

ضَلالٌ لَهَا مَاذَا أَرَادَتْ إِلَى الصَّدِّ . : وَنَحْنُ وَقُوفٌ مِنْ فِرَاقِ عَلى حَسَدٍ (٥)

وقبل الشاهد :

أَضْنَ أَخِلَاءٌ وَضَنَّ أَحِبَّاءٌ . : فَلَا خِلَةَ تُصَفِي وَلَا خِلَةَ تَجْجِيدي

وبعد الشاهد :

خَلِيلِي لَوْ فِي المَرخِ أَقْدَحُ إِذْ أَبِي (٦) . : رِجَالٌ مَوَاتِي إِذَا لَخَبَا زَنْبِي (٧)

(١) رواية الموازنة : " لأَحْكَامِهَا " .

(٢) السرد : حلق الدرع / أساس البلاغة " سرد " : ٢٠٨ .

(٣) لم يرد هذا البيت في ديوانه - طبعة بيروت .

(٤) هو أحمد بن محمد بن ثوابه بن يونس ، أبو العباس الكاتب أصلهم نصارى ،

وقيل إنَّ يونسَ يَعْرِفُ بِلَبَّابَةِ ، وكان حَجَّامًا ، وقيل أَنَّهُمْ لَبَّابَةٌ ، وكان أَبوه

كاتبًا لِبَنِي كَبَّاءَ التُّرْكِيِّ فِي عَهْدِ المَهتَدِيِّ ، تَوَلَّى أَخُوهُ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ

ابن ثوابه ديوان الرسائل فِي أَيَّامِ عبيد الله بن سليمان الوزير ، وله ابن

اسمه محمد بن أحمد كان أيضًا مترسلًا بليغًا .

وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء ، وله كلام مدون مستهجن مستثقل ،

كان بين أبي العباس وبين الوزير أبي الصقر وحشة لمهاترة وقعت بينهما ثم

اعتذر عنها ابن ثوابه ، فولاه أبو الصقر طاسيج بابل وغيرها ، وظل واليًا

إلى أن توفي سنة ٢٧٧هـ ، وقال الصولي سنة ٢٧٣هـ / انظر ترجمته :

طبقات ابن المعتز : ٤٠٩ ، أخبار أبي تمام : ١٥-١٦ ، الفهرست : ١٨٧ -

١٨٨ ، معجم الأدباء : ١٤٤/٤ - ١٧٤ .

(٥) رواية الديوان - صيرفي - : ضلالاً .

(٦) المرخ : شجر يستقدح به ، كثير الوري سريعه / اللسان " مرخ " :

٣ / ٥٢ .

(٧) خبا : لم يقدر ، خبت النار والحرب ، والحيدة تخبو خبواً وَحَبَّواً :

سكنت وطفئت وَخَمَدَ لِهَبِّهَا / اللسان " خبا " : ١٤ / ٢٢٣ ،

ورواية الديوان - صيرفي - : " لَكَبَا " .

إن المتأمل في هذه الأبيات يلح فيها تلك النفس الممتلئة فخراً واعتزازاً بقدرتها الشعرية ، فهزمة الاستفهام المغيدة للتعجب والإنكار والتي قد بدأ بها أبياتـه كشفت ذلك الاستلاء النفسي ، وإحساسه بعظمته ومقدرته أملئ عليه أن ينكر ن هـ اب الدهر وفناءه من غير أن يرى موضعه ومكانته .

واستمع إلى رنات التحقير تتبعث من اسم الإشارة " هذا الدهر " فالدهر إن لم يحظ برؤية موضعه ومكانته فهو دهر وضع الشأن ، وكأنه يريد أن يثبت أنه لا رفعة له إلا في رؤية تلك القوائد ، ويبدو أن البحري وجد مراح نفسه في هذا الاستفهام ، فكرره في معنى البيت الثاني ، فهو ينكر ويتعجب من أن يكسد تاجر بضاعته السوداء والمكارم .

وهنا أحس الشاعر أنه استطاع أن يفرغ في النفوس إحساسه بعظمته الشعرية . فإن جزءاً هاماً من المعنى أخذ يلح عليه رغباً في الظهور ، فقطع البحري الكلام ، واستأنف ، فحذف المسند إليه ، وبدأ بالمسند " سوائر " فرغبته في التفني بجمال أشعاره تطلبت منه هذا الحذف ، وفي بناء المسند " سوائر " على وزن " فواعل " - وهو صيغة تنتهي الجموع - مبالغة في وصف قوائده بكثرة الانتشار والذيع .

وانظر إلى قوله : " جامع " وكيف أتى به على وزن " فاعل " فدل على أن أشعاره تحمل كل معاني العلا على الثبات .

وكذلك تأمل قوله " صانع - متعمل " وكيف جاء به - أيضاً - على صيغة اسم الفاعل وماذا إنك إلا ليصور صبره ودأبه وثباته على صناعة الشعر من غير أن يتسرب لمملكته الملل أو الكلال . وهذا الثبات يكشف عن روح مشغفة محبة لصناعتها ، وكذلك الفعل " تعمل " يدل على الرغبة والعقد والجهد في عطية الأحكام والبناء .

وما أبرع البحري حين أكد معنى الأحكام بصورة تقدير داود في السرد ، وهي صورة محكمة متقنة مقتبسة من قوله تعالى :

* أَنْ أَعْلَمَ سَابِغَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّرْدِ * (١)

وهذه الصورة نجحت في إقناع النفوس بإحكام نسج أبياته وتداخل حلقات صورها ومعانيها .

. ولقد أعجب الآمدي بهذه الأبيات ، وعلق عليها بقوله : * وهذا صدق أبي عبادة عن نفسه ، وما كان له بد من أن ينفث ، وما قال قولاً هو أصدق من هذا * (١)

الشاهد السابع والستون بعد الثلاثمائة : (*) (الكامل)

قال البحرى :

(٢)
لِلَّهِ يَسْهَرُ فِي مَدِيحِكَ لَيْلَهُ . : . مَتَلَمِّلاً وَتَنَامُ دُونَ ثَوَابِيهِ
(٣)
يَقْضَانِ يَنْتَحِلُ الْكَلَامَ كَأَنَّه . : . جَيْشٌ لَدَيْهِ يُرِيدُ أَنْ يَلْقَى بِهِ
(٤) (٥)
فَأَتَى بِهِ كَالسَّيْفِ رَقْرَقَ صَقِيلٌ . : . مَا بَيْنَ قَائِمِ سِنِّهِ وَذُبَابِهِ (٦)

(١) الموازنة - تحقيق السيد صقر - : ٢ / ٢٦١ .
(*) الدلائل ، رضا : ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠ ، شاکر : ٥١٧ .
(٢) رواية الديوان (بيروت) " الله " ، ورواية الديوان - صيرفي - ، والدلائل تحقيق شاکر : " تالله " .

(٣) رواية الديوان والمثل السائر " ينتخب " ، ورواية الدلائل تحقيق شاکر : " ينتخل " ، ورأى الأستاذ شاکر أن رواية (ينتحل) تصحيف وفساد ، ونخل الشيء ، وتنظفه وانتخله " صفاه واختاره وعزل عنه ما يكره أو يفسده وما ذهب إليه الأستاذ شاکر صحيح ؛ لأنه لا معنى للانتحال في هذا السياق .

(٤) السنخ : الأصل ، وسنخ النصل : الحديد التي تدخل في طرف السهم / اللسان

(٥) ذبابه : ذباب السيف : طرفه الذي يضرب به . / اللسان « ذبيب » : ١ / ٢٨٣

(٦) لم أجده فيما اطلعت عليه من مصادر إلا في :

ديوانه - بيروت - : ٢ / ١٦٣ ، ديوانه : ١ / ٨٨ .

المثل السائر : ١ / ١٦٨ البيت الثاني فقط .

والأبيات من قصيدة قالها في عتاب اسماعيل بن شهاب^(١) ، ومطلعها :
 هَلْ لِلنَّدَى عَدْلٌ فَيَعْدُ وَمُنْصِفاً . : مِنْ فِعْلِ إِسْمَاعِيلِ بْنِ شِهَابِهِ^(٢)

وقبل الأبيات :

إِسْمَعُ لِفَضْبَانٍ تَثَبَّتْ سَاعَةٌ . : فَبَدَاكَ قَبْلَ هِجَاؤِهِ بِعَتَابِهِ

وبعد الشاهد :

وَحَجَبَتْهُ حَتَّى تَوَهَّسَ أَنَّهُ . : هَاجَ أَتَاكَ يَشْتِهِ وَسِجَابِهِ

ابتدأ البحتري أبياته بالقسم " تالله " مؤكداً ومقرراً في النفوس ما يشعر به من حقيقة المعاناة الحادة حين يبيت ناظماً قصائده ، فهو يقظان سهران في نخل الكلام وانتقاؤه ، فمعانيه لكثرتها وعظمتها ، وحبها في أن تصف هذا المدوح تتراحم في مخيلته كالجيش المتحفز المحب للقاء العدو ، فبذل في تنظيمها وصلتها من الجهد ما بذل حتى خرجت كالسيف المصقول في قوتها وتلاكئها .

ويبدو لي أن وصف نفسه " بالتعلم " - وهو عدم الاستقرار من التوجع - حين صوغ قصيدته قدح في المدوح لمدح ، فكان عليه أن يصف نفسه بالفرح ، والغبطة والطرب ، لأنه يبيت ليله مع وصف المدوح .

(١) هو أبو القاسم إسماعيل بن شهاب ، من صغار الكتاب ، كان كاتباً للقاضي أحمد ابن أبي دواند ، قاضي القضاة في عهد المعتصم والواثق والمتوكل ، ويبدو أن اتصال البحتري بإسماعيل بن شهاب كان خلال سنة (٢٣٢ هـ) أي في خلافة الواثق على الأغلب حيث كان للقاضي نفوذ كبير في هذا العهد ، ويظهر أن إسماعيل لم يكن بمقدوره مجاراة جشع البحتري ، فيبدو أنه كان يأمر بحجبه ورده عن بابه ، ولما وجد البحتري من ابن شهاب أنناً صماً وسكوتاً مطبقاً ، أخذ يهجو هجاء ينحو في بعضه منحى الفحش والبذاء . / انظر :

البحتري في سامراء حتى عصر المتوكل : ٢٠ ، ٢١ ، ٢١ ، ٢٤ - ٢٤ .

(٢) رواية الديوان - صيرفي - : (إسماعيل بن شهاب) .

و " التملل " أيضا دليل عجز الشاعر ، فكان عليه أن يصف نفسه بالاقتدار على
الألفاظ من غير توجع .

وأبيات البحترى هذه تحوي لطائف ودقائق عدة . انظر إلى طرافة الوصل بين
جملة " يسهر في مديحك " وجملة " تنام دون ثوابه " حيث جعلها كالجملة
الواحدة ، وجمع التضاد " السهر - النوم " في صورة واحدة أقوى وأبلغ في عتاب
المدوح ولومه .

ثم انظر إلى تلك الأفعال المضارعة التي وضعتها اللغفة للدلالة على الأحوال
المشاهدة " يسهر - تنام - يقظان - ينتخل - يريد " وكيف استطاعت أن تجعل
النفس تستشعر ذلك الموقف وتبصره وكأن مشهد معاناته شاخص أمامها .
وفي انتقال الكلام من المضارع إلى الماضي " أتى " توكيد لوقوع الحدث ، وقوى هذا
التوكيد مجيء " الباء " الجارة الدالة على الإلصاق ، فدل ذلك على تمكن الشاعر
وقدرته على صقل الكلام .

الشاهد الثامن والستون بعد الثلاثائة : (×) (الخفيف)

(١)

ومن نادر وصفه للبلاغة :

- ١- فِي نِظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَ (م) . : أَمْزُؤْ أَنَّهُ نِظَامٌ قَرِيْبٌ
- ٢- وَيَدِيْعُ كَأَنَّهُ الزَّهْرُ الضَّالُّ . : حِكُّ فِي رَوْقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيْدِ
- ٣- مُشْرِقٌ فِي جَوَانِبِ السَّمْعِ مَا يَخُ . : لِحْقَهُ عَوْدُهُ عَلَى الْمُسْتَعِيْدِ
- ٤- حُجَّجٌ تُخْرِسُ الْأَكْمَدَ بِالْفَا . : طِ قُرَادَى كَالْجَوْهَرِ الْمَعْدُوْدِ (٣)

(×) الدلائل ، رضا : ٣٩٧ ، خفاجي : ٤٧٠-٤٧١ ، شاكر : ٥١٧-٥١٨ .

(١) أي البحترى .
(٢) رواية الديوان - صيرفي - " مشرق " .

(٣) ذكر في الديوان قبل هذا البيت :

مَا أُعِيْرَتْ مِنْهُ بَطُونُ الْقَرَاطِيْبِ . : سِ وَنَا حَمَلَتْ ظَهْوَرُ الْبَرِيْدِ
مُسْتَسِيْلٌ سَمِعَ الطَّرُوبَ الْمَعْنَى . : عَنِ أَغَانِي مَخَارِقٍ وَعَقِيْبِ

- ٥- وَمَعَانٍ لَوْ فَضَّلْتَهَا الْقَوَافِي (١) . هَجَنْتَ شِعْرَ جَرُولٍ وَلَبِيدٍ
٦- حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ آخْتِيَارًا (٢) . وَتَجَنَّبِينَ ظُلْمَةَ التَّعْقِيدِ

=== رواية الديوان - صيرفي - للشطر الثاني من البيت الثاني :

" عَنْ أَغَانِي زُرْزُرٍ وَعَقِيدٍ "

(١) رواية العمدة ، وتاريخ بغداد : " فَضَّلَتْهَا " .

(٢) حُزْنَ : جمع ، فالحوز الجمع ، وكل من ضم شيئاً إلى نفسه من مسال

أو غير ذلك ، فقد حازه حوزاً وحيازاً وحازة إليه واحتازه إليه / اللسان :

" حوز " : ٥ / ٣٤١ .

ورواية الدلائل - تحقيق شاکر : ٥١٨ - : " جَزَنَ بِالْجِيمِ ، ورأى الأستاذ

شاکر أن روايتها " بالحاء " تصحيف وفساد للشعر . قال :

" وفي الديوان والمطبوعة قوله : " حُزْنَ مُسْتَعْمَلِ الْكَلَامِ " بالحاء المهمل ،

وهكذا يجري في الكتب ، وهو عندي خطأ لاشك فيه ، وتصحيف مفسد

للکلام والشعر معاً ، وإنما هو " جَزَنَ بِالْجِيمِ المعجمة من " جاز المكان "

إذا تعداه ، وتركه خلفه يقول : إنَّ معانيه تعدّين مبتذل اللفظ ،

والکلام وتركته ، وتجنبن ظلمة التعقيد ، وركبن اللفظ القريب ،

وهو اللفظ المختار الجيد الذي لا ابتذال فيه ولا تعقيد ، وهو في بعض

نسخ الديوان " جزن " بالجميم ، وهو الصواب المحض ، وأما " حزن " فهو

تصحيف يتقى ، وكلام يرغَبُ عن مثله .

ولا أدري لما جعل الأستاذ شاکر رواية " حزن " بالحاء تصحيف يتقى ، وكلام يرغَبُ عنه ؟ فحزن

- بالجميم - بمعنى " تعدّين " ، وحُزْنَ قد تأتي بمعنى ، " نَحَيْنَ وَأَبْعَدْنَ " - اللسان

" حوز " : ٥ / ٣٤١ ، وهو المعنى الذي ذهب إليه الأستاذ شاکر

وإن كنت أرى أن " حُزْنَ " هنا بمعنى جمع ، وأنه أراد بمسستعمل

الکلام ما ليس غريباً ولا حوشياً ، وأكده بقوله " وركبن اللفظ القريب "

وتفسير الأستاذ شاکر " المستعمل " بالمبتذل ، والقريب بالمختار

تحكم منه ، وإنما كان يفتخر بالبحثري بأنه يؤثر السهل من الكلام

وبذلك كان يفضل المعجبون به .

- ٧- وَرَكِبَنَّ اللَّفْظَ الْقَرِيبَ فَأَدْرَكَ^(١) .: سَنَ بِمِ غَايَةِ الْمَرَادِ الْبَعِيدِ
 ٨- كَالْعَدَّارِي غَدَوْنَ فِي الْحَلْلِ الصَّفْ^(٢) .: سِرِّ إِذَا رُحِنَ فِي الْخَطُوطِ السُّودِ (٣)

والأبيات من قصيدة يمدح بها محمد بن عبد الملك الزيات ومطلعها :

بَعْضَ هَذَا الْعِتَابِ وَالتَّفْنِيدِ .: لَيْسَ نَدَمُ الْوَفَاءِ بِالْحَمْسِ سُوْدِ

وقبل الشاهد :

لَتَفَنَّنْتَ فِي الْكِتَابَةِ حَتَّى .: عَطَّلَ النَّاسُ فَنَّ عَبْدَ الْحَمِيدِ

وبعد الشاهد :

قَدْ تَلَقَّيْتَ كُلَّ يَوْمٍ جَدِيدِ .: يَا أَبَا جَعْفَرٍ يَتَجَدِّ جَدِيدِ

يصف الباحثي بلاغة قصائده بأنها كعقد اللؤلؤ في نظمها ، ونظمها في رونقها

كالزهر الضاحك في أوائل الربيع وقوله " وبديع " أي رَبِّ بديع ، وحسن الحذف هنا

للمبالغة في وصفها بكثرة الإبداع .

- (١) رواية الدلائل - رضا - : " القويب " ، واعتقد أنه خطأ مطبعي .
 (٢) رواية إعجاز القرآن : " الحلل البيض " ، يعزز هذه الرواية قصد الطباق مع السود، لكن اللون الأصفر هو المفضل .
 (٣) انظر الأبيات في :

ديوانه - الصيرفي - : ١ / ٦٣٦ - ٦٣٧ .

ديوانه - طبعة بيروت - : ٢ / ٣٢٩ ، الموازنة - محمد محي الدين -

٣٨٠ - ٣٨١ - البيت الخامس والسادس والسابع -

إعجاز القرآن : ١١٥ - البيت الأول والثاني والسادس والسابع والثامن -

التشيل والمحاضرة : ١٥٨ - البيت السابع - ، زهر الآداب :

١ / ٣٣ - الأول والسادس والسابع - ، العمدة : ١ / ٢٤٦ ،

- الخامس - والسادس والسابع - ، تاريخ بغداد : ٢ / ٣٤٢ ،

- الأول والخامس والسادس والسابع -

العكبري : ٢ / ١٦٧ - الثالث فقط - ، نهاية الأرب : ١١ / ٧ ،

- السابع فقط - .

وقصائده لبلاغتها وحسنها لا تتبلى معانيها ، ولا تتقدم على كثرة تردادها على السمع بل يزيد بها هذا التردد حسناً وإشراقاً .

ثم وصفها بأنها لإحكام معانيها ودقة ألفاظها في التعبير عن هذه المعاني ، حجج قاطعة تخرس الأُرد .

وانظر إليه وقد حذف المسند إليه ، وابتدأ البيت بالمسند " حجج " فأصل الجملة " هي حجج " وإنما حذفه ليياشر السمع ، ويلفت الأذهان إلى عظيم هذا الوصف ، وقوته ، فيتقرر في النفس .

ثم وصف قصائده بوفرة المعاني وأنها لفخامتها تهجن شعر جرول ولببيد . وحذف " رَبَّ " وجاء بـ " الواو " - " ومعانٍ " - ليدل على عظيم تلك المعاني ووفرتها .

وتأمل " الفاء " في قوله " وركبن . . . فأدركن " وكيف صورت سرعة تكشف المعاني البعيدة وسهولة إدراكها .

ثم انظر كيف شبه تلاؤم ألفاظه ومعانيه بالعذارى وهن يلبسن أجمل ثيابهن وهي الحلل الصفرة تربها الخطوط السود ، وكأن اختلاط هذين اللونين كان من أحب الألوان عند العرب .